

أبجدية من رسائل العرب

في
عصور العرب الزاهرة

السطر الثاني من رسائل
العصر العباسي الأول

تأليف
أحمد زكي قنديل

المكتبة العلمية
بدمشق

جُمُودُ رَسَائِلِ الْعَرَبِ

فِي عُصُورِ الْعَرَبِ الزَّاهِرَةِ

الجزء الرابع

السطر الثاني من رسائل

العصر العباسي الأول

وهو يحوي رسائل العباسيين من أول خلافة المنصور إلى استيلاء بني بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ

تأليف

أحمد زكي صفوت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا

المكتبة العلمية

منشورات - لبنان

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

حمداً للربى على ما أوليتنى من سابغ نعمك، وأبليتنى من بالغ توفيقك، وصلاة وسلاماً على رسولك الأمين، سيدنا ومولانا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الهداة الأعلام.

وبعد : فهانذا أصدر الجزء الرابع من « جهرة رسائل العرب » حاوياً الشطر الثانى من رسائل العباسيين فى العصر العباسى الأول - من أول خلافة المعتصم إلى استيلاء بنى بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ - وقد بقيت من هذه الجهرة حلقة خامسة هى « رسائل الأندلسيين » أرجو أن يوفقنى المولى القدير إن شاء الله إلى إنجازها ، كما وفقنى إلى إنجاز إخوتها الأربع ، ومن قبل ما وفقنى إلى إصدار « جهرة خطب العرب » فى حلقاتها الثلاث ، فله أوفر الحمد وأوفاه .

وقد سلخْتُ حتى الآن فى تأليف هاتين الجهرتين سبع سنين دأباً - ثلاثاً فى جهرة الخطب ، وأربعاً فى الأخرى - قطعت فيها أشواطهما السبعة ، مثابراً على العمل فيهما صيفَ شتاء ، سحابةَ النهار أجمعَ وقطناً من الليل فى بعض الأحيان ، وإهباً لهما كل أوقات فراغى من عملى الدرامى - عدا ما أخرجته فى هذه الفترة من مؤلفات أخر^(١) - دون أن أنيل نفسى حظها من الجلم والراحة ، والآن - بعد أن كدتها

(١) وهى : ترجمة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وكتاب الكامل فى النحو والصرف ، فى أربعة أجزاء لطلبة دار العلوم ، وكتاب علم البيان ، وكتاب علم المعانى ، وتاريخ الخطابة فى الجاهلية والإسلام ، وتاريخ الجمل والناظرة ، وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة بالاشتراك مع بعض حضرات الزملاء .

ذلك الإيجاف ، الذي كاد يُشرف بها على البُهر والإعجاف - أراها ظمئة ظمًا مُلِحًا
إلى فترة راحة قصيرة ، تستجم فيها وتستروح ، حتى تُتوب إلى الميدان فتتية النشاط ،
قوية الرّكض ، فتقطع الشوط الأخير في غير ضَجَر ولا ملالة ، فإلى القراء الكرام
معذرتي في هذا التريث ، وإلى الملتقى القريب ، إن شاء الله .

وإني لأحتمل في سبيل ذلك العمل الشاقّ المضي ما ألقاه فيه من جهد ولُغوب ،
بصدر رحيب ، وعين قريرة ، وليس لي من ورائه مطمع إلا أن يذكر اسمي في عداد
من نصبوا أنفسهم لخدمة هذه اللغة العربية الشريفة ، ففازوا على تعاقب الأجيال بطيب
الذكرى ، وخالد الأثر ، سددنا الله وإياكم إلى طريق الخير والصلاح ، وكتب لنا
سعادة الدنيا والأخرى ، إنه المدم المتفضل المحمود .

أحمد زكي صفوت

وحرر بالقاهرة في { جادى الآخرة سنة ١٣٥٧ هـ
أغسطس سنة ١٩٣٦ م

الباب الخامس

الترسلات

في

العصر العباسي الأول أيضاً

١ - كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

وروى صاحب زهر الآداب قال :

وكتب المعتصم ، حين صارت له الخلافة سنة ٢١٨ هـ ، إلى عبد الله بن طاهر :
« عافانا الله وإياك ، قد كانت في قلمي منك هفواتٌ غفرتها الاقتدارُ ، وبقيتُ
حزّارات^(١) أخاف منها عليك : عند نظري إليك ، فإنّ أناك ألفُ كتابٍ استقدّمك
فيه فلا تقدّم ، وحسبُك معرفة بما أنا منطويٌّ لك عليه ، إطلاعي إياك على ما في
ضميري منك . والسلام . » (زهر الآداب ٣ : ٩١)

(١) المزازة : وجم في القلب ، من غبظ ونحوه .

٢ - كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

وروى صاحب العقد الفريد قال :

كتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر :

« أَعَزِّزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ عَلِيًّا
فَوَدِدْتُ أَنَّ مَالِكَ لِسَلَامَتِي
فَتَكُونَ تَبَقَى سَالِمًا بِسَلَامَتِي
هَذَا أَخٌ لَكَ يَشْتَكِي مَا تَشْتَكِي
أَوْ أَنْ يَكُونَ بِكَ السَّقَامُ نَزِيلًا
فَأَهْبِرْهَا لَكَ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا
وَأَكُونَ مِمَّا قَدْ عَمَرَكَ بِدِيَلًا
وَكَذَا الْخَلِيلُ إِذَا أَحَبَّ خَلِيلًا »^(١)

(العقد الفريد ١ : ٢٣٠)

٣ - كتاب المعتصم إلى الآفاق عند القبض على بابك الحرمي

وهذه نسخة كتاب كتب بها عن المعتصم ، إلى ملوك الآفاق من المسلمين ، عند

قبض الأفشين حيدر بن كاوس على بابك الحرمي^(٢) ، وهي :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه ، والعصمة لأوليائه ، والعز لمن
نصره ، والفلاح^(٣) لمن أطاعه ، والحق لمن عرف حقه ، وجعل دائرة السوء على من
عصاه وصدف عنه^(٤) ، ورغيب عن ربوبيته ، وابتغى إلها غيره ، لا إله إلا هو وحده
لا شريك له ، يحمده أمير المؤمنين حمدًا من لا يعبد غيره ، ولا يتوكل إلا عليه ،
ولا يفوض أمره إلا إليه ، ولا يرجو الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ،

(١) أقول : الظاهر أن المعتصم كتب إليه هذا الكتاب ، قبل أن يلى الخلافة .

(٢) قدمنا لك في الجزء الثالث ما كان من أمر بابك الحرمي في خلافة الأمامون (انظر ص ٤٤٤) فلما ولي

المعتصم الخلافة وجه لحربه سنة ٢٢٠ الأفشين التركي - وكان من أجل قواده - ونشبت بينه وبينه وقعت
وحروب ، كانت خاتمها أن فتحت البذ - مدينة بابك - ودخلها المسلمون واستباحوها ، وأسر الأفشين

بابك ، وقدم به على المعتصم بسر من رأى ، فقتل وصل بها سنة ٢٢٣ هـ .

(٣) الفلج : الظفر والفوز .

(٤) صدف عنه كضرب : أعرض .

ولا يستعين في أحواله كلها إلا به ، ويسأله أن يصلي على عمده ورسوله وصفوته من عباده ، الذي ارتضاه لنبوته ، وابتعثه بروحيه ، واختصه بكرامته ، فأرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وميراً جاً منيراً ، والحمد لله الذي إنجبه لأمير المؤمنين بصنعه ، فبسر له أمره ، وصدق له ظنه ، وأنجح له طلبته ، وأنفذ له حيلته ، وبلغ له محبته ، وأدرك المسلمون بثأرم على يده ، وقتل عدوهم ، وأسكن روعتهم^(۱) ، ورحم فاقتهم ، وآانس وحشتهم ، فأصبغوا آمنين مطمئنين مقيمين في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ، بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء ، وتتابع البلاء ، منّا من الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ، وصنعا له فيما وفقه لطلبه ، وكرامة زادها فيما أجرى على يده ، فالحمد لله كثيرا كما هو أهله ، ونرغب إلى الله في تمام نعمه ، وداوم صنعه ، وسعة ما عنده بمنه ولطفه .

ولا يعلم أمير المؤمنين - مع كثرة أعداء المسلمين ، وتكثفهم^(۲) إياه من أقطاره ، والضعفان التي في قلوبهم على أهله ، وما يترصدونه من العداوة ، وينظرون عليه من المكابدة ، إذ كان هو الظاهر عليهم^(۳) ، والآخذ منهم - عدواً كان أعظم بليته ، ولا أجل خطباً ، ولا أشد كلباً^(۴) ، ولا أبغ مكابدة ، ولا أزمى بمكروه ، من هؤلاء الكفرة الذين بغزوم المسلمون ، فيستعلون عليهم ، ويضعون أيديهم حيث شاءوا منهم ، ولا يقبلون لهم صلحاً ، ولا يميلون معهم إلى موادعة ، وإن كان لهم - على طول الأيام ، وتصرف الحالات ، وبعض مالا يزال يكون من فآات ولاية الفجور - أدنى دولة من دولات الظفر ، وخلصة من خلص الحرب ، كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك منقصاً لما تعجلوا من سروره ، وما يتوقعون من الدوار بعد ، مكدرًا لما وصل إليهم من فرحة .

(۲) تكثفوه : أحاطوا به .

(۱) أي فرغهم .

(۳) من كلب الزمان والثناء كفرح : أي اشتد .

(۴) أي الغالب لهم .

فَأَمَّا اللّٰعِينُ بَابِكَ وَكَفَرَتُهُ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَغْزُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يُغْزَوْنَ ، وَيُنَالُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يُنَالُ مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ الْمُنْجَرِفُونَ عَنِ الْمَوَادِّعَةِ ، الْمُتَوَحِّشُونَ عَنِ الْمِرَاسَلَةِ ، وَمَنْ أُدِيلُوا^(۱) مِنْ تَتَابُعِ الدُّوَلِ ، وَلَمْ يَخَافُوا عَاقِبَةَ تَذَرِكِهِمْ ، وَلَا دَائِرَةَ^(۲) تَدْوَرِ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ مِمَّا وَطَأَ ذَلِكَ وَمَكَّنَهُ لَهُمْ ، أَنَّهُمْ قَوْمٌ ابْتَدَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى حَالِ تَشَاغُلِ السُّلْطَانِ ، وَتَتَابُعِ مِنَ الْفِتَنِ ، وَاضْطِرَابِ مِنَ الْحَبْلِ ، فَاسْتَقْبَلُوا أَمْرَهُمْ بِعِزَّةٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَضَعْفٍ وَاسْتِثَارَةٍ مِنْ بَارَاهِمِ ، فَأَجَلَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ لِتَخَاضِصِ الْبِلَادِ لَهُمْ ، ثُمَّ أَخْرَبُوا الْبِلَادَ لِيَعِزَّ مُطْلَبُهُمْ ، وَتَشْتَدَّ الْمُؤْنَةُ ، وَتَعْظُمَ السُّكُفَةُ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ، فَلَمْ يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُوَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْحَلَ أَمْرَهُمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَاشْتَدَّتْ ضُرُورَاتُهُمْ ، وَاسْتَجْمَعَ لَهُمْ كَيْدُهُمْ ، وَكَثُرَ عَدُوَّهُمْ وَاعْتَدَادُهُمْ ، وَتَمَكَّنَتْ الْهَيْبَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَا بَعْدَهُمُ الْكَافِرُ وَيُمْنِيهِمْ أَخْذٌ بِالْيَدِ ، وَكَانَ الَّذِي بَقِيَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى وَبَدُونَ هَذَا مَا يُخْتَدَعُ الْأَرِيْبُ ، وَيُسْتَنْزَلُ الْعَاقِلُ ، وَيُعْتَقَلُ الْفَطْنُ ، فَكَيْفَ بِنِ لَافِكْرَةٍ لَهُ وَلَا رُويَةٍ عِنْدَهُ !

هَذَا مَعَ كُلِّ مَا يَقُومُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ حَسَدِ أَهْلِ النِّعَمِ ، وَمِنَافَسَتِهِمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَتَقَطُّعِهِمْ حَسْرَاتٍ فِي إِثْرِ مَا خُصُّوا بِهِ ، وَأَنَّهِمْ إِنْ لَا يَكُونُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَحَقَّ بِذَلِكَ ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ .

وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ تُفْضِيََ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ ، مَا دَا عُنُقَهُ ، مُوجِّهًا هِمَّتَهُ ، إِلَى أَنْ يُوَلِّيَهُ اللَّهُ أَمْرَ هَوْلَاءِ الْكُفْرَةِ ، وَيَمْلِكَهُ حَرْبِهِمْ ، وَيَجْعَلَهُ الْمَقَارِعَ^(۳) لَهُمْ مِنْ دِينِهِ ، وَالْمَفَاجِزَ لَهُمْ عَنِ حَقِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْتُوا^(۴) فِي ذَلِكَ حِرْمًا وَطَلَبًا وَاحْتِيَالًا ، فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَا بِي ذَلِكَ لِضَنْئِهِ بِهِ ، وَصِيَانَتِهِ بِقُرْبِهِ ،

(۱) الإِدَالَةُ : الْغَايَةُ ، أَدَالَهُ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ . (۲) الدَّائِرَةُ : الْمَهْزِيمَةُ .

(۳) الْمَقَارِعَةُ : الْمَنَاسِلَةُ . (۴) أَلَا ، يَا أُو : قَصْرٌ .

مع الأمر الذي أعدّه الله له وآثره به ، ورأى أن شيئاً لا يفي بقوام الدين ،
وصلاح الأمر .

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته ، وأطلق الأمر في يده لم يكن شيء
أحبّ إليه ، ولا أخذ بقلبه ، من المعاجلة للكافر وكفرته ، فأعزّه الله ، وأعانته الله ،
فله الحمد على ذلك وتيسيره ، فأعدّ من أمواله أخطرها ، ومن قواد جيشه أعدّهم
بالحرب ، وأنهضهم بالمعضلات ، ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آباؤه - صلوات الله
عليهم - أحسنهم طاعة ، وأشدّهم نكابة ، وأكثرهم عدّة ، ثم أتبع الأموال
بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصّة مواليه وعدّد غلمانته ، وقبل ذلك
ما أتكل عليه من صنّع الله جل وعز ، ووجه إليه من رعيته . فكيف رأى
الكافر اللعين وأصحابه الملائع ؟ ألم يكذب الله ظنونهم ، وبشّف صدور
أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شاءوا في كل موطن ومعتك ، ما دامت عند
أنفسهم مقاومة .

فلما ذأوا وقتلوا ، وكرهوا الموت ، صاروا لا يترءون إلا في رموس الجبال ،
ومضايق الطرّيق ، وخلف الأودية ، ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تنالهم الخيل ،
حصناً للطاولة ، وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك ، وهو خير الكائدين ،
واستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنه معتصمين فيه عند أنفسهم ، فجعلوا اعتصامهم
لحين^(۱) لهم ، وصنّع لأوليائه ، وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، فجمعهم وحصرهم
لكيلا تبقى منهم بقية ، ولا ترجى لهم عاقبة ، ولا يكون الدين إلا لله ، ولا
العاقبة إلا لأوليائه ، ولا للتمس والنكس إلا لمن خذله .

فلما حصرهم الله ، وحبّسهم عليهم ، ودانتهم^(۲) مصارعهم ، سلّطهم الله
عليهم كيده واحدة ، يختطفونهم بسيوفهم ، وينتظّمونهم^(۳) برماحهم ، فلا يجدون

(۱) الحين : الهلاك . (۲) دانتهم : أي قارتهم . (۳) انتظّمه بالرمح : أخّله .

حَلَجًا وَلَا مَهْرَبًا ، ثُمَّ أَمَكَّهُمْ مِنْ أَهَالِيهِمْ ، وَأَوْلَادَهُمْ ، وَنَسَائِهِمْ ، وَحُرْمَهُمْ ،
 وَصَيَّرُوا الدَّارَ دَارَهُمْ ، وَالْمَحِلَّةَ مَحِلَّتَهُمْ ، وَالْأَمْوَالَ قَسَمًا بَيْنَهُمْ ، وَالْأَهْلَ إِمَاءً
 وَعَبِيدًا ، وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا فَعَلَ بِهَذَا وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالثَّوَابِ ، وَمَا أَعَدَّ
 لِأَوْلَادِكَ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعِتَابِ ، وَصَارَ الْكَافِرَ بِابْنِكَ لَا فِيمَنْ قُتِلَ ، فَسَلِمَ مِنْ ذُلِّ الْغَلْبَةِ
 وَلَا فِيمَنْ نَجَا ، فَمَا يَنْ فِي الْحَيَاةِ بَعْضَ الْعِوَاضِ ، وَلَا فِيمَنْ أُصِيبَ ، فَيَسْتَفِئِلَ بِنَفْسِهِ عَنِ
 الْمَصِيبَةِ بِمَا سِوَاهِ ، لَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَطْلَقَهُ وَسَدَّ مَذَاهِبَهُ ، وَتَرَكَ مُتَلَدِّدًا^(۱) بَيْنَ
 الذَّلِّ وَالْخَوْفِ ، وَالْفُصَّةِ وَالْحُسْرَةِ ، حَتَّى إِذَا ذَاقَ طَعْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَفَهِمَهُ ، وَعَرَفَ مَوْجِعَ
 الْمَصِيبَةِ ، وَظَنَّ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ مِنَ النِّجَاةِ ، فَضَرَبَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَأَعْمَى بَصَرَهُ ،
 وَسَدَّ سَبِيلَهُ ، وَأَخَذَ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ ، وَحَازَهُ إِلَى مَنْ لَا يَرِيقُ لَهُ ، وَلَا يَرِثِي لِمَصْرَعِهِ . فَاثْمَثَلْ
 مَا أَمَرَ بِهِ الْأَفْشِينَ « حَيْدَرُ بْنُ كَاوَسٍ »^(۲) ، مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهِ ، فَبَثَّ لَهُ الْحَبَائِلَ ،
 وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْأَرْصَادَ ، وَنَصَبَ لَهُ الْأَشْرَاكَ ، حَتَّى أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِهِ أُسِيرًا ذَلِيلًا مُوْتَقًا فِي الْحَدِيدِ ،
 يَرَاهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مَنْ كَانَ يَرَاهُ رَبًّا ، وَيَرَى الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ يظُنُّ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُ .
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّ دِينَهُ ، وَأَظْهَرَ حُجَّتَهُ . وَنَصَرَ أَوْلِيَاءَهُ ، وَأَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ ،
 حَمْدًا يُقْضَى بِهِ الْحَقُّ ، وَتَمُّ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَتَتَّصِلُ بِهِ الزِّيَادَةُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ عَلَى
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَقَّقَ ظَنَّهُ ، وَأَنْجَحَ سَعْيَهُ ، وَحَازَ لَهُ أَجْرَ هَذَا الْفَتْحِ وَذُخْرَهُ وَشَرَفَهُ ،
 وَجَعَلَهُ خَالصًا لِتَمَامِهِ وَكَمَالِهِ ، بِأَكْمَلِ الصَّنْعِ وَأَحْسَنِ الْكِفَايَةِ ، وَلَمْ يَرِ بُوْسًا فِيهِ مَا يُقْذَى
 عَيْنَهُ ، وَلَا خَلَا مِنْ سُرُورِ يَرَاهُ ، وَبِشَارَةِ تَتَجَدَّدُ لَهُ عَنْهُ ، فَمَا يَدْرِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 مَا مَتَّعَ فِيهِ مِنَ الْأَمَلِ ، أَوْ مَا خَتَمَ لَهُ مِنَ الظَّفَرِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْلًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ آخِرًا ،
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَطَايَاهِ الَّتِي لَا تُحْصَى ، وَنِعْمَةِ الَّتِي لَا تُدْنَسَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
 (صَبْحُ الْأَعْشى ٦ : ٤٠٠)

(١) تلدد : تلفت عينا وشمالا ؟ وتغير متبديدا ، وتلبث .

(٢) هكذا في تاريخ الطبري (١٠ : ٣٠٧) وفي زهر الآداب (١ : ٣٢٤) وفي صبح

الأعشى « حيدر بن كاوس » بالطاء .

۴ - كتاب المعتصم إلى ملك الروم

وكتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه ويتوعده ، فأمر بجوابه ، فلما قرئت الأجوبة عليه لم يَرْضَهَا ، وقال لبعض الكتاب اكتب ، وأملى عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فقد قرأتُ كتابك ، وفهمتُ خطابك ، والجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيعلم الكافرُ مِن عِقَبِي الدَّارِ . »

(زهر الآداب ۳ : ۹۲ ، وصبح الأعشى ۱ : ۱۹۲ ، ونهاية الأرب ۷ : ۲۶۱ ، وأدب الكتاب ص ۲۳۵)

۵ - كتاب إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم

وشخصَ المعتصمَ غازياً إلى بلاد الروم سنة ۲۲۳ هـ ، بعد قتل بابك ، ففتح عمورية^(۱) ، وكتب إليه إبراهيم بن المهدي يهنئه ، بخروجه عن أرض الروم ، بعد فتح عمورية :

« الحمد لله الذي كَتَمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَزْوَتَهُ ، فَأَذَلَ بِهَا رِقَابَ الْمُشْرِكِينَ ، وَشَفَى بِهَا صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ الْأَوْبَةَ سَالِمًا غَانِمًا ، (وَكَذَا وَكَذَا) وَوَيْهَنِيهِ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ عَمَّا أَحْصَاهُ فَلَا يَنْسَاهُ ، إِيْقِفَهُ بِهِ مَوْقِفًا يَرْضَاهُ ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ :

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ،

(۱) عمورية : بلد من بلاد الروم ، فتحه المعتصم سنة ۲۲۳ هـ ، وكان المنجمون قالوا له : إنا نجد في كتبنا أن مدينتنا لا تفتح إلا في وقت إمدراك التين والعنب ، وبيننا وبين ذلك الوقت أشهر ، ويمنعك من المقام البرد والثلج ، فأبى أن ينصرف وأكب عليها حتى فتحها ، فأبطل ما قالوا ، وفي ذلك يقول أبو تمام في مطلع يائته المشهورة مهثاله :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده المدينين الجند والامب
وفيها يقول :

يايوم وقمة عمورية انصرفت
عنك التي حفلا مصولة الملب

وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

فَطَوَى اللَّهُ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَارِحَ^(۱) الْبَعْدَ بَرًّا وَبَحْرًا ، وَوَقَاهُ وَصَبَ السَّفَرَةَ مَهْلًا
وَوَعْرًا ، وَحَاطَهُ بِحِرَاسَتِهِ كَالِثَأْنِ^(۲) ، وَدَافَعَ عَنْهُ بِحِفْظِهِ رَاعِيًا ، حَتَّى يُؤَدِّيَهُ إِلَى الْمَحَلِّ
مِنْ دَارِهِ ، وَالْوَطَنِ مِنْ قَرَارِهِ ، وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَاصَّةً . وَعَنْ رِعْيَتِهِ كَافَّةً ،
بِتَخْيِيرِهِ مُسْتَخْلَفًا عَلَيْهِمْ ، وَقَائِمًا مَقَامَهُ فِيهِمْ : هَرُونَ^(۳) ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ
اسْتَخْلَفَهُ رَفِيقًا شَفِيقًا ، حَلِيًّا وَقَوْرًا ، بِقِظَانٍ سَاكِنًا ، لَمْ يُشَدِّبْ^(۴) عَلَيْهِ أَمْرًا ، وَلَمْ
يَنْتَشِرْ عَلَيْهِ طَرْفٌ ، وَلَمْ يَضَعْ مَعَهُ سَبِيلًا ، وَلَمْ يُنْخِطْ وَلِيًّا مُكَانِفًا ، وَلَا عَدُوًّا مُخَالِفًا ،
بِلا سَيْفٍ أَشْرَعَهُ ، وَلَا سُورٍ أَقْرَعَ بِهِ^(۵) ، فَثَمَّلَ جِزَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَخْيِيرِهِ إِيَّاهُ ،
فَجَزَاهُ اللَّهُ عَلَى مَا حَفِظَ مِنْ وَصَايَتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ مَقَامَهُ ، إِنَّهُ مَجِيبُ الدَّاعِي .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۹۸)

۶ - كتابه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي

وأهدى إبراهيم بن المهدي ، إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(۶) ، جراب مِائِحَ ،
وجراب أُشْنَانَ^(۷) ، وكتب إليه :

« لولا أن القلّة قَعَصَرَتْ عن بلوغ الهمة ، لأتعبتُ السابِغين إلى برك ، ولكن
البضاعة قَعَدَتْ بالهمة ، وكرهتُ أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ذِكر ، فبعثتُ

(۱) النازح : البعيد . (۲) كالثأ : أي حارسا حافظا .

(۳) هرون : هو الملقب بالوائق بالله ، وقد ولي الخلافة بعد أبيه سنة ۲۲۷ وتوفى سنة ۲۳۲ هـ .

(۴) التشذيب : التفريق ، والطرف بالتحريك : الناحية .

(۵) أشرع نحوه الرمح والسيف وشرعهما كنع : أقبلهما إياه وسددهما له ، وأقرع الدابة بلجامها

وفرعها كنع : كنفها به وكبجها .

(۶) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، الملقب المشهور ، المتوفى سنة ۲۳۵ ، وقد أورد صاحب الأغاني ،

كثيرا جدا من أخباره فارجم إليها فيه .

(۷) الأشنان بالضم والكسر : نبات حمض (والحض من النبات - كشمس - كل نبت مالخ أو

حامض يقوم على سوق ولا أصل له) تفصل به الأيدي على أثر الطعام ، معرب ، وعريبه حرض كنعق

نظار لسان العرب مادة أشن وحرض ، وشفاء الغليل ص ۱۱ .

«ابتدأ به ليمنه وبركته ، والمختوم به لطيبه ونظافته ، وأما ماسوى ذلك ، فالعبر
عنا فيه كتابُ الله تعالى ، إذ يقول : « لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ ، إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
مِنْ سَبِيلٍ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (۱) .
(المقد الفريد ۳ : ۳۰۸)

۷ - رواية أخرى

وفي رواية أخرى ، أن يحيى بن خالد بن برمك ، عزم على ختان ولده ، فأهدى
إليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حاله وقدرته ، فصنع بعض التجميلين العاجزين
خریطتين (۲) ، وملا إحداهما ملحاً مطيباً ، والأخرى سعاداً (۳) معطراً ، وكتب معهما
رقعة فيها :

« لو تمت الإرادة ، لأسعفت العادة ، ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة ،
لنقدمتُ للسابقين إلى خدمتك ، وأنعتُ المجتهدين في كرامتك ، لكن قدمتُ بي
القدرة عن مساواة أهل النعمة ، وقصرتُ بي الجدة (۴) عن مباهاة أهل المكنة (۵) ،
وخشيتُ أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ذكر ، فأنقذتُ المفتوح بيمنه
وبركته ، وهو الملح ، والمختم بطيبه ونظافته وهو السعد ، بإسقاط يد العذرة ، صابراً
على ألم التقصير ، متجرعاً غصص الاقتصار على اليسير ، والقائمُ بعذرى في ذلك :
« لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ »

(۱) وفي رواية الصولى ، في كتاب الأوراق ۲ : ۳۰ « عن إسحق قال : ظهرت بعض ولدى ،
فكتب لى إبراهيم بن المهدي : « لولا أن البضاعة قصرت عن الهوى ، لأنعت السابقين لى برك »
وحسبك أن تطوى صحيفة البر : وليس لي فيها برة ، وقد بعثت إليك ما ابتدأ به ليمنه ، والمختوم به
لطيبه ورائحته ، جراب ملح ، وجراب أشنان .
(۲) الخريطة وعاء من آدم وغيره .
(۳) السعد . نبت طيب الريح .
(۴) الجدة : الفنى .
(۵) المكنة : القوة والشدة .

والخادم ضارِعٌ في الامتنان عليه بقبول خدمته ومعدرته ، والإحسان إليه ، بالإعراض عن جراته ، والرأى أَسْمَى .

ثم دخل دار يحيى ، ووضع الخريطين والرقعة بين يديه ، فلما قرأ الرقعة أمر أن تُفَرَّغَا وتَمَلَّأَا إحداهما دنائير والأخرى دراهم .
(غرر الحقائق الواضحة ص ۴۴۸)

۸- كتابه إلى صديق له

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى صديق له :

« لو كانت التُّحفة على حَبِّ ما يوجبُه حَقُّكَ ، لأَجْحَفَ بقا أَدْنَى حقوقك ،
ولكنه على قدر ما يُخْرِج الوَحْشَةَ ويُوجِب الأُنْسَ ، وقد بعثتُ بكذا وكذا » .
(المقدم الفريد ۳ : ۳۰۹)

۹- كتاب له

« وصل كتابك السَّارُّ المُوْنِسُ ، فكان أسراً طالِعِ إلىَّ ، وأحسنه مَوْقِعاً مني ،
إذ كنت أستعلي بعلوك ، وأرى نعمتك تنحطُّ إلىَّ ، ويتصل بي ما يتصل بالأذنين
من نُحْمَتِكَ^(۱) ، وحملة شكرك ، ومَظانِّ معروفك ، والمقيمين على تأميك ، فلا
أعدَمَنِي اللهُ ما أسْتَجَبَنِي [منك]^(۲) ، ولا أزال عنى ظِلُّكَ ، ولا أفقدنِي شخصك » .
(الأوراق للصولي ۲ : ۳۷)

(۱) اللحمة : الفراية .

(۲) استجبتني : طلب الجني ، والمعنى ما أطلبه وآمله منك ، وكلمة « منك » ليست في الأصل ،
والمقام يقتضيهما .

۱۰ - کتاب له

کتبتُ إليك ونحن في عافية مجددة ، والحمد لله المتطوّل بالنعمة ، المرجوُّ للزّيد ،
ولست وإن باعدتک الدارُ مني ، ونأى بك الزمنُ عنا ، بمَقْصِي القلب عن برك
بالذكر والعناية ، ولا اللسانِ بالدعاء والمسألة ، ولا النية في الإخلاص والمحبة لإحياء
العهد بالمكاتبة ، وتجديد الوصلة بالمراسلة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« التواصُلُ بين الناس في الحضر التزاوُر ، وفي السفر التكاثُب » .

(الأوراق للصوى ۲ : ۳۷)

۱۱ - کتاب له في التشوق

« أما بعد ، فإنى مُذ فارتقتك ، وغاب عنى شخصُك ، وبعدَ . منى قُرْبِكَ ،
أجدُ من نفسى مُنازِعاً إليك ، وأملأ واقفاً عليك ، وشوقاً مُزْعِجاً إلى قُربِكَ ،
والأخذِ بالحظِّ منك ، وإن عدّانى عن مشاهدتك باللقاء ، أو بكتابٍ ، تقصيرٌ
مَشُوبٌ ببذر ، وأنا أسأل الله راغباً إليه أن يجمعنا في دوامٍ من نعمته ، وظلِّ
من كرامته ، وكفاية من حرامته » .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۵)

۱۲ - کتاب له

وله في ترك وداعٍ عند فراق :

« أما بعد ، فإن الله عزّ وجل قد جعل لنا من الأُنس بمودّتك ، والسرورِ
بمكاثرتك ، ما لو وصفناه فأطنبنا ، لجاوز^(۱) ذلك ما نطوى عليه ، وقد تركت من
توديعك عند شخوصى عن البلد الذى يجمعنا ، ما لولا حسنُ ظنى بك ، لو قَع منى

(۱) في الأصل «لنادر» وهو تحريف .

بأعظمِ مواقعِ المساءِ والغيظِ على نفسي ، وأنتَ مَنْ أَعُدُّهُ سرورى وأُنْسِي ، وأهْوَى
مشاهدةَ غُدُوِّى وَرَواحِيِ إليه ، ولَقَلَّ ما أَعْلَمُ أَنه ما اسْتَمَّ لى سرورٌ بعدك ، أو نزل
بأحدٍ ما نَزَلَ بى من الشوقِ إليك ، أو حَلَّ مِنى أحدٌ بمثلِ مكانك ، أو استصفيت
لذةً أو راحةً إلا معك وفي قُرْبِكَ . (اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۵)

۱۳ - كتاب له

وكتب^(۱) إبراهيم بن المهدي :

« كتابى إليك كتابٌ مُخْبِرٌ وسائِلٌ ؛ فأما الإخبارُ ، فمن تصرُّفِ الخُطوبِ ،
على ما يوجب العذرَ عندِ صدِيقِ العزيزِ علىَّ ، فى إبطائى عنه بالتعهدِ له ، وأما
السؤالُ ، فمن إمساكِ هذا الأَخِ الوادِّ^(۲) عن مثلِ ذلك ، فإن العذرَ^(۳) كاشِفٌ
لما أَسَافَ ، مُصَدِّحٌ لما اسْتَأَنَفَ .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۷۷ والعقد الفريد ۲ : ۱۹۲)

۱۴ - كتاب له

وكتب :

« أما بعد ، فإنك لو عرَفتَ فَضْلَ الحَسَنِ ، لتجنَّبتَ شَيْنَ القبيحِ ورأيتك :
آثَرُ القولِ عندك ما يضرُّك ، فكنتَ فيما كان منك ومنا ، كما قال زُهَيْرٌ
ابن أبى سلمى :

وذى خَطَلٍ فى القولِ يَحْسَبُ أَنه مُصِيبٌ ، فما يُلِمُّ به فهو قَائِلُهُ^(۴)
عَبَاتٌ له حِلْمًا وأَكْرَمَتْهُ غيرَه وأَعْرَضَتْ عنه وهو بادٍ مَعَارِلُهُ^(۵)

(۱) فى المنظوم والمنثور أن هذا الكتاب لإبراهيم بن العباس .

(۲) فى العقد « هذا الأَخِ الودود المودود » .

(۳) وفيه « فإن البذل » .

(۴) الحطل : الخطأ ، (۵) عبا الأمر كنم : هياه .

وَأَنْ مِنْ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْنَا ، وَإِسَاءَتِكَ إِلَى نَفْسِكَ ، أَنَا صَفَعْنَا عَمَّا أَمْكَنَّا ،
وَتَنَاوَلْتَ مَا أَعْجَزَكَ ، فَهَلْ الْحَمْدُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ .

(العقد الفريد ۲ : ۱۹۷ ، والأوراق للصولي ۲ : ۳۶)

۱۵ - كتابه إلى منصور بن المهدي

وفصل منه إلى المنصور بن المهدي :

« وما الحقُّ إلا حقُّ الله ، فمن أدّاه فلنفسه ، ومن قصر عنه فعلها ، نَسألُ الله
أن يصرِّنا بالحق ، ويصلحنا بالتوفيق ، ويحصِّننا بالتقوى . »

(الأوراق للصولي ۲ : ۳۵)

۱۶ - كتابه إلى العباس بن موسى

« عبد الرحمن بن عبد الله ، مَنْ لا أحتاج إلى وصف حاله لك ، وأعلَى عرْفَتها
جعدك ، غير أنني أحبُّ مَمَرَّتَه ، بقضاء حقه ، وواجب حُرْمَتَه ، في مودَّتِه وموالاته ،
وقد جعلك ممن يحافظ على ذلك ومثله ، أراك اللهُ ما تحبُّ أن تحفظني ونفْسك فيه ،
وتوأيّه ما جعلك اللهُ أهله ، وجعله حقيقةً به . »

(الأوراق للصولي ۲ : ۳۵)

۱۷ - فصل له

« لم يبق لنا بعد هذا الجنس شيء نندُّ أعيننا إليه ، إلا الله الذي هو الرجاء ، قبله

(الأوراق للصولي ۲ : ۶۳)

ومعه وبعده . »

۱۸ - فصل له

(أمّا الصبرُ ، فصير كل ذي مصيبة ، غير أن الحازم يقبِّم ذلك عند اللوعة طلباً
المشوية ، والعاجز يؤخِّر ذلك إلى السلوة ، فيكون مغبوناً نصيب الصابرين ، ولو أن

(۳ - جبهة رسائل العرب - رابع)

التواب الذي جعل الله لنا على الصبر كان على الجزع ، لكان ذلك أثقل علينا ، لأن
جزع الإنسان قليل ، وصبره طويل ، والصبر في أوانه أيسرُ مئونةً من الجزع بعد
السَّلوَة ، ومع هذا فإن سبيلنا من أنفسنا على ما ملكنا الله منها ألا نقول ولا نفعل
ما كان لله مُسَخِّطًا ، فأما ما يملكه الله من حُسن عِزاء النفس ، فلا يملكه من أنفسنا .
(الأوراق للصولي ۲ : ۳۶)

۱۹ - كتاب يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه

وأهدى يعقوب^(۱) الكِنْدِي إلى بعض إخوانه سيفًا وكتب معه :
« الحمد لله الذي خصَّك بمنافع ما أهدى إليك : فجمالك تهتَزُّ للمكارم ، اهتزازَ
الصَّارِمِ ، وتَمُضِي في الأمور ، مَضَاءَ المَأْتُورِ^(۲) ، وتصون عِرْضَكَ بالإِرْفَادِ^(۳) ،
كما تصان السيوف في الأغداد ، ويظهر دمُ الحياء في صفحة خَدِّكَ المَشُوفِ^(۴) ، كما
يُشِفُّ الرِّوْنَقُ في صَفَحَاتِ السيوف ، وتَصْقُلُ شُوفُكَ بِالْعَطِيَّاتِ ، كما تُصَقِّلُ مُتُونُ
المَشْرِفِيَّاتِ^(۵) . »
(غرر الحقائق الواضحة ص ۴۴۷)

(۱) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن
قيس الكندي ، كان أبوه إسحاق أميراً على الكوفة المهدي والرشيد ، وكان يعقوب عظيم المزية
عند المأمون والمنتصم ، فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ، ويسمى
فيلسوف العرب ، وله مؤلفات كثيرة في علوم مختلفة من المنطق والفلسفة والهندسة والحساب (الأرخمطيقي)
والموسيقى والنجوم وغيرها ، وقد عد له ابن النديم ۲۳۱ كتاباً في ۱۷ علماً .
وله حديث مع أبي تمام ، حين أنشد المنتصم سبنيته المشهورة في مدحه (وفيات الأعيان ۱ : ۱۲۲)
انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ۳۵۷ ، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ص ۳۶۶ (طبع
أوربة) وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ۱ : ۲۰۶ .
هذا إن صح أنه كاتب هذه الرسالة وأشك في أنه هو ، لأن الصبغة البديعة البينة الأثر في أسلوبها
لم تفش إلا بعد ذلك العصر .

(۲) سيف مأثور : في منته أثر بالفتح والكسر : وهو فرند السيف ورواقه وديباجته .

(۳) الإرفاد : الإعطاء والإعانة .

(۴) المشوف : المحلوق ، من شافه شوقاً ، أي جلاها ، ودينار مشوف : مجلوق . وفي الأصل
« مشروف » وهو تحريف .

(۵) المشرق : السيف ، نسبة إلى مشارف الشام ، وهي قزى من أرض العرب تدنو من الريف ،
وقيل : نسبة إلى موضع باليمن .

۲۰ - بين عبد الله بن الحسن الأصبهاني وابن الزيات

وكان عبد الله بن الحسن الأصبهاني ، يخاف عمرو بن مَعْدَةَ على ديوان الرسائل ،
فكتب إلى خالد بن يزيد بن مزيد :

« إن المعتصم أمير المؤمنين ينفخ منك في غير فتحم ، ويخاطب امرأ غير
ذی فهم . »

فقال محمد بن عبد الملك الزيات : هذا كلام ساقط سخيف ، جعل أمير المؤمنين
ينفخ بالزق^(۱) كأنه حداد ! وأبطل الكتاب .

ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر :

« وأنت تجرى أمرك على الأربح فالأربح ، والأرجح فالأرجح ، لاتسعى بنقصان ،
ولا تميل برُجحان . »

فقال عبد الله الأصبهاني : الحمد لله ، قد أظهر من سخافة اللفظ ، ما دل على رجوعه
إلى صناعته من التجارة^(۲) ، بذكره ربح الساع ، ورجحان الميزان ، ونقصان
الكيل ، والخسران من رأس المال ، فضحك المعتصم وقال : ما أسرع ما انتصف
الأصبهاني من محمد ، وحقدها عليه ابن الزيات حتى نكبه .

(الأغاني ۲۰ : ۲۹)

(۱) الزق : القاء .

(۲) وذلك أنه كان جده أبان ، يجلب الزيت من مواضع إلى بغداد وينجز فيه ، ثم أقام هو وولده
عبد الملك بالكرخ (عملة بغداد) فنشأ عبد الملك في التجارة ، وجد حتى صار من تجار الكرخ
الياسير ، وكان يمت ابنه عمدا على التجارة وملازمتها ، فإبى إلا الكتابة وطلبها ، وقصد المعالي ، حتى
بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات ، كما قدمنا .

۲۱ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات

وروى بأنه دامت الأمطار بسراً من رأى ، فتأخر الحسن بن وهب عن محمد ابن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذ وزير ، والحسن يكتب له ، فاستبطأه محمد ، فكتب إليه الحسن يقول :

أوجِبَ العُذْرَ في تَرَاحِي اللِّقَاءِ مَا تَوَالَى مِنْ هذِهِ الأَنْوَاءِ (۱)
لستُ أدري ماذا أقول وأشكو من سماء تعوقني عن سماء (۲)
غيرَ أني أدعو على تلك بالشُّكْلِ وأدعو لهذه بالبقاء (۳)
فسلامُ الإله أهديه غَضًّا لك مني يا سيِّد الوزراء (۴)

(الأغانى ۲۰ : ۵۴ والعقد الفريد ۲ : ۱۹۳)

۲۲ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات

واعتلَّ الحسن بن وهب فتأخر عن محمد بن عبد الملك أياما كثيرة ، فلم يأنه رسوله ، ولا تعرف خبره (۵) ، فكتب إليه الحسن :

أيُّهَا ذا الوزيرُ أيدك الله وأبقاك لي بقاء طويلاً
أجيباً تراه ، يا أكرمَ الناسِ لكننا أراه أيضاً جميلاً
أننى قد أقتُ عَشْرًا عليلاً ما تُرى مرُسلًا إلى رسولاً

(۱) الأنواء جمع نوء بالفتح : وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر ، وطلوع رقيه من المشرق يقابله من ساعته ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، وقيل إلى الطالع ، فتقول « مطرنا بنوء كذا » .

(۲) السماء الأولى : المطر ، والسماء الثانية يريد بها الوزير .

(۳) الشُّكْل : الموت والهلاك . (۴) الغض : الناصر .

(۵) هذه رواية الأغانى ، وفي العقد الفريد : « وكان شاعر يختلف إلى يحيى بن خالد بن برمك ويمتدحه ، فغاب عنه أياما لعله عرضت له فلم يفتقده يحيى ، ولم يسأل عنه ، فدا أفاق الرجل من علته كتب إليه ... الخ .

إن يكن موجب التمهيد في الصححة منا على منك طويلاً^(١)
فهو أولى يا سيد الناس برأ وانقاداً لمن يكون عليلاً
فليأذا تركتني عرضة الظن من الحاسدين جيلًا فجيلًا
أالذنب؟ فما علمت سوى الشكر قريباً لنيبتى ودخيلًا
أم ملال؟ فما علمتك للصا حيب مثلى على الزمان ملولاً
قد أتى الله بالشفاء ، فما أعرف مما أنكرت إلا قليلاً
وأكلت الدراج ، وهو غذاء أفلت عيتى عليه أفولاً^(٢)
بعد ما كنت قد حملت من العانة عيباً على الطباع ثقيلاً
ولعلى - قدمت قبلك - آتيتك غداً إن وجدت فيه سبيلاً

(الأغاني ٢٠ : ٥٤ والعقد الفريد ١ : ٢٣٠)

٢٣ - رد ابن الزيات عليه

فأجابه محمد بن عبد الملك^(٣) :

دفع الله عنك نائبة الدهر وحاشاك أن تكون عليلاً
أشهد الله ما علمت وماذا لك من العذر جائزاً مقبولاً
ولعمري أن لو علمت فإلزامك حولاً لكان عندي قليلاً
إنتى أرتجى (وإن لم يكن ما كان مما نعتت إلا جليلاً)
أن أكون الذى إذا أضمر الإخلاص لم يلتمس عليه كفيلاً
ثم لا يبتذل المودة حتى يحمل الجهد دونها مبدولاً
فإذا قال كان ما قال إذ كان بعيداً من طبعه أن يقولاً

(١) فى الأغاني « التعمد » وهو تحريف .

(٢) الدراج : طائر من طير العراق ، وأفل النجم : غاب .

(٣) وفى العقد الفريد : « فكتب الوزير يفتخر ... الخ » .

فاجعلن لي إلى التعلق بالعد ر سبيلا إن لم أجد لي سبيلا
فقديمًا ما جادًا بالصَّفْحِ والعفو وما سامحَ الخليلُ الخليلًا

(الأغاني ۲۰ : ۵۵ والعقد الفريد ۱ : ۲۳۰)

۲۴ - كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب

وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب ، وقد تأخر عنه :

قالوا : جفاك فلا عهد ولا خبر^(۱) ماذا تراه دهاه ؟ قلت : أيلول^(۱)

شهر^(۲) تجذُّ حبال الوصل فيه فما عقد من الوصل إلا وهو محلول^(۲)

(الأغاني ۲۰ : ۵۵)

۲۵ - رد الحسن بن وهب على ابن الزيات

وكان محمد قد ندبه لأن يخرج في أمر مهم ، فأجابه الحسن فقال :

إني بحولِ امرئٍ أعليت رتبته فخطه منك تعظيم وتبجيل

وأنت عدته في نيل همته وأنت في كل ما يتواه مأمول

ما غائبي عنك أيلول بلدته وطيبه ولنعم الشهر أيلول

والليل لا قصر فيه ولا طول^(۳) والجو صافٍ، وظهر الكأس مرحول^(۳)

والعود مستنطق عن كل معجبة^(۴) يصحى بها كل قلب وهو متبول^(۴)

لكن توقع وشك البين عن بلدي^(۵) تحله ، فوكاء العين محلول^(۵)

(۱) أيلول : شهر من شهور الروم . (۲) تجذ : تقطع .
(۳) رحل البعير كنعن : حط عليه الرجل ، فهو مرحول ، أى مهياً للركوب ، والمعنى هنا : أن الكأس مهياً للشرب .
(۴) صحا الكران كندا وصحى كرضى : أفاق . وقلب متبول : إذا غلبه الحب وهيمه ، وتبلة الحب كنصر : أسفمه وأفسده .
(۵) وشك البين : قرب الفراق ، والوكاء : رباط القربة وغيرها ، والمعنى : فسالت عبرته .

حلی (إذا شمّرتَ بی عنک مبتکراً دُمُّ البغالِ أو الهُوجُ المرَّاسیلُ)^(۱)
 إلاّ رِعاياتُک اللّاتی یعودُ بها حدُّ الحوادثِ عنی وهو مَقولُ
 (الأغانی ۲۰ : ۵۵)

۲۶ - کتاب ابن الزیات إلى الحسن بن وهب

واستسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبیذا ببلاد الروم، وهو مع
 لعتصم، فسقاه وكتب إليه :

لم تلقَ مثلی صاحباً أندی يداً وأعمَّ جوداً
 یسقی النَّدیمَ بقفرةٍ لم یسقی فیها الماءَ عوداً
 صفراءَ صافیةً كأنَّ بکأسها دراً فضیذاً
 وأجودُ حينَ أجودُ لا حصیراً بذاک ولا بلیداً
 وإذا استقلَّ بشکرها أوجبتَ بالشکر الزیذاً^(۲)
 خذها إلیک کأنما کسیتَ زجاجتها عُقوداً
 واجعلْ علیک بأن تقوِّمَ بشکرها أبداً عُهوداً

(الأغانی ۲۰ : ۵۰)

۲۷ - کتاب الحسن بن وهب إلى ابن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب، يعزى ابن الحسن بن سهل، عن أبيه^(۳) الحسن :

« إن أحقَّ النعمِ المرتجِمةِ ، والعواریِ المستردَّةِ ، بأن تودَّعها النفوسُ بالسكونِ
 علیها ، والرضا عن الله عز وجلِّ فیها ، والسخاءِ عما ارتُجِعَ واستردَّ منها ، نعمةٌ عارِبةٌ

(۱) ابتکر: بکر . والدُمُّ جمع أدم: وهو الأسود . والهوج جمع هوجاء : وهی الناقة المسرعة
 حتی كأن بها هوجا . والمراسیل جمع مرسال : وهی الناقة السریعة السیر .

(۲) استقل : نهض .

(۳) فی الأصل « عن ابنه » وهو تمحیف .

أعظم الله قدرها^(۱) ، وأجل خطرها ، وفسح في مدتها ، وأطال الانتفاع بها ، حتى إذا حداها^(۲) طول الثواء بأهلها ، وتقادم الإلف بينهما ، فجری تجرّی أخاق الأشياء بالذوام ، إن^(۳) كان الدوام في شيء مأمولا - وأبعدها من النفاذ - إن^(۴) كان النفاذ على شيء مأمونا - فكانوا لذلك من حالها [في غيرة^(۵)] عنها ، وإغفال لموقعها ، أمضى^(۶) الله أمره الذي هو فناء كل مادونه وهلاك كل شيء إلا وجهه ، فكان ذلك قضاءه القضاء الفصل ، وحكمته الحكم الذي ليس له مرّة ، ثم نبه به على فقد ما منع منه ، حتى عاد مشكورا ، وعلى ما يجب به التسليم ، حتى عاد مطاعا .

وإن أميرنا وسيدنا وموئيل نعمتنا ، ومبتدئ أسلافنا ، وكافل أعقابنا ، وعامر مجدنا ، وباني مكارمنا ، بالبر الذي هو كان المعتد له ، ثم بالأدب الذي رفع مناره وأعلامه ، وأثمن^(۷) به لأهله ، وأقام له سوقه ، فلم يقرب إلا عليه ، ولم يحظ إلا من ناحيته ، فالتسه الناس حين التسه من جهتيه اللتين : إحداهما الرغبة فيه لفضله ، والأخرى طلب التحير لعرفته أبا محمد ، رضي الله عنه كل الرضا ، ورحمة الله كل الرحمة عليه ، كان ذلك النعمة التي دامت أحسن دوام ، وتلك العارية التي توت أطول الثواء ، فما أحقك - بموضعك من ولادته - وأحقنا - بموقعنا من جميل بلائه - أن نسكون على ما وقاه من أمره شاكرين ، وعنه تبارك وتعالى راضين ، وأن نقول قول المحسنين المجميلين المسلمين « إنا لله وإنا إليه راجعون » وأنا أسأل الله أن يصلي على محمد وعلى آل محمد ويسلم تسليما ، وأن يحسن لنا ولك العزاء ، ويوفّر علينا وعليك

(۱) في الأصل « فقدها » .

(۲) من حدا الليل النهار أي تبعه ، وحدا الإبل أي ساقها ، والمعنى : صعبها ولازمها ، والثواء :

الإقامة ، وفي الأصل « حتى إذا حراها طول الثواء أهلها » وهو تحريف .

(۳) في الأصل « وإن » . (۴) في الأصل « وإن أيضا » .

(۵) في الأصل « لمرهم » وقد أصلحت كما ترى . (۶) جواب إذا .

(۷) في الأصل « وآثر » وأرى أن صوابه « وآثمن » يقال : آثمنه صلته وآثمن له . أعطاه ثمنها .

والمعنى : أجاز أهل الأدب وحباهم ، ويؤيد هذا التصويب ، قوله بعد « وأقام له سوقه » وربما كان « وآثر به أهله » .

الأجر والنواب ، وأن يجزىَ أبا محمد خيراً ، بنيتَه الجميلة ، وسعيه الحميد ، وأن يسدَّ
بك وبإخوتك - أبقاك الله لهم ، وأبقاهم لك ومعك - ما فلت^(۱) الأيام من مكانه ،
وأخلت من مشاهدته وأوطانه ، حتى لا يصفو له أثر ، ولا يُفقد منه إلا ما فقد ، وأن
يستقبل بكم أيامكم ، بأحسن ماضى تمامه ، لمن مضى منكم ، فيجعلكم الخلف الذى
لا وضمة معه ، ولا وحشة عليه فى نفسه ، وأسأله أن يتولاكم ويتولانا فيكم بما هو
أهله ووليّه .

وكتابتك - أكرمك الله - بما أخضركم الله من توفيقه ، الذى أرجو ألا يغيب
عنكم ، وإرشاده الذى أرجو أن يكون مقرونًا بكم فى كل أحوالكم ، ما يلزمك
فى مروءتك وأخلاقك ، لا تُخني منه ، ولا تؤخر إيناسى بتمجيئه ، تولاك الله بكل
صالحة وءوض بك من كل رزية ، وأتم عليك النعمة ، ولا أخلاك فيها من الزيادة .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۴)

۲۸ - كتاب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب ، إلى القاسم بن الحسن بن سهل يعزبه :
« مدَّ الله فى عمرك ، موفوراً غير منتقص ، وممنوحاً غير ممتحن ، ومُعطى غير
مستلب . »
(زمر الآداب ۳ : ۱۹۹)

۲۹ - كتاب الحسن بن وهب إلى محمد بن إسحاق

وكتب الحسن بن وهب ، إلى محمد بن إسحاق ، يعزبه عن ابنه إسحاق :
« الأمير أعلم بالدين ، من أن يذكر به ، وبالهدنيا ، من أن يدل على ما خلت
له ، وقد ورد - أعز الله الأمير - ما كان من النبأ العظيم ، والخطب الجليل ، فى سيف
الخلافة ودعواتها ، ورؤيتها فى يومها وغداها ، فلو أن حادثنا سبق بالنفوس آجالها ،

(۱) أى نلت ، وفى الأصل « ماملت » وهو تحريف .

وأعجلها عن الآجال المقدرة ، لكانت الرزية أحق الرزايا بذلك ، فكنت
أحق المنكوبين بمصابه أن ينالني ذلك منه .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۲)

۳۰ - كتابه إلى إسحق بن يحيى

وكتب الحسن إلى إسحق بن يحيى بن معاذ ، يعزبه عن ابنه :
« من شك في موعده من هذه المصيبة ، وبموقعها مني ، فانت - أعزك الله -
غير شاك في ذلك ولا مرتاب به ، فإننا كنا من صفاء الخلّة^(۱) على ما لم يكن عليه أخو
مودة ، نغيب إذا غبنا على إخلاص ومقتر ، ونحضر إذا حضرنا ، على برّ وصلة ،
ونتقارض المحبة قروضا مجزية ، رضى الله عنه ، وشكر له ما كنت أعتد به منه ،
ولقد كانت الدنيا تزداد حبا إلى مكانه ، وتضف حسنا في عيني بحياته ، ولقد أحدثت
لي ميته زهدا في الحياة ، وقصدا في الشح عليها ، وذمّا لادنيا ، واستقباحاً لصورها ،
ولكن ما الحيلة ، جعلت فداءك !؟ ومن الظلّامة !؟ وما نصنع بهذه الفرارة ، التي
سيرتها - منذ كانت - سيرة واحدة ، وأحكامها في كدر الصفاء ، وتغنيص السرور ،
أحكام راتبة^(۲) ؟ والله المستعان ، والمشتكى إليه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، لانقص
لك عددا ، ولا أراك في شيء من نعمه عفدك فجعا ولا تبديلا .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۲)

۳۱ - كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وله إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، يعزبه :

« أطال الله بقاء الأمير مسرورا غير محزون ، ومُعطى غير مسلوب ، ووقفه
في أحواله كلها بما يستديم به النعم ، ويستحق به المثوبة .

(۱) الخلّة : الصداقة المختصة لاخلاقها . (۲) راتبة : أي ثابتة لا تتغير .

أَفْطَعَنِي^(۱) ما رأيت في الأمير - أعزه الله - من أثر هذه الرزية ، التي تكاد أن تكون أشبه بالنعم ، منها بالرزايانا وفر الله للأمير - إن شاء الله - من ثوابها له ، وحاطه من بعدها في نفسه ، فإن حياة الأمير - أعزه الله - حياة لأهله وذوي نائله ، بهد الذي جعل الله للدين والخلافة والعز بسلامته ، وللأمة من جمال مكانه وموضعه ، خوفه الله لأمر المؤمنين ، ولا نقصه ، وتولاه بحسن المدافعة عنه ، والحياطة له ، ولا أراه سوءا في نفس ، ولا حميم بقدرته ، وأعاذ الأمير من المكاره ، وأعاذنا فيه منها ، إنه ولي قدير .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۶)

۳۲ - جواب تعزية له

وللحسن بن وهب جواب تعزية عن ابنه ، إلى الطائي^(۲) الشاعر :

« أَمَعَنِي اللهُ بِمَا وَفَّرَ عَلَيَّ مِنْ مَوَافِقَتِكَ ، وَبَلُوغِ الْوَطْرِ كُلِّ الْوَطْرِ مِنْ اسْتِقَامِ الْيَدِ عَلَيْكَ ، وَإِحَاطَةِ لَيْلِكَ لَكَ ، زَادَ اللهُ فِي النِّعْمَةِ عِنْدَكَ بِطَوْلِ حَيَاتِكَ ، وَتَرَاقِ أَيَّامِكَ ، وَغَفَلَةِ الدَّهْرِ عَنكَ وَعَنْ حَفْطِ مَنْكَ .

كتابي ، بأبي أنت وأمي ، وطاري وتلادي ، وكتابك في يدي ، وفلان عندي ، ونحن نصعد ونصوب في الشعر العجيب ، الذي أنفذه في درجه^(۳) ، وبيننا من ذكرك أطيب من روائح الرياض غيب القطر ، والحال سارة ، والعافية شاملة بحمد الله على النعمة ، ونسأله أحسن النماء والزيادة ، وذكرت مشاركتك^(۴) إياي في المصيبة ، وما كان أحوجني - حين طرقت بها الأيام - إلى أن تكون حاضرا ، فتؤيد ضعفا ،

(۱) أفضله : وجده فظيما ، أي شق عليه وأحزنه .

(۲) المفهوم منه أنه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الشاعر العباسي المعروف .

(۳) في درجه : أي في طيه . (۴) في الأصل « مشاورتك » وهو تحريف .

وتعمّ سداداً ، فإنها^(۱) كانت حالاً وافَتْ غَريراً بها ، شديداً الغفلة عنها ، حتى كأنى كنت لا أحسب الأيام على هذه الخليفة ، ولا الدهر على هذه العادة ، فسبحان الله لهذا السهو الطويل ، والتفريط الذي لا يشبه السفيه ، فضلاً عن يجب أن يقال عاقل حلیم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، لا انفكَّت أقدارُ السوء تَسْقُطُ دونك ، والرّدى يُخِطُّك ، وكِلاهُ اللهُ مُحِيطُ بِكَ .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۵)

۳۳ - تعزية له

وله تعزية :

« جَبَلَك اللهُ على التسليم لأمره ، والرضا بقضائه ، وصبرك على مواقع أقداره ، واحتمالِ الحقوق لنعمة ، إن الله عز وجل جعل النعم سبيلاً لاختبار الشكر ، والمحن سبيلاً ابتلاء الصبر ؛ وأحقُّ الناس بالشكر على النعمة ، والصبر عند المحنة ، مَنْ قرَن اللهُ له بين الحالين ، فلم يُخْلِهِ من النعمة التي حقها الشكر ، ولا من المحنة التي حقها الصبر ، وهي حالك التي أصبحت عايبها بحمد الله ، إلى الأحوال المنتظرة لك بملها ، المرجوة زيادةُ الله إياك في أحسنها .

وكانت الحادثة في أبي فلان وما آثره من طاعة مَنْ مضى من خلفائه ، وطاعة أمير المؤمنين ، الرزية المرجوة المنتظر يومها ، صنعَ اللهُ بك وفيك في غدها ، وحلَّت من أمير المؤمنين ومن أوليائه وعوامِّ رعيتهم محلها ، ثم كنت من أمير المؤمنين بموضع الرجاء لسدِّ ثلمها ، ولمَّ شعثها ، حتى تَفَوَّ بِإِذْنِ اللهِ آثَارُ كُؤُومِهَا^(۳) ، وبعود الصلاح في جميعها إلى أَجْمَلِ ما جَرَّتْ به عادةُ اللهُ فيها ولها ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ،

(۱) في الأصل « وتعم سداداً » والمعنى: وتعمنا بالسداد فترشدنا إلى وجوب التمسك بالصبر والتسكيب عن الجزع ، وربما كان الأصل « وتعلم سداداً » أو « وتضم شراداً » .

(۲) في الأصل « فأما » وهو تحريف .

(۳) عفا الأثر . درس واعى ، والكلام جمع كام بالفتح : وهو الجرح .

قبولا من الله تبارك وتعالى لقوله ، وانتهاء إلى أمره ، ووليك الله في هذه المصيبة بأعظم الأجر ، وأجزل الدُّخر ، وألمك الله في النعم أحسن ما ألهمه محتملاً لِنِعْمَةٍ ، أو قائماً بحق ، وسرِّبك من بعد من كفا نضين ببقائه ، ونشح على حياته ، ونعتد بنعمة الله فيه ، نصر الله وجهه ، ونسأل الله أن يهب له جزاء الآخرة ، وشريف مآزلها ، ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ما نقله عنه من حظوظ الدنيا التي قد كان نشأ فيها ، وتقلب في أعلى مراتبها ، وأثابه الله أجل ما أثاب شاكراً لأنعمه ، مؤدياً لما يستحق به من طاعته ، وهنأك الله ما أعطاك من رأى خليفته ، ووفئك لاستقبال ما استدعى به مرضاته ، والزُّلْمَةَ لديه ، بقدرته .

(اختيار المنظوم والمشرور ۱۳ : ۳۱۵)

۳۴ - كتابه إلى إسحق بن إبراهيم

وكتب الحسن بن وهب ، إلى إسحق بن إبراهيم يعزبه ، عن يحيى بن خاقان :
« صرَّفَ اللهُ المَكَارَةَ كُلَّهَا عن الأمير ، وأبعدها عن جنابه ومقرِّ داره ، ولا فجَّعه بوليَّ يؤيدُّ عزَّه ، ويُنهي^(۱) بفضائله ، ويقدِّح بزنده ، ويخطب في حَبْلِهِ ، ويرادى من رآده^(۲) وعند^(۳) عن طاعته ، كان يحيى بن خاقان أحد الشيوخ ، أو شيخ الشيوخ العارفين بفضائل الأمير ، الحافظين لماثر أسلافه ، فلا أعلمني رأيتُ في دار الأمير رجلاً أضنى من جانبه ، ولا أظهر من محبته ، ولا غائباً كان يغيب عنها بأنقى من غيبه ، وسريرته ، ولا أنصح من جنبيه ونبيته ، وكان لي مع ذلك أبا بعد أبي ، وكافلاً بعد من كان يكفُّني ، وكانت عنايته بافتنى ، حتى خلطني بإخوته وأقاربه .

(۱) أنهى الشيء : أبلغه .

(۲) رادى عن القوم . رمى عنهم بالحجارة .

(۳) عند عن الطريق كنعصر وسمع وكرم : مال .

وأتاني خبر مُصابه ، فَوَحَقَّ الأمير الذي أعظمه ، لقد هدّني ، وباعَ مساءتي
وكُرهي ، وتذكرتُ ما يتعطلُ على الأمير من عمارة الأُنس به ، والإفضاء إليه ،
والاستراحة إلى خلوته ، فاستوحشتُ لذلك ، وإن كنت أرجو أن يُؤنس الله الأميرَ
من سلامته ، بما يسُدُّ كلَّ خللٍ وتُلمة ، وَيَدْمُلُ^(۱) كلَّ كَلِمٍ ورزِيّةٍ ، فعظم الله
أجر الأمير ، وتظاهرتُ عنده مِننُ الله وطَوْلُه وقدرتُه على ما يشاء في عباده .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۷)

۳۵ - كتابه إلى عبد الرحمن بن خاقان

وله تعزية إلى عبد الرحمن بن خاقان :

« حَرَسَكَ اللهُ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالغَيْرِ ، مؤيِّداً بالتوفيق والعصمة في القول والعمل ،
إن نعمة الله عليك فيما عصم من دينك ونفسك ، وأهَمَّكَ حظَّك ورُشدك في السعي
لِعَادِكَ ، والتماسِ القُرْبَةِ إلى ربك ، النعمةُ الجليلة التي تضع أكثر المَثُونَةِ عن التمس
تذكيرك بالله وآياته ، ووعظك بما يلزمك مِن تَلَقَّى نِعَمِ اللهِ عز وجل بشكرها ،
ومُخَنَّتِهِ بالتسليم لها والصبر عليها .

وقد وافانا من خبر الحادثة فيمن أكرم الله مَنَوَاهُ وَمُخَفَّلَبِهِ ، ما جَلَّ حتى استفرغ
الجميع ، وعمَّ حتى كاد يسوَّى بين الأقرب والأبعد ، فإلى الله نشكو ذلك ، كما نرغب
إليه تبارك وتعالى في التجاوز عنه والرحمة له ، وأن يوفقك وإيانا من الصبر على
رزيقته ما يؤمننا من حُبُوط الأجر ، وَيُكْمِلُ لنا ولك جَزِيلَ الدُّخْرِ^(۲) .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۷)

(۱) دمل الجرح كفرح واندمل : برى والتحم وتماثل ، ودمله الدواء كنعصره : أبرأه ،
والكلم : الجرح .
(۲) في الأصل « الأجر » وأرى أنه سهو من الناسخ ، إذ تقدمت هذه الكلمة في الفقرة السابقة

۳۶ - کتاب تعزیه له

وله تعزیه أيضاً :

« قد نفذ کتابی إليك فی التعزیه عن السید الذی لانفجع بمثله ، ولا نؤمل عوّضاً منه ، إلا باتصال أيامک ، وجمیل حیاطة الله إیاک ، بما أرجو أن یکون قد وصل والحمد لله ، وإليه أوجه الرغبة فی إلهامک الصبر ، وحسن المعاونة لك علی قضاء الحق علیک ، وقضاء الحق لك ، وما أعتدُّ به من مودتک ، التي تقتصر علی مادونها الثقة ، وتستحکم بأقلِّ منها الأسباب والمقّة . »

(اختیار المنظوم والمشور ۱۳ : ۳۱۷)

۳۷ - کتاب له فی الشکر

وکتب الحسن بن وهب فی الشکر :

« من شکرك علی درجة رفعتہ إليها ، أو ثروة أقدرتہ علیها ، فإن شکری لك علی مہجة أحييتہا ، وحُشاشة^(۱) أبقیتہا ، ورمق أمکت به ، ووقت بين التلاف وبينه ، فلكل نعمة من نعم الدنيا حدٌّ ينتهي إليه ، ومدى یوقف عنده ، وغاية من الشکر یسمو إليها العارف ، خلا هذه النعمة التي قد فاقت الوصف ، وطلت الشکر ، وتجاوزت قدره ، وأنت من وراء كل غاية ، رددت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ، فنحن نلجأ منک فیها إلى ظل ظلیل وکنف کریم ، فكيف يشکر الشاکر ، وأنی یبلغُ جهد المجتهد ؟ »

(العقد الفريد ۲ : ۱۹۵)

(۱) المشاحة : بقية الروح فی المرض والجربح .

۳۸ - کتاب فی الشکر

قال ابن طيفور :

ومن مختار ما كتب به من باب الشكر :

« أما بعد ، فما أعجزَ تعَدَّادِي عما أتعَرَّفُ مِنْكَ وأتعَرَّفُهُ بِكَ دَانِيَا وَنَاثِيَا ،
هَوَمَا أُدْرِي مَا ابْتَدَأْتَنِي بِهِ مِنْ مَعْرِوْفِكَ ، أَرَهْنُ لَشُكْرِي ؟ أَمْ مَا تُنَيِّتُ بِهِ مِنْ بَرِّكَ ،
لِيَبْدُوكَ بِعِنَايَتِكَ عَلَيَّ نَائِيكَ ؟ أَمْ مَا أَلْبَسْتَنِي جَمَالَهُ ، عَلَيَّ لِسَانِكَ ، بِإِطْرَائِكَ وَثَنَاتِكَ ؟
أَمْ مَا عَقَّدْتَهُ لِي عِنْدَ غَيْرِكَ بِتَلَطُّفِكَ وَتَأْتِيكَ (۱) ؟ غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تَقْصُرْ فِي اسْتِحْقَاقِ
شُكْرِي عَلَيَّ ، وَأُرْجُو أَلَّا أَكُونَ مَقْصُرًا فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْكَ ، وَمَنْ لَمْ يَقْصُرْ عَلَيْهِ
وَلَمْ يُؤَنَّ (۲) فِي شُكْرِهِ إِلَّا مِنْ عِظَمِ المَعْرِوْفِ عِنْدَهُ مَعَ جِهْدِهِ ، فَقَدْ دَخَلَ بِالعِلْمِ وَالْجِهْدِ
فِي الشَّاكِرِينَ ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي آنَسْتَنِي بِهِ مِنْ رِفْدِكَ (۳) وَتَوْطِيدِكَ ، قَدْ زَادَنِي وَحْشَةً
إِلَيْكَ ، وَإِنِّي حَفِظْتُ مَنْ حَفِظَنِي فَيْكَ - وَإِن لَمْ يَكُنْ مَقْصُرًا - قَدْ جَدَّدَ لِي المَعْرِفَةَ بِوَنَائِرَةِ (۴)
مَكَانِي عِنْدَكَ ، وَلَقَدْ بَلَغْتُ أَنَّ أَصْلَحْتَ لِي الأُمُورَ وَالرِّجَالَ ، وَأَصْلَحْتَنِي إِلَى صِلَاحِي
لِنَفْسِكَ ، فَلَيْسَ كِتَابِي هَذَا بِاسْتِبْطَاءٍ لِأَحَدٍ حَتَّى يَسْتَبْطِئَهُ ، وَلَا شُكْرِي حَتَّى يَكُونَ
الْبَدءُ مِنْكَ ، وَلَكِنْ رَوَّحْتُ عَنْ نَفْسِي بِذِكْرِكَ ، وَزَيَّنْتُهَا بِشُكْرِكَ ، وَزَكَّيْتُهَا

(اختيار المنظوم والمنتور ۱۳ : ۳۷۸)

بالإقرار بفضلِكَ .

(۱) تَأْتَى لِلأَمْرِ : تَرَفَّقَ وَأَنَاءَ مِنْ وَجْهِهِ .
(۲) أُنَيْتُ وَأُنَيْتُ وَتَأْنَيْتُ وَاسْتَأْنَيْتُ : تَأَخَّرْتُ وَأَبْطَأْتُ ، وَفِي الأَصْلِ « وَلَمْ يَثُتْ » وَالأَوَّلُ
عِنْدِي أَوَّلِي .
(۳) الرِّفْدُ : العَطَاءُ وَالصَّلَاةُ ، وَالتَّوْطِيدُ : التَّثْبِيتُ ، وَوَطَدَ لَهُ مَنزَلَةً : مَهَّدَهَا .
(۴) مِنْ وَثَرِ الشَّيْءِ كَكَرَمٍ : إِذَا لَانَ وَسَهَلَ .

۳۹ - کتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس

وكتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس :

« وصل كتابك ، فما رأيت كتاباً أسهلَ فنونا ، ولا أملسَ مُتُوناً ، ولا أكثرَ عيوناً ، ولا أحسنَ مقاطعَ ومطالعَ منه ، أنجزتَ فيه عِدَّةَ الرأى ، وبُشْرَى الفِراسة ، وعاد الظنُّ يقيناً ، والأمل مبلوغاً ، والحمد لله الذى بنعمته تم الصالحاتُ » .

(العقد الفريد ۲ : ۱۹۶)

۴۰ - كتابه إلى أبي تمام الطائي

وكتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائي :

« أنت - حَفِظَكَ اللهُ - تحتذى من البيان فى النِّظام ، مثل ما يُقصد بحرٌّ فى الدرر من الأفهام ، والفضل لك - أعزَّكَ اللهُ - إذ كنت تاتى به فى غاية الاقتدار ، على غاية الاقتصار ، فى منظوم الأشعار ، فتحلُّ متعقده ، وتربط متشرِّده ، وتنظِّم أسطره ، وتجلو أنواره ، وتفصله فى حدوده ، وتخرجه فى قيوده ، ثم لا تاتى به مها اقتبسته مُشترَكاً فيلبس ، ولا متعقداً فيطول ، ولا متكلفاً فيجول ، فهو كالمُعجزة ، تُضرب خيها الأُمثالُ ، ويُشرح فيها المقالُ ، فلا أعدَمنا اللهُ هدايك واردةً ، وفرائدك وافدةً » .

(زهر الآداب ۳ : ۱۵۴)

۴۱ - كتاب له

« لا ترَضَ لى يسير النظر ، فإنى لم أرضَ لك يسير الشكر ، وضع عنى مؤونة التقاضى ، ما وضعتُ عنك مؤونة الإلحاح ، وأحضر قلبى من ذِكرك ما هو أكنفى من قعودى بصدد عينك ، فإنى أحقُّ من فعلتَ ذلك به ، كما أنك أحقُّ من فعله بى ، وحقُّ الظنِّ ، فليس ورامك مذهبٌ ، ولا عنك مقصِّرٌ » .

(اختيار المنظوم والمشور ۱۳ : ۳۸۱۳)

(۳ - جهره رسالى العرب - رابع)

۴۳ - کتاب میمون بن ابراهیم إلى الحسن بن وهب

وكتب میمون^(۱) بن ابراهیم إلى الحسن بن وهب یزیه عن أمه :

« خُطِرْتُ الأیامَ مَقْضِيَّةٌ عَلَى هَذَا الخَلْقِ ، وَلَوْ كَانَتْ مَدْفُوعَةً عَنْ أَحَدٍ ، لِكثْرَةِ مَنْ يَقِيهِ مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَيَفْدِيهِ مِنْهُمْ الأَخْصُ ، فَالأَخْصُ مِنْ أُعْزَّائِهِ وَخُلَّائِهِ ، سَلِمَتْ مِنْهَا وَعَرَبَتْ مِنْ مُلْهَمِهَا ، وَكَانَ سَبْقِي إِلَى ذَلِكَ أَهْرَ سَبْقِي ، وَحَظِّي فِي التَّقَدُّمِ فِيهِ أَوْفَرَ حَظًّا ، وَمَصِيبَتِكَ - أَكْرَمَكَ اللهُ - بِالوَالِدَةِ لِي مَصِيبَةٌ ، وَمَا نَالَكَ مِنْ ذَلِكَ لِقَابِي مُوجِعٌ . وَلَوْ كَانَ فِي طَاقَتِي أَنْ أَعْلَمَ كُنْهَ مَا خَامَرَ قَلْبِكَ مِنْ أَلَمِ ذَلِكَ ، لَحَمَلْتُ مِثْلَهُ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أُسْوَتَكَ فِي كُلِّ سَارَةٍ وَغَامَةٍ ، وَلَا أَتَمَتَّ بِأَيَّامِ غَمُومِكَ ، وَلَا أَقْصُرُ فِيهَا عَنْ مَقْدَارِ حَالِكَ ، فَعَظَّمَ اللهُ أَجْرَكَ ، وَجَبَّرَ مُصَابِكَ ، وَضَاعَفَ ثَوَابَكَ ، فَإِنَّا اللهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحَمِّدُ عَلَى المَكْرُوهِ غَيْرُهُ . ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَكَ مَكْتَفِيًّا بِنَفْسِكَ فِي مَوَاطِنِ حَقُوقِ اللهِ عَلَيْكَ ، وَالرَّجْعُ فِي إِقْتِصَارِي عَلَى الكِتَابِ - إِذْ كَانَ دُونَ الَّذِي يَنْبَغِي فِيهَا يَلْزَمُنِي ، وَإِن كُنْتُ قَدْ سَلَكَتُ نَفْسِي أَوَّلَ مَنْ لَقِيكَ مُعْزِيًا وَمُؤَاسِيًا - إِلَى عِدَّتِكَ بِالحَالِ فِي ذَلِكَ ، وَإِن كُنْتُ أَتَقَبَّلُ بَأَنِي مِمَّنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اعْتِذَارِ عِنْدِكَ ، فَإِن رَأَيْتَ أَنْ تُدْخِلَ إِنِّي الرُّوحَ^(۲) بِكِتَابِكَ وَخَبْرِكَ فِي نَفْسِكَ ، وَمَا رَزَقَكَ اللهُ مِنْ حَسَنِ التَّعْزِي عِنْدَ مَصِيبَتِكَ ، لِأَحْمَدِ اللهُ عَلَى النِّعْمَةِ عِنْدِي فِيمَا أَلَمَكَ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ فَعَلْتَ ، وَالتَّعْزِيَةَ - جَعَلْتُ فِدَاءَكَ - تَجَدُّدَ اللُّوْمَةِ لِلْمَحْزُونِ ، وَقَدْ تَوَقَّيْتُ ذَلِكَ فِي أَبِي أَيُّوبَ^(۳) إِشْفَاقًا عَلَيْهِ ، فَجَعَلَ اللهُ لِكُلِّ عِبْرَةٍ أَفْضَلَهَا ، وَجَرَّةً تَجْرَعْتَاهَا فِي هَذِهِ المَصِيبَةِ ، حِجَابًا لِكُلِّ مَنْ كُلِّ سَوْءٍ ، وَوَقَايَةً لِكُلِّ مَنْ كُلِّ مَحْزُورٍ . »

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۱۷)

(۱) كان إليه خمس المكاتبات في أيام التوكل ، وكان بليغا فصيحا متوسلا . . . انظر القمريست ص ۱۸۰ .

(۲) الروح : الراحة . . . (۳) يعني سايان بن وهب .

۴۳ - کتاب الحسین بن الحسن بن سهل إلى صديق له

وكتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له :
« نحن في مادُبَةٍ لنا ، تُشْرِفُ على رَوْضَةٍ ، تُضاحِكُ الشمسَ حُسْنًا ، قد باتت
السماءُ تَعْلُمُهَا^(۱) ، فهي شَرِقةٌ بِمائها ، حَالِيَةٌ بِفُوارِها ، فرأيتُكَ فينا ، إنكونَ على
سواءٍ من استمتاعٍ بَعْضِنَا بِبَعْضٍ . »

۴۴ - رد صديقه عليه

فكتب إليه :
« هذه صفةٌ لو كانت في أفاصِي الأرض لَوَجَبَ انْتِجَاعُها ، وَحَثُ المَطِيِّ في ابتغائها ،
فكيف في موضعٍ أنتَ تَسْكُنُهُ ، وَيَجْمَعُ إلى أنيقِ منظره حُسْنَ وجهِكَ ، وطِيبَ
شَمائِكَ ! وأنا الجواب . »
(العقد الفريد ۲ : ۱۹۲)

۴۵ - كتاب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل

وكتب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل :
« أعزك الله ، إن كل مجازاةٍ قاصِرةٌ عن حقِّ السابقِ إلى افتتاحِ الودِّ ، وقد علمتُ
أنى استقبلتكَ من الإقبالِ عليك بما لم تستدْهِهِ ، واءتمدتُكَ من الرغبةِ فيكَ بما لم تُؤلِّهِ »
(العقد الفريد ۲ : ۱۹۲)

(۱) هه كضرب ونصر وأعله : سقاء مرة بعد مرة .

۴۶۔۔ کتاب ابن الزیات بالعهد للوائح علی مکة

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات عهد الوائح علی مکة بِحَضْرَةِ الْمُعْتَصِمِ :
 « أما بعدُ : فإن أمير المؤمنين قلّك مکةَ وَزَمَزَمَ ، تُراثَ أبيك الأقدم ،
 وَجَدَّكَ الأكرم ، وَرَ كُضَةَ جبريل ، وَسُقْيَا إسماعيل ، وَحَفْرَ عبد المطلب ، وَسِقَايَةَ
 العباس^(۱) ، فعليك بتقوى الله تعالى ، وَالتوسعة على أهل بيته . »

(زهر الآداب ۳ : ۳۵۹)

۴۷۔ کتاب إبراهيم بن العباس إلى الوائح

ولما تُوِّفِيَ الْمُعْتَصِمُ ، وَوَلِيَ الخِلافةَ بعده ابنه الوائح ، كتب إليه إبراهيم^(۲)
 ابن العباس الصُّولي يعزّيه بأبيه ويهنئه بالخِلافة :

« إن أحقَّ الناس بالشكر مَنْ جاء به عن الله ، وَأولاهم بالصبر مَنْ كان سلفه
 رسولُ الله ، وَأُميرُ المؤمنين - أعزّه الله - وَأَباؤُه - نصرهم الله - أولو الكتاب الناطق
 عن الله بالشكر ، وَعِترَةُ رسوله المخصوصون بالصبر ، وفي كتاب الله أعظمُ الشفاء ،
 وفي رسوله أحسنُ العزاء :

(۱) زمزم : بئر بمكة ، ويعني بأبيه : إسماعيل ، وبجده : إبراهيم ، عليهما السلام ، وكانت هاجر
 أم إسماعيل أمة لسارة زوج إبراهيم ، فوهبتها لإبراهيم فولدت منه إسماعيل فنارت منها سارة وناشدت
 لإبراهيم أن يخرجها عنها ، فأخرجها إلى أرض مكة ، وذلك حيث يقول تعالى حكاية عن إبراهيم :
 (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)
 فأنبغ الله لهما عين زمزم وذلك حيث يقول ابن الزيات (وركضة جبريل) وأسفاهما منها ، ثم طمت تلك
 البئر وما زالت مطبومة إلى زمن عبد المطلب بن هاشم ، فأتاه آت وهو نائم بالحجر فأمره بحفرها ، فحفرها
 وأقام سقاية زمزم للحجاج ، وكانت السقاية في الجاهلية بيد ابنه أبي طالب ثم سلمها إلى أخيه العباس
 ابن عبد المطلب .

(۲) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن رسول (ابن عم عمرو بن مسعدة) كان شاعرا مجيدا ،
 وكتابا بارعا ، وهو وأخوه عبد الله من صنائم ذى الرياستين الفضل بن سهل ، اتصالا به فرفع منهما ،
 وتنقل إبراهيم في الأعمال الجليلة والدواوين ، فكان إليه ديوان الرسائل في مدة جماعة من الخلفاء العباسيين ،
 وكان واليا على الأهواز ، ومات في خلافة المتوكل بسر من رأى ، وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات
 سنة ۲۴۳ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۹ والتهذيب لابن النديم ص ۱۷۶ ومروج الذهب
 ۳ : ۳۸۲ والأغاني ۹ : ۲۰ ومعجم الأدباء ۱ : ۱۶۴ .

وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله ، ما عفا^(۱) على أوله آخره ، وتلافت بدأته عاقبته ، فحق الله في الأولى الصبر ، وفرضه في الأخرى الشكر ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يستنجز ثواب الله بصبره ، ويستدعي زيادته بشكره ، فعل إن شاء الله تعالى وحده .
(معجم الأدباء ۱ : ۱۸۹)

۴۸ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات

وكان إبراهيم بن العباس الصولي صديقاً ل محمد بن عبد الملك الزيات ، فولى محمد الوزارة ، وإبراهيم وال على الأهواز ، فقصدته ووجه إليه بأبي الجهم أحمد بن سيف ، وأمره بكشفه^(۲) ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً ، فكتب إبراهيم إلى ابن الزيات يشكو إليه أبا الجهم ويقول : هو كافر لا يبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

تركت عبيد بنى طاهر وقد ملئوا الأرض عرضاً وطولاً
وأقبلت تسعى إلى واحدتي ضراراً كأن قد قتلت الرسولاً
قسوف أدين بترك الصلاة وأصطبج الحمر صرقاً شمولاً^(۳)
فكان مند لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجهم ، وإنما إبراهيم قاله ونسبه إليه .

(الأغاني ۹ : ۲۴ ومعجم الأدباء ۱ : ۱۶۹)

(۱) عفا وعفى : عفا .
(۲) أى يكشف أمره وعاسبته على ماله من الأموال .
(۳) اصطبج : شرب الصبوح وهو الشرب بالقدادة ، صرفاً : غير ممزوجة بالماء ، شمولا : باردة .

۴۹ - کتاب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات

وعزل ابن الزيات إبراهيم بن العباس عن الأهواز واعتقله بها وآذاه - وكان يؤمل منه أن يسامحه ويطلقه لتقديم صحبته له - فكتب إليه :

فلو إذ نبأ دهرٌ وأنكر صاحبٌ وسلط أعداءٌ وغاب نصيرٌ^(۱)

تكون عن الأهواز داري بنجوة! ولكن مقاديرٌ جرت وأمرٌ^(۲)

وإني لأرجو بعد هذا محمداً لأفضل ما يرجي أخ وزير

(الأغانى ۹ : ۲۴ ومجمع الأدباء ۱۶۹)

۵۰ - كتابه إلى عمر بن فرج

وكتب إبراهيم بن العباس إلى عمر بن فرج بعد أن عزل عن الأهواز، وابن الزيات يعذبه بالناحية .

« ولست أعزك الله واحداً من عددٍ تحصلهم وتقدمهم ، فتوسّع على نفسك

في أمرى ، أنا والله واحدك ، بالأسباب التي تجتمع لي فيك وبك ، ولا تجتمع

في غيرى ، من أخ ولا ولي ولا صاحب ، وقد كنت تدخرني أعزك الله لطاعتك

والوفاء لك ، فقد والله فعلت غير ممتن بذلك ، وقد كنت أرجو ألا أضام

في جيرتك ومعك ، فلا تخذلني ، فإني في حالة إن أخليتني فيها من نصرتك ، لم يرجع

عليّ من ذلك مقدارٌ في نعمتي ونفسي ، إلا رجعت عليك أكثر منه في نعمتك ،

وقدرك ، والسلام . (اختيار النظم والنثور ۱۳ : ۳۶۵)

(۱) نبأ به الزمان : جفاه .

(۲) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

۵۱ - كتابه إلى ابن الزيات

وكتب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات يستعطفه :
« كتبتُ إليك وقد بلغتِ المذبةَ المحزَّنة^(۱) ، وعدتِ الأيام بك عليَّ ، بعد
هدوي بك عليها ، وكان أسوأ حظي ، وأكثر خوفي ، أن تسكن في وقت حركتها ،
وتكف عند أذاها ، فصرت عليَّ أضرَّ منها ، وكف الصديقُ عن نصرتي خوفاً منك ،
وبادرَ إلى العدوِّ تقرُّباً إليك . »
وكتب تحت ذلك :

أخُّ يبي وبين الدهر صاحبَ أينا غلباً
صديقي ما استقام ، فإن نبأ دهرٌ عليَّ نبأ
وثبتُ هلى الزمان به فعاد به وقد وثباً
ولو عاد الزمان لنا كعادَ به أخاً حدباً^(۲)
(الأغانى ۹ : ۲۶ ومعجم الأدباء ۱ : ۱۷۰)

۵۲ - كتابه إلى ابن الزيات

قال ابن طيفور :
وكتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزيات وهو واقف على يابه ،
وقد حُجِب عنه بعد أن عزل عن الأهواز :
« جُعِلتُ فداءك ، بالحين^(۳) وقعتُ ، وإلا فن كان أهرزَّ بحالة رَضِيهَا في نفسه
وعند إخوانه مني ؟ ومن كان واحدك إذا حصلتَ واحداً ؟ وواحدى إذا خفتُ

(۱) ومن أمثالهم : بلغ السكين العظم . يضرب عند بلوغ الشدة منهاها .

(۲) حدباً : أى عطفوا .

(۳) الحين : الهلاك والمحنة أى وقعت على الهلاك وصرت إليه .

مِنْ زَمَانٍ نَبْوَةٌ ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمِنْتُكَ لَقُلْتُ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ مِنْكَ حَالَةَ لَا تَحْتَمِلُهَا لِي ،
وَأَتَوَقَّى مِنْكَ عَتْبًا لَا تُنْصِفُنِي فِيهِ ، وَمَا قُدِّرُ فَقَدْ كَانَ وَيَكُونُ ، وَعَنْ كُلِّ حَادِثَةٍ
أُحْدِثُ ، وَلَا أَقُولُ وَاللَّهِ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - إِنِّي غَلِطْتُ عَلَى نَفْسِي ، فَتَبَدَّلْتُ بِحَالَةٍ كُنْتُ
مَبْغُوطًا فِيهَا ، حَالَةَ أَنَا فِي مَكْرُوهِهَا ، بَلْ أَقُولُ : إِنِّي قُهِرْتُ ، فَلَمَّا فَرِغْتُ إِلَى نَاصِرِي
الَّذِي كُنْتُ أُعِدُّ (١) ، وَجَدْتُ مَنْ قُهِرَنِي أَقْلًا نِيَّةً فِي ظَلَمِي ، مِمَّنْ اسْتَنْصَرْتُ فِي
نُصْرَتِي ، وَتَسَبَّبَتْ الْمَقَادِيرُ أَسْبَابُهَا ، وَتَجَمَّتْ عَمَّا تَجَمَّتْ مِنْهُ فِي أَمْرِي (٢) ، وَأَحْمَدُ اللَّهَ
وَأَشْكُرُهُ (٣) .

وكتب في آخره :

وكنْتَ أخی بإنشاء الزمان فلما نبأ صرتَ حرباً عواناً
وكنْتُ أذمُّ إلیک الزمان فأصبحتُ منك أذم الزمانا
وكنْتُ أُعِدُّك للنائبِ فهأنذا أطلبُ منك الأمانا

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٦٥ والأغاني ٩ : ٢٧ ، ومعجم الأدباء ٩ : ٧١١
وفيات الأعيان ١ : ١٠)

٥٣ - كتابه إلى ابن الزيات

وما كتب إلى ابن الزيات :

« مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ مِثْلَ أَخِي لِي كَانَ عَوْنِي عَلَى الزَّمَانِ وَخِيْلِي
رُفِعَتْ حَالُهُ فَمَحَاوَلَ حَطِّي وَأَبَى أَنْ يَبْعَزَ إِلَّا بِذُلِّي »

(١) أهد : أي أتخذه عدة (٢) في الأصل « وتجمت مما تجلت عنه أمرى » .
(٣) وصورة هذا الكتاب في الأغاني ومعجم الأدباء « أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمِنْتُ وَدَكَ لَقُلْتُ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ
مِنْكَ عَتْبًا لَا تُنْصِفُنِي فِيهِ ، وَأَخْصِي مِنْ نَفْسِي لِأَنَّهُ لَا تَحْتَمِلُهَا لِي ، وَمَا قَدْ قَدِرَ فَهُوَ كَاتِنٌ ، وَعَنْ كُلِّ حَادِثَةٍ
أُحْدِثُ ، وَمَا اسْتَبَدَّتْ بِحَالَةٍ كُنْتُ فِيهَا مَبْغُوطًا ، حَالَةَ أَنَا فِي مَكْرُوهِهَا وَأَلْمَا أَشَدَّ عَلَى مَنْ أَنِّي فَرِغْتُ
إِلَى نَاصِرِي عِنْدَ ظَلَمِ لِحَقِّي ، فَوَجَدْتُ مَنْ يَظْلِمُنِي أَخْفَ نِيَّةً فِي ظَلَمِي مِنْهُ ، وَأَحْمَدُ اللَّهَ كَثِيرًا » ثُمَّ كَتَبَ
فِي أَسْفَلِهَا : الأبيات . . . ولم يرد منه في وفيات الأعيان إلا الأبيات حسب .

وكتب إليه يستعطفه :

فَهَبْنِي مَسِينًا مِثْلَ مَا قَلْتَ ظَالِمًا فَعَفُوا جَمِيلًا كِي يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لَعْفُ مِنْكَ - لَسَوْءٍ مَا جَنَّبْتُ بِهِ - أَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

(معجم الأدباء ١ : ١٨٥)

* * *

وأقام ابن الزيات على الإساءة إليه ، حتى بلغ منه كل مكروه ، ثم وقف الوراق على تحامله عليه ، فرفع يده عنه ، وأمر أن يقبل منه ما رفعه ، وردّه إلى الحضرة مصوناً ، فبسط لسانه في ابن الزيات وهجاه هجاء كثيراً .

(الأغاني ٩ : ٢٧)

٥٤ - كتاب ابن الزيات عن الخليفة إلى أحد عماله

وكتب عن الخليفة إلى أحد العمال :

« أما بعد ، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين (كذا) فأنكره ، ولا تخلو من إحدى منزلتين ، ليس في واحدة منهما عذرٌ يوجب حُجَّةً ، ولا يُزيل لأئمة^(١) : إما تقصيرٌ في عمالك دعاك الإخلال بالحرّم ، والتفريط في الواجب ، وإما مُظَاهَرَةٌ^(٢) لأهل الفساد ، ومُداهنة لأهل الرّيب ، وأية هانين كانت منك ، مُحِلَّةُ النُّكْرِ بِكَ ، ومُوجِبَةٌ الْعُقُوبَةِ عَلَيْكَ ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنّظرة^(٣) ، والأخذ بالحُجَّة ، والتقدّم في الإعذار والإنذار ، وعلى حَسَبِ مَا أَقَلْتَ مِنْ عَظِيمِ الْعَثْرَةِ ، يجب اجتهادك في تَلَا فِي التَّقْصِيرِ وَالْإِضَاعَةِ ، وَالسَّلَامِ . »

(الفقد القريب ٢ : ١٩٨)

(١) اللأئمة : اللوم . (٢) ظاهره : عاونه .

(٣) الأناة : الحلم ، والنظرة : التأخير .

٥٥ - فصول لابن الزيات

وكتب ابن الزيات :

« إن حقّ الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم ، وتقويم أودهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم : فيقدمُ مُحْسِنِهِمْ ، ويؤخرُ مُسِيئَتِهِمْ ، ليزدادَ هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجرَ هؤلاء عن إساءتهم . »

وفصل له :

« إن من أعظم الحقّ حقّ الدين ، وأوجب الحُرْمَةِ حُرْمَةَ المسلمين ، فحقيق لمن راعى ذلك الحقّ ، وحفظَ تلك الحُرْمَةَ ، أن يُراعِيَ له ، حَسَبَ مراعاه الله ، ويحفظَ له ، حَسَبَ ما حفظَ اللهُ على يديه . »

وفصل له :

« إن الله أوجب لخلفائه على عباده حقّ الطاعة والنصيحة ، ولأمبيده على خلفائه بسطَ العدلِ والرأفة ، وإحياءِ السُّنَنِ الصالحة ، فإذا أدى كلُّ إلى كلِّ حقّه ، كان ذلك سبباً لتمام المعونة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام الألفة . »
(المقدم الفريد ٢ : ١٩٨)

٥٦ - كتاب لابن الزيات

وتوسّل رجل إلى رجل ، محمد بن عبد الملك الزيات وادّعى قرابته منه ، وبلغ ذلك محمداً ، فكتب إلى المتوسّل إليه :

« بلغني أن رجلاً ادّعى قرابتي ، وأورد عليك كتاباً ذكر أنه مني ، وما أنكر أن ينتفع بي من توسّل بنسبي ، إلا أنه من ادّعى قرابةً ولا قرابةً له ، كان استعمال الشفاعة في أمره أولى . »

(اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ٢٦٧)

٥٧ - كتاب رجل إلى ابن الزيات

وكتب رجل إلى ابن الزيات :

« إن مما يُطْمِئِنِي في بقاء النعمة عليك ، ويزيدُنِي بصيرةً في العلم بدوامها لديك ، أنك أخذتَها بحَقِّها ، واستوجبَتها بما فيك من أسبابها ، ومن شأن الأجناس أن تتواصل ، وشأن الأشكال أن تتقاوم^(١) ، والشئ يتغلغل في معدنه ، ويحْنُ إلى عُنصره ، فإذا صادف منبته ، وأز^(٢) في مفرسه ، ضرب بعرقه ، وسَمَق^(٣) بفرعه ، وتمكَّن تمكَّن الإقامة ، وثبتت ثبات الطبيعة . »

(عبون الأخبار ١ : ٩٥)

٥٨ - كتاب الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك الزيات

قال الجاحظ^(٤) :

تشاغلت مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشرب النبيذ أيا ما ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته . فأخبر باتصال شغلي مع الحسن بن وهب ، فتنكر لي ، وتلوَّن عليّ ، فكُتبت إليه رُقعة نسختها :

« أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى ، وصرف ما أعارك

(١) هو من تقاوموا في الحرب أى قام بعضهم لبعض ، والمعنى : تتجاذب ويتصل بعضها ببعض .

(٢) لزه كرده : شده وألصقه .

(٣) سَمَق كنعمر : ارتفع وعلا وطال .

(٤) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، صاحب الرسائل البديعة والتصانيف الممتعة ، وهو أشهر من أن يذكر ، نشأ بالبصرة ، وكان ينتجع بغداد أواخر عصر المأمون ، وفي عصر المعتصم والوائق وبعض عصر المتوكل ، وكان مختصاً بابن الزيات ، وتوفى سنة ٢٥٥ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٣٨٨ ونزهة الألباني طبقات الأدباء ص ٢٥٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ٢١٢ والهرست ص ١٦٩ ومعجم الأدباء ٦ : ٥٦ (طبع مطبعة هندية) وأمالى المرتضى ١ : ١٣٨ ومروج الذهب ٢ : ٢٠٠ و ٤٣٩ وشرح العيون ١٧٠ والنية والأمل ص ٣٩ ، وله أخبار متفرقة في الأغاني ، والفرق بين الفرق ، والانتصار ، والملل والنحل ، وغيرها .

من القوة إلى حُبِّ الإنصاف ، وَرَجَّحَ فِي قَلْبِكَ إِيْثَارَ الْأُنَاةِ^(١) ، قَدَّ حِثْمَتْ
- أَيْدِكَ اللَّهُ - أَنْ أَكُونَ عِنْدَكَ مِنَ الْمَذُوبِينَ إِلَى تَرْقِ الشُّفْهَاءِ ، وَمُجَانِبِ سُبُلِ
الْحِكْمَاءِ ، وَبَعْدُ ، قَدَّ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

وَإِنْ أَمْرًا أُمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدٍ^(٢)
وَقَالَ الْآخِرُ^(٣) :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتَ اجْتَرَأْتَ عَلَيْكَ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - فَلَمْ اجْتَرِئْ إِلَّا لِأَنَّ دَوَامَ تَعَادُلِكَ
عَنِّي شَبِيهُ بِالْإِهْمَالِ الَّذِي يُورِثُ الْإِغْفَالَ ، وَالْعَفْوُ الْمُتَكَرِّرُ يُؤْمِنُ مِنَ الْمَكْفَاةِ^(٤) ،
وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَيْدَةَ^(٥) بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ لِعِمَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « عَمَّرُكَ خَيْرًا إِلَى
مَنْكَ : أُرْهِبْنِي فَاتَّقَانِي ، وَأَهْطَانِي فَاعْنَانِي »^(٦) .

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَهَبُّ عِقَابِي - أَيْدِكَ اللَّهُ - لِحُرْمَةِ^(٧) ، فَهَبَّهُ لِأَيْدِكَ عِنْدِي ،
فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَشْفَعُ فِي النَّعْمَةِ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ ذَلِكَ لِذَلِكَ ، فَعُدْ إِلَى حَسَنِ الْعَادَةِ ، وَإِلَّا فَافْعَلْ
ذَلِكَ لِحَسَنِ الْأَحْدُوَّةِ ، وَإِلَّا فَاتِّمَّ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْعَفْوِ ، دُونَ مَا أَنَا أَهْلُهُ مِنَ

(١) الْأُنَاةُ : الْحِلْمُ ، وَالنَّرْقُ : الطَّيْسُ .

(٢) وَيُرْوَى هَذَا الْبَيْتَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ - انظر ديوان حسان ص ١٤٢ - وفي ديوان الحماسة ٢ :

١٤ أَنَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي قُرَيْبٍ .

(٣) ذَكَرَ صَاحِبُ زَهْرِ الْأَدَابِ أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمِ الْبَاهِلِيِّ ، وَفِي الْأَغَانِي (ج ١٣ : ص ١٠) أَنَّهُ

الْعَتَابِيُّ أَوْ الْحَكَمِيُّ بْنُ قَتَيْبٍ ، وَقَبْلَهُ :

مَقَالَةٌ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مَنْحَدِرِ سَائِلِ

(٤) الْمَكْفَاةُ : الْمَجَازَاةُ .

(٥) هُوَ عُمَيْدَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ ، أَحَدُ الْمَوْلُفَةِ الْمَوْجِبِ ، أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَنَائِمِ هَوَازِنَ مِائَةَ بَعِيرٍ - انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢١ .

(٦) بَسَطَ الْجَاهِظُ مَعَانِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ بِصُورَةٍ أَوْسَعِ ، فِي رِسَالَتِهِ « التَّرْبِيْعُ وَالتَّدْوِيرُ » وَأُورِدَ

فِيهَا أَكْثَرَ فِقْرَاهَا بِالْفَاظِهَا - انظر الفصول المختارة من كتب الجاهظ على هاشم الكامل للبرد ص ٦٠

وَمَا بَعْدَهَا ، وَبِمَجْمُوعَةِ رِسَائِلِ الْجَاهِظِ ، طَبِعَ السَّاسِيُّ فِي ١١٢ .

(٧) فِي الْأَصْلِ « لِحُرْمَةِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَصَوَابُهُ « لِحُرْمَةِ » وَالتَّصْوِيبُ عَنِ رِسَالَةِ التَّرْبِيْعِ وَالتَّدْوِيرِ

وَفِيهَا « لِحُرْمَتِي » .

استحقاق العقوبة ، فسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَكَ تَعْفُو عَنِ الْمُتَعَمِّدِ ، وَتَتَجَانَّى عَنِ عِقَابِ الْمُصِرِّ ،
حَتَّى إِذَا صِرْتَ إِلَى مَنْ هَفْوَتُهُ بِكَرٍّ^(١) ، وَذَنْبُهُ نِسْيَانٌ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ
إِلَّا لَكَ ، وَلَا الْإِنْعَامَ إِلَّا مِنْكَ^(٢) ، هَجَمَتْ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ .

واعلم - أيدك الله - أن شَيْنَ غَضَبِكَ عَلَى كَزَيْنِ صَفْحِكَ^(٣) عَنِّي ، وَأَنْ
مُوتَ ذِكْرِي مَعَ انْقِطَاعِ سَبَبِي مِنْكَ ، كَحَيَاةِ ذِكْرِي^(٤) مَعَ اتِّصَالِ سَبَبِي بِكَ ،
وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ فِطْنَةً عَلِيمٍ ، وَغَفْلَةً كَرِيمٍ ، وَالسَّلَامَ .

(زهر الآداب ٢ : ١٠٨)

٥٩ - كتاب الجاحظ إلى أحمد بن أبي دواد

وكتب الجاحظ إلى أحمد^(٥) بن أبي دواد يستعطفه :

« لَيْسَ عِنْدِي - أَعَزُّكَ اللَّهُ - سَبَبٌ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ ، إِلَّا مَا طَبَعَكَ اللَّهُ
عَلَيْهِ مِنَ الْكُرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّامِيلِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ الظَّنِّ ، وَإِثْبَاتِ
النُّضْلِ بِحَالِ الْمَأْمُولِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعُقَمَاءِ الشَّاكِرِينَ ، فَتَكُونَ خَيْرَ

(١) في الأصل « ذكر » وهو تحريف ، والتصويب عن رسالة الترييح والتدوير أيضا (من
الفصول المختارة) والبكر : أول كل شيء ، وكل فعلة لم يتقدمها مثالا .

(٢) جاء في رسالة الترييح والتدوير بعد ذلك : « ولا العلم إلا من تأديبك ، ولا الأخلاق إلا من
تقويمك ، ولا يقصر في بعض طاعتك إلا لما رأى من احتمالك ، ولا نسي بعض ما يجب لك إلا لما داخله
من تعظيمك ، صرت تتوعد بالصرم » .

(٣) أي في مقدار الأثر ، أي أن الأول شديد جدا كما أن الثاني عظيم جدا ، وفي رسالة الترييح
والتدوير قبل ذلك : « وأن منك إذا منعت ، في وزن إعطائك إذا أعطيت ، وأن عقابك على حسب
ثوابك ، وأن جزعي من حرمانك ، في وزن سروري بفوائدك » .

(٤) في الأصل « ذكرك » وهو تحريف . وصوابها « ذكرى » كما يقتضيه السياق وكما وردت
في رسالة الترييح والتدوير ، وقد كنت صحتها في زهر الآداب قبل أن أقرأها في تلك الرسالة ،
وهذا التشبيه كالتشبيه السابق أيضا .

(٥) من كبار أئمة المعتزلة ، وكان مقربا من الأمويين أميرا عنده ، ولما ولي المنعم الخلافة جعله
قاضي القضاة وخص به أحمد ، حتى كان لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا إلا برأيه ، وحدث حاله عند
الوفاة في خلافته ، ثم قلع في أول خلافة المتوكل ، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ - انظر ترجمته في وفيات
الأعيان ١ : ٢٢ .

مُعْتَبٍ^(١)، وأكون أفضل شاكر، ولعل الله أن يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الإنعام، وهذا الإنعام سبباً للانقطاع إليكم، والكون تحت أجنحتكم، فيكون: لا أعظم بركة، ولا أسمى بقیة، من ذنب أصبحت فيه، وبمثلك - جُمأتُ فِداك - عاد الذنب وسيلة، والسبب حَسَنَةً، ومثلك من انقلب به الشرُّ خيراً، والغرمُ غنماً.

من عاقب فقد أخذ حظه، وإنما الأجرُ في الآخرة، وطيبُ الذِّكر في الدنيا، على قدر الاحتمال، وتجرُّع المرار، وأرجو الأضیع وأهلك فيما بين كرمك وعملك، وما أكثر من يعفو عن صغر ذنبه وعظم حقه! وإنما الفضل والثناء: العفو عن عظیم الجرم، ضعيف الحُرمة، وإن كان العفو عظيماً مُستَطرَفاً من غيركم، فهو تِلادٌ فيكم، حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس إلى مخالفة أمركم، فلا أتم عن ذلك تنكُّون^(٢)، ولا على سالفِ إحسانكم تندمون، وما مثلكم إلا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يمرُّ بمَلَأٍ من بني إسرائيل إلا أسمعوه شراً وأسمعهم خيراً، فقال له شَمْعُون الصفا: ما رأيتُ كالِيومِ اكلمنا أسمعوك شراً سمعناهم خيراً! فقال « كل امرئُ يُنفقُ مما عنده » وليس عندكم إلا الخير، ولا في أوعيتكم إلا الرحمة، « وكل إناءٍ بالذي فيه ينضحُ » . (شرح العيون ص ١٧٥)

٦ - كتاب له في الاستعطاف

« زَيْنَكَ اللهُ بِالتَّقْوَى، وكفأك ما همك في الآخرة والأولى، من عاقب - أبتاك اللهُ تعالى - على الصغيرة عُقوبةَ الكبيرة، وعلى الهفوة عُقوبةَ الإصرار، فقد تنأهى في الظلم، ومن لم يفرِّق بين الأسافل والأعلى، والأداني والأقاصي، فقد قهر، والله لقد كنت أكرهُ سرف الرضا، مخافة أن يؤدي إلى سرف الهوى،

(١) اعتبه: أرضاه.

(٢) نكل عنه كضرب ونهر وعلم: نكس.

فما ظنك بسرّف الفيظ وغلبة الغضب ، من طيَّاش ، عجولٍ فحَّاش ، ومعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المرّة^(١) الحمراء ، وأنت رُوحٌ كما أنت جسم ، وكذلك جنسك ونوعك ، إلا أن التأثر في الرِّقاق أسرع ، وضدّه في الغلاظ الجفافة أكمل ، ولذلك اشتدَّ جزعى عليك من سلطان الفيظ وغلبته ، فإذا أردت أن تعرف مقدار الذنب إليك ، من مقدار عقابك عليه ، فانظر في علته ، وفي سبب إخراجِه إلى معدنه الذي منه نجم ، وعُشّه الذي منه درج ، وإلى جهة صاحبه في التسرع والثبات ، وإلى حِلْمه عند التعريض ، وفطنته عند التوبة ، فكلُّ ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة القبض^(٢) في المقادير ، أو من طريق الأنفة ، وغلبة طباع الحميّة من جهة الجفوة ، أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله أنه مقصّر به في حقه ، مؤخّر عن رتبته ، أو كان مبلغاً عنه مكذوباً عليه ، أو كان ذلك جائزاً فيه غير ممتنع عنه ، فإذا كانت ذنوبه من هذا الشكل ، فليس يقفُ عليها كريم ، ولا ينظر فيها حلیم ، ولستُ أسميه بكثرة

(١) المرّة والمخلط (بالكسر وجمعه أخلاط) والمزاج (بالكسر أيضاً وجمعه أمزجة) : واحد ، وهو ماركب عليه البدن من الطبائع الأربع : الدم والمرتين الصفراء والسوداء والبلغم . وجاء في العقد الفريد ٣ : ٢٨٧ في باب طباع الإنسان : « زعم علماء الطب أن في الجسد من الطبائع الأربع اثني عشر رطلاً ، فالدم منها ستة أرطال ، والمرّة الصفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال ... » وفيه أيضاً : « عن وهب بن منبه أنه قرأ في التوراة أن الله عز وجل حين خلق آدم ، ركب جسده من أربعة أشياء ثم جعلها وراثته في ولده - تنمو في أجسادهم ، وينمون عليها إلى يوم القيامة : رطب ويابس وسخن وبارد ، قال وذلك أتى خلقته من تراب وماء وجعلت فيه بيبسا ، فبيوسة كل جسد من قبل التراب ، ورطوته من قبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح ، ثم خلقت للجسد بعد هذا المخلوق الأول أربعة أنواع آخر ، وهي ملاك للجسد وقوامه ، فإذا لا يقوم الجسد إلا بهن ، ولا تقوم واحدة إلا بالأخرى : المرّة السوداء ، والمرّة الصفراء ، والدم الرطب الحار ، والبلغم البارد ، ثم أسكنت بعض هذا المخلوق في بعض ، فجعلت مسكن البيوسة في المرّة السوداء ، ومسكن الرطوبة في الدم ومسكن البرودة في البلغم ، ومسكن الحرارة في المرّة الصفراء ، فأبدا جسداً اعتزلت فيه هذه الفطر الأربع ، وكانت كل واحدة فيه وفقاً لا تزيد ولا تنقص ، كملت صحته ، واعتدلت بفتته ، وإن زادت واحدة منهن غلبت من وقهرت من ومالت بهن ، ودخل على أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت ، وإن كانت ناقصة عنهن ملن بها وعلونها ، ودخل عليها السقم من نواحيهن ، لقاتها عنهن ، حتى تصف من طاقتهن ، وتعجز عن مقاومتهم » اهـ .

(٢) في الأصل « القبض » .

معروفه كريماً ، حتى يكون عقله غامراً لعله ، وعلمه غالباً على طباعه ، كما لا أسميه
 بكف العقاب حكيماً ، حتى يكون عارفاً بمقدار ما أخذ وترك ، ومتى وجدت الذنب
 بعد ذلك لا سبب له إلا البغض المحض ، والنفاق الغالب ، فلو لم ترض لصاحبه بعقاب
 دون قعر جهنم ، لعذرَكَ كثير من العتلاء ، وصرب رأيتك عالم من الأشراف ،
 والأناة أقرب من الحمد ، وأبعد من الذم ، وأنأى من خوف العجلة ، وقد قال الأول :
 « عليك بالأناة ، فإنك على إيقاع ما تتوقعه أقدرُ منك على رد ما قد أوقعته » وليس
 يصارع الغضب أيام شبابه شيء إلا صرعه ، ولا ينازعه قبل انتهائه إلا قهره ، وإنما
 يُحتمل له قبل هيجه ، فتي تمكن واستفحل ، وأذكى ناره وأشعل ، ثم لاقى من
 صاحبه قُدرة ، ومن أعوانه سمعاً وطاعة ، فلو استبطنته بالتوراة ، وأوجرتَه^(١)
 بالإنجيل ، ولدَدته^(٢) بالزبور ، وأفرغت على رأسه القرآن إفراغاً ، وأنته بآدم
 شفيماً ، كما قصر دون أقصى قوته ، ولن يسكن غضب العبد إلا ذكره
 غضب الرب .

فلا تقن - حفظك الله - بعد مضيك في عتابي التماساً للعفو عني ، ولا تقصر عن
 إفراطك من طريق الرحمة بي ، واسكن قف وقفة من يثم الغضب على عقله ، والشيطان
 على دينه ، ويعلم أن للكرم أعداء ، ويمسك إمساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ،
 ولا يبرئ الهوى من الخطأ ، ولا تُنكر لنفسك أن تزل ، وإعقاك أن يهوى ، فقد
 زل آدم صلى الله عليه وسلم ، وقد خلقه بيده ، ولست أسألك إلا ريثماً تسكن نفسك ،
 ويرتد إليك ذهنك ، وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الأحداث ، والله يعلم
 - وكفى به علماً - لقد أردت أن أفديك بنفسى في مكاتباتى ، وكنت عند نفسى

(١) وجرتَه الدواء ، وأوجرتَه إياه : جعلته في فيه ، والوجور كصبور : الدواء يوجر

في وسط الم .

(٢) اللدود كصبور ، وككريم : ما يصب بالمسقط من الدواء في أحد شقي الفم ، وقد لده

إياه وألده .

في هداد الموتى ، وفي حيز الملكى ، فرأيتُ أن من الخيانة لك ، ومن اللؤم في معاملتك ، أن أفديك بنفس مئّية ، وأن أربيك أنى قد جعلتُ لك أنفَسَ ذُخْرٍ ، والذخرُ معدومٌ ، وأنا أقول كما قال أخو تقيف « مودةُ الأخ التاليدِ وإن أخاق ، خيرٌ من مودةِ الطارِفِ وإن ظهرتُ مساعيه ، وراقتُ جدّته » سلمك الله ، وسلم عليك ، وكان لك ومعك » . (شرح الميرون ص ١٧٦)

٦١ - كتابه إلى بعض إخوانه في ذم الزمان

وكتب الجاحظ إلى بعض إخوانه في ذم الزمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم : حَفِظَكَ اللهُ حِفْظًا مِنْ وَفَقَهُ لِلتَّنَاعَةِ ، وَاسْتَعْمَلَهُ بِالطَّاعَةِ ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَحَالِي حَالٌ مِنْ كَثُفَتِ غُمُومُهُ ، وَأَشْكَلَّتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ حَالُ دَهْرِهِ ، وَنَخَّرَجُ أَمْرِهِ ، وَقُلْتُ عِنْدَهُ مَنْ يَثِيقُ بَوَفَائِهِ ، أَوْ يَحْمَدُ مَغَبَّةَ (١) إِخَانِهِ ، لِاسْتِحَالَةِ زَمَانِنَا ، وَفَسَادِ أَيْمَانِنَا ، وَدَوَلَةِ أَنْدَالِنَا : وَقَدِمًا كَانَ مِنْ قَدَمِ الْحَيَاءِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَحَكَمَ الصِّدْقَ فِي قَوْلِهِ ، وَآثَرَ الْحَقَّ فِي أُمُورِهِ . وَنَبَذَ الْمَشْتَبِهَاتِ عَلَيْهِ مِنْ شَتُونِهِ ، تَمَّتْ لَهُ السَّلَامَةُ ، وَفَازَ بِوَفُورِ حَظِّ الْعَافِيَةِ ، وَحَمِدَ مَغَبَّةَ مَكْرُوهِ الْعَافِيَةِ ، فَنَظَرْنَا إِذْ حَالَ عِنْدَنَا حُكْمُهُ ، وَتَحَوَّلَتْ دَوَاتُهُ ، فَوَجَدْنَا الْحَيَاءَ مَتَّصِلًا بِالْحَرَمَانِ ، وَالصِّدْقَ آفَةً عَلَى الْمَالِ ، وَالْقَصْدَ فِي الطَّلِبِ - بِتَرْكِ اسْتِعْمَالِ الْقِحَّةِ (٢) ، وَإِخْلَاقِ الْعِرْضِ مِنْ طَرِيقِ التَّوَكُّلِ - دَلِيلًا عَلَى سَخَافَةِ الرَّأْيِ ، إِذْ صَارَتْ الْخِطْوَةُ الْبَاسِقَةَ (٣) ، وَالنِّعْمَةَ السَّابِقَةَ ، فِي لُؤْمِ الْمَشْبُتَةِ ، وَمَنَاءِ (٤) الرِّزْقِ ، مِنْ جِهَةِ مُحَاشَاةِ الرِّخَاءِ (٥) ، وَمَلَابَسَةِ مَعْرَةِ الْعَارِ .

(١) المغبة : العاقبة . (٢) القحة والوقاحة : قلة الحياء

(٣) المظوة بالضم والكسر : المكائنة ، والمظ من الرزق ، والباسقة : العالبة ، ونعمة سابقة : أى تامة .

(٤) السناء : الرفعة .

(٥) أى من جهة التباعد عن أسباب الرخاء ، وذلك بالعود عن العمل . والإخلاء إلى الراحة والكل .

ثم نظرنا في تعقب التعقب لقولنا ، والكثير^(۱) ملحجتنا ، فأقننا له علماً واضحاً ،
وشاهداً قائماً ، ومَناراً بيناً ، إذ وجدنا من فيه السُّفُولِيَّةُ الواضحةُ ، والشَّابُّ^(۲) ،
الفاضحةُ ، والكذبُ المبرِّحُ ، والخلفُ المصْرَحُ ، والجهالةُ المفرطةُ ، والرَّكَاكَةُ
المستخفَّةُ ، وضعفُ اليقين والاستنبات ، وسرعة الغضب والجرأة قد استكمل سروره
واعتمدت أموره وفاز بالسَّهْمِ الأَغَابِ^(۳) والحظُّ الأوفرُ ، والقدر الرفيعُ ، والجواز
الطائمُ ، والأمرُ النافذُ ، إن زَلَّ قِيلَ حَكَمَ ، وإن أخطأ قِيلَ أصاب ، وإن هَدَى
في كلامه وهو يقظانُ قِيلَ رُؤْيَا صادقةٌ ، مِنْ نَسَمَةٍ^(۴) مباركة .

فهذه حججتنا والله على من زعم أن الجهل يَخْفِضُ ، وأن النوك^(۵) يُرْدِي ، وأن
الكذب يضرُّ ، وأن الخلفَ يَزُرِي .

ثم نظرنا في الوفاء والأمانة والنبل والبلاغة وحسن المذهب وكال المروءة وسعة
الصدر ، وقلة الغضب ، وكرم الطبيعة ، والفائق في سعة علمه ، والحاكم على نفسه ،
والغالب لهواه ، فوجدنا فلان بن فلان ، ثم وجدنا الزمان لم يُنصِفْهُ من حقه ، ولا قام له
بوظائفِ قَرَضِهِ . ووجدنا فضائله القاءة له قاعدةً به ، فهذا دليلُ أن الطَّالِحَ^(۶) ،
أجدى من الصلاح ، وأن الفضلَ قد مضى زمانه ، وعفت آثاره ، وصارت الدائرةُ
عليه ، كما كانت الدائرة على ضده ، ووجدنا العقل يشقُّ به قربنه ، كما أن الجهلَ
والخُلقَ يحظى به خديفته^(۷) ، ووجدنا الشعر ناطقاً على الزمان ، ومُعرباً عن الأيام
حيث يقول :

- (۱) الكاسر : من كسر له إذا تنمر له ، ورأى صوابه « والكاسر » بالسين .
(۲) المثالب : المايب ، جم مثلبة بفتح الميم مع فتح اللام وضمها ، والمبرح : الشديد ، والمصرح :
المنجلى الخالص ، من صرحت الخمر تصریحاً : أي انجلى زبدها فخلصت .
(۳) يقال : هضبة غلباء : أي عظيمة مشرفة ، وعزة غلباء كذلك على المثل .
(۴) النسمة : النفس . (۵) النوك بالضم والفتح : الحق .
(۶) الطلاح : ضد الصلاح .
(۷) الحدين والمدن بالكسر : الصاحب .

تحمق مع الخلق إذا ما آقبتهم ولا قهيم بالجهل ، فقل أخى الجهل
 وخطأ إذا لا قيت يوماً مخلطاً يخلط في قول صحيح وفي هزل
 فإني رأيت المرء يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل
 فبقيت - أبقاك الله - مثل من أصبح على أوفاز^(۱) ، ومن النقلة على جهاز
 لا يسوغ له نعمة ، ولا تطعم عينه غمضة ، في أهويل يبأكره مكروهاها ، ويرأوحه
 عقابها . فلو أن الدعاء أجيب ، والتضرع سميع ، لكانت العدة العظمى^(۲) ،
 والرجفة الكبرى ، فليت - أى أخى - ما أستبطئه من النفخة ، ومن فجأة الصيحة ،
 قضى فخان ، وأذن به فكان ، فوالله ما عذبت أمة برجفة ولا ريح ولا سخطة ،
 عذاب عيني برؤية المغايطة المدمنة ، والأخبار المهلكة ، كأن الزمان يوكل بعذابي ،
 أو ينصب بأيامى ، فما عيش من لا يسر بأخ شفيق ، ولا يصطبح في أول نهاره
 إلا برؤية من يكرهه ، وبغمة من يغمه طلعه ، فقد طالت النعمة ، وواظبت الكربة ،
 وادهمت^(۳) الظلمة ، وخذ السراج ، وتباطأ الانفراج .

(العقد الفريد ۱ : ۱۹۵)

۶۲ - كتاب الجاحظ في استنجاز وعده

وكتب الجاحظ إلى رجل وعده :

« أما بعد ، فإن شجرة وعديك قد أورت ، فليكن تمرها سالماً من جوائح
 المثل ، والسلام . »

(العقد الفريد ۱ : ۷۵ ، ۲ : ۱۹۹)

(۱) يقال : لقيته على أوفاز : أى على عجلة . أو على سفر قد أشخص ، واحدها وفرز بالتحريك
 والسكون : هو العجلة .

(۲) يعنى الموت وموافاة الأجل المحتوم .

(۳) ادلمت الظلام : كثف واسود .

۶۳ - کتاب آخر

وكتب أيضاً :

« أما بعدُ ، فإن سحائب وعدك قد برقت ، فليكن وبلها سالماً من صواعق

المطل والاعتلال » . (العقد الفريد ۲ : ۱۹۹)

۶۴ - کتاب آخر

وكتب أيضاً :

« أما بعدُ ، فقد رَسَفْنَا^(۱) في قيود مواعيدك ، وطال مُقامنا في سُجون مَطْلِك ،

فأطلقنا - أبقاك الله - من ضيقها وشديد غمها بِنَعْم ، منك مُشيرةً ، أولاً مُرِيحةً » .

(العقد الفريد ۲ : ۱۹۹)

۶۵ - کتاب له في الاستمناح

وكتب :

« أما بعدُ ، فما أقبَحَ الأُخْدُوثةَ من مُسْتَمْنِحٍ حَرَمْتَهُ ، وطالبِ حاجةَ رَدَدْتَهُ ،

ومثاري حَجَبْتَهُ ، ومنبسطٍ إليك قَبَضْتَهُ ، ومُقبِلٍ إليك بعفايته لَوَيْتَ عنه ، فثَبَّتْ

في ذلك « وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ » .

(العقد الفريد ۲ : ۱۹۹)

(۱) رسف كنعس وضرب : مثنى مثنى المقيد .

۶۶ - كتابه إلى أبي حاتم السجستاني

وكتب إلى أبي حاتم السجستاني^(۱) - وبلغه عنه أنه نال منه - :
« أما بعدُ فلو كَفَفْتَ عَنَّا مِنْ غَرَبِكَ^(۲) ، لَكُنَّا أَهْلًا لَدَيْكَ مِنْكَ ، وَالسَّلَامُ » .
فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبیح . (العقد الفريد ۲ : ۱۹۹)

۶۷ - كتابه إلى قلب المغربي

وكتب إلى قلب المغربي :

« وَاللَّهِ يَا قَلْبُ لَوْلَا أَنْ كَبِدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ ، وَرُوحِي بِكَ مَجْرُوحَةٌ ،
أَسَاجِلُكَ^(۳) هَذِهِ الْقَطِيعَةُ ، وَمَادَدْتُكَ حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ ، وَأَرْجُو أَنْ اللَّهُ تَعَالَى يُدْبِلَ^(۴)
صَبْرِي مِنْ جَفَائِكَ ، فِيرُدَّكَ إِلَى مَوَدَّتِي ، وَأَنْفُ الْقَلْبِ^(۵) رَاغِمٌ ، فَقَدْ طَالَ الْعَهْدُ
بِالْإِجْتِمَاعِ ، حَتَّى كِدْنَا نَقْنَأُ كَرُّ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ » .

(شرح العيون ص ۱۷۵)

۶۸ - فصول للجاحظ

« أما بعد ، فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ أَسْفَفْتَهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَأَجَبْتَهُ إِلَى طَلِبَتِهِ ، مَنْ تَوَسَّلَ
إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ ، وَنَزَعَ نَحْوَكُ بِالرَّجَاءِ » .

(۱) من شيوخ أبي العباس المبرد . (۲) الغرب : الهدنة .

(۳) ساجله : باراه .

(۴) أداله اقه من عدوه : نصره عليه .

(۵) القلى : البغض والكراهية . وراغم : ذليل .

« أما بعد ، فإن فلانا أسبابه متصلة بنا ، يلزمنا ذمامه^(١) ، وبلوغ موافقته من أياديك عندنا ، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته ، فأولنا فيه ما يعرف به موقفنا من حسن رأيك ، ويكون مكافأة لحقه علينا . »

* * *

« أما بعد ، فإن الماضي قبلك الباقي لك ، والباقي بعدك المأجور فيك ، وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . »

* * *

« أما بعد ، فإن في الله العزاء من كل هالك ، وانخلف من كل مُصاب ، وإنه من لم يتعزَّ بعزاء الله تنقطع نفسه عن الدنيا حسرةً . »

* * *

« أما بعد ، فإن الصبر يعقبه الأجر ، والجزع يعقبه الهلع ، فتمسك بحظك من الصبر ، تغلّ به الذي تطلب ، وتُدرك به الذي تأمل . »

* * *

« أما بعد ، فكفى بكتاب الله واعظا ، ولذوى الأبواب زاجرا ، فعليك بالتلاوة ، تنجُ مما أوعد الله أهل المعصية . » (العقد الفريد ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٠)

* * *

وله فصول في الاعتذار :

« أما بعد ، فنعم البديل من الزلّة الاعتذار ، وبئس العوض من التوبة الإصرار . »

* * *

(١) الذمام : الحظ والحرمة .

أما بعد ، فإن أحقَّ مَنْ عَطَفْتَ عَلَيْهِ بِحِلْمِكَ ، مَنْ لَمْ يَتَشَفَّعْ إِلَيْكَ بِغَيْرِكَ .

* * *

أما بعد ، فإنه لا عِوَضَ من إِيْخَانِكَ ، ولا خَافَ من حَسَنِ رَأْيِكَ ، وقد انتَقَمْتَ مِنِّي فِي زَأْتِي بِجَفَائِكَ ، فَأَطْلِقْ أُسِيرَ تَشَوُّقِي إِلَى لِقَائِكَ .

* * *

أما بعد ، فإنني بمعرفتي بِبِإِغْ حِلْمِكَ ، وَغَايَةِ عَفْوِكَ ، ضَمِنْتُ لِنَفْسِي الْعَفْوَ عَنْ زَلَّتْهَا عِنْدَكَ .

* * *

أما بعد ، فإن من جَحَدَ إِحْسَانِكَ بِسُوءِ مَقَالَةٍ فِيكَ ، مَكْذِبٌ نَفْسَهُ بِمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ مِنْهُ .

* * *

أما بعد ، فقد مَسَّنِي مِنَ الْأَلْمِ مَا لَمْ يَشْفِهِ غَيْرُ مَوَاصِلَتِكَ ، مَعَ حَبْسِكَ الْإِعْتِذَارَ عَنْ هَفْوَتِكَ ، وَلَكِنْ ذَنْبِكَ تَفْتَقِرُهُ مَوَدَّتُكَ ، فَاْمُنْ عَلَيْنَا بِصِلَتِكَ ، تَكُنْ بَدَلًا مِنْ مَسَاءَتِكَ ، وَعِوَضًا مِنْ هَفْوَتِكَ .

* * *

أما بعد ، فلا خيرَ فيمن استَفَرَّقَتْ مَوْجِدَتُهُ عَلَيْكَ قَدْرَكَ عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَتَّسِعْ لِهَلَاكَ الْإِخْوَانِ .

* * *

أما بعد ، فإن أوَّلِي النَّاسِ عِنْدِي بِالصَّفْحِ ، مَنْ أَسْلَمَهُ إِلَى مِلْكِكَ التَّمَّاسُ رِضَاكَ ، مِنْ غَيْرِ مَقْدَرَةٍ مِنْكَ عَلَيْهِ .

* * *

أما بعد ، فإن كنت ذَمَّيْتَنِي عَلَى الْإِصَاءَةِ فَلِمَ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ الْمَكْفَاةَ ؟ .

(القاد الفرید : ۲ : ۱۹۹)

۶۹ - رسالة الجاحظ في بني أمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَطَالَ اللَّهُ بِمَاءِكَ ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَكَرَامَتَهُ لَكَ ،
 أَعْلَمَ - أُرْشِدَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ - أَنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَدْ صَارَتْ بَعْدَ إِسْلَامِهَا ، وَالْخُرُوجِ مِنْ
 جَاهِلِيَّتِهَا ، إِلَى طَبَقَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ ، وَمَنَازِلَ مُخْتَلِفَةٍ : فَالطَّبَقَةُ الْأُولَى : عَصْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبْنَى بَكْرٍ ، وَعَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَسِتُّ سِنِينَ مِنْ خِلَافَةِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
 كَانُوا عَلَى التَّوْحِيدِ الصَّحِيحِ ، وَالْإِخْلَاصِ الْحَقِيقِ ، مَعَ الْأَلْفَةِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ عَلَى
 الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ عَمَلٌ قَبِيحٌ ، وَلَا بِدْعَةٌ فَاحِشَةٌ ، وَلَا نَزْعٌ يَدٍ مِنْ طَاعَةٍ ،
 وَلَا حَسَدٌ وَلَا غِلٌّ وَلَا تَأْوِيلٌ ، حَتَّى كَانَ الَّذِي كَانَ : مِنْ قَتْلِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
 وَمَا اتُّهِنَ مِنْهُ ، وَمِنْ خَبْطِهِمْ إِيَّاهُ بِالسَّلَاحِ ، وَبِعَجْجِ (۱) بَطْنِهِ بِالْحِرَابِ ، وَفَرَمِي
 أَوْدَاجِهِ بِالشَّقَاقِصِ (۲) ، وَشَدَخِ هَامَتِهِ (۳) بِالْعَمْدِ ، مَعَ كَفَرِهِ عَنِ الْبِسْطِ ، وَنَهْيِهِ
 عَنِ الْاِمْتِنَاعِ ، مَعَ تَعْرِيفِهِ لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ ، مِنْ كَمْ وَجْهٌ يَجُوزُ قَتْلُ مَنْ (۴) شَهِدَ الشَّهَادَةَ ؟
 وَصَلَّى الْقِبْلَةَ ، وَأَكَلَ الذَّبِيحَةَ ، وَهَمَّ ضَرْبِ نِسَائِهِ بِحَضْرَتِهِ ، وَإِقْتِحَامِ الرِّجَالِ
 عَلَى حُرْمَتِهِ ، مَعَ انْقَاءِ نَائِلَةِ بَنَاتِ الْفَرَاغِصَةِ عَنْهُ بِيَدِهَا ، حَتَّى أَطْنُوا (۵) إِصْبَعِينَ مِنْ
 أَصَابِعِهَا ، وَقَدْ كَشَفَتْ عَنْ قِنَاعِهَا ، وَرَفَعَتْ عَنْ ذَيْلِهَا ، أَيْكُونُ ذَلِكَ رَادِعًا لَهُمْ ،
 وَكَاسِرًا مِنْ غَرَبِهِمْ (۶) ، مَعَ وَطْئِهِمْ فِي أَضْلَاعِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَإِلْقَائِهِمْ عَلَى الْمَرْبَلَةِ جَسَدَهُ

(۱) بعجه كفه : شقه .

(۲) فراه كرماء : شقه أيضا ، والأوداج جمع ودج بالتحريك . وهو عرق في العنق . والشاقص
 جمع مشتمس كمنز : وهو النصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

(۳) الهامة : رأس ، وشدخه كفه : كسره .

(۴) أي المسلم ، أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم في كتابه إلى المنذر بن ساوى ، فإن من صلى
 صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذاك المسلم . - انظر الجزء الأول ص ۴۵ ، وكان فيها
 قاله عثمان في أثناء حصاره : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل دم امرئ
 مسلم إلا في إحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجل زنى بعد إحصانه فيرجم : أو رجل
 قتل نفساً بغير نفس » فقيم أقتل ؟ - انظر تاريخ الطبري ۵ : ۱۲۲ .

(۵) أطنوا : أي قطعوا . (۶) من غربهم : أي حدثهم .

مجرداً بعد سحبه ا؟ وهي الخرزة (۱) التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفتنا
لبناته (۲) وأياماه وعقائله ، بعد السب والتعطيش والتحصن الشديد ، والمنع من القوت ،
مع احتجاجه عليهم وإفحامهم ، ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام كدم
المؤمن ، إلا من ارتد بعد إسلام ، أو زنى بعد إحصان (۳) أو قتل مؤمناً على عمد ،
أو رجل هدأ على الناس بسيفه ، فكان في امتناعهم منه عتابه (۴) ، ومع اجتماعهم
على ألا يقتل من هذه الأمة مؤل ، ولا يُجهز منها على جريح ، ثم مع ذلك كله
ذروا (۵) عليه وعلى أزواجه وحرمه ، وهو جالس في محرابه ، ومُصحفه يُلوح في
حجره ، لن يرى أن موحداً يُقدم على قتل من كان في مثل صفته وحاله .

لاجرم (۶) لقد احتلبوا به دماً لا تطير رغوته ، ولا تسكن فورته ، ولا يموت
ناره ، ولا يكل طالبه ، وكيف يضيع الله دم وایه ، والمنتقم له !؟ وما سمعنا بدم
بعد دم يحيى (۷) بن زكريا عليهما السلام غلا غليانه ، وقتل سافحه (۸) وأدرك بطائفته ،
وبلغ كل محبته ، كدمه ، رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم في أخذه وفي إقامته للناس ، والاقتصاص منه ، وفي بيع ما ظهر
من رباعه (۹) وحدائه وسائر أمواله ، وفي حبسه بما بقي عليه ، وفي طأمزه (۱۰)
حتى لا يحس بذكره ، ما يُغنيهم عن قتله إن كان قد ركب كل ما قذفوه به ،

- (۱) الخرزة : الجوهرة ، وفي الأصل « الجزرة » وهو تحريف .
(۲) تزوج عثمان رقيقة وأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأيامى جمع أيم ، وامرأة
أيم : لازوج لها بكر أو ثيبا ، والعقائل جمع عقيلة ، وعقيلة كل شيء أكرمه .
(۳) أحصن الرجل : تزوج . (۴) أي هلاكه .
(۵) الذمر : الحضر والتهدد ، وفعله كنصر .
(۶) لاجر : كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ، ولا محالة ، مجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى
معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقا ، فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم .
(۷) مات يحيى مقتولا - انظر تفصيل الخبر في ذلك في تاريخ الطبرى ۲ : ۱۶ .
(۸) سفيح دمه كقطعه : سفكه ، والطائفة : النار .
(۹) الرباع جمع ربع : وهو المنزل . (۱۰) الطمر : الحب .

وَادَّعَوْهُ عَالِيَهُ ، وَهَذَا كُلُّهُ بِمَحْضَرَةِ جِلَّةٍ^(۱) الْمُهَاجِرِينَ وَالسَّلَفَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَالْأَنْصَارَ
وَالتَّابِعِينَ .

وَلَكِنِ النَّاسَ كَانُوا عَلَى طَبَقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمَرَانِبَ مُتَبَايِنَةٍ ، مِنْ قَاتِلٍ ، وَمَنْ
شَادَّ عَلَى عَضُدِهِ ، وَمَنْ خَاذِلٍ عَنْ نُصْرَتِهِ ، وَالْعَاجِزُ نَاصِرٌ بِإِرَادَتِهِ ، وَمُطِيعٌ بِحُسْنِ
نِيَّتِهِ ، وَإِنَّمَا الشُّكُّ مَنْأً فِيهِ وَفِي خَاذِلِهِ ، وَمَنْ أَرَادَ عَزْلَهُ وَالِاسْتِبْدَالَ بِهِ ، فَأَمَّا قَاتِلُهُ
وَالْمُعِينُ عَلَى دَمِهِ وَالْمُرِيدُ لِدَلِكِ مِنْهُ ، فَضُلَّالٌ ، لِأَشْكَ فِيهِمْ ، وَمُرَّاقٌ ، لِأَمْتِرَاءِ^(۲)
فِي حَكْمِهِمْ ، عَلَى أَنْ هَذَا لَمْ يَعُدُّ مِنْهُمْ الْفَجُورَ : إِمَّا عَلَى سُوءِ تَأْوِيلٍ ، وَإِمَّا عَلَى تَعَمُّدٍ
لِلشُّقَاءِ . ثُمَّ مَا زَالَتِ الْفِتْنُ مُتَّصِلَةً ، وَالْحُرُوبُ مُتْرَادِفَةً ، كَحَرْبِ الْجَمَلِ ، وَكَوْقَاعِ
صِيفِينَ ، وَكَيَوْمِ النَّهْرَوَانِ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ يَوْمِ الزَّابُوقَةِ^(۳) ، وَفِيهِ أُسِرَ ابْنُ حَنْظَلٍ^(۴) ،
وَقُتِلَ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ ، إِلَى أَنْ قَتَلَ أَشْقَاهَا^(۵) عَلَى بْنِ طَالِبٍ ، رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
فَأَسْعَدَهُ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ ، وَأَوْجِبَ لِقَاتِلِهِ النَّارَ وَاللَّعْنَةَ ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ اعْتِزَالِ الْحَسَنِ
عَلَيْهِ السَّلَامِ الْحُرُوبَ ، وَتَخْلِيَتِهِ الْأُمُورَ ، عِنْدَ انْتِزَارِ أَصْحَابِهِ ، وَمَا رَأَى مِنْ انْخِلَالِ
فِي عَسْكَرِهِ ، وَمَا عَرَفَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَبِيهِ ، وَكَثْرَةِ تَلَوْنِهِمْ عَلَيْهِ ، فَعِنْدَهَا اسْتَوَى
مَعَاوِيَةَ عَلَى الْمَلِكِ ، وَاسْتَبَدَّ عَلَى بَقِيَّةِ الشُّورَى ، وَعَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ
وَالْمُهَاجِرِينَ ، فِي الْعَامِ الَّذِي سَمَّوْهُ عَامَ^(۶) الْجَمَاعَةِ ، وَمَا كَانَ عَامَ جَمَاعَةٍ ، بَلْ كَانَ عَامَ
فُرْقَةٍ وَقَهْرٍ وَجَبْرِيَّةٍ وَغَلْبَةٍ ، وَالْعَامَ الَّذِي تَحَوَّلَتْ فِيهِ الْإِمَامَةُ مُلْكًا كَثْرَوِيًّا ،
وَالْخِلَافَةَ غَضْبًا قَيْصَرِيًّا ، وَلَمْ يَعُدُّ ذَلِكَ أَجْمَعَ الضَّلَالِ وَالْفُسُوقَ ، ثُمَّ مَا زَالَتْ مَعَاصِيهِ مِنْ
جِنْسِ مَا حَكَمْنَا وَعَلَى مَنَازِلِ مَا رَتَبْنَا ، حَتَّى رَدَّ قَضِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(۱) أَي مِنْ عِظَمَائِهِمْ وَسَادَتِهِمْ وَذَوِي الْأَخْطَارِ فِيهِمْ .

(۲) أَي لِأَشْكَ .

(۳) الزَّابُوقَةُ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْبَصْرَةِ ، كَانَتْ فِيهِ وَقْعَةُ الْجَمَلِ أَوَّلَ النَّهَارِ .

(۴) أَي عُمَانَ بْنَ حَنْظَلٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبْرُ ذَلِكَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ص ۳۲۲ .

(۵) هُوَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَلِجَمٍ الْمُرَادِيُّ لَعَنَهُ اللَّهُ .

(۶) هُوَ عَامُ ۴۱ هـ إِذْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَبَايَعَهُ أَهْلُ الْأَمْصَارِ كُلِّهَا .

ردا مكشوفاً ، وجَعَدَ حُكْمَهُ جَعْدًا ظاهراً ، في وَدِّ الفِرَاشِ وما يجب للعاهر^(۱) ،
مع اجتماع الأمة أن سُمِّيَةَ لم تكن لأبي سُفْيَانَ فِرَاشًا ، وأنه إنما كان بها عَاهِرًا ، فخرج
بذلك من حكم الفُجَّارِ إلى حكم الكفار ، أوليس قتلُ حُجْرٍ^(۲) بنِ عَدِيٍّ ، وإطعامُ
عمرو بن العاص خراجَ مصر ، وبيعةُ يزيدَ الخليج ، والاستنثارُ بالنفء ، واختيارُ الولاية
على الهوى ، وتعطيلُ الحدود بالشفاعة والقراية ، من جنس جَعَدِ الأحكام المنصوصة ،
والشرائع المشهورة ، والسُنن المنصوبة !؟ وسواء في باب ما يستحق من الكفار ،
جَعَدُ الكتاب ، وردُّ السنة إذ كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ، إلا أن
أحدهما أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد ، فهذه أول كفره كانت من الأمة ، ثم لم
تكن إلا فيمن يدَّعي إمامتها والخلافة عليها ! على أن كثيرا من أهل ذلك العصر
قد كفروا بترك إكفاره ، وقد أُرْبِتَ^(۳) عليهم نَابِتَةٌ عصرنا ، ومُبْتَدِعَةٌ دهرنا ،
قالت : « لا تُبُوهُ فَإِنَّ لَهُ صِحْبَةً ! وَصَبُّ مَعَاوِيَةَ بِدْعَةٌ ، وَمَنْ يُبْفِضْهُ فَقَدْ خَالَفَ الشُّنَّةَ »
فزعمت أن من الشنة ترك البراءة ممن جَعَدَ السنة ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن
عماله وأهل نصرته ، ثم غَزَوْا مَكَّةَ ، وَرَمَى الكعبة^(۴) ، واستباحة المدينة^(۵) ،
وقتلُ الحسين^(۶) عليه السلام في أكثر أهل بيته ، مصابيح الظلام ، وأوتاد الإسلام ،
بعد الذي أعطى من نفسه ، من تفريق أتباعه ، والرجوع إلى داره وحرمة ، أو الذهاب
في الأرض حتى لا يُحَسَّ به ، أو المُقَامُ حيثُ أَمَرَ به ، فَأَبَوْا إِلَّا قَتْلَهُ ، والنزولَ على

(۱) يعني استلحاله زيادا وقد تقدم خبر ذلك في الجزء الثاني ص ۳۴ .

(۲) انظر الجزء الثاني ص ۴۵ . (۳) أربت : زادت . والنابطة : الناشئة .

(۴) يعني غزوا مكة في عهد يزيد . سار إليها حصين بن نمير السكوني في جيش من أهل الشام بعد فراغهم من وقعة الحرة بالمدينة لقتال عبد الله بن الزبير سنة ۶۴ ، وقد قذفوا البيت الحرام بالهانيق وحرقوه بالنار ، وأخذوا يرتجزون ويقولون .

خطارة مثل الفنيق المزبد نرمى بها أعواد هذا المسجد

(والفنيق : الفعل المكرم لا يؤذى ولا يركب ، لكرامته على أهله) - انظر تاريخ الطبري

۷ : ۱۴ -

(۵) يشير إلى وقعة الحرة . انظر الجزء الثاني ص ۸۹ . (۶) انظر الجزء الثاني ص ۸۴ .

حكمهم ، وسواء قتل نفسه بيده ، أو أسلمها إلى عدوه ، وخير فيها من لا يبرُد غليله إلا بشرب دمه ، فأحسبوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة وهتك الحرمه ليس بحجة ، كيف تقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام ، وقبلة المسلمين ؟ فإن قلم ليس ذلك أرادوا ، بل إنما أرادوا المتحرز به^(١) ، والمتحصن ببيطانه ، أفما كان في حق البيت وحرمة أن يحصروه فيه ، إلى أن يُعطى بيده ؟ وأي شيء بقي من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه ؟ واحسبوا ما رَووا عليه من الأشعار ، التي قولها شريك ، والتمثل بها كُفر ، شيئا مصنوعا ، كيف تصنع بنقر القضيب بين نبتتي الحسين^(٢) عليه السلام ، وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسير على الأفتاب العازية^(٣) ، والإبل الصعاب ، والكشف عن عورة علي بن الحسين عند الشك في بلوغه : على أنهم إن وجدوه وقد أنبت^(٤) قتله ، وإن لم يكن أنبت حملوه ، كما يصنع

(١) هو عبد الله بن الزبير .

(٢) وذلك أنه لما وجه عبيد الله بن زياد آل الحسين عليه السلام إلى يزيد بدمشق ، ومثلوا بين يديه ، أمر برأس الحسين فأبرز في طست ، فجعل ينكت ثناياه بقضيب في يده ، ويقول :
* ليت أشياخي بيدر شهدوا . . * الأبيات .

(٣) حواسير . جمع حاسر ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين حاسر . الأفتاب : جمع قتب بالتحريك ، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير .

(٤) أنبت الغلام : نبتت عاتقه ، جاء في تاريخ الطبري ٦ : ٢٦٣ .

• أنه لما عرض على بن الحسين على عبيد الله بن زياد ، قال له : ما اسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين قال : أو لم يقتل الله علي بن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زياد : مالك لا تتكلم ؟ قال : قد كان لي أخ يقال له أيضا علي فقتله الناس ، قال : إن الله قد قتله ، فسكت علي : فقال له : مالك لا تتكلم ؟ قال :
« اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا » « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ »

قال : أنت والله منهم ويحك ! انظروا هل أدرك ؟ والله إنى لأحسبه رجلا ، فكشف عنه مري بن معاذ الأحمري ، فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اتلّه ، فقال علي بن الحسين : من توكل بهؤلاء النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته ، فقالت : يا بن زياد . حسبك منا ، أما رويت من دماننا ؟ وهل أبقيت منا أحدا ؟ فاعتقته فقالت . أسألك بالله إن كنت مؤمنا إن قتلته لما قتلني معه ، وناداه علي فقال : يا بن زياد ، إن كانت بينك وبينهم قرابة فابث معهم رجلا نقيا يصحبهم بصحبة الإسلام ، فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى التوم ، فقال : عجبا للرحم ! والله إنى لأظنها ودت لو أنى قتلته أنى قتلها معه ، دهوا الغلام ، انطلق مع نسائك .

أمير جيش المسلمين بذراري المشركين ، وكيف تقول في قول هُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد لإخوته وخاصة : دُعُونِي أَقْتُلْهُ ، فإنه بَقِيَّةُ هذا النُّسْلِ ، فَأَحْسِمَ بِهِ هذا القَرْنَ ، وَأُمِيتَ بِهِ هذا الداء ، وأقطع به هذه المادة .

خبرونا ! علامَ تدلُّ هذه القسوة ، وهذه الغلظة ، بعد أن شقوا أنفسهم بقتالهم ، ونالوا ما أحبوا فيهم ؟ أتدلُّ على نَصَبٍ ^(١) وسوء رأيٍ وحقدٍ وبغضاءٍ ونفاقٍ ، وعلى يقينٍ مدخولٍ ، وإيمانٍ مخروجٍ ، أم تدلُّ على الإخلاص ، وعلى حُبِّ النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفظِ له ، وعلى براءةِ السَّاحَةِ وصحَّةِ السَّرِيرَةِ ؟ فَإِنْ كَانَ ما وَصَفْنَا لا يَبْعُدُ الفِسْقَ والضلالَ - وذلك أدنى منازلِهِ - فالفاسقُ ملعونٌ ، وَمَنْ نَهَى عَنْ [سَبِّ ^(٢)] الملعونِ فلعونٌ .

وزعمتُ نايبةُ عصرنا ومبتدعةُ دهرنا: أن سَبَّ وُلَاةِ السُّوءِ فِتْنَةٌ ، وَلَعَنَ الْجَوْرَةَ بِدْعَةٌ ، وَإِنْ كَانُوا يَأْخُذُونَ السَّمِيَّ بالسَّمِيَّ ، وَالْوَلِيَّ بِالْوَلِيَّ ^(٣) وَالقَرِيبَ بِالقَرِيبِ ، وَأَخَافُوا الْأَوْلِيَاءَ ، وَأَمَّنُوا الْأَعْدَاءَ ، وَحَكَمُوا بِالشَّفَاعَةِ وَالهُوَى ، وَإِظْهَارِ الْفَدْرَةِ وَالتَّهَوُّنِ بِالْأُمَّةِ ، وَالقَمْعِ لِلرَّعِيَّةِ ، وَأَنَّهُمْ فِي غَيْرِ مَدَارَاةٍ وَلَا تَقِيَّةٍ . وَإِنْ عَدَا ذَلِكَ إِلَى الْكُفْرِ ، وَجَاوَزَ الضَّلَالَ إِلَى الْجَحْدِ ، فَذَلِكَ أَضْلُ مِنْ كَفِّ عَنْ شَتْمِهِمُ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ ، هَلِي أَنَّهُ لَيْسَ مَنْ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْكُفْرِ بِالْقَتْلِ ، كَمَنْ اسْتَحَقَّهُ بَرْدُ السِّنَةِ وَهَدْمُ الْكَعْبَةِ ، وَلَيْسَ مَنْ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْكُفْرِ بِذَلِكَ ، كَمَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ ، وَلَيْسَ مَنْ اسْتَحَقَّ الْكُفْرَ بِالتَّشْبِيهِ كَمَنْ اسْتَحَقَّهُ بِالتَّجْوِيرِ ^(٤) وَالنَّايِبَةُ فِي هَذَا الْوَجْهِ أَكْفَرُ مِنْ يَزِيدَ وَأَبِيهِ ،

(١) نصب له : عاده ، وأهل النصب : المندبيون بيفضة على رضى الله عنه ، لأنهم نصبوا له .

(٢) في الأصل : نهى ، محل هذه الكلمة ، والسياق يقتضى ما ذكرته .

(٣) يعرض بزياد ابن أبيه إذ يقول في خطبته البتراء : « وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى... » انظر جهرة خطب العرب ٢ : ٢٧٠ وبالجماع إذ يقول في كتابه إلى المهلب : « فإني أرى أن آخذ الولي بالمولى ، والسعى بالسعى » انظر الجزء الثانى س ١٤٥ من جهرة رسائل العرب .

(٤) جوره : نسه إلى التجوير ، وفيه تعريض بغير المعتزلة ، وكان المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل لقولهم بعدل الله وحسبته ، قال الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ : س ٥٢ : « وانفق المعتزلة على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة ، والرب =

وابن زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضاً على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبيرى (١) :

ليت أشياخي بيدر شهيدوا جزع الخزرج من وقع الأسل (٢)

لاستطاروا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تسل (٣)

قد قتلنا الفر من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل (٤)

تمالى منه أن يضاف إليه شر أو ظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ، كما له ذاق العدل كان عادلاً ، وانفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير ، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، وسموا هذا النمط عدلاً ، وجاء أيضاً في مروج الذهب ج ٢ : ص ١٩٠ في تفسير الأصول الخمسة التي يذهب إليها المعتزلة : « وأما القول بالعدل - وهو الأصل الثانى - فهو أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه ، بالقدرة التي جعلها الله لهم ، وركبها فيهم . . . الخ » ومن ذلك ترى أنهم ينزهون الله تعالى عن أن يقدر على العبد المعصية ثم يعذبه عليها ، بل العبد هو الذى يفعل أفعاله جمعاً بإرادته وقدرته ، ويستحق عليها الثواب أو العقاب ، وهذا عدل منه تعالى .

ولا يغيب عنك أن الجاحظ كان من شيوخ المعتزلة وكبرائهم ، وهو تلميذ أبى إسحق إبراهيم ابن سيار النظام ، المعتزلى المشهور ، وقد نصر الجاحظ مذهب المعتزلة بفصاحته وكتبه اللبقة حتى صار لسان المعتزلة في زمانه ، وكان رأس فرقة منهم نسبت إليه ، فسميت « الجاحظية » - انظر الملل والنحل ١ : ٨٠ وشرح المبيد ، ص ١٧٠ ووفيات الأعيان .

(١) هو عبد الله بن الزبيرى : أحد شعراء قريش المعدودين ، وكان يهجو المسلمين ، ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ، ثم أسلم فقبل النبي لإسلامه وأمنه يوم الفتح - انظر ترجمته في الأغاني ١٤ : ١١ - وفي رواية أن يزيد تمثل بقول ابن الزبيرى حينما حىء إليه برأس الحسين وآله كما قدمنا - انظر بلاغات النساء ص ٢٥ - وفي رواية أخرى أنه حين بعث إليه مسلم بن عقبة المري برءوس أهل المدينة (بعد انتصاره عليهم في وقعة الحرة سنة ٦٣) وألقبت بين يديه ، حمل يتمثل بقول ابن الزبيرى المذكور ، فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارتددت عن الإسلام يا أمير المؤمنين . قال : بلى نستغفر الله ، قال : والله لا ساكتك أرضاً أبداً وخرج عنه - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٥٧ - .

(٢) هذا البيت من قصيدة قالها ابن الزبيرى يوم أحد (وهو حينئذ مشرك) انظرها في سيرة ابن هشام ٢ : ١١٢ ، وشرح ابن أبى الحديد م ٣ ص ٣٨٢ - وكانت الغلبة يوم بدر للمسلمين . ويوم أحد للمشركين ، والأسل : الرماح والنبيل ، والخزرج : قبيلة من الأنصار .

(٣) كل من رفع صوته فقد أهل إهلالاً ، واستهل استهلالاً ، وشلت يده تسل . كتمب يتعب وأشات وشات مبينين المعجول : ببست ، وهى جملة دعائية ، وفى الأصل « لا تسل » وهو تصحيف - وهذا البيت من قول يزيد - .

(٤) فى سيرة ابن هشام :

فقتلنا الضعف من أنرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

وفى ابن أبى الحديد : « فقتلنا النصف . . . » وفى بلاغات النساء : « فجزيناهم ببدر مثلها » .

كان تجويرُ النابتِ لربه ، وتشبيههُ بخلقه ، أعظمَ من ذلك وأفظحَ ، على أنهم يُجمعون على أنه : ملعونٌ من قَتَلَ مؤمناً ، متعمداً أو متأولاً ، فإذا كان القاتل سلطاناً جائراً ، أو أميراً عاصياً ، لم يستجلبوا سبَّهُ ولا خلَعَهُ ولا نَفِيَهُ وَلَا عَيْبَهُ ، وإن أخافَ الصلحاء ، وقَتَلَ الفقهاء ، وأجاعَ الفقيرَ ، وظلمَ الضعيفَ ، وعَطَّلَ الحدودَ والثغورَ ، وشربَ الخمرَ ، وأظهرَ الفجورَ ! ثم ما زال الناس يتسكعون مرةً ، ويدهفونهم مرةً ، ويقاربونهم مرةً ، ويشاركونهم مرةً ، إلا بقميةٍ يمنَّ عَصَمَهُ اللهُ تعالى ذكرهُ ، حتى قام عبدُ الملك بن مروانَ ، وابنه الوليدُ ، وعاملُهُما الحجاج بن يوسف ، وموؤهُ لا يزيد بن أبي مُسلمٍ ، فأعادوا على البيت بالهدم^(١) ، وعلى حرَمِ المدينة بالفرز^(٢) ، فهَدَمُوا الكعبةَ ، واستباحوا الحُرمةَ ، وحوَّلُوا قِبْلَةَ واسِط^(٣) ، وأخروا صلاةَ الجمعة إلى مُغِيرِبان^(٤) الشمس ، فإن قال رجل لأحدهم : اتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها ، قَتَلَهُ على هذا القول جِهارةً غيرَ خَتَلٍ^(٥) ، وعَلانيةً غيرَ سِرٍّ ، ولا يُعلم

(١) يعنى ما كان من مقاتلة الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة وحصره ليلته ورميه الكعبة بالمنجنيق في عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ - انظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٢ (والمنجنيق بفتح الميم وتكسر : آلة ترمى بها الحجارة) .

(٢) بعث عبد الملك بن مروان سنة ٦٥ حبش بن دجلة القيسى في سبعة آلاف إلى المدينة فدخلها ثم خرج إلى الربذة (قرب المدينة) وقدم عليه مدد من الشام ، وكتب هب عبد الله بن الزبير إلى عياش ابن سهل الساعدي بالمدينة أن يسير إلى حبش فصار إليه ، وقد وافاه مدد من البصرة ، ونشب القتال بين الفريقين ، فقتل حبش ومن معه - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٦٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٨٤ .

(٣) انظر ص ٩ من الجزء الثالث .

(٤) أى إلى غروبها ، نقل ابن أبي الحديد في شرحه م ٣ : ص ٤٧٠ : « كان بنو أمية يؤخرون صلاة الجمعة تشاغلاً عنها بالخطبة ، ويطيلون فيها إلى أن تتجاوز وقت العصر ، وتكاد الشمس تصفر ، فعل ذلك الوليد بن عبد الملك ، ويزيد أخوه ، والحجاج عاملهم ، ووكل بهم الحجاج المسالح معه (والمسالح جمع مسلحة بالفتح : وهى القوم ذرو سلاح) والسيوف على رؤوسهم ، فلا يستطيعون أن يصلوا الجمعة في وقتها ، وقال الحسن البصرى : واعجبا من أخيش أعيمش ، جاءنا ففتنا عن ديننا ، وصعد على منبرنا ، فيخطب والناس يلنفتون إلى الشمس ، فيقول : ما بالكُم تلتفتون إلى الشمس ! إنا والله مانصلى للشمس ، إنما نصلى لرب الشمس ، أفلا تقولون : يا عدو الله ، إن لله حقاً بالليل لا يقبله النهار ، وحقاً النهار لا يقبله بالليل ؟ ثم يقول الحسن : وكيف يقولون ذلك ، وعلى رأس كل واحد منهم علق قائم بالسيف - اقرأ هناك فصلاً طويلاً في مقابح بني أمية .

(٥) الختل : الخداع .

القتلُ على ذلك إلا أقبحَ من إنكاره، فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه ؟

وقد كان بعض الصالحين ربما وَعَظَ الجبابةَ ، وخوَّفَهم العواقبَ ، وأَراهم أن في الناس بَئِيَّةَ يَنْهَوْنَ عن الفساد في الأرض ، حتى قام عبدُ الملك بن مروان ، والحجاجُ ابن يوسف ، فزَجَرَا عن ذلك وعاقبَا عليه ، وَقَتَلَا فيه ، فصاروا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، فاحسِبِ تحويلَ القبلةِ كان غلطاً ، وهدَمَ البيتِ كان تأويلاً ، واحسِبِ ما رَوَوْا من كل وجه أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله أرفعُ عنده من رسوله إليهم^(١) ، باطلا وهو مسموعاً مؤلداً ، واحسِبِ وَسَمَ أيدي المسلمين^(٢) ، ونَقَشَ أيدي المسلمات ، وردَّهم بعد الهجرة إلى قراهم ، وَقَتَلَ الفقهاء ، وسَبَّ أئمَّةَ الهدى ، والنَّصَبَ لِعِتْرَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكون كفراً ، كيف تقول في جَمْعِ ثلاثِ صلوات فيمن الجمعة ، ولا يُصَلُّونَ أولاهنَّ حتى تصير الشمس على أعلى الجُدْرانِ كاللآءِ المُعْصَفِرِ^(٣) ، فإن نطقَ مُسْلِمٍ خُيِّطَ بالسيف ، وأخذته العمدُ ، وشكَّ بالرماح ، وإن قال قائل : اتق الله ، أخذته العِزَّةُ بالإثم ، ثم لم يرضَ إلا بنثر دماغه على صدره ، وبِصَلْبِهِ حيث تراه عياله .

(١) عقد صاحب العقد الفريد ١٩ في أخبار الحجاج فصلا فيمن زعم أنه كان كافراً (ج ٣ : ص ١٩) جاء فيه أنه قال في كلام له : « ويحكم ! خليفة أحدكم في أهله أكرم عليه ، أم رسوله إليهم ؟ » وجاء في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤٧٠ « وخطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بالمدينة فقال : تبا لهم ، لأنما يطوفون بأعواد ورمة بالية ، حلاطافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ؟ ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله ! »

(٢) وجاء في شرح ابن أبي الحديد أيضا : « وكانت بنو أمية تختم في أعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعدادهم ، ونقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم ، كما يصنع بالهوج من الروم والحبشة »

وجاء في تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٦ « وفي سنة ٧٤ استعمل عبد الملك الحجاج على المدينة ، فكان يتعبث بأهلها ويتعضهم ، واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فختم في أعناقهم ، وعن إسحق بن يزيد أنه رأى أنس بن مالك مغموماً في عنقه ، يريد أن يذله بذلك ، ودعا الحجاج سهل بن سعد ، فقال : ما صنعتك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال : قد فعلت ، قال : كذبت ، ثم أمر به فختم في عنقه برصاص » .

(٣) أي الصبوغ بالمعصفر كبرق وهو صبغ أصفر .

ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرد على الله عز وجل ، والاستخفاف بالدين ، والتهاون بالمسلمين ، والابتدال لأهل الحق ، أكل أمراثهم الطعام ، وشربهم الشراب ، على منابرهم أيام جمعهم^(١) وجموعهم ، فقل ذلك حُبَيْشُ ابن دُبَلْجَةَ^(٢) ، وطارق^(٣) مولى عثمان ، والحجاج بن يوسف وغيرهم ، وذلك إن كان كفرا كله فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا ، وروافض دهرنا ، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك . كان اختلاف الناس في القدر على أن طائفة تقول : كل شيء بقضاء وقدر ، وتقول طائفة أخرى : كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي ، ولم يكن أحد يقول : إن الله يعذب الأبناء لينغيظ الآباء ، وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان مثل العمى والبصر ، وكانت طائفة منهم تقول : إن الله يرى ، لا تزيد على ذلك ، فإن خافت أن يُظَنَّ بها التشبيه ، قالت : يرى بلا كيف ، تفرُّزا من التجسيم والتصوير ، حتى نبتت هذه الغائبة ، وتسكمت هذه الرافضة ، فقالت جسيما ، وجمعت له صورة وحدا ، وأكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير .

ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسنٌ وبينٌ وحجة وبرهان ، وأن التوراة غير الزبور ، والزبور غير الإنجيل ، والإنجيل غير القرآن ، والبقرة غير آل عمران ، وأن الله تولى تأليفه ، وجعله برهانه على صدق رسوله ، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد ، ولو شاء أن ينقص منه نقص ، ولو شاء أن يبدله بدله ، ولو شاء أن يبدله كله بغيره نسخته ، وأنه نزل تنزيلا . وأنه نصَّله تفصيلا ، وأنه بالله كان دون غيره ، ولا يقدر

(١) وجاء في شرح ابن أبي الحديد أيضاً : « وكانت خطباء بني أمية تأكل وتشرب على المنبر يوم الجمعة ، لإطاعتهم في الخطبة ، وكان المسلمون تحت منبر الخطبة يأكلون ويشربون » .

(٢) في الأصل « حسن » وهو تحريف ، وقد قدمنا لك أن عبد الملك بعثه في جيش إلى المدينة ، فلما دخلها جلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بنجر ولحم فأكل ، ثم دعا بجماء فتوضأ على المنبر - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٦٣ .

(٣) هو طارق بن عمرو ، مولى عثمان ، ولاء عبد الملك المدينة سنة ٧٣ هـ ، فولياها خمسة أشهر ، ثم عزله عنها واستعمل عليها الحجاج سنة ٧٤ هـ - انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

عليه إلا هو ، غير أن الله مع ذلك كله لم يَخْلُقْهُ ، فأعطوا جميع صفات الخلاق ، ومنعوا اسم الخلاق .

والعجب أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه ، فلذا قالوا : خلق كذا وكذا ، ولذلك قال : « أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » وقال : « وَتَخْلُقُونَ إِنْكَاءً » وقال : « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ » فقالوا : صَنَعَهُ وَجَعَلَهُ وَقَدَّرَهُ ، وأنزله وفصله وأحدثه ، ومنعوا « خَلَقَهُ » وليس تأويل « خَلَقَهُ » أكثر من « قَدَّرَهُ » ولو قالوا بدل قولهم « قَدَّرَهُ ولم يَخْلُقْهُ » : « خَلَقَهُ ولم يُقَدِّرْهُ » ما كانت المسألة عليهم إلا من وجه واحد . والعجب أن الذي منعه بزعمه أن يزعم أنه مخلوق ، أنه لم يسمع ذلك من سلفه ، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضا من سلفه أنه ليس بمخلوق ، وليس ذلك يهيم ، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفة ، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة ، وكنا لكلامنا غير خالقين ، وجب أن الله عز وجل لكلامه غير خالق ، إذ كنا لكلامنا غير خالقين ، وإنما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وإن لم يُقَرُّوا بذلك بالسنتهم ، فذلك معناتهم وقصدهم .

وقد كانت هذه الأمة لا تجاوز معاصيها الإثم والضلال ، إلا ما حكيت لك عن بني أمية وبني مروان وعمّالهم ، ومن لم يدن بكفارهم ، حتى نجمت النوابت ، وتابعتها هذه العوام ، فصار الغالب على هذا القرن الكفر ، وهو التشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من مَفْزَى في الأعمال التي هي الفسق ، وصاروا شركاء (١) من كفر منهم بقولهم وترك إكفارهم ، قال الله عز وجل من قائل « وَمَنْ يَتَرَ لَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ » .

(١) في الأصل « وشركاء » .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحققين ، ورزحهم ، وقوى ضعفهم ، وكثر قلتهم ، حتى صار ولاة أمرنا في هذا الدهر الصعب ، والزمن الفاسد ، أشد استبصارا في التشبيه من علينا ، وأعلم بما يلزم فيه منا ، وأكشف للقناع من رؤسائنا ، وصادفوا^(١) الناس وقد انتظموا معان^(٢) الفساد أجمع ، وبلغوا غايات البدع ، ثم قرنوا بذلك العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم ، والحمية التي لا تبقى ديننا إلا أفسدته ، ولا دنيا إلا أهلكتها ، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية^(٣) ، وما قد صار إليه الموالى من الفخر على العجم والعرب ، وقد نجمت من الموالى نائحة ، ونبتت منهم نايبة ، تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيا ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » ولقوله : « الولاء لحمة^(٤) » كحمة النسب ، لا يباع ولا يوهب ، قال : فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ، ولما حوّل ذلك إلى العرب صارت العرب أشرف منهم ، قالوا : فنحن معاشر الموالى - بقديما في العجم - أشرف من العرب ، وبالحديث الذي صار لنا في العرب - أشرف من العجم ، وللعرب القديم دون الحديث ، ولما خصلتان جميعا وافتتان فينا ، وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى - بعد أن كان عجميا - عربيا بولائه ، كما جعل حليف قريش من العرب قرشيا بحلفه ، وجعل إسماعيل - بعد أن كان أعجميا - عربيا ، ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن إسماعيل كان عربيا » ما كان عندنا إلا أعجميا ، لأن الأعجمي لا يصير عربيا ، كما أن العربي لا يصير أعجميا ، فإنما علمنا أن إسماعيل صيره الله عربيا بعد أن كان أعجميا ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، فكذلك حُكمُ قوله « مولى القوم منهم » وقوله « الولاء لحمة » قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أباً لمن لم يلد ، كما جعله أباً

(١) في الأصل : « وصادفوا » وهو تحريف .

(٢) المعان : المباشرة والنزل . (٣) هم معتقرو أمر العرب .

(٤) الحمّة : القرابة .

لمن ولد ، وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين^(١) - ولم يلدن منهم أحدا - وجعل الجارَ
والدَّ من كَمَّ يَلِدُ في قولٍ ، وغير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس أدعى إلى
الفساد ، ولا أجابَ للشَّرِّ من المفاخرة ، وليس على ظاهرها إلا نخور - إلا قائل - وأىُّ
شيء أغيظ من أن يكون عَبْدُكَ يزعم أنه أشرف منك - وهو مُقِرٌّ أنه صارَ شريفاً
بِمِيتَتِكَ إياه - ؟ .

وقد كتبتُ - مدَّ الله في عُمرِكَ - كتباً في مفاخرة وَحُطَّان ، وفي تفضيل عدنان .
وفي ردِّ الموالى إلى مكانهم من الفضل والنقص ، وإلى قَدْرِ ما جعل الله تعالى لهم
بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عدلاً بينهم ، وداعيةً إلى صلاحهم ، وَمَنْبِهَةً
عليهم ولهم ، وقد أردتُ أن أرسل بالجزء الأول إليك ، ثم رأيتُ ألا يكون إلا بعد
استئذانك واستئثارك^(٢) ، والانتها في ذلك إلى رغبتك ، فرأيتُ فيه مَوْفَقٌ إن شاء الله
عز وجل وبه الثقةُ « : « رسالة للجاحظ في بني أمية (٣) » .

٧٠ - رسالة أبي العاص^(٤) بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فإن جلوسك إلى الأضمعي^(٥) ، وعُجْبِكَ
بِسَهْلِ بن هرون ، واسترجاحتك إسماعيلَ بن غزوان ، وطعنك على مُرَبِّسِ بن عمران ،
وخطأتك^(٦) بابن مُشَارِكِ ، واختلافك إلى ابن التَّوَمِ ، وإكثارك من ذكر المال
وإصلاحه ، والقيام عليه واصطفاعه ، وإطنائك في وصف الترويح والتشهير^(٧) ،

(١) قال تعالى : « النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » .

(٢) الاستئثار : المشاورة .

(٣) رسالة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٨٥٥ أدب .

(٤) ذكره صاحب الأغاني في خلال ترجمة محمد بن منذر - إذ كان أخوه عبد المجيد بن عبد الوهاب

صديقاً حميلاً لابن منذر - انظر ج ١٧ : ص ١٢ .

(٥) هو الراوية المشهور ، وكان بخيلاً ، توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٦) المخلطة بالكسر : العشرة (وبالضم : الشركة) . (٧) ثم ماله : نعامه وكثره .

وحسن التمهّد والتوفير ، دليل على خبيء سوء ، وشاهد على عيب وإدبار ، بعد أن كنت تستعمل ذكركم ، وتستشنع فعلهم ، وتمعجب من مذهبهم ، وتُسرف في ذمهم ، وليس يلهج بذكر الجمع^(١) إلا من قد عزم على الجمع ، ولا يأنس بالبخلاء إلا المستوحش من الأسغياء ، وفي تحفظك قول سهل بن هرون : في الاستعداد في حال المهلة ، وفي الأخذ بالثمة^(٢) ، وأن أقبح التفريط ما جاء مع طول المدة ، وأن الحزم كل الحزم ، والصواب كل الصواب ، أن تستظهر على الحدّثان^(٣) ، وأن تجعل ما فضل عن قوام الأبدان ، ردياً^(٤) دون صرف الزمان ، وأنا لا ننسب إلى الحكمة ، حتى نحوط أصل النعمة ، بأن نجعل دون فضولها جنة^(٥) ، شاهد^(٦) على عجبك بمذهبه ، وبرهان على ميلك إلى سبيله ، وفي استحسانك رواية الأصمعي في : « أن أكثر أهل النار النساء والفقراء ، وأن أكثر أهل الجنة البله والأغنياء ، وأن أرباب الدثور هم الذين ذهبوا بالأجور^(٧) » برهان^(٨) على صحة حكمتنا عليك ، ودليل على صواب رأينا فيك ، وفي تفضيلك^(٩) كلام ابن غزوان حين قال : تنعمتم بالطعام الطيب ، وبالثياب الفاخرة ، وبالشراب الرقيق ، وبالغناء المطرب ، وتنعمنا بعز الثروة ، وبصواب النظر في العاقبة ، وبكثرة المال ، والأمن من سوء الحال ، ومن ذل الرغبة إلى الرجال ، والمعجز عن مصلحة العيال ، فتلك لذتكم ، وهذه لذتنا ، وهذا رأينا في التسلم من الذم ، وذاك رأيكم في التعرض للحمد ، وإنما ينتفع بالحمد

(١) أي جم الأموال .

(٢) أي بادخار ما يمكن ادخاره حتى يبقى المرء بقدرته على مكافأة المطوب إن نزلت به .

(٣) تستظهر : تستعين ، والحدّثان : حوادث الدهر ونوبه .

(٤) الردء : العون والمادة .

(٥) الجنة : الوفاية . (٦) مبتدأ خبره « في تحفظك » .

(٧) جاء في لسان العرب : « وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له : ذهب أهل الدثور بالأجور ، قال أبو عبيد : واحد الدثور دثر بالفتح ، وهو المال الكثير ، يقال : هم أهل دثر ودثور ، ومال دثر » .

(٨) برهان : واحد الدثور دثر بالفتح ، وهو المال الكثير ، يقال : هم أهل دثر ودثور ، ومال دثر » .

(٩) مبتدأ خبره : « في استحسانك » . (٩) معطوف على الخبر السابق .

السليمُ الفارغُ البال ، ويُسرَّ بالذات الصحيح الصادقُ الحس ، فأما الفقيرُ فما أغناه من
الحمد ، وأفقره إلى ما به يجد طعمَ الحمد ، والطعامُ الذي آثرتموه يعود رَجِيماً^(١) ،
والشراب بصير بولا ، والبناء يعود نقضاً^(٢) ، والغناء^(٣) ريح هابئة ، ومُستقط للمروءة ،
وسخافةٌ تُفسد ، ورنَّةٌ تَسِير^(٤) ، فلذتكم فيما حوى لكم الفقرَ ونقضَ المروءة ،
ولذتنا فيما حوى لنا الغنى وبني المروءة ، فنحن في بناء ، وأنتم في هدم ، ونحن في
إبرام ، وأنتم في نقض ، ونحن في التماس العز الدائم مع فوت بعض اللذة ، وأنتم في
التعرض للذل الدائم مع فوت كل مروءة ، وقد فهمنا معنى حكايتك ، وما لهجت به
من روايتك ، والدليلُ على انتقاض طباعك ، وإدبار أمرك ، استحسانك ضدَّ ما كنت
تستحسِنُ ، وعشتك لمآلم تزل تمقت ، فبُعْدًا وَسُحْقًا . ولا يُبعدُ اللهُ إلا مَنْ ظلم ،
والشاعرُ أبصرُ بكم حيث يقول :

فإن سمعتَ بهُلكٍ للبخيلِ فقل بُعْدًا وَسُحْقًا لَهُ مِنْ هَالِكِ مُودِي^(٥)
تُرَائِهِ جَفَّةً لِلوَارِثِينَ إِذَا أُوْدَى وَجُثَامُهُ لِلتُّرْبِ وَالذُّودِ

وقال آخر :

تَبَيَّلى مَحَاسِنُ وَجْهِهِ فِي قَبْرِهِ وَالْمَالُ بَيْنَ عَدُوِّهِ مَقْسُومُ
والحمد لله الذي لم يُمتني حتى أرائيك وكيلاً في مالك^(٦) ، وأجيرا لوأرائك ، وأما
أنت فقد تعجَّلتَ للفقرِ قبل أوانه ، وصرت كالمجلود في غير لذة ، وهل تزيد حال مَنْ
أنفق جميعَ ماله ، ورأى المسكروه في عياله ، وظهر فقره ، وشئتَ به عدوه ، هل
أكثرَ مِنْ انصرافِ المؤنسينِ عنه ، وعلى بُغضِ عياله ، وعلى خُشُونَةِ الملبَسِ وخُشُونَةِ

(١) الرجيع : الروث . (٢) النقض : المنقوض ، وهو البناء المهدوم .

(٣) في بعض النسخ « والبناء » .

(٤) أي تذهب في الهواء وتزول .

(٥) أودى : هلك .

(٦) أي وكيلاً في مالك لوأرائك ، لانتنعم به انتفاع المالك .

الماكل ، وهذا كله مجتمع في مسك^(١) البغضيل ، ومصبوب^(٢) على هامة^(٣) الشحيح ،
ومعجل^(٤) للثيم ، وملازم^(٥) للترع ، ألا إن المنفق قد ربح المحمدة ، وتمتع بالنعمة ، ولم
يعطل^(٦) المقدرة^(٧) ، ووفى كل خصلة من هذه حقها ، ووفّر عليها نصيبها ، والمُسك
معدب^(٨) بحضر نفسه ، وبالكد^(٩) لغيره ، مع لزوم الحجّة ، وسقوط^(١٠) الهمة ، والتعرض
للذم والإهانة ، ومع تحكيم^(١١) المرّة^(١٢) السوداء في نفسه ، وتسليطها على عرضه ، وتمكينها
من عيشه وسرور قلبه . واند سري إليك عرق^(١٣) ، ولقد دخل أعرافك جور^(١٤) ،
ولقد عمل فيها قادح^(١٥) ، ولقد غالها غول^(١٦) ، وما هذا المذهب من أخلاق صميم
تقيف ، ولا من شيم^(١٧) أعرقت^(١٨) فيها قریش ، ولقد عرض لك إقرار^(١٩) ، ولقد
أفسدتك هجنة^(٢٠) ، ولقد قال معاوية : « من لم يكن من بني عبد المطلب جوادا فهو
دخيل^(٢١) ، ومن لم يكن من آل الزبير شجاعا فهو لزيق^(٢٢) ، ومن لم يكن من
بني المغيرة تياها فهو سديد^(٢٣) » . وقال سلم بن قتيبة : « إذا رأيت الثقيف يعز^(٢٤) من
غير إطعام^(٢٥) ، وبكسب^(٢٦) لغير إنفاق ، فبهزجه^(٢٧) ثم بهزجه ثم بهزجه » وقال

- (١) المسك : الجلد ، والمراد النفس . (٢) الهامة : الرأس ، والجمع هام .
(٣) أي لم يعطل المقدرة على فعل الخير و كسب الثناء .
(٤) المرّة : المزاج ، والمزاج الأسود : هو المزاج المضطرب الكثير المخاوف والوأساس .
(٥) أي اندس في أعرافك عرق خسيس ليس منها .
(٦) المراد بالجور هنا الابتعاد عن الطريق القويم .
(٧) القادح : أكال يقع في الشجر والأسنان ، والقادح : العفن ، يقول : أصيبت هذه الأعراف
والصفات بملّة قضت عليها .
(٨) صارت عريقة في الكرم .
(٩) الثقف : من كانت أمه عربية وأبوه أعجمي ، والمراد بالإقرار هنا ما يشبه الإقرار : أي
كأنك لم تكن عربياً صمياً .
(١٠) الهجنة : أن تكون الأم غير عربية والأب عربياً .
(١١) الدخيل : من يعيش بين القوم وليس منهم .
(١٢) من لزنق ينسب قوم وليس منهم .
(١٣) السديد : الدعوى ، وهو من ينتمى إلى غير أهله .
(١٤) المني : دون أن يعني بإطعام الفقراء ومساعدة المحتاجين . وفي الأصل « طعام » .
(١٥) بهزجه : أهمله .

ابن أبي رُزْدَةَ : « لولا شبابٌ تَقِيْفٌ وسفهاؤهم ، ما كان لأهل البصرة مالٌ (١) »
 إن الله جواد لا يَبْخُلُ ، وصدوقٌ لا يكذب ، وَوَفِي لا يَغْدِرُ ، وحليمٌ لا يَعْجَلُ ،
 وعدلٌ لا يظلم ، وقد أمرنا بالجود ، ونهانا عن البخل ، وأمرنا بالصدق ونهانا عن
 الكذب ، وأمرنا بالحلم ، ونهانا عن العجلة ؛ وأمرنا بالعدل ، ونهانا عن الظلم ، وأمرنا
 بالوفاء ، ونهانا عن الغدر ، لم يأمرنا إلا بما اختاره لنفسه ، وَكَمْ يَزُجُرُنَا إِلَّا أَعْمَاءٌ لم يَرْضَهُ
 لِنَفْسِهِ وقد قالوا بأجمعهم : إن الله أجودُ الأَجْوَدِينَ ، وأمجَدُ الأَمْجِدِينَ ، كما قالوا : أرحم
 الراحمين ، وأحسن الخالقين ، وقالوا في التأديب لسائلهم ، والتعليم لأجوادهم : لا تَجَاوِدُوا (٢)
 الله فإن الله جل ذكره أجودٌ وأمجَدُ ، وذَكَرَ نَفْسَهُ جَلَّ جلالُهُ وتقدَّستْ أسماؤُهُ ، فقال :
 ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٣) « وقال « ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » وقال : « ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »
 وذَكَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا : لم يَضَعْ درهما على درهم ، ولا أَمِنَةً على لبنَةٍ ،
 وَمَلَكَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَقَبَّضَ الصَّدَقَاتِ ، وَجُبِيَّتْ لَهُ الْأَمْوَالُ مَا بَيْنَ غُدْرَانَ الْعِرَاقِ إِلَى
 شَجَرِ عَمَّانِ (٤) ، إِلَى أَقْصَى مَخَالِفِ (٥) الْبَيْنِ ، ثُمَّ تُوْفِيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ ، وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ
 وَلَمْ يُسْأَلْ حَاجَةً قَطُّ فَقَالَ : لا ، وَكَانَ إِذَا سُئِلَ أُعْطِيَ ، وَإِذَا وَعِدَ أَوْ أُطْمَعَ كَانَ
 وَعْدُهُ كَالْعِيَانِ (٦) ، وَإِطْمَاعُهُ كَالْإِنْجَازِ ، وَمَدَحَتُهُ الشُّعْرَاءَ بِالْجُودِ ، وَذَكَرَتْهُ الْخَطْبَاءُ
 بِالسَّمْحِ ، وَلَقَدْ كَانَ يَهَبُ لِلرَّجُلِ الْوَاحِدِ الضَّاحِجَةَ (٧) مِنَ الشَّاءِ ، وَالْعَرِجَ (٨) مِنَ الْإِبِلِ
 وَكَانَ أَكْثَرَ مَا يَهَبُ الْمَلِكُ مِنَ الْعَرَبِ مِائَةَ بَعِيرٍ فَيُقَالُ : وَهَبَ هُنَيْدَةً (٩) ، وَإِنَّمَا

(١) أى لكثرة ما ينفقون في البصرة ويبدلون .

(٢) أى لا تحاولوا أن تصلوا في الجود إلى مثل جود الله .

(٣) الإفضال والإتمام . (٤) ساحل البحرين ، بين عمان وعدن .

(٥) المخلاف : الكورة ، بلغة أهل اليمن .

(٦) مصدر عاين الشيء : أبصره . والمعنى : أن وعده في الوثوق بتحققه كالشيء المشاهد .

(٧) الضاحجة : الغنم الكثيرة .

(٨) العرج بالفتح والكسر من الإبل : ما بين السبعين إلى الثمانين ، وقيل : هو ما بين الثمانين إلى

الخمسين ، وقيل مائة وحمون وفوق ذلك ، وقيل من خمسمائة إلى ألف .

(٩) هند وهنيذة : اسم المائة من الإبل خاصة .

يقال ذلك إذا أريد بالقول غاية المدح - ولقد وهب (۱) لرجل ألفَ بغير فلما رآها تزدهم في الموادي (۲) ، قال : أشهدُ أنك نبي ، وما هذا مما تجود به الأنفسُ ، وفخرتْ هاشم على سائر قريش فقالوا : نحن أطعمُ للطعام ، وأضربُ للهام ، وذكرها بعض العلماء فقالوا : أجوادُ أجدادُ ، ذُووُ السننِ حِداد . واجمعتِ الأممُ كلها بَخيلُها وسَخِيئُها وتمزُّوجُها (۳) ، على ذم البخل وحمد الجود ، كما أجمعوا على ذم الكذب وحمد الصدق ، وقالوا : أفضلُ الجودِ الجودُ بالجهود (۴) ، وحتى قالوا في جهد المقل (۵) وفيمن أخرج الجهدَ وأعطى الكل (۶) ، وحتى جعلوا ابن جاد بنفسه فضيلةً على من جاد بماله ، فقال الفرزدق :

على ساعة لو كان في القوم حاتمٌ على جوده ، ضَّتْ به نفسُ حاتم (۷)
ولم يكن الفرزدق ليضربَ المثلَ في هذا الموضع بكعب بن مامة ، وقد جاد بحوَّباه عند المصافنة (۸) ، فما رأينا عربياً سَفَهَ حِلْمَ حاتم لجوده بجميع ماله ، ولا رأينا

(۱) أي النبي صلى الله عليه وسلم .

(۲) الهادية والهادى : العنق ، والهادية من كل شيء : أوله وما تقدم منه ، وروى النسخ « القوادي » ولا معنى لها .

(۳) أي من امتزج فيه السخاء بالبخل ، فكان وسطاً بين الكريم والبخل .

(۴) المجهود هنا : الجهد ، أي الجود بقدر الجهد والطاقة ولو كان المعطى مقلاً .

(۵) أي قالوا في الثناء على الفقير الذي يجود بما يستطعم ، ففي الأثر : « أفضل العطية جهد المقل » . وقالوا : « جهد المقل أفضل من غنى الكثير » .

(۶) أي وقالوا فيمن بذل جهده على لإلالة ، وفيمن خرج عن كل ماله في بذل المعروف .

(۷) كان الفرزدق قد صافن رجلاً من بني الضبر بن عمرو بن تميم . فطلب منه الضبري أن يؤثمه على نفسه ففعل (والمصافنة في السفر : أن يقاسم الرفيق رفيقه الماء حتى لا يفن أحدهما الآخر) وروى البيت :

على ساعة لو أن في القوم حاتمٌ على جوده ما جاد بالماء حاتم

بكسر ميم حاتم على أنه بدل من الضبر في جوده .

(۸) الحوَّباه : النفس . وكان كعب بن مامة الإيادي أحد أجواد العرب الذين ضرب بهم المثل في الجود ، فليل : « أجود من كعب بن مامة » . ومن حديثه أنه خرج في ركب فيهم رجل من النمر ابن قاسط فظلموا فتصافنوا ماءهم ، فتعدوا للشرب ، فلما دار القعب فأنهى إلى كعب أبصر النمرى يحدد النظر إليه فأثره بمائه ، وقال للساق : اسق أخاك النمرى ، فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر فتصافنوا ببقية ما بينهم ، فنظر إليه النمرى كذاضه أمه ، فقال كعب كقولہ =

أحدا منهم سَفَهَ حِلْمَ كَعْبٍ عَلَى جُودِهِ بِنَفْسِهِ ، بَلْ جَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ كَعْبٍ لِإِيَادٍ مَفْخَرًا ،
 وَجَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ حَاتِمِ طَيِّئٍ مَأْتِرَةً لِعَدْنَانٍ عَلَى قَحْطَانٍ ، ثُمَّ لِلْعَرَبِ عَلَى الْعَجَمِ ،
 ثُمَّ لِسُكَّانِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلِأَهْلِ تِلْكَ الْبَرِّيَّةِ عَلَى سَائِرِ الْجَزَائِرِ وَالتُّرْبِ ، فَمَنْ أَرَادَ
 أَنْ يَخَالَفَ مَا وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِهِ نَفْسَهُ ، وَمَا مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، وَمَا فَطَرَ عَلَى تَفْضِيلِهِ الْعَرَبَ قَاطِبَةً ، وَالْأُمَّمَ كَافَّةً ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا فِيهِ إِلَّا
 إِكْفَارُهُ وَاسْتِغْثَاؤُهُ ، وَلَمْ نَرَ الْأُمَّةَ أَبْغَضَتْ جَوَادًا قَطُّ وَلَا حَقَّرَتْهُ ، بَلْ أَحَبَّتْهُ
 وَأَعْظَمَتْهُ ، بَلْ أَحَبَّتْ عَقِبَهُ وَأَعْظَمَتْ مِنْ أَجْلِ رَهْطِهِ ، وَلَا وَجَدْنَا مِنْهُمْ أَبْغَضُوا جَوَادًا
 لِمَجَاوِزَتِهِ حَدَّ الْجُودِ إِلَى السَّرَفِ وَلَا حَقَّرَتْهُ ، بَلْ وَجَدْنَا مِنْهُمْ يَتَعَلَّمُونَ مَنَاقِبَهُ ،
 وَيَتَدَارَسُونَ مَحَاسِنَهُ ، وَحَتَّى أَضَافُوا إِلَيْهِ مِنْ نَوَادِرِ الْجَمِيلِ (١) مَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَتَحَلَّوْهُ (٢)
 مِنْ غَرَائِبِ الْكِرْمِ مَا لَمْ يَكُنْ يَبْلُغُهُ ، وَلِذَلِكَ زَهَمُوا أَنْ الثَّنَاءُ فِي الدُّنْيَا يُضَاعَفُ كَمَا
 تَضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ فِي الْآخِرَةِ ، نَعَمْ وَحَتَّى أَضَافُوا إِلَيْهِ كُلَّ مَدِيحٍ شَارِدٍ ، وَكُلَّ مَعْرُوفٍ
 مَجْهُولٍ الصَّاحِبِ . ثُمَّ وَجَدْنَا هَوْلًا بِأَعْيَانِهِمْ (٣) لِلْبَخِيلِ عَلَى ضِدِّ هَذِهِ الصِّفَةِ ، وَعَلَى
 خِلَافِ هَذَا لِلذَّهَبِ ، وَجَدْنَا مِنْهُمْ يُبْغِضُونَهُ مَرَّةً ، وَيَحْقِرُونَهُ مَرَّةً ، وَيُبْغِضُونَ بِفَضْلِ
 بَغْضِهِ وَوَلَدَهُ ، وَيَحْقِرُونَ بِفَضْلِ احْتِقَارِهِمْ لَهُ رَهْطَهُ ، وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ مِنْ نَوَادِرِ الْاَثْمِ مَا لَمْ
 يَبْلُغُهُ ، وَمِنْ غَرَائِبِ الْبَخْلِ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَحَتَّى ضَاعَفُوا عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الثَّنَاءِ بِتَدْرٍ
 مَا ضَاعَفُوا لِلْجَوَادِ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ ، وَعَلَى أَنَا لَأَنْجِدَ الْجَوَائِحِ (٤) إِلَى أَمْوَالِ الْأَسْخِيَاءِ .

— أَسْ ، وَارْتَحَلَ الْقَوْمُ ، وَقَالُوا : يَا كَعْبُ ارْتَحِلْ ، فَلَمْ يَكُنْ بِهِ قُوَّةٌ لِلنَّهْوِ ، وَكَانُوا قَدْ قَرَّبُوا مِنَ الْمَاءِ ،
 فَقِيلَ لَهُ : رَدٌ - كَعْبٌ - لِأَنَّكَ رَوَادٌ ، فَعَجَزَ عَنِ الْبُؤَابِ وَمَاتَ عَطْشًا ، فَقَالَ أَبُوهُ مَامَةَ يَرْتِيهِ :
 أَوَّلَى عَلَى الْمَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ رَدٌ كَعْبٌ لِأَنَّكَ وَارِدٌ فَارْدَا
 • تَجَمُّ الْأَمْثَالِ ١ : ١٢٣ • وَقَوْلُهُ « وَلَمْ يَكُنِ الْفَرَزْدَقُ لِيضْرِبَ الْمَثَلَ » أَيُّ لِيَتَشَبَّهُ بِكَعْبِ بْنِ مَامَةَ -
 لِأَنَّهُ آثَرٌ هُوَ أَيْضًا الْعَنْبَرِيُّ عَلَى نَفْسِهِ - وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ ، وَالتَّقْدِيرُ : لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ إِلَّا لِبُلُوغِهِ
 الْغَايَةَ فِي كَرَمِ النُّفُوسِ .

(٢) تَحَلَّوْهُ : نَسَبُوا إِلَيْهِ .

(١) أَيُّ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ .

(٤) جَمْعُ جَائِحَةٍ : وَهِيَ الْآفَةُ .

(٣) فِي النُّسخِ « بِأَنْعَامِهِمْ » .

أسرعَ منها إلى أموال البخلاء ، ولا رأينا عددًا من البخلاء أقل ، والبخيلُ عند الناس ليس هو الذي يبخل على نفسه فقط ، فقد يستعقُ عندهم اسمَ البخيل ، ويستوجب الذمَّ ، من لا يدع^(١) لنفسه هوى إلا ركبته ، ولا حاجةً إلا قضاها ، ولا شهوةً إلا ركبها ، وبلغ فيها غايته ، وإنما يقع عليه اسمُ البخيل إذا كان زاهدًا في كل ما أوجبَ الشكرَ ، ونوّه بالذکر ، وأدّخر الأجر ، وقد يعلقُ البخيلُ على نفسه من المؤمن ، ويلزمها من الكلف ، ويتخذ من الجوارى والخدم ، ومن الدوابِّ والحشم^(٢) ، ومن الآنية العجيبة ، ومن البرزة^(٣) الفاخرة ، والشارّة^(٤) الحسنّة ، ما يربّي^(٥) على نفقة السخّيّ المثرى ، ويضعف^(٦) على جود الجواد الكريم ، فيذهبُ ماله وهو مذموم ، ويتغير حاله وهو مَلُوم ، وربما غلبَ عليه حبُّ القيانِ^(٧) ، واشتهر^(٨) بالخصيان ، وربما أفرط في حبِّ الصيد ، واستولى عليه حبُّ المراكبِ^(٩) ، وربما كان إتلافه في العرُسِ والخُرْسِ^(١٠) والوليمة ، وإسرافه في الإعذار^(١١) وفي العقيقة^(١٢) والوَ كيرة^(١٣) ، وربما ذهبت أمواله في الوضائع^(١٤) والودائع ، وربما كان شديدًا

- (١) في بعض النسخ « ولا يدع » . (٢) الحشم : الخدم .
(٣) الهبئة ، يقال : هو حسن البرزة .
(٤) الشارة هنا : الزينة واللباس .
(٥) يقال : أربى الشيء على كذا أى زاد عليه .
(٦) ضعف يضعف من باب كرم : زاد ، وفي الحديث « تضعف صلاة الجماعة على صلاة الفرد خسا وعشرين درجة » أى تزيد عليها .
(٧) جمع هينة : وهى الأمة البيضاء ، مغنية أو غير مغنية .
(٨) أى اشتهر بمجازة الخصيان ، وذلك ضرب من البذخ .
(٩) جمع مركب : وهو ما يركب من الخيل ونحوها .
(١٠) الخرس بالضم والخراس بالكسر : طعام يصنع ابتهاجا بالولادة .
(١١) الإعذار والعدار (بالكسر) والعذير والعذيرة : وليمة الختان ، وطعام البناء .
(١٢) الشاة تذبح في اليوم السابع من ولادة المولود ابتهاجا به ، وأصل العقيقة: الشعر الذى يكون على رأس الصبي حين يولد ، وإنما سميت تلك الشاة التى تذبح فى ذلك الحال عقيقة ، لأنه يعلق عنه ذلك الشعر عند الذبح .
(١٣) الطعام يتخذه الرجل ويدعو لإيه عند انتهاء ما كان بينه .
(١٤) جمع وضيمة : وهى ما يرضه الدائن من المدين من الدين .

البخل شديد الحب للذكر ، ويكون بخله أو شج ، ولو لمه أقبح ، فينفق أمواله ،
ويؤتلف خزائنه ، ولم يخرج كفافاً^(١) ولم ينجُ سليماً ، كأنك لم تر بخيلاً مخدوعاً^(٢) ،
وبخيلاً مضعوفاً^(٣) ، وبخيلاً مضياً ، وبخيلاً نفاجاً^(٤) ، وبخيلاً ذهب ماله في البناء ،
وبخيلاً ذهب ماله في الكيمياء^(٥) ، وبخيلاً أنفق ماله في طمع كاذب ، وعلى أمل
خائب ، وفي طلب الولايات ، والدخول في القبالات^(٦) ، وكانت فتنته بما يؤمل
من الإمرة ، فوق فتنته بما قد حواه من الذهب والفضة ، قد رأيناها يُنفق على مائدته
وفا كفته ألف درهم في كل يوم ، وعنده في كل يوم عرس^(٧) ، ولأن يطعن طاعن
في الإسلام أهون عليه من أن يطعن طاعن في الرغيف الثاني ، ولشق عصا الدين أهون عليه
من شق رغيف ، لا بعد الثلثة^(٨) في عرضه ثلثة ، ويعدها في تربدته من أعظم الثلم ،
وإنما صارت الآفات إلى أموال البخلاء أسرع ، والجوائح عليهم أكذب^(٩) ، لأنهم
أقل توكلاً ، وأسوأ بالله ظناً . والجواد إذا أن يكون متوكلاً ، وإما أن يكون
أحسن بالله ظناً ، وهو على كل حال بالمتوكّل أشبه ، وإلى ما أشبهه أنزع^(١٠) ، وكيفما
دار أمره ، ورجعت الحال^(١١) به ، فليس ممن يتكلم على حزمه ، ويلجأ إلى كَيْسِه ،

- (١) الأصل في معنى الكفاف ما يكف عن سؤال الناس ويغنى ، ومعنى لم يخرج كفافاً هنا :
لم يخرج خالياً من الدم .
(٢) يتخيل الكاتب أن المخاطب منكر دعواه لما فيها من الغرابة فهو يتجه إليه قائلاً : كأنك
لم تر بخيلاً مخدوعاً الخ .
(٣) المضعوف : ضعيف الرأي .
(٤) النفاج : المدعى المتباهى بما ليس فيه .
(٥) الكيمياء في زعمهم تحويل المعادن الخبيثة بالصناعة إلى معادن نفيسة .
(٦) القبالة : اسم لما يلتزمه الإنسان من عمل ودين ونحوهما ، والقبيل : الكفيل والضامن ، وقد
قبل به كصر وسمم وضرب .
(٧) العرس : من معانيه الوليمة .
(٨) الثلثة : الشق . (٩) أشد . (١٠) أميل .
(١١) تشابهت الحوادث عليه .

ويرجع إلى جودة احتياطه ، وشدة احتراسه ، واعتلال البخيل بالحدثان (۱) ، وسوء الظن بتقلب الزمان ، إنما هو كناية عن سوء الظن بمخالق الحدثان ، وبالذي يحدث الأزمان وأهل الزمان ، وهل تجري الأحداث إلا على تقدير المحدث لها ؟ وهل تختلف الأزمنة إلا على تعريف من دبرها ؟ أولسنا وإن جهلنا أسبابها فقد (۲) أيقنا بأنها تجري إلى غاياتها ؟ والدليل على أنه ليس بهم خوف الفقر ، وأن الجمع والمنع إما أن يكون عادة منهم ، أو طبيعة فيهم ، أنك قد تجد الملاك بخيلا ، ومملكته أوسع ، وخرجه أدر ، وعدوه أسكن ، وتجد آخر أكثر منه جودا (۳) ، وإن كانت مملكته أضيق ، وخرجه أقل ، وعدوه أشد حركة ، وقد علمنا أن الزنج أقصر الناس مرة (۴) وروية ، وأذهلهم عن معرفة العاقبة (۵) ، فلو كان سخاؤهم إنما هو إكلال حدهم (۶) ، ونقص عقولهم ، وقلة معرفتهم ، لكان ينبغي إفارس أن تكون أبخل من الروم ، وتكون الروم أبخل من الصقالبة (۷) ، وكان ينبغي في الرجال - في الجملة - أن يكونوا أبخل من النساء - في الجملة - وكان ينبغي للصبيان أن يكونوا أسخى من النساء ، وكان ينبغي أن يكون أقل البخلاء عقلا أعدل من أشد الأجواد عقلا ، وكان ينبغي للكلب - وهو المضروب به المثل في الأوم - أن يكون أعرف بالأمر من الديك المضروب به المثل في الجود (۸) ، وقالوا هو أسخى من

(۱) أي بالخوف من حوادث الدهر .

(۲) الفاء زائدة .

(۳) في بعض النسخ « وتجد أحزم منه جوادا » .

(۴) المرة : العقل والأصالة والإحكام ، وفي الأصل « مدة » وهو تحريف .

(۵) أي وهم مع ذلك أسخياء .

(۶) كلال الحد : أصله في السيف والسكين ونحوهما ، والمراد هنا قلة الذكاء .

(۷) الصقالبة : جيل تناخم بلادهم بلاد الخزر (في روسيا الآن) - وبحر الخزر بالتحريك هو بحر قزوين .

(۸) وصف الديك بالجود لأن من عادته أن يدعو الدجاج ويثير لها الحب .

لا فِظَةَ (١) ، وألأم من كلب على جيفة (٢) ، وألأم من كلب على عرق (٣) ، وقالوا :
أجمع كلبك يتبعك (٤) ، ونعم كلب في بؤس أهله (٥) ، وسمن كلبك يأكلك (٦)

(١) من أمثال العرب « أسمع من لافظة » قال الميداني . « قد اختلفوا فيها فقال بعضهم : هي الديك لأنه يأخذ الحبة بمنقاره فلا يأكلها ولكن يلقبها إلى الدجاجة - والهاء فيها للبالغة هاهنا - وقال بعضهم : هي النر التي تشلى للجلب فتجىء لافظة بجربتها فرحا بالجلب . وقال بعضهم : هي الحمامة ، لأنها تخرج ماني بطنها لفرخها ، وقال بعضهم . هي الرحي ، لأنها تلفظ ما تطحنه أي تقذف به ، وقال بعضهم هي البحر ، لأنه يلفظ بالدرة التي لا قيمة لها (أي لنفاستها) قال الشاعر :

تجود فتجزل قبل السؤل وكفك أسمع من لافظة

— انظر بجمع الأمثال ١ : ٢٣٨ .

(٢) أورده الميداني في بجمع الأمثال ١ : ١٥٤ « أحرص » .

(٣) ورد في بجمع الأمثال ٢ : ١٣٨ والعرق العظم أكل لحمه أو لم يؤكل .

(٤) وروى « جوع » مثل يضرب في معاشره اللثام وما ينبغي أن يعاملوا به ، وأول من قال ذلك ملك من ملوك حمير . كان عنيفا على أهل مملكته يفصمهم أموالهم ويسلبهم ما في أيديهم و كانت الكهنة تخبره أنهم سيقتلونه فلا يحفل بذلك . وسمعت امرأته أصوات السؤل فقالت : إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد . ونحن في العيش الرغد ، وإني لأخاف عليك أن يصبروا سباعا ، وقد كانوا لنا أنبعا ، فرد عليها : جوع كلبك يتبعك ، وأرسلها مثلا ، فلبت بذلك زمانا ، ثم أغزاهم فغنموا ولم يقسم فيهم شيئا ، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه وهو أميرهم : قد ترى مانحن فيه من الجهد ، ونحن نذكره خروج الملك منكم أهل البيت إلى غيركم ، فساعدنا على قتل أخيك واجلس مكانه ، وكان قد صرف بغيه واعتمده عايهم فأجابهم إلى ذلك ، فوثبوا عليه فقتلوه ، فر به عامر بن جذيمة وهو مقتول وقد سمع بقوله « جوع كلبك يتبعك » فقال : رعا أكل الكلب مؤدبه ، إذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلا - بجمع الأمثال ١ : ١١١ .

(٥) وروى « نعم الكلب في بؤس أهله » و « في بؤسى أهله » وذلك أن الجذب والبؤس يكثر الموتى والجيف ، وذلك نعم الكلب . قيل أصله أن بعض الأعراب كان له بئر يكرهه فينتقم بما يعود منه ، وله كلب يقصر في إطعامه فهو يتلف جوعا ، فأت البئر ، فرجم الرجل إلى سوء حال ، والكلب إلى خصب ، يضرب مثلا للرجل ينتقم بضر غيره ، بجمع الأمثال ٢ : ١٩٥ وجمرة الأمثال ٢ : ٢٣٤ .

(٦) وروى « أسمن » قالوا : أول من قال ذلك حازم بن المنذر الحناني . وذلك أنه مر بمحلة همدان فإذا هو بسلام ملفوف في ثوب خلق مبتذل ، فرحمه وحمله على مقدم سرجه حتى أتى به منزله ، وأمر أمة له أن ترضعه فأرضعته حتى فطم ، وأدرك وراهق الحلم فجعله راعيا لغمه ، وكان لحازم ابنة ، فهويت الغلام وهوبها ، وكان ذا منظر وجمال ، فكانت تنبئه إلى موضع الكلا فيتغازلان ، وابثا على ذلك أياما ، ثم إن أباهما افتقدها يوما وفتن لها فرصدها حتى إذا خرجت تبعها ، فأتتهن إليهما وهما على سوءة ، فلما رأها قال : سمن كلبك يأكلك ، فأرسلها مثلا ، وأفلت الغلام ولحق بقومه همدان واختنقت الفتاة فانت . وقيل : إن رجلا من طسم ارتبط كلبا ، فكان يسمه ويطعمه رجاء أن يصيد به ، فاحتبس عليه بطعمه يوما فدخل عليه صاحبه فوثب عليه فافترسه - بجمع الأمثال ١ : ٢٢٦ .

وأحرص من كلب على عني^(۱) صبي ، وأجوع من كلبه حومل^(۲) ، ولهو أبدأ من كلب^(۳) وحش فلان من خرم الكلب^(۴) ، واخساً ، كما يقال للكلب^(۵) ، وكالكلب في الآري^(۶) ، لا هو يعقلف ، ولا هو يترك الدابة تعقاف ، وقال الشاعر :

سرت ما سرت من ليها ثم عرست على رجل بالعرج الأم من كلب^(۷)
وقال الله جل ذكره : « فمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » وكان ينبغي في هذا القياس أن يكون المراوزة^(۸) أعقل البرية ، وأهل خراسان أدري البرية^(۹) ، ونحن لانجد الجواد يفر من اسم العرف إلى الجود ،

- (۱) بجمع الأمثل ۱ : ۱۵۴ والعنى : أول حدث الصبي ، وفي النسخ « عني ظي » وهو تحريف .
(۲) حومل : امرأة من العرب كانت تجبج كلبه لها ، فكانت تربطها بالليل للجراسة ، وتطردها بالنهار ، وتقول : التمس لنفسك لا ملتس لك ، فلما طال ذلك عاينها أكلت ذنبها من الجوع ، قال الكمي يذکر بنی أمیه ویدکر أن رعایتهم اللأمة کرعایة حومل لکلبتها :
كما رضيت جوعاً وسوء رعاية لکلبتها في سالف الدهر حومل
(۳) أي أخس ، ونداء الكلب هنا : كثرة هريبه لسبب ولغيره .
(۴) حش المال : كثرة ، أي كثر فلان ماله من أدنا الوجوه التي تشبه خرم الكلب .
(۵) أي وقالوا لمن يطرد اخساً كما يقال للكلب .
(۶) الآري : عبس الدابة . وحبل تشد به الدابة في محبسها .
(۷) الضمير يعود إلى الناقة ، والتعريس : نزول المسافر في آخر الليل للاستراحة ، والعرج : بلدة باليمن ، وواد بالحجاز ذو نخيل ، وموضع بيلاد هذيل ، ومنزل بطريق مكة .
(۸) المراوزة : أهل مرو الشارهبان : أشهر مدن خراسان وقصبتها : جم مروزي ، نسبة إلى مرو على غير قياس ، كأشاعرة جم أشعري - انظر معجم البلدان ۸ : ۳۳ .
(۹) أي لأنهم أشد الناس بخلا ، وقد عقد الجاحظ في كتاب البغلاء (ص ۱۴) فصلاً طويلاً في وصف بخلم قال فيه : « نبدأ بأهل خراسان ، لإكثار الناس في أهل خراسان ، ونحس بذلك أهل مرو بقدر ما خصوا به ، قال أصحابنا : يقول الروزي للزائر إذا أتاه ، وللجليس إذا طال جلوسه ، تفديت اليوم ؟ فإن قال نعم ، قال : لولا أنك تفديت لغديتك بفداء طيب ، وإن قال لا ، قال : لو كنت تفديت لسفنيك خمسة أقداح ، فلا بصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير ، و كنت في منزل ابن أبي كريمة - وأصله من مرو - فرآني أتوضأ من كوز خزف ، فقال : سبحان الله ، تتوضأ بالمذب ، والبئر لك معرضة ! قلت : ليس بمذب ، إنما هو من ماء البئر ، قال : فنفسد علينا كوزنا بالملوحة ! فلم أدر كيف أتخلص منه .

وقال ثمامة : لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لافط ، يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدام الدجاجة إلا ديسة مرو ، فإن رأيت ديسة مرو تسب الدجاج ما في منابرها من الحب ، قال : فعلت أن بخلم شيء =

كما نجد البخيل يفرُّ من اسم البُخلِ إلى الاقتصاد، ونجد الشجاع يفرُّ من اسم المهزِمِ،
والمستحي يفرُّ من اسم الخجلِ، ولو قيل لخطيبٍ ثابتِ الجنان « وَقَاحٌ » (۱) « لجزعَ
فلو لم يكن من فضيلة الجود إلا أن جميع المتجاوزين لحدود أصناف الخير يسكرون
اسم تلك الفضلة (۲) إلا الجواد، لقد كان في ذلك ما يُبين قدره، ويظهر فضله، المال
فَاتِنٌ، والنفسُ رَاغِبَةٌ، والأموالُ مَمْنُوعَةٌ، وهي (۳) على مامُنِعَتٍ حريصةٌ، والنفوس
في المكائِرَةِ عِلَّةٌ مَمْرُوفَةٌ، لأن من لا فكرة له ولا رويةً، مُوَكَّلٌ (۴) بتعظيم
ذی الثروة، وإن لم تكن منه منالة (۵)، وقد قال الأول:

وزادها كلفاً بالحب أن منعت وعب شيء إلى الإنسان ما منعا

وفي بعض كتب الفرس: كلُّ عزيز تحت القدرة فهو ذليل.

وقالت معاوية العديوية: كل مقدورٍ عليه فتني (۶) أو مختور، ولو كانوا الأولاد هم
يجمعون، ولهم يكذون، ومن أجلهم يحرصون، لجعلوا لهم كثيراً مما يطلبون،
ولتركوا محاسبتهم في كثير مما يشتهون، وهذا بعض ما بغض بعض الورثين إلى
الوارثين، وزهد الأخلاف (۷) في طول عمر الأسلاف، ولو كانوا أولادهم يُهَدُّون،

== في طبع البلاد وفي جواهر الماء، فمن عم جميع حيوانهم، حدثت بهذا الحديث أحمد ابن رشيد فقال:
كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبي له صغير يلعب بين يديه، فقلت له - إما عابثاً وإما محتجناً -: أطعني
من خبزكم، قال: لا تريد، هو مر، فقلت: فاسقني من ماءكم، قال: لا تريد، هو مالح،
قلت: هات من كذا وكذا، قال: لا تريد، هو كذا وكذا، إلى أن عدت أصنافاً كثيرة، كل
ذلك ينميه ويبغضه إلى، فضحك أبوه، وقال: يا ذئبنا، هذا من علمه مانع؟ يعني أن البخل طبع فيهم
وفي أعراقهم وطينتهم...»

(۱) الرجل الصلب الذي قل حياؤه.

(۲) أي الزيادة في الفضيلة وتجاوز الحد فيها.

(۳) أي النفس.

(۴) أي جاعل تعظيم ذی الثروة من شغفه كأنه واهع به مفتون.

(۵) التال والمنالة والمنال مصدر تال أتال، ويقال: تالت له بشيء أي جدت.

(۶) قلاه يقلبه قلى وقلاه، ويقلاه لغة طيه: أبغضه غاية البغض، قال ابن الكيت ولا يكون

في البغض إلا قلبت، وفي النسخ « فقلو ».

(۷) أخلاف جمع خلف بالتجريك: وهم أبناء الإنسان الذين يخلفونه بعد موته.

ولهم يجمعون، لما جمع الخُصِيانُ الأموال، وأما كَنَزَ الرُّهْبَانِ الكَنُوزَ، ولاستراح العاقِر من ذلِّ الرغبة، ولَسَلِمَ العقيمُ من كدِّ الحِرصِ، وكيف ونحن نجده بعد أن يموت ابنه الذي كان يعتلُّ به، والذي مِنْ أَجْلِهِ كان يجمع، على حاله (۱) في الطَّلَبِ والحِرصِ، وعلى مثلِ ما كان عليه من التَّجَمُّعِ والمنع، والعامَّة لم تقصِّر في الطَّلَبِ والتَّحَكُّمِ (۲)، والبِخْلَاءُ لم يحدُّوا شيئاً من جهدهم (۳)، ولا عَفَّوْا بعد قدرتهم (۴)، ولا قَصَّروا في شيء من الحِرصِ والتَّحَصُّرِ (۵)، لأنهم في دار قُلعة (۶)، وتعرَّضَ نَقْلُهُ (۷)، حتى لو كانوا بالخلود موقنين لأغفلوا تلك الفضول، فالبخيل مجتهد، والعامي غير مقصر، فمن لم يستعن على ما وصفتنا (۸) بطبيعة قوية، وبشهوة شديدة، وببظرف شافٍ، كان إما عامياً، وإما بخيلاً شقيماً، فقيم اعتلاهم بأولادهم، واحتجاجهم بخوف التلوث من أزمئتهم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أفيد كذب عنده كذبة - وكان جواداً - : «لولا خصلة (۹) وممك الله عليها، لشردت بك من وافر قوم» وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: هل لك في بيض النساء وأدم الإبل (۱۰)؟ قال: «ومن هم؟ قال: بنو مُدْجِج، قال: «يمنعني من ذلك قراهم الضيف، وصيتهم الرحيم» وقال لهم أيضاً: «إذا نحرُوا نَجَّوْا (۱۱)، وإذا آبَوْا عَجَّوْا (۱۲)» وقال للأَنْصار: مَنْ

(۱) متعلق الجار والمجرور مفعول ثان لتجد .

(۲) اسم من الاحتكار .

(۳) في النسخ «لم يحدوا» والصواب «لم يحدوا» أي لم يحبسوا جهودهم وجمع الأموال .

(۴) في النسخ «ولا عفووا» بالنصب، والصواب «ولا عفووا» أي عن الكد، والكدح بعد قدرتهم على العيش بما تجم لديهم من مال .

(۵) الحصر: البخل .

(۶) يقال: الدنيا دار قلعة، أي انتلاع وارتحال .

(۷) أي إن الدنيا دار يتعرض فيها المرء للانتقال .

(۸) وهو تمكن البخل والجشع في النفوس . (۹) وممقه: أحبه .

(۱۰) الأدم جمع آدم وأدماء، والأدمة في الإبل بالضم: لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح . والتقدير: هل لك في قوم بيض النساء . . .

(۱۱) نجوا: أسالوا دماء الذبائح في الحج .

(۱۲) التلية في الحج: قول ليك اللهم ليك، وعج يعج بالكسر والفتح: صاح ورفع صوته .

(۶ - جبهة رسائل العرب - رابع)

سیدکم؟ قالوا الحرة^(۱) بن قیس ، علی أنه بزَن^(۲) فینا بیخل ، فقال : « وأی داء أدوا من البخل ؟ » ثم جعله من أدوی الداء ، وقال للأنصار : « أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ إِلَّا لَتَكْفُرُونَ عِنْدَ الْفَرَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » وقال : « كفى بالمرء حرصاً ركوبه البحر » وقال : « لو أن لابن آدم واديين من مال لا يمتنى ثالثاً ، ولا يشبع ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » وقال : « السخاء من الحياء ، والحياء من الإيمان » وقال : « إن الله جواد يحب الجواد » وقال : « أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا^(۳) » وقال : « لاتوك فيو كي عليك^(۴) » وقال : « لاتخص فيعصى عليك » وقالوا : لا ينفك من زاد ما تبقى^(۵) ، ولم يسم الذهب والفضة بالحجرين إلا وهو يريد أن يضع من أقدارهما ، ومن فتنة الناس بهما ، وقال لقيس ابن عاصم : « إنما لك من مالك ما أكلت فأفغيت ، وما ابنت فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت ، وما سوى ذلك فلا وارث » وقال النمر بن تواب :

وَحَثَّتْ عَلَى جَمْعٍ وَمَنْعٍ ، وَنَفْسُهَا لها في سرُوف الدهر حق كذوب^(۶)
وَكَاثُرٌ رَأَيْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرْزَأٍ أَخِي ثِقَمَ طَلَقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبِ^(۷)
شَهِدْتِ وَقَاتُونِي ، وَكُنْتُ حَبِيبَتِي فقيرا إلى أن يشهدوا وتغيب^(۸)
أَعَاذِلُ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ بعيداً نأني صاحبي وقربي^(۹)

(۱) هكذا في العقد الربيع ، وفي النسخ « جد بن قيس » .

(۲) بزَن : يظن ويتهم .

(۳) في العقد : « أنفق بلالا ، ولا تخش من ذي العرش إقلالا » .

(۴) أو كي السقاء : شدفه بجبل . والمعنى : لا نجس الخير عن الناس فيجس عنك .

(۵) أي ما زاد على حاجتك .

(۶) الضمير في حثت يعود على زوجته ، يقول حثتني على جمع الأموال ومنع السائلين وقد كذبتنا نفسها

حقاً عند ما صورت لها الخوف من صروف الدهر وأحداثه .

(۷) المرزأ : الكريم يصاب من ماله كثيراً .

(۸) يقول . قد شهدتني وغاب عني هؤلاء الكرماء ، وكنت أظنني في حاجة إلى أن يخضروني

لأنهم على شاكائي في الكرم والجود وتغيب عني لأنك تأمريني بما لا يلائم شيمتي من الجهم والمنم .

(۹) جاء في لسان العرب : « قال أبو العباس المبرد : الصدى على صفة أوجه أحدها : ما يبق من

الميت في قبره ، وهو جثته . قال النمر بن تواب :

أعاذل إن يصبح صدای بقفرة
بعيدا نأني ناصري وقربي

تَرَىٰ أَنْ مَا أَبْقَيْتُ لِمِ أَكُ رَبِّهِ وَأَنْ الَّذِي أَمْضَيْتُ كَانَ نَصِيبِي (۱)
 وَذِي إِبِلٍ يَسْتَعِي وَيَحْتَبِئُهَا لَهُ أَخِي نَصَبٍ فِي رَعِيهَا وَدُؤُوبٍ (۲)
 غَدَّتْ وَغَدَا رَبُّ سِوَاهُ بِسَوْفِهَا وَبَدَّلَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَائِبٍ (۳)
 وَقَالَ أَيْضًا :

قَامَتْ تَبَاكِي أَنْ سَبَّاتُ لَفِئَةٍ زِقًا وَخَابِيَةً بَعُودٍ مُقَطَّعٍ (۴)
 وَقَرَيْتُ فِي مَقَرِّي قَلَائِصَ أَرْبَعًا وَقَرَيْتُ بَعْدَ قَرِي قَلَائِصَ أَرْبَعٍ (۵)
 أَتَبَكِّيًّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هَبْنِي؟ سَفَهُ بَكَاءِ الْعَيْنِ مَا لَمْ تَدْمَعِ (۶)
 فَإِذَا أَنَا فِي إِخْوَتِي فَدَعِيهِمْ يَتَعَلَّوْا فِي الْعَيْشِ أَوْ يَتَلَهَّوْا مَعِي (۷)

= فصداه : بدنه وجثته ، وقوله : نَأَى : أي نأى عني ، (ثم قال : والصدى : الذكر من اليوم . وكانت العرب تقول : إذا قتل قتيل فلم يدرك به النار خرج من رأسه طائر كالبومة ، وهي الهامة والذكر الصدى ، فيصبح على قبره اسقوني اسقوني ، فإن قتل قاتله كعب عن صباحه) - وقد أورد المبرد معاني الصدى مفصلة في شرحه لهذا البيت في كتابه الكامل ج ۱ : ص ۱۷۸ - وقال صاحب اللسان أيضاً في مادة نأى : « قال المبرد : نَأَى فِيهِ وَجْهَانٌ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ بِمَعْنَى أَبْعَدَنِي كَقَوْلِكَ زِدْتَهُ فزاد وتقصته فنقص والوجه الآخر في نَأَى أَنَّهُ بِمَعْنَى نَأَى عَنِّي ، قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ : وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْمَرْوُفُ الصَّحِيحُ ، وَجَاءَ فِي الْكَامِلِ : « تَأْوِيلُ قَوْلِهِ نَأَى نَأَى بِكَوْنِهِ عَلَى ضَرْبَيْنِ : يَكُونُ أَبْعَدَنِي . وَأَحْسَنُ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ أَنَا نَأَى ، وَقَدْ رُوِيَ هَذِهِ اللَّغَةُ الْآخَرَى وَلَيْسَتْ بِالْحَسَنَةِ ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ فِي حُرُوفٍ ، يُقَالُ : غَاضَ الْمَاءُ وَغَضَّتْهُ ، وَنَزَحَتِ الْبُيْرُ وَنَزَحَتْهَا ، وَهَبَطَ الشَّيْءُ وَهَبَطَتْهُ - وَبَنُو تَمِيمٍ يَقُولُونَ أَهْبَطْتَهُ - وَأَحْرَفَ سِوَى هَذِهِ بِسَبْرَةٍ ، وَالْوَجْهَ فِي فِعْلِ أَفْعَلْتَهُ نَحْوَ دَخَلَ وَأَدْخَلْتَهُ ، وَمَاتَ وَأَمَاتَهُ اللَّهُ ، فَهَذَا الْبَابُ الْمَطْرُودُ ، وَيَكُونُ نَأَى فِي مَوْضِعِ نَأَى عَنِّي ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُواهُمْ يُخْسِرُونَ » أَي كَالُوا لَهُمْ وَوَزَنُوا لَهُمْ .

- (۱) لم أك ربه : أي لم أك صاحبه ، وإنما هو مال الوارث .
- (۲) « في رعيها » رواية المبرد ، وفي الأصل « في شقها » .
- (۳) أحجاراً : أي أحجار القبر ، والجبال : ناحية القبر وجانبه ، والقيب : البئر ، والمراد هنا القبر .
- (۴) تباكي : أي أسفا لكثرة ما أبغل للضيوف ، وسبأ الخمر كجعل : شراها . والزق والحايبة : وعاءان ، والعود : المسن من الإبل ، والمقطع : البعير قام من الهزال .
- (۵) قرى الضيف كرمي قرى بالكسر : أضافه وأحسن إليه (وهو هنا على معنى أطعمت) ، والمقرى : مفتح الميم : مكان القرى (وبالكسر : الجفنة) والقلائص جمع قلوب كصبور وهي الناقة الشابة القوية ، والمعنى : أطعمت أضياف قلائص أربعا ثم قرئتهم بعد ذلك .
- (۶) قصد بالتبكي هنا التباكي وهو تكاف البكاء .
- (۷) يتعللوا بالعيش : يتشاغلوا ويتلهوا به ، وفي الأصل « في العيش » .

لا تطاردتهم عن فراشي ، إنه لا بُدَّ يوماً أن سينخلو مضجعي^(١)
 هـلاً سألت بعادياً وبيته والخيل والخمر التي لم تمنع^(٢)
 وقال الحارث بن حلزة:

بينما الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خاليج^(٣)
 يترك مارقح من عيشه يبعث فيه همج هاميج^(٤)
 لانكسع الشؤل بأغبارها إنك لا تدري من الناتج^(٥)
 وقال الهذلي:

إن الكرام مناهبو ك المجد كلهم فناهب^(٦)
 أخلف وأتلف ، كل شئ ذرعته الريح ذهب^(٧)

(١) أي سأموت .

(٢) عادياً : أبو السموءل ، ورواية صاحب اللسان « والحل » بدل « والخيل » .

(٣) تاح له الشئ : يتوح ويتيح : تهاياً . خاليج : فالج منزع .

(٤) الترقيح والترقع : إصلاح المعيشة . والهمج : الرعاع من الناس والهمل الذين لانظام لهم ،

وهامج تو كيد له كقولهم يوم أبوم وليل أليل وليل لائل وائلة ليلاء ووتد واتد .

(٥) الكائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجنف لها ، جمعها شول على

غير قياس ، وأغبار جمع غير بالضم : وهو بقية اللبن في الضرع ، وكسم الناقة بغيرها كتم : ترك في خلفها

بقية من اللبن يريد بذلك تزييرها ، وهو أشد لها ، وإذا ولي الإنسان ناقة أو شاة ماخضاحت تضح قبل

نتجها نتجا من باب ضرب ، فالإنسان كالنابلة لأنه يتلقى الولد ويصالح من شأنه ، فهو ناتج والبهيمة منتوجة

والولد نتيجة ، وأورد صاحب اللسان بعد هذا البيت بيتاً آخر وهو :

واحلب لأضيافك ألبانها فإن شر اللبن الوالج

قال « والوالج : أي الذي يلج في ظهورها من اللبن المكسوع ، يقول : لا تغزر إبلك تطلب بذلك

قوة نسائها ، واحلبها لأضيافك فلعل عدوا يغير عليها فيكون نتاجها له دونك » وقل البرد في السكامل -

ج ١ : ص ١٨٠ - « قوله * لا تكسم الشول بأغبارها * فإن العرب كانت تنضح على ضروعها الماء

البارد ليكون أسمن لأولادها التي في بطونها ، وانعبر بقية اللبن في الضرع ، فيقول : لا تبق ذلك اللبن أسمن

الأولاد فإنك لا تدري من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يغار عليها » .

(٦) فاهبه : باراه في العدو ، مناهبوك المجد : أي مسابقوك في إحرازه .

(٧) ذرعته : حر كته ، وفي البيان والتبيين : زعزعته الريح ، ونسب الشعر إلى المسعودي .

وقالت امرأة :

أنت وهبت الفقية السَّاهِبَ وإبلا بحارٍ فيها الحالب^(۱)
وغنما مثل الجرادِ الهاربِ متاعُ أيامٍ ، وكلُّ ذاهبٍ^(۲)

وقال تميم بن مقبل :

فأخيف ، وأتلف ، إنما المال عارةٌ وكُله مع الدهر الذي هو آكلةٌ^(۳)

وقال أبو ذرٍّ : « لك في مالك شريكان : الوارثُ والحدَّانُ » وقال الحطَّيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وجاء في الأثر : « إن أهل المعروف في الدنيا أهلُ المعروف في الآخرة »

وفي المثل : « اصنع الخيرَ ولو إلى كلب » وفي الحث^(۴) على القليل - فضلا عن الكثير -

قال الله جل ذكره : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ » وقالت عائشة في حَبَّةِ عَنب : « إن فيها لثناقيلَ ذر » ولذلك قالوا في المثل

« من حَفَرَ حَرَمٍ^(۶) » وقال سلم بن قتيبة : « يستعنى أحدهم من تقرب القليل من الطعام ،

ويأبى أعظم منه » وقال : « جهد المرءُ أكثرُ من عَفْوِهِ^(۷) » وقَدَّمَ رسول الله صلى الله

عليه وسلم جهْدَ الْمُقِلِّ على عَفْوِ الْمُكْتَبِرِ ، وإن كان مَبْلَغُ جهده قليلا ، ومَبْلَغُ عَفْوِ

المُكْتَبِرِ كثيرا ، وقالوا : « لا يمنعك من معروف صِغَرُهُ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(۱) السَّاهِبُ مفعول ثانٍ لوهبت جمع ساهب كجعفر ، وهو من الخيل ما عظم وطال عظامه . وحبرة الحالب في الإبلا : كناية عن كثرتها أو غزارة لبنها .

(۲) أي وهذه متاع أيام قليلة .

(۳) العارة : العارية ، وهي الشيء يستعار ثم يرد إلى صاحبه .

(۴) في النسخ « وقال في الحث » وفيها « فضلا على الكثير » .

(۵) المِثْقَالُ هنا : المقدار والزنة .

(۶) أي من حفر القليل الذي لديه فلم يبذله حرم كثيرا من ذوى الحاجة ، وقال الميداني في تفسيره

« أي من حفر يسيرا ما يندر عليه ولم يقدر على الكثير . ضاعت لديه الحقوق » .

(۷) أي ما يبذله المرء عن جهد وقلّة أكثر مما يبذله عن زيادة وسعة .

« اتقوا النار ولو بشِقِّ (۱) تمرۃ » وقال : « لاتردُّوا السائل ولو بظلفٍ مُحَرَّقٍ (۲) »
 وقال : لاتردُّوه ولو بفرسَن (۳) شاةٍ » وقال : « لاتحقرُوا اللئمة فإنها تعود كالجبل
 العظیم (۴) » ، لقول الله جل ذكره . « يَمْحَقُ اللهُ الرُّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ » وقال :
 « لاتردُّوه ولو بصلة حَبِل (۵) » وقالت العرب . « أنا كم أخوكم بسنتكم (۶) » فأنثوا له
 وقالوا . « مانع الإتمام ألومُ » وقالوا . « البخيل إن سأل أَلْف (۷) وإن سُئِلَ سَوْفٌ »
 وقالوا . « إن سئل جَعَدَ ، وإن أعطى حَقَدَ » وقالوا . « برُدُّ قبل أن يَسْمَعَ ،
 ويفضَّب قبل أن يَفْهَم » وقالوا . « البخيل إذا سُئِلَ ارتز (۸) ، وإذا سُئِلَ الجواد
 اهتز » وقال النبي صلى الله عليه وسلم . « يُنادِي كلُّ يوم مناديان من السماء
 يقول أحدهما . اللهم عَجِّلْ لِمَنْفَقِ خَافَا ، ويقول الآخر : اللهم عَجِّلْ لِمُسِيكِ تَلَفَا »
 وقالوا : « شَرُّ الثَلَاثَةِ الْمُدِيمِ (۹) ، يَمْنَعُ دَرَّةً (۱۰) وَدَرَّةً غَيْرَهُ » وقال الله جل
 ذكره : « الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ » وقالوا في المثل : « إذا
 أَلْبَأَكَ الدَّهْرَ إِلَى بَخِيلٍ ، شَرُّ مَا أَلْبَأَكَ إِلَى مُخْتَرِ عِرْقُوبٍ (۱۱) » وقال النبي صلى الله
 عليه وسلم : « قُلِ الْعَدْلَ ، وَأَعْطِ الْفَضْلَ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنها كم

(۱) الشق : النصف .

(۲) الظلف : ظفر كل ما اجتر ، وهو للبقر والشاة والظباء ، وشبهها بمنزلة القدم للإنسان .

(۳) الفرسن . طرف خف البعير ، وقد يستعار للشاة .

(۴) أى يعود ثوابها يوم القيامة في عظمة كالجبل العظيم .

(۵) أى ولو بصلة من حبل .

(۶) يستم : يطلب تمام ما يحتاج إليه .

(۷) ألْف : ألح . (۸) ارتز : أمسك وبخل .

(۹) الثلاثة : هم الآخذ والمعطى ومن يلوم المعطى ، والام : أتى ما يلام عليه .

(۱۰) الدر : اللين ، والمراد هنا الخير عامة .

(۱۱) أَلْبَأَكَ : اضطرك ، ويروى في القاموس « شرما أجاك إلى نخة عرقوب » وفي مجمع الأمثال « شرما

يجيشك ... » - مضارع أجا - قال الميداني : ويروى « ما يشيك » والشين بدل من الجيم وهذه لغة

ميم ، يقال : أجاكته إلى كذا : أى ألبأته ، والمعنى : ما ألبأك إلى نخة عرقوب إلا شراى فقر

وفاقة ، وذلك أن العرقوب لامخ له وإنما يجوز إليه من لا يتدر على شيء ، يضرب المضطر جدا يطلب

من التميم .

عن عقوق الأمهات ، ووَادِ البنات ، وَمَنَعِ وهاتِ ۞ وقال الله عز وجل : « وَيُطْعِمُونَ
الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » وقال « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
تُحِبُّونَ » وقال « وَيُوَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ
نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » وقالوا : في الصبر على النائية وفي عاقبة الصبر :
« عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السَّرِيَّ (۱) » وقالوا : « الغمَّراتُ ، ثم يَفْجَلِينَ (۲) »
وقال الخَزَيْمِيُّ :

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَابٍ تَذِيَّةٌ لَهَا مَصْعَدٌ حَزْنٌ وَمُنْجَدَرٌ سَهْلٌ (۳)
وَوَدَّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ بُنْيَـلَهُ (إِذَا مَا انْقَضَى) لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ (۴)

وقالوا : خير الناس خيرُ الناس للناس ، وشر الناس شرُ الناس للناس ۞ وقالوا :
« خير مالك ما نفعك » وقالوا : « عَجَبًا لِفَرْطِ الكَبْرَةِ مع شباب الرَغْبَةِ (۵) »
وقال الراجز :

(۱) أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما وهو باليمامة : أن سر
لى العراق ، فأراد سلوك المفازة ، فقال له رافع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خمس الإبل الواردة
(والخمس بالكسر من أظماء الإبل ، وهي أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن
تحمّل من الماء ، فاشتري مائة شارب (والشارف : المن الهرم من الإبل) فمطشها ثم سقاها الماء حتى
رويت . ثم كتبها (أى ختم حياها) وكم أفواهاها (أى شدتها) ثم سلك المفازة ، حتى إذا مضى يومان
وخاف العطش على الناس والحيل ، وخشى أن يذهب ما في بطون الإبل ، نحر الإبل واستخرج ما في بطونها
من الماء فسقى الناس والحيل ومضى ، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع : انظروا ، هل ترون سدر أعظاما
(والسدر بالكسر : شجر النيق) فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه
فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد من أبيات :

عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى

يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .

(۲) يروى « الغمَّرات » وكأنه قال : هي الغمَّرات ، أو القصة الغمَّرات تظلم ثم تنجلي . ويروى
« غمَّرات » . أى هذه غمَّرات وهي الشدائد تدمج غمَّرة لأنها تغمّر الواقع فيها بشدتها : أى تقهره ، والمثل
للأغلب العجلى ، يضرب في احتمال الأمور العظام والصبر عليها .

(۳) التنية : المكان المرتفع الصعب المطلاع ، أى إن الكرم شاق على الناس - لأن التنية شاقة
ولولا مشقتها لآذ الناس جميعاً .

(۴) الجزل : العظيم .

(۵) أى عجباً لا يرى هرم فان ورغبته في الجم والكدح تنية .

كلنا يأملُ مَدًّا فِي الأَجَلِ والمغايا هي آفاتُ الأملِ (۱)

وقال عبيد الله بن عكر اش : « زمنُ خَثُونٍ ، ووارثُ شَفُونٍ (۲) ، وكاسبُ حَزُونٍ (۳) ، فلا تَأْمَنِ الخَثُونِ ، وكن وارثَ الشَّفُونِ (۳) » وقال : يَهْرَمُ ابنُ آدَمَ وَيَشِيبُ معه خَصَلَتَانِ : الحرصُ والأملُ » وكانوا يَعْيَبُونَ مَنْ يأكل وحده ، وقالوا : « ما أكل ابنُ عمرَ وحده قطُّ » ، وقالوا : « ما أكل الحسنُ (۵) وحده قطُّ » وسمعُ مجاشِعُ الرُّبَعِيِّ قولهم : « الشحيحُ أعذرُ من الظالمِ » فقال : « أخزى اللهُ أمرين خيرُهما الشحُّ » وقال بكر بن عبد الله المزنيُّ : « لو كان هذا المسجدُ مُفَعَّمًا بالرجالِ ثم قيل لي : مَنْ خيرهم ؟ لقلت : خيرُهم لهم (۶) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بشراركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « من نَزَلَ وحده ، ومنع رِفْدَه ، وجَلَدَ عبده » وقالت امرأةٌ عند جنازة رجل : أَمَا والله ما كان مالكَ ابطنك ، ولا أمركَ لِعَرْسِكَ (۷) .

۷۱ - رسالة ابن التوهم إلى الثقفى

فلما بلغت الرسالة ابن التوهم ، كرهه أن يجيب أبا العاص ، لما فى ذلك من المناقشة والمباينة (۸) ، وخاف أن يترقى الأمر إلى أكثر من ذلك ، فكتب هذه وبعث بها إلى الثقفى :

-
- (۱) هكذا فى نسخة الشنيطى ، وفى غيرها آفات الأجل .
 (۲) الشفون فى الأصل : الناظر يؤخر عينه كرامة أو عجبا . واللفى هنا الكاره المترب وقافه مورثه
 (۳) أى شديد الحزن .
 (۴) أى أتفق بحيث لا تترك شيئا لو ارتك : فإذا مات استغدت من إرثه ولم يستفد من إرثك .
 (۵) يعنى الحسن البصرى .
 (۶) أى خيرهم أكثرهم إسداء خير لهم .
 (۷) العرس : الزوجة ، أى كنت كريما مستقلا بتصرف أمورك .
 (۸) أى الابتعاد والتهاجر .

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ فقد بلغني ما كان من ذكر أبي العاص لنا ، وتنويبه ^(۱) بأسمائنا ، وتشنيعه علينا ، وليس يمنعنا من جوابه إلا أنه إن أجابنا لم يكن جوابنا إياه على قوله الثاني أحقّ بالترك من جوابنا له على قوله الأول ، فإن نحن جمعنا لابتدائه جواباً ، وجعلنا لجوابه الثاني جواباً ، خرجنا إلى التهاثر ^(۲) ، وصرنا إلى التخابر ^(۳) ، ومن خرج إلى ذلك فقد رضى باللجاج ^(۴) خطأً ، وبالسخف ^(۵) نصيباً ، وليس يحترس من أسباب اللجاج إلا من عرف أسباب البلوى ^(۶) ، ومن وقاه الله سوء التمكنى ^(۷) وسخفه ، وعصمه من سوء التصميم ^(۸) ونكده ، فقد اعتدلت طبائعه ، وتساوت خواطره ، ومن قامت أخلاطه على الاعتدال وتكافأت خواطره في الوزن ، لم يعرف من الأعمال إلا الاقتصاد ، ولم يجد أفعاله أبداً إلا بين التقصير والإفراط ، لأن الموزون لا يولد إلا موزوناً ، كما أن المختلف لا يولد إلا مختلفاً ^(۹) ، فالمتابع ^(۱۰) لا يثنيه زجرٌ ، وليست له غايةٌ دون التآف ، والمتمكنى ليس له مآتى ولا جهةٌ ، ولا له رقية ^(۱۱) ولا فيه حيلةٌ ، وكل متلون ^(۱۲) في الأرض فمحل العقْد ،

- (۱) التنويه هنا : الذكر ، أى وذكر أسمائنا ، فقد تقدم قول أبي العاص في أول رسالته إلى الثقفى واختلافك إلى ابن التوم .
 (۲) تهاترا : ادعى : كل على صاحبه باطلاً .
 (۳) تخابر الرجلان : تغالبا في العلم والمعرفة ، يقال : خابره في العلم خبيرة : أى غلبه فعلبه ، وفي الدخ : التجابر ، ولم نجد لها معنى .
 (۴) التهادى في الحصومة . (۵) السخف : ضعف العقل .
 (۶) أى لأن اللجاج يؤدي حتماً إلى شر ومصيبة ، فمن تجنب أسبابه تجنب أسباب المصائب .
 (۷) الذى في لسان العرب . التمكنى : التمايل إلى قدام ، بهمز ولا يهمز ، والأصل الهمز ، تكفى نكفوا كتنفم تقدما ، فإذا خفت الهمزة التحق بالمثل وصار تكفى تكفياً كتنفى تسمى ، ولكن المراد بالتمكنى هنا : اكتفاء المرء برأى نفسه وتثبته به واستبداده ، يؤيد ذلك الفقرة التالية .
 (۸) التصميم : المضى في الأمر من غير إصغاء إلى نصيح .
 (۹) أى لأن الأفعال آثار الأمزجة ، فإذا كانت الأمزجة معتدلة مترنة أنتجت أفعالاً مترنة ، وإذا كانت مضطربة أنتجت أفعالاً كذلك .
 (۱۰) المتتابع : التهاافت على الشر المتماضى فيه السمع لإيه من غير تثبت أو نظرفى الأمور .
 (۱۱) أى لا تجد منفذاً لهديته وإرشاده ، ولا تنفع فيه الوسائل ، وهو أشبه بمن مستهجن ، لا تنفع فيه رقية . والرقية : ما يقرأ للمحوم والمصروع ليشفى .
 (۱۲) المتلون المتقلب في الرأى ، له في كل ساعة رأى .

مَيْسَرٌ لِكُلِّ رِيحٍ ، فَدَعَّ عِنْدَكَ خِلَاطَةَ الْإِمَّةِ (١) فَإِنَّهُ حَارِصٌ (٢) لِأَخِيرٍ فِيهِ ، وَاجْتَنِبَ رَكُوبَ الْجُمُوحِ ذِي النَّزَوَاتِ ؛ فَإِنْ غَابَتْهُ الْقَتْلُ الرُّؤُوفِ (٣) ، وَلَا (٤) فِي الْحُرُونَ ذِي التَّصْمِيمِ ، وَالْمَتَلُونَ شَرٌّ مِنَ الْمَصْمَمِ ، إِذْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُ لَهُ حَالًا يَقْصِدُ إِلَيْهَا ، وَلَا جِهَةً يَعْمَلُ عَلَيْهَا ، وَلِذَلِكَ صَارَ الْعَاقِلُ يَخْدَعُ الْعَاقِلَ وَلَا يَخْدَعُ الْأَحْمَقَ ؛ لِأَنَّ أَبْوَابَ تَدْبِيرِ الْعَاقِلِ وَحِيلَهُ مَعْرُوفَةٌ ، وَطَرِيقُ خَوَاطِرِهِ مَسْلُوكَةٌ ، وَمَذَاهِبُهُ مَحْصُورَةٌ مَعْدُودَةٌ ، وَلَيْسَ لِتَدْبِيرِ الْأَحْمَقِ وَحِيلِهِ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ مِّنْ أخطاءِهَا كَذَبٌ (٥) ، وَانْخَبِرُ الصَّادِقَ عَنِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ وَاحِدٌ ، وَانْخَبِرِ الْكَاذِبَ عَنِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ لَا يُحْصِي لَهُ عَدَدٌ ، وَلَا يُوقِفُ مِنْهُ عَلَى حَدٍّ ، وَالْمَصْمَمُ قَتَلَهُ بِالْإِجْهَازِ (٦) ، وَالْمَتَلُونَ قَتَلَهُ بِالتَّعْذِيبِ (٧) ، فَإِنْ قَلْنَا فَلَيْسَ إِلَيْهِ (٨) نَقْصِدُ ، وَإِنْ احْتَجَجْنَا فَلَيْسَ عَلَيْنَا تَرُدُّ ، وَلَكِنَّا إِلَيْكَ نَقْصِدُ بِالْقَوْلِ ، وَإِلَيْكَ نُزِيدُ بِالمَشُورَةِ ، وَقَدْ قَالُوا : « احْفَظْ سِرَّكَ فَإِنْ سِرَّكَ مِنْ دَمِكَ » وَسِوَاهُ ذَهَابُ نَفْسِكَ وَذَهَابُ مَا بِهِ يَكُونُ قِوَامُ نَفْسِكَ (٩) ، قَالَ الْمُنْجَابُ الْعَنْبَرِيُّ : « لَيْسَ بِكَبِيرٍ مَا أَصْلَحَهُ الْمَالُ (١٠) » وَقَدْ دُ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ تَصْلُحُ الْأُمُورُ ، أَعْظَمُ مِنَ الْأُمُورِ (١١) ، وَلِهَذَا قَالُوا فِي الْإِبْلِ : « لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِلَّا أَنْهَارُ رَقُودٍ (١٢) الدَّمِ » فَالشَّيْءُ

(١) الإمام والإمامة : الرجل يتابع كل إنسان على رأيه لا يثبت على شيء .

(٢) الحارص : الملتهم لا يكاد يترك شيئاً .

(٣) عبارة النسخ « واجتنب ركوب الجموح فإن غابته قبل الذواق ذي البدوات » وهي غير مفهومة . والقتل الرؤوف : السريع .

(٤) عطف على المحرور في لاخير فيه ، أي ولاخير في المحرون ، والمحرون ، الدابة تعصى صاحبها فتقف ولا تعصى .

(٥) أي ليس الأحق اتجاه واحد في تدبيره ، حتى إذا لم يهتد إليه إنسان قيل إنه أخطأ .

(٦) المراد أن الضرر الذي يصل من المصمم يصل دفعة واحدة . فهو كالقتل بالإجهاز .

(٧) أي أن المتلون يأتيك منه الضرر في نوبات متقطعة ، فكأنه يقتل بالتعذيب .

(٨) الضمير في إليه يعود إلى المتلون .

(٩) أي مادام السرج جزءاً من الدم وهو قوام النفس ، ففقدته يسارى فقد النفس .

(١٠) أي كل ضرر يستطيع المال أن يصلحه ليس بكبير .

(١١) أي فقد المال الذي يصلح اختلال الأمور أعظم من فقد أي أمر .

(١٢) رقاً الدم : جف وسكن ، والرقود كصبور : ما يوضع على الدم ليرقيه : أي أنها تحقن الدماء

لأنها تدفق في الديات فيكف صاحب النار عن طلبه فيحرق دم القاتل ، وجواب لو محذوف : أي لكفاها

فضلاً وهو من قول أكرم بن صيني - انظر جبهة خطب العرب ١ : ٣٠٥ .

الذى هو ثَمَنُ الإِبِلِ وغيرِ الإِبِلِ أحقُّ بالصون ، وقد قَضَوْا بأن حفظَ المالِ أشدُّ من جمعه ، ولذلك قال الشاعر :

وَحِفْظُكَ مَا لَا قَدْ عُنَيْتَ بِجَمْعِهِ أَشَدُّ مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

ولذلك قال مشترى الأرض لبائعها حين قال له البائع : دفعْتُها إليك بطيئَةً الإِجَابَةِ ، عظيمة المَثْوَنَةِ (١) ، قال (٢) دفعْتُها (٣) إليك بِطِئَةِ الاجْتِمَاعِ ، سريعة التفرق ، والدرهم هو القُطْبُ الذى تدور عليه رَحَى الدنيا . واعلم أن التخالص من نزوات الدرهم وتقلُّبِهِ من سُكَّرِ الغنى وتقلُّبِهِ شديدٌ (٤) ، فلو كان إذا تفلَّتَ كَانَ حَارِسُهُ صحیحَ العقلِ سليمِ الجوارحِ آرَدَهُ فى عِقالِهِ ، ولشَدَّهُ بِوِثاقِهِ ، ولكما وجدنا ضعفَهُ عن ضَبْطِهِ بقدرِ قَلْبِهِ فى يده (٥) ، ولا تفتَرَّ بِقَوْلِهِمْ : « مالِ صامِتٍ » (٦) ، فإنه أنطَقُ من كل خطيب ، وأنمُّ من كل نَمَّام ، فلا تكثرت بتولمهم : « هذين الحَجْرين » (٧) « فتتوهمُ جهودَهُما وسكونُهُما وقلةَ ظَعْنِهِما وطولَ إقامتِهِما ، فإنَّ عملَهُما وهما ساكنان ، ونقضُهُما لا طبائع وهما ثابتان ، أكثرُ من صفيحِ السَّمِّ الناقع ، والسَّبْعِ العادى ، فإن كنتَ لا تكفى بصنيعِهِ (٨) حتى تُمدِّدَهُ ، ولا تحتالُ فيه حتى يُحتالَ له ، فالتقبرُ خيرُ لك من الفقر ، والسجنُ خيرُ لك من الذلُّ .

وقولى هذا مُرُّهُ يُمَقِّبُ حلاوةَ الأبدِ ، نخذ لنفسك بالثقة (٩) ، فقولك الماضى حلو

-
- (١) الضمير فى دفعتها يعود للأرض أى أنها لا تنمر إلا بعد مدة وهى تحتاج إلى نفقات كثيرة حتى تنمر . (٢) الضمير فى قال يعود للمشتري . (٣) الضمير فى دفعتها يعود للدراهم وهى ثمن الأرض . (٤) تقلب الدرهم : انتقاله من يد لى يد ، ويكون أكثر نقاب الدرهم بسبب الاغترار بالغنى : أى أن رياضة الدرهم ومنعه من التقلب والفرار عندما تدرك صاحبه نشوة الغنى والاستهانة بالمال آيت بالأمرالهمين . (٥) أى أننا شاهدنا ضعف مالك الدرهم عن حبسه مساويا لقلق الدرهم ورغبته فى الفرار . (٦) المال الصامت : الذهب والفضة ونحوهما ، والمال الناطق : الحيوان . (٧) نصبه على تقدير : اجمع هذين الحجرين مثلا ، وهما الذهب والفضة . (٨) الضمير فى صنيعه يعود إلى الدرهم ، وحتى تمدد : أى تساعد على النفقات . (٩) أى حصن نفسك بالثقة بهذا القول .

يُعَقِّبَ مَرَارَةَ الْأَبَدِ ، نَحْذُ لِنَفْسِكَ بِالْتَقَةِ ، وَلَا تَرْضَ أَنْ يَكُونَ الْحَرْبَاءُ الرَّا كِبُ الْعُودِ
أَحْزَمَ مِنْكَ ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ :

أَنْى أُتِيحَ لَهَا حَرْبَاءُ تَنْضُبَةٌ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا^(۱)
وَاحْذِرْ أَنْ تُنْخَرَجَ مِنْ مَالِكَ دَرَهْمًا حَتَّى تَرَى مَكَانَهُ خَيْرًا مِنْهُ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى
كَثْرَتِهِ ، فَإِنَّ رَمَلَ عَالِجٍ^(۲) لَوْ أُخِذَ مِنْهُ وَلَمْ يُرَدَّ عَلَيْهِ لَذَهَبَ عَنْ آخِرِهِ ، إِنَّ الْقَوْمَ
قَدْ أَكْثَرُوا فِي ذِكْرِ الْجُودِ وَتَفْضِيلِهِ ، وَفِي ذِكْرِ الْكِرْمِ وَتَشْرِيفِهِ ، وَسَمَّوْا الشَّرْفَ
جُودًا وَجَعَلُوهُ كِرْمًا ، وَكَيْفَ يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ نِتَاجُ مَا بَيْنَ الضَّعْفِ وَالنَّفْجِ^(۳) ،
وَكَيفَ وَالْعَطَاءُ لَا يَكُونُ مَرَفًا إِلَّا بَعْدَ مَجَاوِزَةِ الْحَقِّ ، وَبِئْسَ وَرَاءَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ
كِرْمٌ ، وَإِذَا كَانَ الْبَاطِلُ كِرْمًا كَانَ الْحَقُّ لَوْمًا ، وَالشَّرْفُ - حَفْظُكَ اللَّهُ - مَعْصِيَةٌ ،
وَإِذَا كَانَتْ مَعْصِيَةُ اللَّهِ كِرْمًا ، كَانَتْ طَاعَتُهُ لَوْمًا ، وَاتَّيْنُ جَمْعُهُمَا^(۴) اسْمٌ وَاحِدٌ ،
وَسَمَّيَاهُمَا حَكْمٌ وَاحِدٌ (وَمُضَادَّةٌ^(۵) الْحَقُّ لِلْبَاطِلِ كَمُضَادَّةِ الصِّدْقِ لِلْكَذْبِ ، وَالْوَفَاءُ
لِلْعَدْرِ ، وَالْجُورُ لِلْعَدْلِ ، وَالْعِلْمُ لِلْجَهْلِ) لَيَجْمَعَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ اسْمٌ وَاحِدٌ ، وَابْتِشَمَلَتْهَا
حَكْمٌ وَاحِدٌ ، وَقَدْ وَجَدْنَا اللَّهُ عَابَ الشَّرْفِ ، وَعَابَ الْحَمِيَّةِ^(۶) ، وَعَابَ الْمَعْصِيَةَ ، وَوَجَدْنَا

(۱) الحَرْبَاءُ مَذْكَرٌ وَالتَّنْضُبَةُ : شَجَرَةٌ حِجَازِيَّةٌ شَائِكَةٌ ، وَالْحَرْبَاءُ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ حَرُّ الشَّمْسِ فَيَلْجَأُ إِلَى
سَاقِ شَجَرَةٍ يَسْتَنْظِلُ بِظِلِّهَا ، فَإِذَا أُدْرِكْتَهُ الشَّمْسُ تَحْوَلُ إِلَى سَاقٍ أُخْرَى ، وَهُوَ مِثْلُ بَضْرَبِ نَتْنٍ
لَا يَدْعُ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا سَأَلَ أُخْرَى - انظُرْ بِجَمْعِ الْأَمْثَالِ ۲ : ۱۱ ، وَجَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَةٌ حَرْبٌ
قَالَ أَبُو دَوَادٍ الْإِيَادِيُّ : أَنْى أُتِيحَ لَهُ . . . قَالَ ابْنُ بَرِي : هَكَذَا أَنْشَدَهُ الْجَوْهَرِيُّ وَصَوَّبَ إِشَادَةَ
أَنْى أُتِيحَ لَهَا ، لِأَنَّهُ وَصَفَ ظَمْنَا سَاقَهَا وَأَزْعَجَهَا سَائِقُ مَجْدٍ ، فَتَعَجَّبَ كَيْفَ أُتِيحَ لَهَا هَذَا السَّائِقُ الْمَجْدُ
الْمَازِمُ ، وَهَذَا مِثْلُ بَضْرَبِ الرَّجْلِ الْمَازِمِ ، لِأَنَّ الْحَرْبَاءَ لَا يَفَارِقُ الْفَصْنَ الْأَوَّلَ حَتَّى يَثْبُتَ عَلَى الْفَصَنِ
الْآخِرِ . . .

(۲) عَالِجٌ : رَمَلٌ مَعْرُوفَةٌ بِالْبَادِيَةِ .

(۳) النَّفْجُ : التَّفَاخُرُ الْكَاذِبُ بِالْمَالِ .

(۴) أَيْ جَمْعُ الشَّرْفِ وَالْكَرْمِ .

(۵) هَذِهِ الْجُمْلَةُ حَالِيَةٌ مَعْرُوضَةٌ بَيْنَ الْقِسْمِ (لَتَيْنِ جَمْعُهُمَا) وَجَوَابِهِ (لَيَجْمَعَنَّ) .

(۶) الْحَمِيَّةُ : شِدَّةُ الْأَنْفَةِ ، وَهِيَ الْغَضَبُ وَالْإِبَاءُ لِلْحَمَايَةِ ، قَالَ تَعَالَى : « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ

كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ »

قد خص السرف بما لم يخص به الحمية^(۱) ، لأنه ليس حب المرء لرهطه من المعصية ، ولا أنفته من الضيم من حمية الجاهلية ، وإنما المعصية ما جاوز الحق ، والحمية المعيبة ما تعدى القصد ، فوجدنا اسم الأنفة قد يقع محموداً ومذموماً ، وما وجدنا اسم المعصية ولا اسم السرف يقع أبداً إلا مذموماً ، وإنما يسرُّ باسم السرف جاهل لا علم له ، أو رجل إنما يسرُّ به لأن أحداً لا يسميه مسرفاً حتى يكون عنده قد جاوز حد الجود ، وحكم له بالحق ثم أردفه بالباطل^(۲) ، فإن مسرّاً من غير هذا الوجه^(۳) ، فقد شارك المادح في الخطأ ، وشاكره في وضع الشيء في غير موضعه .

وقد أكثروا في ذكر الكرم ، وما الكرم إلا كبعض الخصال الحمودة التي لم يعدمها بعض الذم^(۴) ، وليس شيء يخلو من بعض النقص والوهن ، وقد زعم الأولون أن الكرم يسبب الغبا^(۵) ، وأن الغبا يسبب البله^(۶) ، وأنه ليس وراء البله إلا العتة^(۷) ، وقد حكوا عن كسرى أنه قال : « احذروا صولة الكرم إذا جاع ، والذم إذا شبع » وسواء جاع فظلم ، وأحفظ وعسف ، أم جاع وكذب ، وضرع وأسف^(۸) ، وسواء جاع فظلم غيره ، أم جاع فظلم نفسه ، والظلم أوم ، وإن كان الظلم ليس باؤم ، فالإنصاف ليس بكرم ، وإن كان الجود على من لا يستحق الجود كرماً ، فالجود لمن وجب له ذلك ليس بكرم ، فالجود إذا كان لله كان شكراً له ، والشكر كرم ،

(۱) أي مع أن الله عاب الحمية فإن هناك ضرباً من الحمية محموداً ، أما السرف والمعصية فمذموماً على الإطلاق ، وليس في أحدهما نوع محمود .

(۲) أي أنه يسر بوصفه بالسرف ، لأن هذا الوصف يتضمن معنى الجود ، ثم مجاوزة الحد فيه ، وواصفه في هذه الحال حكم له بالجود ضمناً ، وهذا حق ، ثم أردفه بالباطل وهو مدح السرف .

(۳) أي وظن أن مادحه بصفه بالجود الحمود الذي لم يخرج إلى السرف .

(۴) أي لم يفقد منها بعض الذم بتجاوزها القصد أو بالمبالاة فيها .

(۵) الغبا : عدم الفطنة ، غي الشيء ، وعنه كفرح غبا وغباوة وعبارة النسخ ، أن الكرم يسبب الغنى وأن الغنى

(۶) البله : ضعف العقل وبابه فرح .

(۷) في النسخ « المعتوه » والعتة : نقص العقل أو فقده ، والمراد هنا الثاني .

(۸) أسف : انحط إلى دنياوات الأمور .

ولن يكون الجود إذا كان معصيةً كرماً ، وكيف يتكرم من يتوسل بأياديك إلى معصيتك ، وبنعمك إلى سُخطك ، فليس الكرم إلا الطاعة ، وليس الاثم إلا المعصية ، وليس بجود ما جاوز الحق ، وليس بكرم ما خالف الشكر ، ولئن كان مجاوز الحق كريماً ليكون المقصّر دونه كريماً^(۱) ، فإن قضيتم بقول العامة^(۲) فالعامة ليست بقدوة . وكيف يكون قدوة من لا ينظر ، ولا يحصل ، ولا يفكر ولا يتأمل^(۳) ، وإن قضيتم بأقويل الشعراء وما كان عليه أهل الجاهلية الجهلاء ، فما فبحوه مما لا يشك في حسنه أكثر من أن نقف عليه أو نتشاغل باستقصائه .

على أنه ليس بجود إلا ما أوجب الشكر ، كما أنه ليس يبخل إلا ما أوجب الاثم ، وإن تكون العطيّة نعمةً على المعطى حتى تراود بها^(۴) نفس ذلك المعطى ، ولن يجب عليه الشكر إلا مع شريطة القصد ، وكل من كان جوده يرجع إليه - لولا رجوعه إليه كما جاد عليك ، ولو تهيأ له ذلك المعنى في سواك ، كما قصد إليك - فإنما^(۵) جعلك مقبراً لدرك حاجته ، ومراً كبا لبوغ محبته ، ولولا بعض القول^(۶) لوجب لك عليه حق يجب به الشكر ، فليس يجب لمن كان كذلك شكراً ، وإن انتفعت بذلك منه ، إذ كان لنفسه عمل ، لأنه لو تهيأ له ذلك النفع في غيرك لما تخطأه إليك .

وإنما يوصف بالجود في الحقيقة ، ويشكر على النفع في حجة العقل ، الذي إن جاد عليك ، فلك جاد ، ونفعك أراد ، من غير أن يرجع إليه جوده بشيء من المنافع

(۱) أي إذا عد مجاوز الكرم إلى السرف كريماً ، جاز أن يعد المقصّر دون حد الكرم كريماً مادام معنى الكرم لا يدرك إدراكاً صحيحاً .

(۲) وهو صدم كل سرف كرماً .

(۳) لا يتأمل : أي لا يصور الحقائق تصويراً صادفاً .

(۴) تراود : أي تقصد وتبني ، أي لا إذا أريد بها نفس الآخذ لا ما ينتظر منه من فائدة .

(۵) جملة فإنما خبر للمبتدأ « وكل من كان جوده » وقرن الخبر بالقاء لدلالة المبتدأ على العموم .

(۶) أي ولولا الخوف من بعض القول وهو أن تنهم بالمغالاة لقلنا بوجود شكر الجواد للمجود عليه ،

على جهة من الجهات ، وهو الله وَحْدَهُ لا شريك له ، فإن شَكَرْنَا للناس على بعض ما قد جَرَى لنا على أيديهم ، فإنما هو لأمرين : أحدهما التعبد ، وقد نعبد الله بتعظيم الوالدين وإن كنا شيطانيين ، وتعظيم مَنْ هو أَسَنُّ^(۱) منا ، وإن كنا أفضل منه ، والآخر لأن النفس مالم تحصلِ الأمورَ وتميزِ المعانيَ ، فالسابقُ إليها حُبٌّ مَنْ جَرَى لها على يده خيرٌ ، وإن كان لم يُرِدْها ولم يقصدِ إليها .

ووجدنا عطية الرجل لصاحبه لا تخلو أن تكون لله ، أو لغير الله ، فإن كانت لله فتواهبه على الله ، وكيف يجب على في حُجَّةِ العقل شكرُهُ ، وهو لو صادف ابن سبيلٍ غيري لما حملني^(۲) ولا أعطاني ، وإما أن يكون إعطاؤه إياي للذكر ، فإذا كان الأمر كذلك فإنما جعلني سُلمًا إلى تجارتِهِ ، وسببًا إلى بُغْيَتِهِ ، أو يكون إعطاؤه إياي من طريق الرحمة والرفقة ، ولما يجد في فؤاده من الغصّة والألم ، فإن كان لذلك أعطى فإنما دأوى نفسه من دائه ، وكان كالذي رَفَّهَ مِنْ خِنَاقِهِ ، وإن كان إنما أعطاني على طلب المجازاة وحُبِّ المكافأة ، فأمرٌ هذا معروف ، وإن كان إنما أعطاني من خوف يدي أو لساني ، أو اجترار معونتي ونصرتي^(۳) ، فسبيله سبيلُ جميع ما وصفنا وفصلنا .

فلا تسمِ الجود موضعان : أحدهما حقيقةً ، والآخر مجازاً ، فالحقيقة : ما كان من الله ، والمجاز : المشتقُّ من هذا الاسم^(۴) ، وما كان لله كان ممدوحاً ، وكان لله طاعةً ، فإذا لم تكن العطية من الله ، ولا لله ، فليس يجوز هذا فيما سَمَّوه جوداً ، فما ظنك بما سَمَّوه سرفاً ؟ .

(۱) كذا في عيون الأخبار ، وفي النسخ « من هو شر منا وإن كنا أفضل منهم » .

(۲) حمله : أعطاه ظهراً بركبه .

(۳) كذا في عيون الأخبار ، وفي النسخ « أو صرف معونتي وحضرتي » .

(۴) لسم الجود لسمين : حقيق وهو ما كان من الله مباشرة ، ومجازي وهو ما كان مشتقاً ومنفرداً من جود الله وآتياً على يد مخلوق .

افهم ما أنامُورِدُهُ عليك ، وواصفهُ لك إن التريُّح والتكشُّب والاستئْكال^(١) بالخديعة والطعْم الخبيثة فاشيةٌ غالبيةٌ ، ومستفيضةٌ ظاهرةٌ ، على أن كثيراً ممن يضافُ اليوم إلى النزاهة والتكريم ، وإلى الصيانة والتوقُّ ، ليأخذُ من ذلك بنصيب وافٍ ، وبمُدَّة وافٍ^(٢) ، فما ظنك بدَّهْمِ الناسِ وُجْهِورهم ، بل ما ظنك بالشعراء والخطباء الذين إنما تعلَّموا المنطق لصناعة التكتب ؟ وهؤلاء قومٌ يؤدِّم أن أرباب الأموال قد جاوزوا حدَّ السلامة إلى الغفلة ، حتى لا يكونَ للأموال حارسٌ ، ولا دونها مانعٌ ، فاحذَرهم ، ولا تنظُرُ إلى بَرَّة^(٣) أحدهم ؛ فإن المسكين أقنعٌ منه ، ولا تنظُرُ إلى مَوْكِبِه ، فإنَّ السائلَ أعفٌ منه ، واعلم أنه في مَسْكَ^(٤) مسكينٍ ، وإن كان في ثياب جَوادٍ^(٥) ، ورُوحه رُوح نَذلٍ ، وإن كان في جِرْم مَلِكٍ ، وكلُّهم وإن اختلفت وجوهُ مسائلتهم ، واختلفت أقدارُ مطالبهم ، فهو مسكينٌ إلا أن واحداً يطلب العَلِقَ^(٦) ، وآخر يطلب الخِرْقَ ، وآخر يطلب الدَّوانيقَ^(٧) ، وآخر يطلب الألوفَ ، فجبهةٌ هذا هي جهةٌ هذا ، وطُعْمَة^(٨) هذا هي طُعْمَة هذا ، وإنما يختلفون في أقدارٍ ما يطلبون على قدرِ الخِذْق والسبب^(٩) ، فاحذَر رُقَام^(١٠) وما نصَّبوا لك من الشَّرْك ، واحرُس نعمتك وما دَسَّوا لها من الدواهي ، واعمل على أن سِحْرهم يسترِقُّ الذهنَ ، ويختطف البصرَ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ من البيان لسِحْرًا » وسَمِعَ عمر بن عبد العزيز رجلاً يتكلم في حاجة فقال : « هذا والله السِّحْرُ الخلال » وقد قال رسول الله

- (١) استأكل : أخذ أموال الضعفاء كالنساء واليتامى ونحوهم وعاش عليها .
(٢) المد : مكيال مقداره رطل وثلاث عند أهل الحجاز ، والمراد به هنا مطلق مقدار .
(٣) البرة : حسن الهيئة . (٤) المسك : الجلد .
(٥) في بعض النسخ « جناد » .
(٦) العلق بالكسر ويفتح : النفيس من كل شيء .
(٧) الدانق بكسر النون وتفتح والداناق : سدس الدرهم .
(٨) الطعمة : وجه المكسب . (٩) السبب : الوسيلة .
(١٠) الرق جمع رقبة ، وهي كامات تقرأ للمحوم والمصروع ليثني . والمعنى أن لهم كلاماً كالسحر .

حسبى الله عليه وسلم : « لا خِلافةَ (۱) » واحذر احتمال مديحهم ، فإن محتَمِل المديح في وجهه كادح نفسه .

إن مالك لا يسع مُريدِهِ ، ولا يبلغ رضا طالبِهِ ، ولو أرضيتهم بإسقاطِ مثلهم لكان ذلك خسرانا مُبيناً ، فكيف ومن يسخطُ أضعافُ من يرضى ؟ وهجاء الساخطِ أضرُّ من فقدِ مديح الراضى ، وعلى أنهم إذا اعتوروك بمشاقصهم (۲) ، وتداولوك بِسهامِهِمْ ، لم ترَ من أرضيته بإسقاطهم أحداً يناضل عنك . ولا يهاجى شاعرا دونك ، بل يُخلِّيك غرضا لسهامهم ، ودربة (۳) إنبالهم ، ثم يقول : وما كان عليه لو أرضاهم ! فكيف يرضيهم ، ورضا الجميعِ شئٌ لا يُنال ؟ وقد قال الأول : وكيف يتفقُ لك رضا المختلفين ؟ وقالوا : منعُ الجميعِ أرضى للجميع ، إني أحذرك مصارعَ الخدوعين ، وأرفعك عن مضاجع المغبونين ، ولست (۴) كمن لم يزل يُقامى تعذراً الأمور ، ويتجرع مرارة العيش ، ويتحمل ثقل الكدِّ ، ويشرب بكأسِ الذل ، حتى يكاد يمزق على ذلك جلده ، ويتكأن عليه قلبه ، وفقرٌ مثلك مضاعفُ الألم ، وجزعٌ من لم يعرف الألم أشدُّ ، ومن لم يزل فقيراً فهو لا يعرف الشامتين ، ولا يدخله المكروه من سرور الحاسدين ، ولا يُلام على فقره ، ولا يصير موعظةً لغيره ، وحدثاً يبقى ذكره ، وبلغته بعد المات ولده .

ودعنى من حكايات (۵) المستأكيين ، ورقي الخادعين ، فما زال الناسُ يحفظون أموالهم من مواقع السرف ، وبجنبونها وجوه التبذير ، ودعنى مما لا نراه إلا في الأشعار المتكلمة ، والأخبار المولدة ، والكتب الموضوعة ، فقد قال بعض أهل زماننا : ذهب الكرم إلا من الكتب .

(۱) الخِلافة : الخداع ، وفي الحديث « إذا بايعت فقل : لا خِلافة » .
 (۲) المشاقص : جمع مشقص كبير ، وهو النصل العريض . (۳) ما يستتر به .
 (۴) في النسخ لك كمن الحج وهو غير مناسب لسياق المعنى ، لأنه يريد أن يقول : إنك لم تعد الفقير حتى يكون ألمه خفيفاً ، ولحق مثلك بعد الفنى يكون مضاعف الآلام شديد الروع .
 (۵) أى ما ينخرعون من حكايات مكذوبة فى الكرم الذى تجاوز الحد لخداع ضعفاء العقول .
 (۷ - جهرة رسائل العرب - رابع)

نخذ فيما تعلم ، ودع نفسك مما لا تعلم ، هل رأيت أحدا قط أنفق ماله على قوم كان غنাম سبب فقره أنه سلم^(۱) عليهم حين افتقر فردوا عليه ، فضلا على غير ذلك^(۲) ؟ أولست قد رأيتهم بين محققٍ ومحتجبٍ عنه ، وبين من يقول : فهلا أنزل حاجته بفلان الذي كان يُفضله ويقدمه ، ويؤثره ويخصه ؟ ثم لعل بعضهم أن يتجنى عليه ذنوبا ليجمعها عذرا في منعه ، وسببا إلى حرمانه ، قال الله جل ذكره : « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ . خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذُلًّا وَقَدْ كَانُوا يَدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَائِمُونَ^(۳) » فأنا القائم عليك بالوعظة والزجر والأمر والنهي ، وأنت سائم العقل والعرض ، وافر المال ، حسن الحال ، فأتق أن أقوم غدا على رأسك بالتقريع والتعيير ، وبالتوبيخ والتأنيب ، وأنت عليل القلب ، مختل العرض ، عديم من المال ، سيئ الحال ، ليس جُهدُ البلاء^(۴) مدد الأعناق ، وانتظار وقع السيوف ، لأن الوقت قصير ، والحس مفنور ، ولكن جُهد البلاء أن تظاهر الخلة^(۵) ، وتطول المدّة ، وتعجز الحيلة ، ثم لا تعدم صديقا مؤنبا ، وابن عم شامتا ، وجارا حاسيرا^(۶) ، ووليا قد تحوّل عدوا ، وزوجة مختلعة^(۷) ، وجارية مستبيعة^(۸) ، وعبدا يحقرك ، ولدا ينتهرك ، فانظر أين موقع فوت الثناء من موقع ما عدنا عليك

(۱) المصدر المؤول بدل من أحدا .

(۲) أي فضلا على الإيذاء والتشنيع وعدم الوفاء له .

(۳) سياق الآية الكريمة أن من استطاع أن يعمل شيئا ولم يعمله ، أصف عند فوات الفرصة على

هجزه عن عمله .

(۴) جهد البلاء : غاية ما تصل إليه المصيبة .

(۵) الخلة : الفاقة والحاجة .

(۶) الحاسر : المنهوف الحزين .

(۷) المختلعة : من دفعت إلى زوجها مالا فطلتها .

(۸) استباعه الشيء : سأله أن يبيعه إياه . والجارية المستبيعة : هي التي سألت سيدها أن يبيعها

والسبب هنا فقره وضيق الحياة عنده .

من هذا البلاء؟ على أن الثناء طُعْمٌ (۱) ، ولعلَّك ألا تَطْعَمَهُ (۲) ، والحمدَ أرزاقٌ ولعلَّك
ألا تُجْرِمَهُ ، وما يَضِيعُ من إحسانِ الناسِ أكثرُ (۳) .

وعلى أن الحفظ (۴) قد ذهب بموت أهله ، ألا ترى أن الشعرَ لنا كَسَدَ أُخِيمِ أهله ،
ولما دخل القمصُ على كل شيء أخذ الشعرَ منه بنصيبه ؟ ولما تحولت الدولة في العجم -
والعجم لا تحوُّط الأنسابَ ، ولا تحفظ المقاماتِ ، لأن من كان في الرِّيفِ (۵) والكفاية ،
وكان مغمورا بسُكْرِ الغنى ، كثر نسيانُهُ ، وقلَّتْ خواطرُهُ ، ومن احتاج تحركت
همنه ، وكثر تنقيبه (۶) ، وعيبُ الغنى أنه يورث البلادة ، وفضيلةُ الفقر أنه يبعثُ
الفِكرَ ، وإن أنت صحَّبتَ الغنى بإهمالِ النفسِ أسكرك الغنى ، وسُكْرُ الغنى سبِّةُ
المستأكلين ، ونُهْزَةُ الخدَّاءين ، وإن كنت لا ترضى بحظِّ الغنَّامِ ، وبعيشِ البهائمِ ،
وأحببتَ أن تجمعَ مع تمامِ نفسِ المُثْرَى ، ومع عزِّ الغنى وسرورِ القدرةِ ، فِطْنةُ
المخيفِ ، وخواطرُ المُقِلِّ ، ومعرفةُ الهاربِ ، واستدلالُ الطالبِ ، اقتصدتَ في الإنفاقِ ،
وكنْتَ مُعِدًّا للجدَّانِ ، ومحتريًا من كل خداعِ .

لست تباع حِجَلِ اصوصِ النهارِ ، وحِجَلِ سُراقِ الليلِ ، وحِجَلِ طُرَّاقِ البُلدانِ ،
وحِجَلِ أصحابِ الكيمياءِ ، وحِجَلِ التجارِ في الأسواقِ ، والصُّنَّاعِ في جميعِ الصناعاتِ ،
وحِجَلِ أصحابِ الحروبِ ، وحِجَلِ المستأكلينِ والمتكسِّبينِ ، ولو جمعتَ الخُبْرَ (۷) والسَّحْرَ
والتَّمَامَ (۸) والعم ، لكانت حيلهم في الناسِ أشدَّ تغلُّلاً ، وأعرضَ وأمرى في عُنقِ

(۱) جم طعمة : وهي الأكلة .

(۲) أي إن جدت وأسرفت ، وقوله « ألا تجرمه » أي إن بخلت وأمسكت ، وربما كان الأصل
« أن تطعمه » على تقدير « إن بخلت » كما هو التقدير في الثاني .

(۳) أي أن الضائع من أخبار الإحسان أكثر مما يبقى منها ، فلا تقرب أن الإحسان يبقى لك حسن
الذكر فإنه عرضة للذيان .

(۴) أي حفظ الجليل والمعروف أو حفظ أخبار الكرماء .

(۵) الريف : الأرض فيها زرع وخصب .

(۶) أي يحته عن الأنساب ومنازل الرجال وأخبار الناس ويأثم ليتخذ من ذلك بضاعة المديح .

(۷) الخبر : تمام المعرفة .

(۸) التمام : جم تيممة ، وهي خرزة أو نحوها يطلقها الأعراب على أولادهم لدفع الشر .

البدن ، وأدخل إلى سويداء القلب وإلى أم الدماغ ، وإلى صميم الكبد ، ولهي أدق مسدكا ، وأبعد غاية من العرق^(۱) الساري ، والشبه النازع^(۲) ، ولو اتخذت الحيطان الرفيعة الثخينة ، والأقفال المحكمة الوثيقة ، ولو اتخذت المارق^(۳) والجواسق^(۴) والأبواب الشداد ، والحرس المتناوبين بأغاظ المؤمن ، وأشد الكلف ، وتركت التقدم فيما هو أحضر ضررا^(۵) ، وأدوم شرا ، مولا غرم عليك في الحراسة فيه ، ولا مشقة عليك في التحفظ منه^(۶) ، إنك إن فتحت لهم على نفسك مثل سم الخياط جعلوا فيه طريقا نهجا ، ولقي^(۷) رحبا ، فأحكم بابك ، ثم أدم^(۸) إصفاقه ، بل أدم إغلاقه ، فهو أولى بك ، وإن قدرت على مصمت^(۹) لا حيلة فيه فذلك أشبه بحزمك ، ولو جعلت الباب مبهما ، والقفل مصمتا ، لتسوروا عليك من فوقك ، ولو رفعت سمكك إلى العيوق^(۱۰) لتقبوا عليك من تحتك ، قال أبو الدرداء : « نعيم صومعة المؤمن بيته » وقال ابن سيرين : « العزلة عبادة » .

وحلاوة حديثهم^(۱۱) تدعو إلى الاستكثار منهم ، وتدعو إلى إحضار^(۱۲) غرائب شهواتهم ، فمن ذلك قول بعضهم لبعض أصحابه : « كل رخصة^(۱۳) واشرب مشعلا^(۱۴) ،

(۱) العرق : جذر النبات .

(۲) أي شبه الأبناء بأبائهم وأجدادهم ، فإن الشبه قد يسرى إلى غاية بعيدة في النسب .

(۳) المارق : جم مرق بالفتح ، هو هنا المكان الخفي للفرار .

(۴) جم جوسق بالفتح : وهو القصر .

(۵) هو حيل المستأكلين وتعلق المجتدين .

(۶) جواب لو اتخذت المارق محذوف يدل عليه ما قبله : أي لكانت حيلهم أشد .

(۷) اللقي في الأصل : اللقاء ، والمراد به هنا مكان اللقاء .

(۸) إصفاق الباب : رده بمد أن كان مفتوحا .

(۹) انصمت والمبهم : الباب أو القفل لا يهتدى إلى طريقة فتحة إلا صاحبه .

(۱۰) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف الحجر الأيمن بتلو الزيا .

(۱۱) أي حديث المستأكلين والتكسبين .

(۱۲) أحضر الفرس : عدا ، وإحضار غرائب الشهوات : تسابقها في الظهور .

(۱۳) الرخصة : الأنثى من أولاد الضأن .

(۱۴) المشعل : شيء يتخذ أهل البادية من جلود يخرز بعضها إلى بعض ، ثم يشد إلى أربع قوائم

من خشب فيصير كالحوض يذب فيه ، يقول : اشرب قدر ما في مشعل من نبيذ .

ثم تجشأ واحدة لو أن عليها رحي لطحتت^(۱) ومن ذلك قول الآخر حين دخل على قوم وهم يشربون ، وعندهم قيان^(۲) ، فقالوا : أقرح أي صوت شئت ، قال : « أقرح شيش^(۱) مقلّي » ومن ذلك قول المديني^(۲) : « من تصبّح بسبع مؤزات ، وبقدح من لبن^(۳) الأوارك ، تجشأ بخور^(۴) الكعبة » . ومن ذلك قولهم لبعض هؤلاء - وقد أمهم خبيص^(۵) - : « أيما أطيب : أهذا أم الفالوذج^(۶) ، أم اللوزينج^(۷) ؟ » قال : « لا أقضي على غائب » ومن ذلك كلام الجارود بن أبي سبرة لبلال بن أبي بردة حين قال له : صف لي عبد الأعلى^(۸) وطعامه ، قال : « يأتيه الخبز فيمثل بين يديه ، فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندي جدى كذا ، وعناق^(۹) كذا ، وبطة كذا ، حتى يأتي على جميع ما عنده » قال : وما يدعو به إلى هذا ؟ قال : « ليقتصد^(۱۰) كل أمرى في الأكل ، حتى إذا أتى بالذى يشتهي بلغ منه حاجته » قال : ثم ماذا ؟ قال : « ثم يؤتى بالمائدة فيتضايقون^(۱۱) حتى يخوى نخوية الظلم^(۱۲) ، فيجعدون ويهزل ،

(۱) الشيش : صوت غليان القدر والمقل ونحوهما .

(۲) قال في القاموس : « والنسبة إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم مدني ، وإلى مدينة المنصور وأصفهان وغيرها مديني » .

(۳) الإبل الأوارك : التي اعتادت أكل الأراك ، وفي النسخ « من لبن الأوداك » .

(۴) في النسخ « بخوز » وهي غير مفهومة .

(۵) الخبيص : نوع من الحلواء ، قال صاحب القاموس : يعمل من التمر والسمن .

(۶) الفالوذ والفالوذج والفالوذق : حلواء ، قال صاحب اللسان : تسوى من لب الخنطة ، فارسي

معرب ، وسمي الحسن رجلاً يعيب الفالوذج فقال : لباب البر بلباب النحل بخامس السمن ، ما عاب هذا مسلم (العقد الفريد ۳ : ۳۱۲ وعيون الأخبار ۹ : ۲۰۳) وقال الجاحظ في البخلاء ص ۱۹۳ : ومدحه أمية بن أبي الصلت فقال :

إلى رده من الشيزى عليها لباب البر يلبك بالشهاد

(۷) اللوزينج : حلواء شبه القطائف تؤدم بدهن اللوز ، فارسي معرب .

(۸) يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر .

(۹) العناق : الأنثى من ولد المعز .

(۱۰) في الأصل « ليقتصر » وهو تحريف .

(۱۱) أي أخذ كل واحد يضيق مكانه حول المائدة حتى تتسع لهم جميعاً .

(۱۲) الضمير في بخوى يعود إلى عبد الأعلى ، وخوى : فرج ما بين عضديه وجنبه ، والظلم :

ذكر النعام .

حتى إذا فتروا أكل أكلَ الجائع المفرور^(۱) » وقال آخر : « أشتهى ثريدةً
دَكناء^(۲) من الفلفل ، ورقطاء^(۳) من الحمص ، ذات حِفَافَيْنِ^(۴) من اللحم ، لها
جَنَاحان من العُراق^(۵) ، أُضربُ فيها ضربَ اليتيم عند وصي السوء^(۶) . »

وسئل بعضهم عن حظوظ البلدان في الطعام ، وما قُسم لكل قوم منه ؟ فقال :
« ذهب الروم بالجشم^(۷) والحشو ، وذهبت فارس بالبارد والحلو » وقال عمر لفارس
الشفارج^(۸) والحموض^(۹) « فقال دوسر المديني : « لنا الهرائس^(۱۰) والقلايا ، ولأهل
البدو اللبأ^(۱۱) والسلاء^(۱۲) والجرادُ والسكمنة^(۱۳) والخبزة في الرائب والتمر بالزبد ،
وقد قال الشاعر :

(۱) المفرور : الذي أصابه الفر وهو البرد - اقرأ خبر هذا الحديث أيضا في العقد الفريد ۳ : ۳۱۲
وعيون الأخبار ۹ : ۲۱۵ .

(۲) دكناء : يضرب لونها إلى السواد .

(۳) رقطاء : أي سوداء يشوبها نقط بيضاء ، أو بيضاء يشوبها نقط سوداء .

(۴) الحفاف : الجانب .

(۵) قال في اللسان « العرق بالفتح : العظم أخذت عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة فتكسر
وتطبخ وتؤخذ لهايتها من طفاحتها ويؤكل ما على العظام من لحم دقيق وتمشش العظام ، ولحمها من أطيب
اللحمان عندهم ، وجمع عراق بالضم » قال ابن الأثير : وهو جمع نادر .

(۶) انظر هذا الحديث أيضا في العقد الفريد ۳ : ۳۱۳ - ۳۱۴ ، وعيون الأخبار ۹ : ۱۹۸ ،
وفيها « كما يضرب ولي السوء في مال اليتيم » وهو أولى .

(۷) الجشم : الجوف أو الصدر بضلوعه ، وفي عيون الأخبار ۹ : ۲۰۴ « أما الرومي فذهب
بالحشو والأحشاء ، وأما الفارسي فذهب بالبارد والحلواء » .

(۸) في النسخ « الشفارج » وقال صاحب القاموس واللسان : « الشفارج : الطبق فيه الفيخات
والسكرجات فارسي معرب » - والفيخة : (بالفتح) السكرجة ، (بضمت وتثنية الراء) فهو عطف
مرادف - قال صاحب اللسان : « السكرجة : لئاء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية ،
وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها » - وقال صاحب التاج في السكرجة . « إن العرب كانت تستعملها
في الكوامخ وأشباهاها من الجوارش على الموائد حول الأطعمة للتشهي والهضم » .

(۹) الحموض : جمع حمض بالفتح ، وهو كل نبت في طعمه حموضة ، والمالوحة تسمى الحموضة .

(۱۰) الهرائس : جمع هريسة ، وهي طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم ، والقلايا : جمع قلية كرزية
وهي مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها .

(۱۱) اللبأ : أول اللبن في التاج .

(۱۲) سلاء السمن كنع : طبخه وعالجه ، والاسم السلاء : ككتاب .

(۱۳) نبات بالبادية يقال له : شعهم الأرض .

ألا ليت خبزنا قد تسربلَ رائباً وخَيْلاً من البرني فرسانها الزُّبْدُ (۱)
 ولهم البرومة (۲) وأُخْلَاصُ (۳) والحَيْسُ (۴) والوَطِيئة (۵) .
 وقال أعرابي : « أئينا بئرٌ كأفواه البُعران (۶) نخبزنا منه خُبزةَ زَيْتٍ (۷)
 في النار ، فجعل الجُرُّ يتحدَّرُ عنها تحدُّرَ الحَشْوِ عن البِطَانِ (۸) : ثم تَرَدُّناها فجعل
 الثريدُ يَجُولُ في الإهالة (۹) جَوْلَانِ الضَّبَعَانِ في الضَّفِرة (۱۰) ، ثم أئينا بتمر كأعيانِ
 الورلان (۱۱) يُوَحِّلُ فيه الضَّرْسُ » .
 ونُعِتِ السَّوِيْقُ (۱۲) بأنه من عُدَدِ المسافر ، وطعامُ العَجَلَانِ ، وغِذاءُ المَبَكَّرِ (۱۳) ،
 وبُلغَةُ المَرِيضِ ، يَشُدُّ فؤادَ الحزين ، ويرُدُّ من نفسِ المَحدودِ (۱۴) ، وَحِيدٌ في السَّمِينِ (۱۵) ،
 ومنعوت في الطيب ، قَفَارُهُ يَجْلُو البَلغمَ ، ومسمونه (۱۶) يَصْفِي الدَّم ، وإن شئت
 كان تَرِيداً ، وإن شئت كان خَبِيصاً ، وإن شئت كان طعاماً ، وإن شئت
 كان شراباً .

- (۱) البرني : نوع من التمر ، معرب .
 (۲) قدر من حجارة ، ولها تطلق على اسم طعام يطبخ فيها .
 (۳) خلاصة السمن : ما خلص منه .
 (۴) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط [والأقط مثلثة ويحرك و ككتف ورجل وابل : شئ يتخذ
 من الخيض الغنمي] فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .
 (۵) الوطيئة : تمر يخرج نواه ويعجن بابل ، والأقط بالسكر .
 (۶) يشبه البر في بياضه بأفواه البعران (جمع بعير) لا يملوها من الرغبة والزبد .
 (۷) أي خبزة عجت بزيت .
 (۸) البطان : حزام قتب البعير . (۹) الإهالة : الشحم للذباب .
 (۱۰) الضبع بضم الباء وسكونها ، وثنية ، والذكر ضبعان بالكسر والأنثى ضبعانة أيضا . والضفرة
 من الرمل : ما عظم وتجمع .
 (۱۱) الورلان جمع ورل كبيب : وهو زاحف كالضف
 (۱۲) السويق : ما يعمل من الخنطة والشعير .
 (۱۳) من يقوم في بكرة النهار ، وفي النسخ المنكره .
 (۱۴) المحدود : المحروم .
 (۱۵) أي خير أنواع الطعام السمين ، وفي عيون الأخبار وهو جيد في السمين . اقرأ هنا
 الوصف فيه ج ۹ : ص ۲۰۶ .
 (۱۶) سمن الطعام : لته بالسمن فهو مسمون .

وقيل لبعض هؤلاء العامِظة^(١) والمستأكرين والسفانين^(٢) المقفمين - ورئي سمينا - ما أسمنك؟ قال : « أأكل الحارَّ ، وشُرْبِي القارَّ ، والاتكاء على شمالي ، وأأكل من غير مالي^(٣) » وقد قال الشاعر :

وإن امتلاء البطن في حَسَبِ الفتى قليلُ الغناء وهو في الجسم صالح^(٤)

وقيل لآخر : ما أسمنك؟ قال : « قلةُ الفكرة ، وطولُ الدعة ، والنوم على الكظة^(٥) » وقال الحجاج للفضبان^(٦) بن القبة ثرى : ما أسمنك؟ قال : القيدُ والرثمة^(٧) ، ومن كان في ضيافة الأمير سميناً « وقيل لآخر : إنك لحسنُ السحنة^(٨) ، قال : « آكلُ لبابِ البرِّ ، وصفارِ الميزِ ، وأدهنُ بنجام^(٩) البنفسج ، وأبسُ الكتان » والله لو كان من يُسأل يُعطى كما قام كرمُ العظيمة بلؤمِ المسألة .

ومدار الصواب على طيب المكسبة والاقتصاد في النفقة ، وقد قال بعض العرب « اللهم إني أعوذ بك من بعض الرزق » حين رأى نافية^(١٠) من ماله من صدق أمه .

(١) العامِظة : جمع لعمظ كجعفر ، وهو الحريص الشهوان النهم كالعموظ (كصفور) .

(٢) في النسخ « السفانين » والمقم : المنكس الرأس أبداً .

(٣) اقرأ في عيون الأخبار ٩ : ٢٢٤ .

(٤) أي أن كثرة الأكل لا تفيد في إعلاء شرف الفتى ، ولكنها تفيد الجسم ، وفي النسخ

« الفتى » بدل « الفتى » .

(٥) وهذا أيضاً في عيون الأخبار ، والكظة : شيء يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام .

(٦) من خبره أنه لما هلك بصر بن مروان وولى لحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الفضبان خطيباً بالكوفة يؤايبهم على الحجاج ، فكان فيما قال لهم « فاعترضوا هذا الحبث في الطريق فاقتلوه » فاطيعوني وتندوا به قبل أن يتعشى بهم « فلما قدم الحجاج الكوفة بلغته مقالته ، فأمر به فأقام في حبسه ثلاث سنين - اقرأ خطبته في جهرة خطب العرب ٢ : ٣٢٠ .

(٧) الرثمة : الاتساع في الخصب ، وهو مثل . وأول من قاله عمرو بن الصق بن خويلد بن نقيل ابن عمرو بن كلاب ، وكانت شاكر من همدان أسروه فأحسنوا إليه وروحوا عنه وقد كان يوم فارق قومه نجيفاً ، فهرب من شاكر فلما وصل إلى قومه قالوا : أي عمرو ، خرجت من عندنا نجيفاً وأنت اليوم بادن ، فقال : القيد والرثمة ، فأرسلها مثلاً ، وهذا كقولهم : العز والمنعة ، والنجاة والأمنة ، وفي عيون الأخبار (٩ : ٢٢٥) القيد والدعة .

(٨) السحنة بالفتح وتحرك : الهيئة واللون وابن البصرة ، وفي عيون الأخبار « الشحنة » .

(٩) الحام : الريح الطيبة تعبق بالثوب .

(١٠) يقال : اللابل التي يرثها الرجل فتكثرها إليه « نافية » .

وأي سائل كان ألحف مسألة من الخطيئة وألأم؟ ومن ألأم من جرير
ابن الخطاف وأبخل؟ ومن أمنع من كثير، وأشح من ابن هرمة^(۱)؟ ومن كان
يشق غبار ابن أبي حفصة^(۲)؟ ومن كان بصطي بنار أبي العتاهية؟ ومن كآبي نوايس
في بخله؟ أو كآبي يعقوب الخزيمي في دقة نظره وكثرة كسبه؟ ومن كان أكثر
تحرراً لجزرة^(۳) لم تخلق من ابن هرمة؟ وأطمن برُمح لم يثبت، وأطعم إطعام
لم يزرع، من الخزيمي^(۴)؟ فإين أنت عن ابن يسير؟ وإين تذهب عن ابن أبي كريمة؟
ولم تقصر في ذكر الرقائبي، ولم تذكر شره؟

إن الأعرابي شرٌّ من الحاضر^(۵)، سايل جبار، وثابة ملاق، إن مدح كذب،
وإن هجأ كذب، وإن أيس كذب، وإن طبع كذب، لا يعرفه إلا نطف^(۶)
أو أحق، ولا يعطيه إلا من يحبه، ولا يحبه إلا من هو في طباعه.

ما أبطأكم عن البذل في الحق، وأسرعكم إلى البذل في الباطل! فإن كنتم
الشعراء تفضلون، وإلى قولهم ترجعون، فقد قال الشاعر:

قليلُ المالِ تُصْلِحُه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ على الفساد
وقد قال الشَّماخ بن ضِرَّار:

آمالُ المرءِ بصلحهِ فيُفني مفاقره، أعفُ من القنوع^(۷)

(۱) هو إبراهيم بن هرمة شاعر عباسي، وكان دالماً بالشراب، ولما ولي المنصور شخص إليه
فامتدحه فاستحسن شعره ووصله، وسأله ابن هرمة أن يبيع له الشراب لأنه مغرم به فقال: ويحك هذا
حد من حدود الله وما كنت لأعطله، قال: فاحتل لي فيه يا أمير المؤمنين، فكتب لي عامله بالمدينة:
من أنك يا ابن هرمة سكران فأجلده مائة وأجلد ابن هرمة ثمانين، فحمل الجلواز إذا مر بابن هرمة
سكران قال: من يشتري ثمانين بمائة؟ - انظر ترجمته في الأغاني ۴: ۱۰۱، والشعر
والشعراء ص ۲۸۹.

(۲) يعني مروان بن أبي حفصة، وهو شاعر عباسي مشهور.

(۳) الجزرة: الشاة السمينه، وجمعها جزر.

(۴) يقول: إن الشعراء يتخيلون وينسبون إلى أنفسهم كثيراً من أعمال الكرم والشجاعة.

(۵) الحاضر: ساكن الحاضر.

(۶) النطف: التهم بريه.

(۷) المفارق: قيل جمع فقر على غير قياس، وقيل جمع لا واحده، والقنوع: السؤال والتذلل.

وقال أحيحة بن الجلاح :

استغن أو مت ولا يغرزك ذو نسب
إني أكب على الزوراء أعمرها
من ابن عم ولا عم ولا خال
إن الكريم على الأقوام ذو المال^(۱)

وقال أيضا :

استغن من كل ذي قربي وذی رحم
والبس عدوك في رفق وفي دعة
ولا يغرنك أضغان مزملة
إن الفنى من استغنى عن الناس
لباس ذی إربة ، الدهر لباس^(۲)
قد يضرب الدبر الدامي بأحلاس^(۳)

وقال سهل بن هرون :

إذا مروا ضاق عني لم يضق خلقي
فلا يراني إذا لم يرع آعرتي
لا أطلب المال كي أغنى بفضله
من أن يراني غنيا عنه بالياس
مستمر يا دررا منه بإبساس^(۴)
ما كان مطلبه فقرا إلى الناس^(۵)

وقال أبو العتاهية :

أنت ما استغنيت عن صا
فإذا احتجت إليه
حبك الدهر أخوه
ساعة تجبك فوه

وقال أحيحة بن الجلاح :

فلو أني أشاء نعمت بالآ
وباكرني صبوح أو نشيل^(۶)

(۱) الروراء : أرض كانت لأحيحة بن الجلاح ، سميت بيئر كانت فيها (والزوراء : البئر البعيدة العقر) - انظر معجم البلدان ۴ : ۴۱۲ - والبيت فيه :

إني أقيم على الروراء أعمرها إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال

(۲) الإربة : الدهاء .

(۳) مزملة : دفة خفية ، من التزميل وهو الإخفاء واللف في الثوب ، والدبر : البعير أصيب بقرحه من الرحل ، والأحلاس : حم حاس كقرد ، وهو ما يوضع على ظهر البعير تحت الرحل .

(۴) الأصرة : صالة النودة أو القرابة ، والمتمري : الحالب ، والدرر : اللبن ، والإبساس : التلطف بالناقة عند الحالب بأن يقال لها بس بس تكينا لها .

(۵) ماني : ما كان ، مصدرية ظرفية أي مدة كون طلبه يمد فقرا إلى الناس .

(۶) باكرني : جاءني في بكرة النهار ، والصبوح : ما حلب من اللبن بالغداة ، والنشيل : اللحم

للصباح : بغير تابل ، أو اللبن ساعة يهلب .

ولاعبني على الأنماط تُعسُّ على أنيابهنَّ الزَّنجبيل^(۱)
ولكني خلقتُ إزاء مالٍ فأبخلُ بعد ذلك أو أنيلُ

وقال آخر :

أيامُ صلحٍ أصلحُ ولأنك مُفسداً فإن صلاح المال خير من الفقر
ألم ترَ أن المرءَ يزداد عِزَّةً على قومه أن يعلموا أنه مُثري ؟

وقال عروة بن الورد :

ذريني للغني أسعى ذاني رأيت الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ
وأبعدُّهم وأهمُّهم عليهم وإن أمسى له نسبٌ وخيرُ^(۲)
ويُبغيني في النديِّ وتزدريه حليلتهُ وينهره الصغيرُ
وتلقني ذا الغني وله جلالٌ يكاد فؤادُ صاحبه بطيرُ
قليلُ ذنبه ، والذنبُ جمُّ ولكن الغني ربُّ غفورُ

وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل :

تلك عيرُ ساي تنطقان على عهمـدي لي اليومَ قولَ زورٍ ودتر^(۳)
سألتاني الطلاقَ أن رأتا ما لي قليلاً، قد جئتماني بنكر^(۴) !
فلعلِّي أن يكثرُ المالُ عندي ويعرِّي من المغارم ظهري
ويري أعبدُ لنا وأواقٍ ومناصيفُ من خواديمَ دشر^(۵)

(۱) الأنماط : جمع نمط كسبب ، وهو ثوب صوف ذو لون يفرش ، لعس : أي نساء لعس جمع نساء . وصف من اللعس بالتحريك ، وهو سواد مستحسن في الشفة .

(۲) الخير : الكرم والشرف ،

(۳) العرس : الزوجة ، والمتر : تمزيق المرض ، هتره كضرب وهتره : مزقه .

(۴) سال من باب خاف لغة في سأل المصوز .

(۵) الأواق : جمع واقية ، وهي الحافظة الصائنة ، ويريد بها الخادمة . ومناصيف : جمع مصف

كثير ومقعد ، وهي الخادم ، وجها مناصف ومناصيف .

وَبَجْرُهُ الْأَذْيَالُ فِي نِعْمَةٍ زَوْ لِي، تَقُولَانِ ضَعَّ عَصَاكَ لِدهرٍ (۱)
 وَوَيْ كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْسَبُ بِهِ، وَمَنْ يَفْتَمِرْ بِعَيْشِ عَيْشِ خُرٍّ (۲)
 وَيُجَنَّبُ مِيرَ النَّجِيِّ وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحْفَرٌ كُلِّ مِيرٍ (۳)
 وَقَالَ الْآخِرُ :

وَالْمَالُ مِنِّي جَانِبٌ لَا أُضِيْعُهُ وَلِلَّهِو مِنِّي وَالْبَطَالَةُ جَانِبٌ (۴)
 وَقَالَ الْأَخْنَسُ بْنُ شِهَابٍ :

وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا وَالْفَوَاةُ صَحَابَتِي فَأَدَيْتُ عَنِّي، مَا اسْتَمَعَرْتُ مِنَ الصَّبَا
 وَأُولَئِكَ إِخْوَانِي الَّذِينَ أَصَاحِبُ وَالْمَالُ مِنِّي الْيَوْمَ رَاعٍ وَكَاسِبُ
 وَقَالَ ابْنُ أُذَيْنَةَ الثَّقَفِيُّ :

أَطَعْتُ النَّفْسَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى إِذَا مَا جُمْتُهَا قَدْ بَعْتُ عِتْقًا
 أَعَادَتْنِي عَسِيفًا عَبْدَ عَبْدِ (۵) فَمَنْ وَجَدَ الْغِنَى فَلْيَصْطَنِعْهُ
 تَعَانِقُ أَوْ تُقْبَلُ أَوْ تَفْدَى (۶) ذَخِيرَتَهُ وَيَجْهَدُ كُلَّ جَهْدٍ
 وَقَالَ :

مَنْ يَجْمَعُ الْمَالَ وَلَا يَتَّبِعُهُ (۷) وَيَتْرِكُ الْعَامَ لِأَمَامِ جَدِّهِ (۸)

* يَهْنُ عَلَى النَّاسِ دَوَانَ كَلْبِهِ *

وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ : « الْكَدُّ قَبْلَ الْمَدِّ (۹) » وَقَالَ لَقِيْطُ : « أَلْقَمٌ وَأَذْرٌ لِلْقَاحِ ،
 وَأَحَدٌ السَّلَاحِ (۱۰) » .

(۱) الزول : الحسنه المعجبه ، ومعنى الشطر الثاني ، تقولان : ألقى عصاك لدهرك فلا تكدر فيه ،
 ولا تنتقل في طلب الرزق فقد تمت عليك النعمة .

(۲) وى بمعنى أتعجب ، وكان مخففة من الثقيلة ، وهى هنا بمعنى حقا ، والنشب : المال الأصيل .

(۳) فى النسخ « مِر النَّجِيِّ » و « محضر كل شر » وفيها أيضا « أخا الفقر » والنجى : من تباره .

(۴) الرواية المشهورة « وثق منى » . (۵) العسيف : الأجير ، والعبد المستهان به .

(۶) العتقى : الشرف والحريه ، أى إذا ماجئت النفس وقد بعته شرفى وحريتى تسرى .

(۷) ثبى المال : جمعه و كثره .

(۸) أى أنه إذا كان فى عام خصب ترك الادخار حتى يحل به عام قد يكون جدبا .

(۹) الكد : التعب ، والمد : البسط والسعة .

(۱۰) أى ألقم إيلك بيدك إذا أبت أن تأكل بنفسها ، وأذر : أى ألقى الغذاء - من ذرت الريح
 الشىء تذرؤه وأذرته وذرته إذا أطارته - للقاح : وهى النوق التى لقت أى حملت ، وأحد السلاح : أى

سنه ، والغرض من ذلك : العناية بالمال وأخذ العدة لمواد الدهر .

وقال أبو المعافى :

إن التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوجها مهراً^(۱)
فراشا وطيثاً ثم قال لها اتكى فقصر كما لا بد أن تلداً الفقرا^(۲)

وقال عثمان بن أبي العاص : « ساعة لدياك وساعة لآخرتك » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنها كم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » وقال : « خير الصدقة ما أبقي غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى^(۳) ، وابدأ بمن تعول » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الثالث ، والثالث كثير ، إياك أن تدع ولدك أغنياً خيراً من أن يتكففوا الناس » وقال ابن عباس : « وددت أن الناس غصوا من الثالث شيئاً ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الثالث ، والثالث كثير » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت » .

وأتم ترون أن المجد والكرم أن أفقر نفسى ياغناء غيرى ، وأن أحوط عيالى غيرى بإضاعة عيالى ، وقال فى ذلك ابن هرمة :

كفارقة بيضها بالعراء ومأبسة بيض أخرى جناحاً^(۴)
وقال آخر :

كفسي أدناه ومضج غيره ولم ياتم في ذاك أمر صلاح

(۱) أى أن التواني زوج ابنته للعجز ولم يسكفه مهراً ، بل يمت إليه بابنته وساق معها مهراً .
(۲) فراشا بدل من مهراً : أى ثم قال لها اتكى على هذا الفراش الوثير واستريحى ولا تعملى شيئاً ، وقصرك أن تفعل كذا ، وقصارك بالفتح وبضم وقصيرك وقصارك بضمهما : أى جهدك وغايتك ، أى غاية أمركما الذى لا مناص منها أن تلدا مولوداً اسمه الفقير .

(۳) اليد العليا : المعطية . والسفلى : المعطاة .

(۴) يعنى النعامة ، وقد ضربوا بها المثل فى الحق فقالوا « أحق من نعامة » قال الميدانى فى شرحه « وذلك أنها تنتشر للطعم فربما رأت بيض نعامة أخرى قد انتشرت لئلا ما انتشرت هى له فتحضن بيضها وتنسى بيض نفسها ، ثم تجىء الأخرى فتزى غيرها على بيض نفسها ، فتمر لطيتها (أى لوجهها) وإياها عن ابن هرمة بقوله : كفارقة بيضها . . . ثم قال « وزعم أبو عبيدة أن ابن هرمة عن بقوله : كفارقة بيضها الحمامة التى تحضن بيض غيرها وتضع بيض نفسها » .

وقال آخر :

كُرْضِعَةُ أَوْلَادٍ أُخْرَى وَضِيَعَتْ بِنَيْهَا وَلَمْ تَرَقَّعْ بِذَلِكَ مَرَّةً قَعًا
 وقال الله تبارك وتعالى : « وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا . إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
 الشَّيَاطِينِ » وقال : « وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ (۱) » فَأَذِنَ فِي الْعَفْوِ
 وَلَمْ يَأْذِنَ فِي السَّجْدِ ، وَأَذِنَ فِي النَّضُولِ وَلَمْ يَأْذِنَ فِي الْأَصُولِ (۲) ، وَأَرَادَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ
 أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ » فَالْتَمَسَ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْنَعُهُ مِنْ إِخْرَاجِ مَالِهِ فِي الصَّدَقَةِ . وَأَنْتُمْ تَأْمُرُونَهُ بِإِخْرَاجِهِ فِي السَّرْفِ
 وَالتَّبْدِيرِ ! . وَخَرَجَ غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ مِنْ جَمِيعِ مَالِهِ ، فَأَكْرَهَهُ عُمَرُ عَلَى الرَّجُوعِ فِيهِ ،
 وَقَالَ : « لَوْ مِتَّ لَرَجَمْتُ قَبْرَكَ كَمَا يَرْجَمُ قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ (۳) » وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ :
 « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ » وَقَالَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَكْفِيكَ مَا بَلَغَكَ الْمَحَلَّ (۴) » وَقَالَ : « مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا
 كَثُرَ وَأَلْهَى » وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا
 وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضَاءَ

(۱) العفو : ما يفضل عن الحاجة .

(۲) الفضول جمع فضل : وهو الريادة ، والمراد بالأصول : المال المحتاج إليه في حياة الرجل ،
 أو صناعته أو تجارته .

(۳) قال صاحب الفاموس : « وأبو رغال ككتاب ، في سنن أبي داود ودلائل النبوة وغيرهما عن
 ابن عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه إلى الطائف فررنا بقبر فقال هذا قبر
 أبي رغال ، وهو أبو ثقيف وكان من عمود . وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النخلة التي أصابت
 قومه بهذا المكان فدفن فيه » وقال صاحب اللسان : « أبو رغال : اسمه زيد بن علف ، عبد كان لصالح
 النبي على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، بمته صدقا ، وأنه أتى قوما ليس لهم ابن إلا شاة واحدة ولهم مبي
 قد ماتت أمه فهم يعاجونه بلبن تلك الشاة - يعني يغذونه ، والعجى كفتى : الذي يغذى بغير لبن أمه -
 فأبى أن يأخذ غيرها ، فقالوا : دعها نحاي بها هذا الصبي . فأبى فيقال : إنه نزلت به قارعة من
 السماء ، ويقال : بل قتلته رب الشاة ، فلما فقده صالح قام في الموسم يمشد الناس فأخبر بصنيعه فاعنه ،
 فقهره بين مكة والطائف يرحمه الناس » - وقد قدمنا عنه كلمة في نسب ثقيف في الجزء الثاني ص ۱۴۶ .

(۴) يروي في خطبة أكرم بن صيفي أمام كسرى « يكفيك من الزاد ما بلغك المحل » - انظر

جمهرة خطب العرب ۱ : ۲۲ .

قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى^(۱) » وقال الله جل ذكره : « وَلَا تَجْمَلْ بِدَكَ مَفْلُوءَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا » ولذلك قالوا : « خير مالك ما نفعك ، وخير الأمور أوساطها ، وشر السيئر المحققة^(۲) ، والحسنة بين السيئتين » وقالوا : « دين الله بين للتصّر والغالى^(۳) » وقالوا فى المثل : « بينهما يرمى الرامى^(۴) » وقالوا : « عليك بالسداد والاقتصاد ، لا وكس ولا شطط^(۵) » وقالوا : « بين الميخة والمعجفاء^(۶) » وقالوا : « لا تكن حلوا فتبتاع ، ولا مرأ فتلفظ » وقالوا فى المثل : « ليس الرمى عن الشاف^(۷) » وقالوا : « يا عاقد اذ كرحلا^(۸) » وقالوا : « الرشف^(۹) »

(۱) المنبت المنقطع عن أصحابه فى السفر ، والظهر الدابة ، قاله صلى الله عليه وسلم لرجل اجتهد فى العبادة حتى هجمت عيناه : أى غارتا ، فلما رآه قال له : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن المنبت أى الذى يجذ فى صبره حتى ينبت أخيرا - سماه بما تقول لآيه عاقبته كقوله تعالى : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » مثل يضرب لمن يبالغ فى طلب الشىء ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه .

(۲) المحققة : أشد السير وأنعبه للظهر ، أو أن يلج فى السير حتى تعطب راحته أو تنقطع ، قال صاحب اللسان : « وتعبد عبد الله بن مطرف بن الشخير فلم يقتصد ، فقال له أبوه : « يا عبد الله العلم أفضل من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، وخير الأمور أوساطها ، وشر السيئر المحققة » هو إشارة إلى الرفق فى العبادة . يعنى : عليك بالقصد فى العبادة ، ولا تحمل على نفسك فتسأم ، وخير العمل ما ديم وإن قل ، وإذا حملت على نفسك من العبادة مالا تطيقه انقطعت به عن الدوام على العبادة وبقيت حسيرا ، فتكلف من العبادة ما تطيقه ولا يحسرك .

(۳) أى أن الدين هو الطريقة المثلى بين التقصير والمبالاة .

(۴) أى بين التقصير والمبالاة الاعتدال الذى يجب أن يقصد إليه القاصد .

(۵) الوكس : النفس ، والشطط : الجور .

(۶) أخت الشاة : سميت ، والمعجفاء : الهزيلة ، وهو مثل يضرب فى التوسط .

(۷) الاشتفاف والشاف : أن تشرب جميع ما فى الإناء مأخوذ من الشفافة بالضم ، وهى بقية الماء فى الإناء ، يقول : ليس من لا يششف لا يروى ، فقد يكون الرى دون ذلك . وهو مثل يضرب فى قناعة الرجل ببعض ما ينال من حاجته : أى ليس قضاؤك الحاجة أن لا تدع قليلا ولا كثيرا إلا نلت ، فإذا نلت معظمها فاقتم به .

(۸) ويروى « يا حامل » فإذا قلت يا عاقد فتقولك حلا يكون تقيض العقدة : وإذا رويت يا حامل فالحل بمعنى الحلول ، يقال حل بالمسكان يحل حلا وحلولا وحللا . وأصل المثل فى الرجل يشد حمله فيسرف فى الاستيثاق حتى يضرب ذلك به وبراحته عند الحلول ، يضرب مثلا للنظر فى العواقب .

(۹) الرشف : التانى فى الصرب ، أقم : أذهب وأقطع للعطش ، مثل يضرب فى ترك العجلة .

أَنْتَعُ لِلظَّامَانِ « وقالوا : « الْقَائِلُ الدَّائِمُ أَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ الْمَقْطَعِ » وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ
« إِنِّي لَأَسْتَجِمْ نَفْسِي بِبَعْضِ الْبَاطِلِ ، كِرَاهَةً أَنْ أَحِجَلَ عَلَيْهَا مِنَ الْحَقِّ مَا يُعِيلُهَا »
وقال الشاعر :

وَإِنِّي لَخُلُوْتُ تَعْتِرِبِي مِرَارَةً وَإِنِّي لَصَعْبُ الرَّأْسِ غَيْرِ جَمُوحٍ (۱)
وقالوا في عَذَلِ الْمُصْلِحِ وَلَائِمَّةِ الْمُقْتَصِدِ : « الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ الظَّالِمِ (۲) » وقالوا :
« لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ سُرْعَةُ الْعَدْلِ » وقالوا : « لَعَلَّ لَهُ عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ (۳) » وقالوا :
« رَبِّ لَا تُؤْمِمْ مُلِيمٌ (۴) » وقال الأحنف : « رَبِّ مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ (۵) » وقال : « إِعْطَاهُ
السَّائِلَ تَضْرِيئَةً (۶) ، وَإِعْطَاءَ الْمُلْحِفِ مِشَارَكَةً (۷) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لَا تَصْلُحُ الْمَسْأَلَةُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : فَفَقِيرٌ مُدْقِعٌ (۸) ، وَغَرْمٌ مُنْفِطِعٌ ، وَوَدْمٌ مُوَجِّعٌ (۹) »
وقال الشاعر :

الْحَرُّ يُلْحِي وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ الْمُلْحِفِ غَيْرُ الرَّدِّ (۱۰)
وقالوا : « إِذَا جَدَّ السُّؤَالُ جَدَّ (۱۱) الْمَنْعُ » وقالوا : « احْذَرِ إِعْطَاءَ الْخَدُوعِينَ (۱۲) »

(۱) ويروى لسان بن ثابت :

وَإِنِّي لَخُلُوْتُ تَعْتِرِبِي مِرَارَةً وَإِنِّي لَتَرَاكُ لَمَّا لَمْ أَعُودُ

(۲) يقول : لأنهم حين تجنوا على المقتصد ولاموه ووصفوه بالشح كذبا ، جعلوا له في شحه عذرا
أقوى من عذر الظالم .

(۳) مثل يضرب لمن يلوم من له عذر لا يعلمه اللائم ، وهو عجز بيت وصدرة :

* تَأْنٍ وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبًا *

(۴) ألام : أتى بما يلام عليه ، والمثل لأكرم بن صبيح .

(۵) قال الميداني : هذا من قول أكرم بن صبيح ، يقول : قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه
وهم لا يعرفون حجته وعذره فهو يلام عليه . وذكروا أن رجلا في مجلس الأحنف بن قيس قال : ليس
شيء أبغض إلي من التمر والزبد فقال الأحنف : رب ملوم لا ذنب له .

(۶) التضرية : التعويد والإغراء . وأصله من ضرى الكلب بالصيد كفرح : تعود ، وأضرأه
صاحبه به وضرأه : عوده وأغراه .

(۷) أي مشاركة له في الإخاف لأنك باعطائه عاونه وأجرته .

(۸) أي شديد ماصق بالدقما ، وهي الأرض .

(۹) أي في حال جمع المال لدية القليل .

(۱۰) يلحى : يلام ، لحاه يلحاه : لومه . (۱۱) أي قوى واشتد .

(۱۲) المصدر مضاف لفاعله : أي احذر أن تعطى وأنت مخدوع .

« بذل المغبونين ، فإن المغبون لا محمود ولا مأجور » ، ولذلك قالوا : « لاتكن أدنى العيرين ^(۱) إلى السهم » يقول : إذا أعطيت السائلين مالك صارت مقاتلك أظهر لأعدائك من مقاتلتهم ، وقالوا : « الفرار بقراب أكيس ^(۲) » وقال أبو الأسود : « ليس من العز أن تتعرض للذل ، ولا من الكرم أن تستدعي اللوم » ومن أخرج حاله من يده افتقر ، ومن افتقر فلا بد له من أن يضرع ^(۳) ، والضرع لوم . وإن كان الجود شقيق الكرم ، فالأنفة أولى بالكرم ^(۴) ، وقد قال الأول : « اللهم لاتنزلني ^(۵) ماء سوء ، فأكون امرأ سوء » .

وقد قال الشاعر :

واخطُ مع الدهر إذا ما خطاً واجر مع الدهر كما يجري

وقد قال الآخر :

بليت لي نعاين من جلد الضبع وشراً كما من ثغرها ^(۶) لاتنقطع
كل الحذاء يحتذى الخافي الوقع ^(۷)

وقد صدق قول القائل : « من احتاج اغتفر ، ومن اقتضى ^(۸) تجوز » وقيل

(۱) العير : الحمار ، والعيران هنا السائل والمسئول ، فإذا أعطى المسئول كل ماله للسائل تعرض لسهام أعدائه ولم يقو على نزاهم .

(۲) القراب : الغمد ، والمثل لجابر بن عمرو المازني . وذلك أنه كان يسير يوماً في طريق إذ رأى أثر رجلين ، وكان طائفاً قائفاً (والعائف : المتكهن بالطير أو غيرها ، والعائف : من يعرف الآثار) فقال : أرى أثر رجلين شديداً كليهما عزيزاً سلبهما والفرار بقرب أكيس . أراد ذو الفرار أي الذي يفر ومعه قراب سيفه إذا قاته السيف أكيس ممن يفيت القراب أيضاً .

(۳) أي بدل .

(۴) يقول : إذا كان الجود شقيق كرم النفس ، وجب على الجواد ألا يسمي في إذلال نفسه ، وأن يحافظ على أنفها وإباؤها ، وإنما يكون ذلك بالمحافظة على ماله .

(۵) هكذا في الحيوان للجاحظ ، وفي النسخ « لاتنزلني » .

(۶) هكذا في نجم الأمثال ، وفي النسخ « من استها » والشرك جمع : شراك ككتاب ، وهو سبر النمل .

(۷) وهم الرجل كفرح : إذا حنى من مره على الحجارة ، وهو مثل يضرب عند الحاجة تحمل على التعلق بما يقدر عليه .

(۸) التضي دينه وتفاضه بمعنى .

نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن « فانظر كيف تُخرج الدرهم؟ ولم تُخرجه؟
وقالوا : « شرٌّ من المرزئة سوء الخلف (۱) » وقال الشاعر :

إن يكن ما به أصبت جليلاً فذهابُ العزاء فيه أجلُّ

ولأن تفتقر بمأتمحة نازلة خير لك من أن تفتقر بحفاية مكتسبة ، ومن كان سبباً
لذهاب وفرة ، لم تعدمه الحسرة من نفسه ، واللائمة من غيره ، وقلة الرحمة ، وكثرة
الشماتة ، مع الإثم الموبق والهوان على الصاحب ، وذکر عمر بن الخطاب فتیان قريش
وسرفهم في الإنفاق ، ومسابقتهم في التبذير ، فقال : « نُحْرَقَةُ (۲) أحدهم أشدُّ على من
عنيته » يقول : إن إغناء الفقير أهون على من إصلاح الفاسد :

ولا تكن على نفسك أشام من خوتعة (۳) ، وعلى أهلاك أشام من البسوس (۴) ،

— بذلك أم سماك ، فقالت : يا مالک قبح الله الحياة بعد سماك ، اخرج في الطلب بأخيك ، فخرج في الطلب فلقى
قاتل أخيه يسير في ناس من قومه ، فقال : من أحسن لي الجمل الأحمر ؟ فقالوا له - وعرفوه - : يا مالک له
مائة من الإبل فكف ، فقال لا أطلب أثراً بعد عين ، فذهبت مثلاً ، ثم حمل على قاتل أخيه . فقتله ، والمعنى :
لا آخذ الدية وهي أثر الدم وتبعته ، وأترك الدين يعني القاتل .

(۱) المرزئة : المصيبة ، وسوء الخلف ما تخلفه من الجزع ، أي إذا فقدت مالك كان جزعك على
ضياعه أشد من ضياعه .

(۲) الحرقه : الحق ، وسوء التصرف في الأمور . والعيلة : الفقر .

(۳) هو رجل من بني غفيلة كجهمينة دل كثيف (كزبير) بن عمرو التغابي وأصحابه على بني الزبان
(بالفتح) الدهلي ، لذة كانت له عند عمرو بن الزبان ، فأتوهم وهم قد جلسوا على القداء ، فقال عمرو لانتب
الحرب يننا وبينك ، قال : كلا ، بل أقتلك وأقتل لإخوتك ، قال : فإن كنت فاهلاً فأطلق هؤلاء الغنية
الذين لم يتلبسوا بالحروب ، فإن وراءهم طالبا أطلب مني ، يعني أباهم ، فقتلهم وجعل ره وسهم في مخلاة ،
وملقها في عنق ناقة لهم يقال لها الدهيم (كزبير) فجاءت الناقة والزبان جالس أمام بيته ، فبركت ، فقال :
يا جارية هذه ناقة عمرو ، وقد أبطأ هو وإخوته ، فقامت الجارية مجست المخلاة فقالت : قد أصاب بنوك
بيض نعام ، وأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو أول ما أخرجت ، ثم رهوس لإخوته ، ففسلها الزبان
ووضعها على ترس وقال : آخر البر على القلوس ، فأرسلها مثلاً - والبر : القلوس - أي هذا آخر عهدى
بهم لا أراهم بعده . وخبر أن خوتعة هو الذي دل على ولده ، فأغتنى في بني غفيلة حتى أبادهم - اقرأ المثل
مطولاً في مجمع الأمثال ۱ : ۲۵۵ .

(۴) هي البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة قاتل كليب ، والتي من أجلها نشبت حرب
البسوس المشهورة بين بكر وتغلب - اقرأ المثل مفصلاً في مجمع الأمثال ۱ : ۲۵۴ .

وعلى قومك أشام من عطر منشم^(۱) ، ومن سلط الشهوات على نفسه ، وحكم الهوى في ذات يده ، فبقي حسيرا ، فلا يلومن إلا نفسه ، وطوبى لك يوم تقدر على قديم^(۲) تنتفع به ، وقال بعض الشعراء :

أرى كل قوم يمنعون حريمهم وليس لأصحاب النبيذ حريم
أخوهم إذا ما دارت الكأس بينهم وكلهم رث الوصال سئوم
فهذا بياني لم أقل بجهالة ولكنى بالفاسقين علم

وقد كان هذا المعنى في أصحاب النبيذ أوجده^(۳) ، فأما اليوم فقد استوى الناس ، قال الأضبط بن قريع لما انتقل في القبائل فأساءوا جواره بعد أن تأذى بيني سعد . « بكل واد بنو سعد » .

خذ بقولي ودع قول أبي العاص ، وخذ بقول من قال : « عش ولا تغتر^(۴) »
وبقول من قال : « لا تطلب أثرا بعد عين » وبقول من قال : « املا حُبَّكَ^(۵) من أول مطرة ، ودع ما يربيك إلى ما لا يربيك ، أخوك من صدقك ، ومن أتاك من جهة هلك ، ولم يأتك من جهة شهوتك ، وأخوك من احتمل ثقل نصيحتك في حظك^(۶) ، ولم تأمن لأئمة إياك في غدك » .

(۱) ويقال : « أشام من منشم » وكانت منشم امرأة عطارة تباع الطيب ، فكانوا إذا قصدوا الحرب غمسوا أيديهم في طيبها وتحالفوا عليه أن يستميتوا في تلك الحرب ، ولا يولوا أو يقتلوا ، فكانوا إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول الناس : قد دقوا بينهم عطر منشم ، فلما كثر منهم هذا القول سار مثلا ، فمن مثل به زهير بن أبي سلمى حيث يقول :

تداركتما عبا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقيل : إن منشم كانت امرأة تباع الخنوط ، وإنما سموا خنوطها عطرا في قولهم : قد دقوا بينهم عطر منشم ، لأنهم أرادوا طيب الموتى .

(۲) يراد بالقديم : المال المدخر ، وفي النسخ « على قدم » .

(۳) أى أكثر وجودا فيهم .

(۴) مثل يضرب في الحث على الحيلة . وأصله أن رجلا أراد أن يفوز بإبله ليلا ، واتكل على عشب يجده في الطريق ، فقبل له : عش ولا تغتر « وفوز بإبله : ركب بها المفازة » .

(۵) الحب : وعاء كبير للماء .

(۶) أى في سبيل سعادتك .

وقال الآخر :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدَقُ مِنْ لَمْ يَخْدَعَكَ وَمَنْ يَضِيرُ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ^(۱)

وقد قال عبيد بن الأبرص :

وَأَعْلَمَنْ عِلْمًا بَقِيْنًا أَنَّهُ لَيْسَ يُرْجَى لَكَ مَنْ لَيْسَ مَعَكَ

ولا تزال بخير ما كان لك وواعظ من نفسك ، وعين من عقلك على طباعتك ،
أول ما كان لك أخ نصيح ، ووزير شفيق ، والزوجة الصالحة عون صدق ، والسعيد
من وعظ بغيره ، فإن أنت لم ترزق من هذه الخصال^(۲) خصلة واحدة ، فلا بد لك من
نكبة موجعة ، يبقى أثرها ، ويلوح لك ذكرها ؛ ولذلك قالوا : « خير مالك ما نفعك »
ولذلك قالوا : « لم يذهب^(۳) من مالك ما وعظك » .

إن المال محروص عليه ، ومطلوب في قعر البحار ، وفي رؤوس الجبال ، وفي دغل
الغياض^(۴) ، ومطلوب في الوعورة كما يطلب في السهولة ، وسواها فيها^(۵) بطون
الأودية ، وظهور الطرق ، ومشارق الأرض ومغاربها ، فطلبت بالعرز ، وطلبت بالذل ،
وطلبت بالوفاء ، وطلبت ، بالقدر ، وطلبت بالنسك كما طلبت بالفتك ، وطلبت بالصدق
كما طلبت بالكذب ، وطلبت بالتبذير ، وطلبت بالملق ، فلم تترك فيها حيلة ولا رقية

(۱) يقال : هذا الرجل الصدق بالفتح ، فإذا أضفت إليه كسرت الصاد ، وقوله لم يخدعك ينصب
الفعل بعد لم ، قال صاحب المغني : « وزعم اللحياني أن بعض العرب ينصب بها كقراءة بعضهم
« أَلَمْ نَشْرَحْ » وقوله :

في أي يومى من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر
وخرجا على أن الأصل نشرحن ويقدرن ثم حذف نون التوكيد الحفيفة وبقيت الفتحة دليلا عليها ،
وفي هذا شذوذان : توكيد المنى بلم ، وحذف النون لغير وقف ولا ساكنين ، اه . وربما كان الأصل
« من لن يخدعك » ويضير نفسه : يضرها ، والمثل في بجم الأمثال « إن أخا الهيجاء من يرمى معك ،
ومن يضر نفسه لينفعك » يضرب في المساعدة .

(۲) أى الخصال التى ذكرت آنفا ، وهى أن يكون له واعظ من نفسه الخ .
(۳) ويروى « لم يضع » وهو مثل لأكرم بن صيني ، قال المبرد : أى إذا ذهب من مالك شئ . فحذرك
أن يحمل بك مثله ، فتأديه لياك عوض من ذهابه .

(۴) الدغل : الشجر الكثير اللث . والغياض : جم غيضة بالفتح ، وهى الأجمة ومجتمع الشجر .

(۵) فيها : أى فى الأموال ، والمراد فى طلبها ، فهى مطلوبة فى بطون الأودية الخ .

حتى طُلِبَت بالكفر بالله ، كما طُلِبَت بالإيمان ، وطُلِبَت بالشُّخْف كما طُلِبَت بالنُّبْل ،
فقد نصبوا الفِخاخ بكل موضع ، ونصبوا الشَّرَكَ (۱) بكل رَبْع ، وقد طلبك مَنْ لا يَقْصُر
دون الظفر ، وحَسَدك من لا ينام دون الشِّفاء .

وقد يهدأ الطالبُ الطَّوَائِلَ (۲) والمطلوبُ بذات نفسه ، ولا يهدأ الحريصُ ، يقال:
إنه ليس في الأرض بلدة واسطة (۳) ، ولا بادية شامعة ، ولا طَرَف من الأطراف ،
إلا وأنت واجدٌ بها المدينيَّ والبصريَّ والحيريَّ ، وقد ترى شَفَّ (۴) الفقراءِ للأغنياء ،
وتسرَّعَ الرغبة إلى الملوك ، وبُغْضَ الماشي للراكب ، وعمومَ الحسد في المتفاوتين ،
وإن لم تستعمل الحذرَ ، وتأخذُ بنصيبك من المداراة ، وتتعلمَ الحزمَ ، وتُجالِسَ أصحابَ
الاقتصاد ، وتعرفَ الدهورَ ودهرَكَ خاصَّةً ، وتمثَّلَ لنفسك الغيرَ (۵) حتى تتوهمَ نفسك
فقيراً ضائعاً ، وحتى تهتمَّ شمَّاك على يمينك ، وسممَكَ على بصرِكَ ، ولا يكون أحد
أَتَمَّ (۶) عند نفسك من نفسك ، ولا أولى بأخذ الحذر منه من أمينك ، أختطفتَ
اخطافاً (۷) ، واستلَّبتَ اسقلاباً ، وذوَّبوا مالك وتحيَّفوه (۸) ، وألزموه السِّلَّ ولم
يُداووه ، وقد قالوا : « بلي المالَ ربُّه وإن كان أحقَّ » فلا تكوننَّ دون ذلك
الأحقِّ ، وقالوا : « لاتعدَم صنَّاعُ ثلَّة (۹) » فلا تكوننَّ دون تلك الصنائع ، وقد
قال الأول في المال المضيع المساطِرِ عليه شهواتُ العيال : « ليس لها راجع ، ولكنَّ
حَلْبَةَ (۱۰) » .

(۱) الشرك : حبايل الصائد ، واحدته شركة كقصة ، ويجمع على شرك كعق نادرا .

(۲) الطوائل : جمع طائلة ، وهي النار . (۳) أي متوسطة .

(۴) شفف له شفا كفرح : أبغضه وتنكره . (۵) حوادث الدهر المغيرة .

(۶) أي أكثر إتهاماً ، من أتهمه كأكرمه إذا أتهمه .

(۷) في بعض النسخ « واحتفظت احتفاظاً » .

(۸) أي تنقصوه ، من حيفه . والحيف كغيب جمع حيفة بالكسر : وهي الناحية .

(۹) امرأة صنَّاع اليدين : حاذقة ماهرة بعمل اليدين . والثلَّة : الصوف تنزله المرأة ، مثل يضرب

لمن إذا هدم عملاً أخذ في آخر لحذقه وبصيرته .

(۱۰) الحلبة : جمع حالب ، مثل يضرب للرجل يؤكل وليس له من يبقى عليه ، وفي النسخ « خلية » .

وليس مالك المال المعنى من الأضرار فيقال فيه : مرعى ولا أكوالة (۱) ،
وعُشْبٌ ولا بعير ، فقصاراك مع الإصلاح أن يقوم ببطنك وبمحو أمجك وبما يفوبك ،
ولا بقاء للمال على قلة الرعى وكثرة الحلب ، فكس (۲) في أمرك ، وتقدم في حفظ
مالك ، فإن من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين ، والأكرمان : الدين ، والعرض ،
وقد قيل : « للرمي رُاشُ السهم (۳) » و « عند النطاح تغلب القرناه (۴) » .

وإذا رأت العرب مستأكلاً وافق عُمرًا (۵) قالت : « ليس عليك نسجه فاستحب
وخرق (۶) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الغاس كلهم سواء كأسنان
المشط » والمرء كثير بأخيه ، ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى
لنفسه ، فتعرف شأن أصحابك ومعنى (۷) جلسائك ، فإن كانوا في هذه الصفة فاستعمل
الحزم ، وإن كانوا في خلاف ذلك عملت على حسب ذلك .

إني لست أمرُّك إلا بما أمرك به القرآن ، ولست أوصيك إلا بما أوصاك به
الرسول ، ولا أعظك إلا بما وعظ به الصالحون بعضهم بعضاً ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « اعقلها وتوكل » وقال مطرف بن الشخير : « من نام تحت صدق (۸)
مائل وهو ينوي التوكل ، فليزم بنفسه من طمار (۹) وهو ينوي التوكل » فأين

(۱) الأكوالة: الشاة التي تعزل للأكل وتسمن ، مثل يضرب للمتمول لا آكل لاله .

(۲) أمر من الكيس بالفتح ، وهو العنل والفتنة .

(۳) راش السهم يرشه : ألقى عليه الريش ، ورواه الميداني في بجم الأمثال « قبل الرمي يرش
السهم » مثل يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها ، وهو مثل قولهم « قبل الرماة تملأ الكنائن » أي
تؤخذ الأهبة للأمر قبل وقوعه .

(۴) أي ذات القرن ، ومن أمثالهم « عند النطاح يغلب الكيش الأجم » ويغلب البناء للسهول ،
والنيس الأجم : الذي لا قرن له ، يضرب من غلبه صاحبه بما أعده له .

(۵) الفمر بالفتح والضم وكذب وكنف . من لم يجرب الأمور :

(۶) رواه الميداني « ليس عليك نسجه فاستحب وجر » أي أنك لم تنصب فيه فإذالك تفده .

(۷) معنى : مقصد . (۸) الصدق : كل شيء مرتفع من حائط ونحوه .

(۹) طمار : اسم للسكان العالي ، قال الشاعر :

« وآخر يهوى من طمار فتيل » .

ينشد من طمار بفتح الراء ومن طمار بكسرهما منونا وغير منون ، وقيل هو اسم جبل .

التوقى الذى أمر الله به ، وأين التفرير الذى نهى عنه ؟ ومن طمِع فى السلامة من غير تسلّم (۱) ، فقد وضع الطمع فى موضع الأمانى ، وإنما يُنجِزُ اللهُ الطمعَ إذا كان فيما أمرَ به ، وإنما يحقق من الأمل ما كان هو المسبب له ، وفرَّ عمر من الطاعون فقال له أبو عبيدة : « أتفرُّ من قدر الله ؟ » قال : « نعم إلى قدر الله » وقيل له : « هل ينفع الحذر من القدر ؟ » فقال « لو كان الحذر لا ينفع لكان الأمر به كنعو » فأبلاء المذر (۲) هو التوكل ، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال فى خصومة : حسبي الله : « أبلِ الله عذرا ، فإذا أعجزك أمر فقل : حسبي الله » .

وقال الشاعر :

ومن يكُ مثلى ذا عيالٍ ومُقترا
من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليُنبئ عذرا أو ليبلغ حاجة
ومبلغ نفس عذرها مثل منجرح

وقال الآخر :

فإن يكن القاضى قضى غير عادلٍ
فبَعْدَ أمورٍ لا ألومُ لها نفسى
وقال زهير البابى (۳) : « إن كان التوكل أن أكون متى أخرجتُ مالى أيقنتُ
بأنلُف ، وجعلت الخلفَ مالا يرجع فى كيسي ، ومتى مالم أحفظه أيقنتُ بأنه
محفوظ ، فإني أشهدكم أنى لم أتوكل قط ، وإنما التوكل أن تعلم أنك متى أخذت بأدب الله
تقلب فى الخير فتجزي بذلك إما عاجلا وإما آجلا » ثم قال : فلم تجر أبو بكر ؟
ولم تجر عمر ؟ ولم تجر عثمان ؟ ولم تجر الزبير ؟ ولم تجر عبد الرحمن (۴) ؟ ولم علم عمر
الناس يتجرون ، وكيف يشترون ويبيعون ؟ ، ولم قال عمر : « إذا اشتريت جملا

(۱) المراد بالتسلّم هنا : الأخذ بأسباب السلامة والعمل لها .

(۲) إبلاء المذر : تفديعه ، وكل من لم يقصر فى عمل شئ ولم ينجح فيه فقد أبل عذرا .

(۳) قال ياقوت فى معجم البلدان ۲ : ۱۳ وينسب إلى باب الأبواب جماعة منهم زهير بن نعيم البابى

وفى بعض النسخ « الثانى » وهو تصحيف .

(۴) أى عبد الرحمن بن عوف .

فاجعله ضَخْمًا ، فإن لم يبيعه الخُبْرُ^(۱) باعه المنظرُ ؟ ، ولم قال عمر : « فرّقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين^(۲) » ؟ ولم قال عثمان حين سئل عن كثرة أرباحه : « لم أروّ من ربح قطُّ » ؟ ولم قيل : « لا تشتر عيبا ولا شيئا^(۳) » ، وهل حجّر علي بن أبي طالب علي ابن أخيه عبد الله بن جعفر إلا في إخراج المال في غير حقه ، وإعطائه في هواه ؟ وهل كان ذلك إلا في طلب الذكر ، والتماس الشكر ؟ وهل قال أحد إن إنفاقه^(۴) كان في الخمر والقيمار ، وفي الفسولة^(۵) والفجور ؟ وهل كان إلا فيما تسمونه جودا ، وتعدّونه كرما ؟ ومن رأى أن يحجّر على الكرام لكرمهم رأى أن يحجّر على العلماء لعلمهم^(۶) ! وأىّ إمام بعد أبي بكر تريدون ؟ وبأىّ سلف بعد علي تقتدون ؟ .

وكيف نرجو الوفاء والقيام بالحق والصبر على النائبة من عند لعمووظ^(۷) مستأكل وملاقئ مخادع ، ومنهوم بالطعام شره لا يبالي بأى شيء أخذ الدرهم ، ومن أى وجه أصاب الدينار ؟ ولا يكثر للعنة ، ولا يبالي أن يكون أبداً منهوما منعوما عليه ، وليس يبالي إذا أكل كيف كان ذلك الطعام ؟ وكيف كان سببه ؟ ، وما حكمه .

فإن كان مالك قليلا فإنما هو قوام عيالك ، وإن كان كثيرا فاجعل الفاضل لعدّة نوائبك ، ولا يأمن الأيام إلا المضلل ، ولا يفترّ بالسلامة إلا المغفل ، فاحذر

(۱) الخبر : العلم والمعرفة .

(۲) انظر ص ۳۹۱ من الجزء الثالث .

(۳) الشيء معروف ، والمراد هنا لازمه . وهو الضعف ، وكبر السن ، أى لا تشتر ذا عيب ولا ذا ضعف .

(۴) الضمير فيه يعود إلى عبد الله بن جعفر .

(۵) الفسولة : الدناءة .

(۶) أى لو كان حجّر على رضى الله عنه على عبد الله بن جعفر لكرمه لساغ الحجّر على الخليل ، وساغ الحجّر على كل ذى فضيلة ، يريد أن يقول : إن إنفاق ابن جعفر لم يكن كرما .

(۷) الحريس الشهوان .

حطوارقِ البلاء ، وخدع رجال الدهاء ، سَمْنُكَ في أديمك (۱) ، وغنك خير من سمين
خيرك (۲) لو وجدته ، فكيف ودونه أسل (۳) حِدادٌ ، وأبوابٌ شداد؟ قالت امرأة
لبعض العرب : « إن تزوجتني كفتيتك » فأنشأ يقول :

إذا لم يكن لي غيرُ مالكِ مَسَى خصاصٌ وبان الحمدُ مني والأجرُ (۴)

وما خيرُ مالٍ ليس نافعَ أهله وليس لشيخ الحى في أمره أمرٌ ؟

وقال المعلوطُ القرَبيُّ :

أبا هاني! لا تسألِ الناسَ والتمِسْ بكفتيك سترَ الله فاللهُ واسعٌ

فلو تسألُ الناسَ الترابَ لأوشكوا إذا قيلَ هاتُوا أن يَمَلُّوا فيمنعوا (۵)

(كتاب البخلاء ص ۱۲۹)

(۱) من أمثالهم « سمنكم هريق في أديمكم » وكثيراً ما يقولون « سمنهم في أديمهم » يضرب للذي لا يتجاوز خيره ، قال أبو عبيدة : الأديم : المأدوم من الطعام ، أى جعلوا سمنهم فيه ولم يفضلوا به .
وقال الأصمعي : أصله في قوم سافروا ومعهم نحى سمن ، فانصب على أديم لهم ، فكروهوا ذلك ، فقبل لهم :
مانقص من سمنكم زاد في أديمكم .

(۲) أول من قال هذا المثل معن بن عطية المذحجي . وذلك أنه كانت بينهم وبين حى من أحياء
العرب حرب شديدة ، فرمى في حملة حماتها برجل من حزبه صريعاً فاستغاثه وقال : ابنى على كفت
البلاء ، فأرسلها مثلاً ، فأقامه معن وساربه حتى بلغه ، آمنه ، ثم عطف أولئك القوم على مذحج فهزمهم
وأسروا معناه وأخاه له يقال له روق - وكان يضمه ويحمق - فلما انصرفوا إذا صاحب معن الذى نجاه أخو
رئيس القوم فناداه معن ، وقال : يا خير جاز بيد أوليتها نج منجيك .

فعرفه صاحبه فقال لأخيه : هذا المان على ومنقذى بعد ما أشرفت على الموت . فبه لى ، فوهبه له فخلى سبيله ،
وقال : لى أحب أن أضاعف لك الجزاء ، فاختر أسيراً آخر ، فاختر معن أخاه روقاً ، ولم يلتفت إلى سيد
مذحج وهو فى الأسارى ، ثم انطلق معن وأخوه راجعين ، فرى بأسارى قومهما ، فسألوا عن حاله فأخبرهم
الحر ، فقالوا لمن : قبجك الله! تدع سيد قومك وشاعرهم لانتك وتفك أخاك هذا الأنوك الغسل الرذل ،
فوالله ما نكأ جرحاً ، ولا أعمل ربحاً ، ولا ذعر سرحاً ، وإنه لقبيح المنظر ، سبيء الخمر ، لثيم ، فقال
معن . « غنك خير من سمين غيرك » فأرسلها مثلاً .

(۳) الأسل : الرماح ، واحده أسلة .

(۴) الخصاص : الفقر كالخاصة .

(۵) اطلمت في خلال اشتغالى بهذا المؤلف على تحقيق وشرح كتاب البخلاء لأستاذى الجليلين على

بك الجارم ، وأحمد بك العوامرى ، وقد استعنت بمجهودهما الموفق في هذه الرسالة ، فلمما منى ومن قراء
العربية جزيل الشكر .

۷۲ - کتاب عمرو بن عثمان القینی

إلى محمد بن عبید الله العتبی

وكان محمد (۱) بن عبید الله العتبی صديقا لعمرو بن عثمان القینی ، فكتب إليه العتبی كتابا فزاده في الدعاء ، فكتب إليه عمرو :

يا ابن الذوائب من قريش والذرى
حاشا لملك أن يراني قائلا
لم ترضَ إذ كُنيتني وبدأت بي
ولو اقتصرت على التي هي قيمتي
لكتبت لي: « عمرو بن عثمان » ولم
فاترك جملة فداك - إكرامى بما
فالعين تُصغرُ أن تُقدمها على
حَلُوا من العز المنيع زيافه

وسليل سادة سا كني البطحاء (۲)
بكرامة تزرى لديه برأى
حتى دعوت الله لي ببقائى
فما تبت قضيئة الحكماء
تتبعه في العنوان حرف دعاء
أخشى به عند الورى استغبائى (۳)
أولاد « حرب » السادة الكرماء
يحمون غيرهم ذرى العلياء (۴)

(أدب الكتاب ص ۱۵۹)

(۱) هو محمد بن عبید الله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وكان أدبيا فاضلا وشاعرا مجيدا ، والعتبی : نسبة إلى جده عتبة بن أبي سفيان . قال ابن خلكان : ويجوز أن تكون نسبة إلى عتبة التي كافي بقول الشعر فيها ، وتوفى سنة ۲۲۸ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۵۲۲ .

(۲) الذوائب : جمع ذؤابة بالضم ، وذؤابة كل شيء : أعلاه . والبطحاء : بطحاء مكة أي مابل وادبها .

(۳) أى عدى من الأغبياء .

(۴) النياف : الجبل العالى الطويل ، والمراد هنا : القمة والذروة ، ويقال أيضا جل نياف : أى حلويل في ارتفاع ، وقصر نياف : أى مرتفع ، قال في اللسان : « وقد يجوز أن يكون نياف مصدرا ووصف به كما يوصف بالصادر » .

۷۳ - كتاب المتوكل في الإعلان بلقبه

ولما مات هرون الواثق بن المعتصم سنة ۲۳۲ هـ ببيع بالخلافة أخوه جعفر ، وأُتِبَ المتوكلَ على الله ، فأحضر محمد بن عبد الملك الزيات وأمر بالكتاب بذلك إلى الناس ، فنفذت إليهم الكتب ، نسخة ذلك :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أمر - أبقاك الله - أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أن يكون الرسم الذي يجري به ذِكْرُهُ على أعماد منابره ، وفي كُتُبِهِ إلى قضاياه وكتابه وعماله وأصحاب دواوينه وغيرهم من سائر من تجرى المكاتبه بينه وبينه : « من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين » فأريك في العمل بذلك وإعلامي بوصول كتابي إليك موثقاً إن شاء الله .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۲۶)

۷۴ - كتاب المتوكل إلى عماله في النصارى وأهل الذمة

وفي سنة ۲۳۵ هـ كتب المتوكل إلى عماله في الآفاق ، بشأن النصارى وأهل الذمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى بعزته التي لا تحاؤل ، وقدرته على ما يريد ، اصطفى الإسلام فرضيه لنفسه ، وأكرم به ملائكته وبعث به رسوله ، وأيد به أوليائه ، وكنفه بالبر ، وحاطه بالنصر ، وحرسته من العاهة ، وأظهره على الأدبان ، مبرراً من الشبهات ، معصوماً من الآفات ، محبوباً بمناب الخير ، مخصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها ، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها ، ومن الأحكام بأعدلها وأقنعها ، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدتها ، وأكرم أهله بما أحل لهم من حلاله ، وحرّم عليهم من حرامه ، وبين لهم من شرائعه وأحكامه ، وحدّ لهم من حدوده ومناهجه ، وأعدّ لهم من سعة جزائه وثوابه ، فقال في كتابه فيما أمر به

ونهى عنه ، وفيما حَضَّ عليه فيه ووعظ : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »
 وقال فيما حَرَّمَ على أهله مما عَمَّ (١) فيه من ردىء الطعام والمشرب والمنكح ، لينزَّهُهم عنه ، وليطهرَّ به دينهم ليفضلهم عليهم تفضيلاً : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدُكُمْ وَالْحَيْضَةُ وَمَا أَهَلَ بِهِنَّ مِنَ الْمَخْتَلِاتِ وَالْمُتَدَبِّحَةُ وَالنَّطِيجَةُ ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِىكُمْ فَسِقُوا » ثم ختم ما حَرَّمَ عليهم من ذلك فى هذه الآية بحراسة دينه من عند (٣) عنه ، وبإتمام نعمته على أهله الذين اصطفاهم ، فقال عز وجل :
 « الْيَوْمَ يَدُسُّ الدِّينَ كُفْرًا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » وقال عز وجل :
 « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ، وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ ، وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّائِبُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ، وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ

(١) أى عابه وتلبه .

(٢) أى يرفع الصوت لغير الله به فذبح على اسم غيره ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والمنخفة : التى مات بالحنق : والموقوذة . المقتولة ضرباً بجحبة أو حجر . والمتدبية : التى تردت وسقطت من علوفات . والنطيحة : التى نطحتها أخرى فانت . وما أكل السبع : أى وما أكل منه السبع فانت ، إلا ما ذكيت : التذكية : الذبح ، أى إلا ما أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ، وما ذبح على النصب : وهى أحجار كانت منصوبة حول الكعبة يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة ، وقيل هى الأصنام ، أى وما ذبح على اسم النصب ، وأن تستقسوا : أى تطلبوا معرفة ما قسم لكم ، والأزلام : جم زلم بفتح الزاى وضمها مع فتح اللام ، وهو قدح (كقرد) صغير لاريش له ولا نصل ، وكانوا إذا قصدوا فعلاً أجالوا ثلاثة قداح ، مكتوب على أحدها أمرنى ربى ، وعلى الثانى نهانى ربى ، والثالث غفل . فإن خرج الأول مضوا فى الأمر ، وإن خرج الثانى تجنبوه ، وإن خرج الثالث أجالوها ثانية .

(٣) أى مال عنه .

مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَأَفَ ، إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا » وقال « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ (۱) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ » .

فحرم على المسلمين من ما كِلِ اهل الأديان أَرْجَسَهَا وَأَنْجَسَهَا ، ومن شرابهم أَدْعَاهُ إِلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، وَأَصَدَّهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ مَنَّا كَيْفِهِمْ أَعْظَمَهَا عِنْدَهُ وَزُرًا ، وَأَوْلَاهَا عِنْدَ ذَوِي الْحِجَابِ وَالْأَلْبَابِ تَحْرِيمًا ، ثُمَّ حَبَّاهُمْ تَحَامِينَ الْأَخْلَاقِ ، وَفَضَائِلَ الْكِرَامَاتِ ، فَجَعَلَهُمْ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْفَضْلِ وَالتَّرَاحُمِ ، وَالْيَتِيمِ وَالصَّدَقِ ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِي دِينِهِمُ التَّقَاطُعَ وَالتَّدَابُرَ ، وَلَا الْحَمِيَّةَ وَلَا التَّكْبُرَ ، وَلَا الْخِيَانَةَ وَلَا الْغَدْرَ ، وَلَا التَّبَاغِيَّ وَلَا التَّظَالُمَ ، بَلْ أَمَرَ بِالْأَوْلَى ، وَنَهَى عَنِ الْآخِرَى ، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ عَلَيْهَا جَنَّتَهُ وَنَارَهُ ، وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ ، فَالْمُسْلِمُونَ بِمَا اخْتَصَّوهُمُ اللَّهُ مِنْ كِرَامَتِهِ وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْفَضِيلَةِ بِدِينِهِمُ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُمْ ، بَارِئُونَ عَلَى الْأَدْيَانِ بِشِرَائِعِهِمُ الزَّائِكِيَّةِ ، وَأَحْكَامِهِمُ الْمَرْضِيَّةِ الطَّاهِرَةِ ، وَبِرَاهِينِهِمُ الْمُنِيرَةِ ، وَبِقَطْعِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمْ بِمَا أَهْلٌ وَحَرَّمَ فِيهِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، قَضَاءً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِعْزَازِ دِينِهِ حَتْمًا ، وَمَسْئِنَةً مِنْهُ فِي إِظْهَارِ حَقِّهِ مَاضِيَةً ، وَإِرَادَةً مِنْهُ فِي إِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ نَافِذَةً « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِنَا وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَتِنَا » وَلِيَجْعَلَ اللَّهُ النُّورَ وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ، وَالنَّارَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ .

وقد رأى أمير المؤمنين - وبالله توفيقه وإرشاده - أن يحمل أهل الذمة جميعا بحضرتة وفي نواحي أعماله أقربها وأبعدها ، وأخصهم وأخسهم ، على تصيير

(۱) الرجس : القدر .

طَيَالِسْتَهُمْ^(۱) التي يلبسونها ، مَنْ لَبَسَهَا مِنْ تِجَارِهِمْ وَكِتَابِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ ، عَلَى أَلْوَانِ الثِّيَابِ الْعَسَلِيَّةِ ، لَا يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَتَجَاوِزٌ إِلَى غَيْرِهِ ، وَمَنْ قَصُرَ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ وَأَرْذَالِهِمْ وَمَنْ يَقْعُدُ بِهِ حَالُهُ عَنْ لُبْسِ الطَيَالِسَةِ مِنْهُمْ ، أُخِذَ بِتَرْكِيبِ خِرْقَتَيْنِ ، صَبَغُهُمَا ذَلِكَ الصَّبْغَ ، يَكُونُ اسْتِدَارَةٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا شِبْرًا تَامًا فِي مِثْلِهِ ، عَلَى مَوْضِعِ أَمَامِ ثَوْبِهِ الَّذِي يَلْبَسُهُ تِلْقَاءَ صَدْرِهِ وَمِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ ، وَأَنْ يُوْخَذَ الْجَمِيعُ مِنْهُمْ فِي قَلَانِسِهِمْ^(۲) بِتَرْكِيبِ أَزْرَةٍ عَلَيْهَا ، يَخَالِفُ أَلْوَانُهَا أَلْوَانَ الْقَلَانِسِ ، تَرْتَفِعُ فِي أَمَا كُنْهَا الَّتِي تَقَعُ بِهَا ، إِثْلًا تُلْصَقَ فَتُسْتَرَّ ، وَلَا مَا يَرْكَبُ مِنْهَا عَلَى حِبَاكٍ^(۳) فَيَخْفَى ، وَكَذَلِكَ فِي سُرُوجِهِمْ بِأَخْذِ رُكْبٍ^(۴) خَشَبٍ لَهَا ، وَنَصَبٍ أُكْرٍ عَلَى قَرَابِيسِهَا^(۵) تَكُونُ نَائِثَةً عَنْهَا وَمُوفِيَةً عَلَيْهَا ، لَا يُرْخَصُ لَهُمْ فِي إِزَالَتِهَا عَنْ قَرَابِيسِهِمْ وَتَأْخِيرِهَا إِلَى جَوَانِبِهَا ، بَلْ تَتَفَقَّدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ لِيَقَعَ مَا وَقَعَ مِنَ الَّذِي أَمَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِحَمَلِهِمْ عَلَيْهِ ظَاهِرًا بِتَبْيِينِهِ النَّاطِقُ مِنْ غَيْرِ تَأْمَلٍ ، وَتَأْخِذُهُ الْأَعْيُنُ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ ، وَأَنْ تُوْخَذَ عَبِيدِهِمْ وَإِمَاؤُهُمْ وَمَنْ يَلْبَسُ الْمَنَاطِقَ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ بِشِدَّةِ الزَّنَانِيرِ وَالْكَسَائِيَجِ^(۶) مَكَانَ الْمَنَاطِقِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَوْسَاطِهِمْ ، وَأَنْ تُوعِزَ إِلَى عَمَّاكٍ فِيمَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ إِعْزَاؤًا تَحْذَرُهُمْ^(۷) بِهِ إِلَى اسْتِقْصَاءِ مَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِيهِ ،

(۱) الطيالة جمع طيلسان بفتح الطاء وتثنية اللام : ضرب من الأكسية أسود ، فارسي .

(۲) القلانس : جمع قلانسوة بفتح النون فسكون ففتح ، وهي لباس الرأس .

(۳) الحباك : حبل يشد به على الوسط .

(۴) الركب ، جمع ركاب بالكسر ، والركاب للسرج كالفرز للرحل .

(۵) القرايس : جمع قريوس بفتح أوله وثانيه ، وهو حنو السرج (بكسر الهاء) ، وله قريوسان

والكرة : معروفة ، وأصلها كرة فحذفت الواو ، وتجمع على كرات وكرين ، وتجمع أيضا على أكر وأصله موكر ، مقلوب اللام إلى موضع الفاء ، ثم أبدلت الواو همزة لانضمامها ، ونائثة : مرتفعة .

(۶) الناطق : جمع منطفة كمكنة ، وهي ما يشد على الوسط ، والزنانير : جمع زنار كتفاح ، وهو ما يشد على وسط النصارى والمجوس ، والكسائيج جمع كسبيج بالضم : وهو خيط غليظ يشده الذمي فوق ثيابه دون الزنار .

(۷) أي تسوقهم .

وتحذّرهم إذ هانا^(۱) وميّلا ، وتتقدّم إليهم في إنزال العقوبة بمن خالف ذلك من جميع أهل الذمة عن سبيل عنادٍ ، وتهوين إلى غيره ، ليقصر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم على السبيل التي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها ، وأخذهم بها إن شاء الله .

فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره ، وأنفذ إلى عمالك في نواحي عمالك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله ، وأمير المؤمنين يسأل الله ربّه ووليّه أن يصلي على محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وملائكته ، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ، ويتولى ما ولاءه مما لا يبلغ حقه فيه إلا بعونه ، يحفظا بحمل به ما حمّله ، وولايةً بقضيه بها حقه منه ، ويوجب بها له أكل ثوابه ، وأفضل مزيده ، إنه كريم رحيم .

وكتب إبراهيم بن العباس في سؤال سنة خمس وثلاثين ومائتين .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۶)

۷۵ - كتاب المتوكل بولاية العهد لبنيه

وفي سنة ۲۳۵ هـ أيضاً عند المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة - المنتصر والمعتز والمؤيد - بولاية العهد ، وضم إلى المنتصر إفريقية والمغرب وما يضاف إليها ، وإلى المعتز كورخراسان وما يضاف إليها ، وإلى المؤيد الشام ، وكتب بينهم كتابا نسخته :
« هذا كتاب كتبه عبده عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، وأشهد الله على نفسه بجميع ما فيه ، ومن حضر من أهل بيته وشيعته وقواده وقضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين ، لمحمد المنتصر بالله ولأبي عبد الله المعتز بالله ، وإبراهيم المؤيد بالله بنبي أمير المؤمنين ، في أصالة من رأيه ، وخصوم من عافية بدّته ،

(۱) الإدهان : النش .

واجتماع من فهمه ، مختاراً لما تمهد به ، متوخياً بذلك طاعة ربه ، وسلامة رعيته واستقامتها ، وانقياد طاعتها ، واتساع كلمتها ، وصلاح ذات بينها ، وذلك في ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين ، إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ولاية عهد المسلمين في حياته ، والخلافة عليهم من بعده ، وأمره بتقوى الله التي هي عصمة من اعتصم بها ، ونجاة من لجأ إليها ، وعز من اقتصر عليها فإن بطاعة الله تتم النعمة ، وتجب من الله الرحمة ، والله غفور رحيم ، وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين الخلافة من بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، إلى أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، ثم من بعد أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين الخلافة إلى إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، على أبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله أبنى أمير المؤمنين : السمع والطاعة والنصيحة والمشايعة والمؤالاة لأوليائه ، والمعاداة لأعدائه ، في السر والجهر ، والفضب والرضا ، والمنع والإعطاء ، والتمسك ببيئته ، والوفاء بعهده ، لا يبغيانه غائلة^(۱) ، ولا يحاولانه مخائلة^(۲) ، ولا يمالئانه^(۳) عليه عدواً ، ولا يستبدان دونه بأمر يكون فيه نقص لما جعل إليه أمير المؤمنين ، من ولاية العهد في حياته والخلافة من بعده .

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، لأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله أبنى أمير المؤمنين : الوفاء بما عقده لهما ، وعهد به إليهما ، من الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين - وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخليفة من بعد أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين - والإمام على ذلك ، ولا يخلعهما ، ولا واحدا منهما ، ولا يعقد دونهما

(۱) الغائلة : الدامية . والمخائلة : الخادعة .

(۲) مالاؤه على الأمر : ساعده وشايعه .

(۹ - جبهة رسائل العرب - رابع)

ولا دون واحدٍ منهما بيعةً لولد ولا لأحدٍ من جميع البرية ، ولا يؤخرُ منهما مقدماً ، ولا يقدمُ منهما مؤخرًا ، ولا ينقضُهما ، ولا واحدًا منهما شيئاً من أعمالهما التي ولأهلها عبدُ الله جعفرُ الإمامُ المتوكلُ على الله أميرُ المؤمنين ، وكلُّ واحدٍ منهما ، من الصلاة والمعون والقضاء والمظالم والخراج والضياح والغنيمات والصدقات وغير ذلك من حقوق أعمالهما ، وما في عمل كلِّ واحدٍ منهما من البريد والطرّاز^(۱) وخزّن بيوت الأموال والمعاون ودور الضرب ، وجميع الأعمال التي جعلها أمير المؤمنين ويجعلها إلى كل واحدٍ منهما ، ولا ينقلُ عن واحدٍ منهما أحداً من ناحيته من القواد والجند والشاكرية^(۲) والموالي والغلمان وغيرهم ، ولا يعترض عليه في شيء من ضياعه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما في يده وما حواه ومملكت يده ، من تاليد وطارف ، وقديم ومستأنف ، وجميع ما يستفيدة ويستفادله ، بنقض ، ولا بخرم ، ولا بجنف^(۳) ، ولا يعرض لأحد من عماله وكتابه وقضائه وخدمه ووكلائه وأصحابه وجميع أسبابه ، بمناظرة ولا محاسبة ، ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها ، ولا يفسخُ فيها وكده أمير المؤمنين لهما في هذا العقد والعهد بما يُزيل ذلك عن جهته ، أو يؤخره عن وقته ، أو يكون ناقضاً لشيء منه .

وجعل عبد الله جعفر المتوكلُ على الله أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعترِّ بالله ابن أمير المؤمنين ، إن أفضت إليه الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين ، مثل الشروط التي اشترطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، بجميع ما سُمي فيه ووصف في هذا الكتاب ، وعلى ما بين وفسر ، مع الوفاء من أبي عبد الله المعترِّ بالله ابن أمير المؤمنين ، بما جعله أمير المؤمنين

(۱) انظر ص ۶۹۵ من الجزء الثالث .

(۲) الشاكري : الأجير والمستخدم .

(۳) أصل الحرم : نصم الحرزة . ومعناه هنا : النقص . والجنف : الميل والجور ، وفي الأصل : ولا يحرّم ولا يجنف ، وأراه مصحفاً .

لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك رَضِيًّا تَمْضِيًّا له مقدّمًا
ما فيه حقُّ الله عليه وما أمره به أمير المؤمنين ، غير ناكثٍ ولا ناكِبٍ (۱) بذلك ولا
مُبدِّل ، فإن الله تعالى جدُّه ، وعزُّ ذِكْرُه ، يتوعد من خالف أمره ، وعند (۲) عن
سبيله في مُحْكَم كتابه : « فَمَنْ بَدَّلَهُ مِنْ بَعْدِ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ
يَبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

على أن لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، ولإبراهيم المؤيد بالله ابن
أمير المؤمنين ، على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين [إذا أفضت الخلافة إليه (۳)]
وهما مقيمان بحضرتيه ، أو أحدهما ، أو كانا غائبين عنه ، مجتمعين كانا أو متفرقين ،
وليس أبو عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة
بها والمضمومة إليها ، وليس إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بالشام
وأجنادها ، فعلى محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين أن يُمضِيَ أبا عبد الله المعتز بالله
ابن أمير المؤمنين إلى خراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، وأن يسلم له
ولايتها وأعمالها كلها وأجنادها ، والكور الداخلة فيما ولى جعفر الإمام المتوكل
على الله أمير المؤمنين أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، فلا يعوّقه عنها ،
ولا يحبسُه قبَله ، ولا في شيء من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة
إليها ، وأن يُعجِّلَ إسخاصه إليها ، واليأعليها وعلى جميع أعمالها ، مُفَرِّدًا بها ، مفوضًا إليه
أعمالها كلها ، لينزل حيث أحب من كور عمله ، ولا ينقله عنها ، وأن يُشخصَ معه
جميع مَنْ ضَمَّ إليه أمير المؤمنين ، ويضمُّ من مواليه وقواده وشاكريته وأصحابه
وكتابه وعُمَّاله وخدمه ، ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وعيالهم
وأموالهم ، ولا يحبسُ عنه أحدا ، ولا يُشرك في شيء من أعماله أحدا ، ولا يوجّه عليه

(۱) نكب عنه كنصر وفرح : عدل .

(۲) عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم : مال .

(۳) ما بين القوسين - لفظ من الأصل ، والسياق يقتضيه ، وسيرد نظيره في الرسالة نفسها بعد .

أمینا ولا کتابا ولا بریدا ، ولا یضرب^(۱) علی یدہ فی قلیل ولا کثیر ، وأن یطلق محمد المنتصر بالله لإبراهیم المؤید بالله ابن أمير المؤمنين الخروج إلى الشام وأجنادها ، فیمن ضم أمير المؤمنين وبيضته إليه ، من موالیه وقواده وخدمه وجنوده وشا کریتہ وصحابته وعماله وخدمته ، ومن اتبعه من صنوف الناس بأهالیهم وأولادهم وأمواهم ولا یحبس منهم أحداً ، ویسلم إليه ولا یتها وأعمالها وجنودها كلها ، لا یعوقه عنها ولا یحبسه قبله ، ولا فی شیء من البلدان دونها ، وأن یجعل إشخاصه إلى الشام وأجنادها ، والیا علیها ، ولا ینقله عنها ، وأن علیه له فیمن ضم إليه من القواد والموالی والغلمان والجنود والشا کرية وأصناف الناس ، وفی جمیع الأسباب والوجوه مثل الذى اشترط علی محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبی عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين فی خراسان وأعمالها ، علی ما رسم من ذلك و بین وأخص وشرح فی هذا الكتاب .

ولإبرهیم المؤید بالله ابن أمير المؤمنين علی أبی عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إذا أفضت الخلافة إليه وإبراهیم المؤید بالله مقيم بالشام أن یقره بها ، أو كان بحضرته أو كان غائبا عنه ، أن یخصیه إلى عمله من الشام ، ویسلم إليه أجنادها وولايتها وأعمالها كلها ، ولا یعوقه عنها ، ولا یحبسه قبله ولا فی شیء من البلدان دونها ، وأن یجعل إشخاصه إليها ، والیا علیها وعلى جمیع أعمالها ، علی مثل الشرط الذى أخذ لأبی عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين علی محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، فی خراسان وأعمالها ، علی ما رسم ووصف وشرط فی هذا الكتاب لم یجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت علیه وله هذه الشروط ، من محمد المنتصر بالله وأبی عبد الله المعتز بالله وإبراهیم المؤید بالله بنی أمير المؤمنين ، أن یزیل شیئا مما اشترطنا فی هذا الكتاب ووكدنا ، وعليهم جمیعا الوفاء به ، لا یقبل الله منهم إلا ذلك ولا التمسك إلا بعهد الله فیہ ، وكان عهد الله مسئولا .

(۱) ضرب علی یدہ : منعه من أمر أخذ فیہ ، كعجر عابه .

أَشْهَدَ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعْفَرَ الْإِمَامَ الْمُتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ حَضَرَ
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِجَمِيعِ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ، عَلَى إِمضَائِهِ إِيَّاهُ ، عَلَى مُحَمَّدِ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ
 وَأَبِي عَبْدِ اللهِ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدَ بِاللَّهِ بَنِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، بِجَمِيعِ مَا سَمِّيَ
 وَوَصِّفَ فِيهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا وَمُعِينًا لِمَنْ أَطَاعَهُ رَاجِيًا ، وَوَفَى بِعَهْدِهِ خَائِفًا ؛ وَحَسِيبًا
 وَمُعَاقِبًا مَنْ خَالَفَهُ مُعَانِدًا ، أَوْ صَدَفَ (۱) عَنْ أَمْرِهِ مُجَاهِدًا .

وَقَدْ كُتِبَ هَذَا الْكِتَابُ أَرْبَعَ نُسَخَ ، وَقَعَّتْ شَهَادَةُ الشُّهُودِ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي كُلِّ نَسْخَةٍ مِنْهَا ، فِي خِزَانَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَسْخَةٌ ، وَعِنْدَ مُحَمَّدِ الْمُنْتَصِرِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 نَسْخَةٌ ، وَعِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَسْخَةٌ ، وَنَسْخَةٌ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ
 الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَدْ وُلِّيَ جَعْفَرُ الْإِمَامُ الْمُتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 أَعْمَالَ فَارِسَ وَأَرْمِينِيَّةَ وَأَذَرْبَيْجَانَ إِلَى مَا بَلَى أَعْمَالَ خِرَاسَانَ وَكُورَهَا وَأَعْمَالَهَا
 الْمُتَّصِلَةَ بِهَا وَالْمُضْمُومَةَ إِلَيْهَا ، عَلَى أَنْ يُجْعَلَ لَهُ عَلَى مُحَمَّدِ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي ذَلِكَ ، الَّذِي جَعَلَ لَهُ فِي الْحِيَاظَةِ فِي نَفْسِهِ ، وَالْوِثَاقِ فِي أَعْمَالِهِ وَالْمُضْمُومِينَ إِلَيْهِ وَسَائِرِ
 مَنْ يَسْتَعِينُ بِهِ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا ، فِي خِرَاسَانَ وَالْكُورِ الْمُضْمُومَةِ إِلَيْهَا وَالْمُتَّصِلَةَ بِهَا ،
 عَلَى مَا سَمِّيَ وَوَصِّفَ فِي هَذَا الْكِتَابِ . (تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۹)

۷۶ - كتاب عبيد الله بن يحيى بن خاقان

إلى الحسن بن عثمان

وَفِي سَنَةِ ۲۴۱ هـ ضُرِبَ عَيْسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ ، صَاحِبِ خَانَ عَاصِمٍ
 بِبَغْدَادِ أَلْفِ سَوْطٍ فَمَا قِيلَ .

وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَيْهِ عِنْدَ أَبِي حَسَّانِ الزِّيَادِيِّ قَاضِي الشَّرْقِيَّةِ ، أَنَّهُ

(۱) صدف منه كضرب : أمرض .

شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة (۱) ، سبعة عشر رجلا ، شهاداتهم فيما ذكر مختلفة من هذا النحو ، فكتب بذلك صاحب بريد بغداد إلى عبيد الله (۲) بن يحيى بن خاقان ، فأنهى عبيد الله ذلك إلى المتوكل (۳) ، فأمر المتوكل أن يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر (۴) يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط ، فإذا مات رمى به في دجلة ، ولم تدفع جيفته إلى أهله ، فكتب عبيد الله إلى الحسن بن عثمان (۵) جواب كتابه إليه في عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم : أبقاك الله وحفظك ، وأتم نعمته عليك ، وصل كتابك في الرجل المسمى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات ، وما شهد به الشهود عليه من شتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمهم وإكفارهم ورميهم بالكبائر ، ونسبتهم إلى النفاق ، وغير ذلك مما خرج به إلى المعازة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتثبتك في أمر أولئك الشهود وما شهدوا به ، وما صح عندك من عدالة من عدل منهم ، ووضح لك من الأمر فيما شهدوا به ، وشرحك ذلك في رقعة درج (۶)

(۱) هي حفصة بنت عمر بن الخطاب .

(۲) وزير المتوكل - انظر الفخرى ص ۲۱۶ ، ذكر الطبري أنه استكتبه سنة ۲۳۶ هـ - تاريخ

الطبري ۱۱ : ۴۴ .

(۳) وكان مقر الخلافة يومئذ مدينة سر من رأى (سامرا) بفتح الميم ، وهي مدينة بين بغداد وتكريت على شرفي دجلة . وذلك أن جيوش المعتصم كانوا قد كثروا حتى بلغ عدد مماليكهم من الأتراك سبعين ألفا ، فدوا أيديهم إلى حرم الناس ، وصعوا فيها بالفساد ، وضائق عنهم بغداد ، وكان إذا ركب مات جماعة من الصبيان والعميان والضعفاء لآزدحام الخيل وضغطهم ، فاجتمع أهل الخير على باب المعتصم وقالوا له : إما أن تخرج من بغداد فإن الناس قد تأذوا بعكرك ، وإما أن نحاربك ، فقال : كيف نحاربونني ؟ قالوا : نحاربك بسهام السحر ، قال : وما سهام السحر ؟ قالوا : ندعوك ، فقال : لا طاقة لي بذلك ، وخرج من بغداد وبني سر من رأى سنة ۲۲۱ هـ ونزل بها ، وأقام بها ابنه الواثق ثم المتوكل ، وبنيها قصورا كثيرة - ولم يكن بها أحد من الخلفاء من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل ، ولم تنزل في صلاح وزيادة وعمارة إلى آخر أيام المنتصر بن المتوكل ، ثم أخذت في التناقص إلى أن كان آخر من انتقل إلى بغداد من الخلفاء وأقام بها وترك سر من رأى المتضد بالله المتوفى سنة ۲۸۹ هـ - انظر معجم ياقوت ۵ : ۱۲ والفخرى ص ۲۱۱ .

(۴) قال الطبري (۱۱ : ۴۵) هـ وفي سنة ۲۳۷ قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان ،

فولى الشرطة والجزية وأعمال السواد وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام ، ثم صار إلى بغداد .

(۵) صاحب بريد بغداد . (۶) الدرج : الذي يكتب فيه .

کتابک ، فرضتُ علی أمير المؤمنين - أعزّه الله - ذلك ، فأمر بالكتاب إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر مولى أمير المؤمنين - أبقاه الله - بما قد نفذ إليه مما يُشبهه ما عنده - أبقاه الله - من نُصرة دين الله وإحياء سنته ، والانتقام من أكلد فيه ، وأن يضرب الرجل حدًا في تجمّع الناس حدّ الشتم ، وخمسمائة موط بعد الحدّ للأمور العظام التي اجترأ عليها ، فإن مات ألقى في الماء من غير صلاة ، ليكون ذلك ناهيا لكل مُلحد في الدين ، خارج من جماعة المسلمين ، وأعلمتُك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وذكر أن عيسى هذا لما ضرب ترك في الشمس حتى مات ، ثم رمى به في دجلة .

(تاريخ الطبرى ۱۱ : ۵۱)

۷۷ - کتاب أبي العیناء إلى عبید الله بن یحیی بن خاقان

وحمل محمد بن عبید الله بن یحیی بن خاقان أبا العیناء (۱) علی دابة زعم أنه غیر فارهِ (۲) ، فکتب إلى أبيه عبید الله :

« أعلمُ الوزير - أعزّه الله - أن أبا علی محمداً أراد أن یبرّنی فَعَقَنی ، وأن یُرْکبنی فأرْجَلنی ، أمرَ لی بدابة تقف للنبرة (۳) ، وتعثُر بالبصرة ، كالتضیب الیابس

(۱) هو محمد بن القاسم بن خلاد ، وكان فصيحاً بليغاً شاعراً ، وكان من طرفاء العالم ، وفيه من اللسن وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله مع المتوكل مجالس ، ولد سنة ۱۹۱ هـ وعمره أربعون سنة وتوفي سنة ۲۸۲ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۵۰۴ ، وزهر الآداب ۱ : ۲۸۹ - ۲۹۶ . والفهرست لابن النديم ص ۱۸۱ .

(۲) الدابة : مادب من الحيوان ، وغلب علی ما یركب ، ويقع علی المذکر ، والفارهِ من الدوابت الجید السیر ، قالوا : ويقال للبغل والحمار والبرذون : فارهِ ، ولا يقال للفرس فارهِ ، ولكن رائع وجواد .

(۳) يقال : نبر الرجل نبرة : إذا تكلم بكلمة فيها علو ، والنبرة : صيحة الفزع ، ونبرة المنى : رفع صوته عن خفض .

عَجَفًا (۱) ، وكالعاشق المهجور دَنَفًا (۲) ، قد أذْكَرَتِ الرَّؤَاةَ عُرْوَةَ (۳) العُذْرِيَّ «
والمجنونَ العامريَّ» (۴) ، مساعِدٌ أَعْلَاهُ لَأَسْفَلِهِ ، حُبَابُهُ (۵) مقرونٌ بِسُعَالِهِ ، فَلَوْ أَمْسَكَ
لَتَرَجَّيْتُ ، وَلَوْ أَفْرَدَ لَتَعَزَّيْتُ ، وَلَكِنَّهُ يَجْمَعُهُمَا فِي الطَّرِيقِ المَعْمُورِ ، وَالْمَجْلِسِ المَشْهُورِ ،
كَأَنَّهُ خَطِيبٌ مُرْشِدٌ ، أَوْ شَاعِرٌ مُنْشِدٌ ، تَضَحَّكَ مِنْ فِعْلِ الذُّشْوَانِ ، وَتَقَنَّاغَى (۶) مِنْ
أَجْلِ الصَّبِيَانِ ، فَمِنْ صَائِحٍ يَصِيحُ دَاوِيَهُ بِالطَّبَّاشِيرِ (۷) ، وَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ : نَوَّلَهُ (۸)
الشَّعِيرَ ، قَدْ حَفِظَ الأشْعَارَ ، وَرَوَى الأَخْبَارَ ، وَلِحَقِّ العُلَمَاءِ فِي الأَمْصَارِ ، فَلَوْ أُعِينَ
بِنَطْقِ ، لَرَوَى بِحَقِّ وَصِدْقٍ ، عَنْ جَابِرِ الجُعْفِيِّ ، وَعَامِرِ الشَّعْبِيِّ (۹) .

وَإِنَّمَا أُوتِيَتْ مِنْ كَاتِبِهِ الأَعْمُورِ ، الَّذِي إِذَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَطَابَ وَأَكْثَرَ ، وَإِنْ
اخْتَارَ لغيرِهِ أَخْبَثَ وَأَنْزَرَ (۱۰) ، فَإِنْ رَأَى الوَازِرَ أَنْ يُبَدِّلَنِي بِهِ ، وَيُرِيحَنِي مِنْهُ بِمَرْكُوبِ .

(۱) العجف : الهزال .

(۲) الدنف : المرض الملازم .

(۳) فِي الأَصْلِ « عذرة » وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَصَوَابُهُ « عروة » وَهُوَ عُرْوَةُ بِنِ حِزَامِ بِنِ مَهَاصِرِ
العُذْرِيَّ صَاحِبِ عَفْرَاءَ بِنْتِ عَقَالِ بِنْتِ مَهَاصِرِ - بِنْتِ عَمِّهِ - وَهُوَ شَاعِرٌ لِإِسْلَامِي ، وَأَحَدُ التَّمِيمِيِّينَ الَّذِينَ
قَتَلَهُمُ الهَوِيُّ ، مَاتَ مِنْ حُبِّ ابْنَتِهِ عَمِّهِ عَفْرَاءَ - انظُر تَرْجِمَتَهُ فِي الأَغَانِي ۲۰ : ۱۵۲ ، وَالشَّعْرَ وَالشَّعْرَاءَ
مِ ۲۳۷ ، وَاقْرَأُ قَصِيدَتَهُ النُّونِيَّةَ فِي الأَغَانِي ، وَفِي كِتَابِ النُّوَادِرِ لِأَبِي عَلِي القَالِي عَقِبَ ذَيْلِ الأَمَالِي ،
وَالعُذْرِيَّ نَسَبَهُ إِلَى عَفْرَةَ : قَبِيلَةٌ مِنَ البَيْنِ ، وَهِيَ مَشْهُورُونَ بِالعَشْقِ وَالعَفَّةِ ، وَمِنْهُمْ جَمِيلُ بِنِ عَبْدِ اللهِ
ابْنِ مَعْمَرِ العُذْرِيَّ صَاحِبِ بَيْتِيَّةٍ ، وَخَبْرُهُ مَشْهُورٌ - انظُر تَرْجِمَتَهُ فِي الأَغَانِي ۷ : ۷۲ ، وَوَفِيَاتِ الأَعْيَانِ
۱ : ۱۱۵ .

(۴) هُوَ قَيْسُ بِنِ المَلُوحِ مَجْنُونُ بِنِي عَامِرٍ ، صَاحِبِ لَيْلِي ، وَخَبْرُهُ مَشْهُورٌ أَيْضًا - انظُر خَبْرَهُ .

فِي الأَغَانِي ۹ : ۱۶۱ ، ۲ : ۲ .

(۵) الحباق : الضراط .

(۶) فَاغَتْ المَرْأَةَ الصَّبِيَّ : كَلِمَتُهُ بِمَا يَعْجِبُهُ وَيَسْرُهُ .

(۷) الطَّبَّاشِيرُ : دَوَاءٌ يَكُونُ فِي جَوْفِ القِنَا المَهْدِيِّ .

(۸) نَوَّلَهُ : أَعْطَاهُ .

(۹) الجعفي : نَسَبُهُ إِلَى جَعْفِي بِنِ سَعْدِ العَشِيرَةِ بِنِ مَذْحِجٍ ، أَبُو حَيٍّ بِالبَيْنِ ، وَأَعْقَبُ جَعْفِيٍّ مِنْ وَلَدِيهِ

حِزَامِ (كَرْمَانَ) وَصَرْمِجِ (كَرْزِيرِ) وَمِنْ وَلَدِ مِرَانَ جَابِرِ بِنِ يَزِيدِ الفَقِيهِ - انظُر شَرْحَ القَامُوسِ ۶ : ۵۷ ،

وَعَامِرِ الشَّعْبِيِّ : هُوَ هَاصِرِ بِنِ شِرَاحِيلِ (بِفَتْحِ الشَّيْنِ) كَلُوفِي تَابِعِي جَلِيلِ القَدْرِ وَافِرِ العِلْمِ ، قَالَ الزَّهْرِيُّ :

« العُلَمَاءُ أَرْبَعَةٌ : سَعِيدُ بِنِ المَسِيْبِ بِالمَدِينَةِ ، وَالشَّعْبِيُّ بِالسُّكُوفَةِ ، وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ بِالبَصْرَةِ ، وَمَكْحُولُ

بِالشَّامِ » وَالشَّعْبِيُّ نَسَبُهُ إِلَى شَعْبٍ ، وَهُوَ بَطْنٌ مِنْ هَمْدَانَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ سَبِي جُلُولَاءَ . وَتَوَفَّى سَنَةَ

۱۰۵ هـ - انظُر تَرْجِمَتَهُ فِي وَفِيَاتِ الأَعْيَانِ ۱ : ۲ : ۴۴ .

(۱۰) أَنْزَرَ : قَلَّلَهُ .

يُضْحِكُنِي كَمَا أَضْحَكَ مِنِّي ، وَيَمْحُو بِحُسْنِهِ وَفِرَاحَتِهِ ، مَاسَطَّرَهُ الْمَعِيبُ بِقَبْحِهِ
وَدَمَامَتِهِ^(۱) ، وَلَسْتُ أَذْكَرُ أَمْرَ سَرَجِهِ وَجِلَامِهِ ، فَإِنَّ الْوَزِيرَ أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يَسَابُ
مَا يُهْدِيهِ ، أَوْ يَنْقُضُ مَا يُمْتَضِيهِ .

فَوَجَّهَ عَبِيدَ اللَّهِ إِلَيْهِ بِرُذُوفِنَا^(۲) مِنْ بَرَاذِينِهِ بِسَرَجِهِ وَجِلَامِهِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ مَعَ مُحَمَّدِ
ابْنِ عَبِيدِ اللَّهِ عِنْدَ أَبِيهِ ، فَقَالَ عَبِيدُ اللَّهِ : شَكَوْتَ دَابَّةَ مُحَمَّدٍ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْآنَ أَنَّهُ
يَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَمَا^(۳) هَذَا تَمَنُّهُ لَا يُشْتَكَى ! فَقَالَ : أَعَزَّ اللَّهُ الْوَزِيرَ ، لَوْ لَمْ
أَكْذِبْ مُسْتَزِيدًا^(۴) ، لَمْ أَنْصَرِفْ مُسْتَفِيدًا ، وَإِنِّي وَإِيَاهُ لَكَمَا « قَالَتْ أَمْرَأَةٌ الْعَزِيزِ :
الآنَ حَصَّصَ^(۵) الْحَقُّ ، أَنَا رَأَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ » فَضَحِكَ
عَبِيدُ اللَّهِ وَقَالَ : حُجَّتْكَ الدَّاحِضَةُ^(۶) ، بِمَلَا حَتَّكَ وَظَرَ فَكَ ، أَبْلَغُ مِنْ حِجَّةِ غَيْرِكَ الْبَالِغَةِ .
(زَهْرُ الْأَدَابِ ۲ : ۱۶۵)

۷۸ - كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَاقَانَ إِلَى أَبِي الْجَهْمِ

وَأَمِدَ اللَّهُ^(۷) بِنِ خَاقَانَ إِلَى أَبِي الْجَهْمِ .

« أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي إِنِ بَدَأْتُ بِصِفَةِ فَضْلِكَ ، وَمَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، فَانْتَ أَفْضَلُ مِمَّا
أَصِفُكَ ، وَإِنِ قَدَّمْتُ الصِّفَةَ لِنَفْسِي فِي الْإِخْبَارِ عَنْهَا بِمَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْمَوَدَّةِ وَالْهُوَى ،
رَأَيْتُكَ قَدْ ابْتَدَأْتَ مَتَفَضِّلًا مَتَطَوَّلًا بِمَا لَا يُؤْمَلُ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَلَا يُلْتَمَسُ عَلَى
الِاسْتِحْقَاقِ فِي حُدِّ الْجُزْءِ » .
(اخْتِيَارُ النِّظَامِ وَالْمَشُورِ ۱۳ : ۳۹۴)

(۱) الدمامة : القبح .

(۲) البراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .

(۳) « ما » هنا موصولة .

(۴) استزاد فلان فلانا : إذا عتب عليه في أمر لم يرضه .

(۵) حصص : تبين وظهر .

(۶) حجة داحضة : باطلة .

(۷) ربما كان « عبيد الله » .

۷۹ - کتاب أبي العیناء إلى أبي نوح

وكتب أبو العیناء إلى أبي نوح یهنئه بإسلامه :

« لقد عظمت نعمة الله عليك ، في منابذة^(۱) أهل الذلة والصغار ، والكفر والإصرار ، الذين أحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار ، والذين جعلوا لله أندادا ، ودعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ، ولهنئك نعمة الله عليك في أخوة المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، فقد أصبحت لهم أخا ، وأصبح الدعاء لهم عليك من الله فرضا ، قال الله عز وجل : « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

ولله أبوك ! لقد قدحت فأوريت ، واستعضت فاهتديت ، ونخضت الأمر ثم انتويت ، لا كمن فكر وقدر فقتل كيف قدر ، فالحمد لله الذي أفاض^(۲) قدحك ، وأعلى كعبك ، وأنقذ من النار سلوك^(۳) ، وخلصك من لبس الخيرة ، وجرة الشرك ، إن الشرك لظلم عظيم . ومن يشرك بالله فكأما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق^(۴) ، فأصبحت أكرمك الله . وقد استبدلت بالبيع المساجد ، وبالأحاديث الجمع ، وبقبلة الشام البيت الحرام . وبتعريف الإنجيل صحة التنزيل ، وبارتياب المشركين بقين الموحدين ، وبحكم الأستقف رأس الموحدين ، حاكم أمير المؤمنين ، وسيد المرسلين ، فهنأك الله بما أنعم به عليك ، وأحسن فيه إليك ، وأوزعك^(۵) شكره ، وزادك بشكره من فضله .

(اختبار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۰۵)

(۱) أي مخالفة .

(۲) أي جعل الفوز من نصيبه ، يقال : أفاضه الله بكذا : أي أظفراه .

(۳) السلوك : الجسد . (۴) أي بعيد . (۵) أي ألهمك .

۸۰۔ کتاب أبي علي البصير إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وكتب أبو علي البصير^(۱) إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان :

• وإن أمير المؤمنين لنا استخلصك لنفسه ، وأتمنك على رعيته ، فنطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد وأصدر عن رأيك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانه إليك ، وتسليط الحق على الهوى فيك ، وبعد أن مِيل^(۲) بينك وبين الذين سموا لمرتبك ، وجروا إلى غايتك ، فأسقطهم مضمارك^(۳) ، وخفوا في ميزانك ، ولم يزدك - أكرمك الله - رفعةً وتشريفًا ، إلا ازددت له هيبَةً وتعظيمًا ، ولا تسليطًا وتمكينًا ، إلا زدت نفسك عن الدنيا عزوفًا^(۴) وتنزيهاً ، ولا تقريبًا واختصاصًا ، إلا ازددت بالعامّة رافةً ، وعليها حدابًا^(۵) ، لا يخرجك فرط النصح له عن النظر لرعيته ، ولا إثارة حقه ، عن الأخذ بحتمها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمن ما هو عليه ، ولا يشغلك معاناة كبار الأمور عن تفقد صغارها ، ولا الجد في إصلاح ما يصلاح منها عن النظر في عواقبها ، تمنّفي ما كان الرشد في إمضائه ، وترجي^(۶) ما كان الحزم في إرجائه ، وتبذل ما كان الفضل في بذله ، وتمنع ما كانت المصلحة في منعه ، وتلين في غير تكبر ، وتخص في غير ميل ، وتمتم في غير تصمّع ، لا يشقى بك المحق وإن كان عدوًا ، ولا يسعد بك المبطل وإن كان وليًا ، فالسلطان يعتدُّ لك من الفناء^(۷) والكفاية ، والذب والحياطة ، والنصح والأمانة ، والغيرة والنزاهة ، والنصب فيما أدى

(۱) هو أبو علي الضرير، الفضل بن جعفر ، شاعر بليغ متصل . وهو أحد من جم له حظ البلاغة في الموزون والمنثور ، وكان بينه وبين أبي العيناء مهاجاة ومكائبات طيبة - انظر الفهرست لابن النديم ص ۱۷۸ ، ووفيات الأعيان ۱ : ۵۰۴ ، وزهر الآداب ۱ : ۳۴۰ .

(۲) التميل بين الشبهين كالترجيح بينهما ، وفي الأصل « مثل » .

(۳) المضمار : غاية الفرس في السباق .

(۴) عزفت نفسه عنه كضرب عزوفًا : زهدت فيه وانصرفت عنه .

(۵) حدب عليه كفرح : عطف .

(۶) أرجاء : آخره . (۷) الفناء : الكفاية .

إلى الراحة ، بما يراك معه ، حيث انتهى إحسانه إليك ، مستوجباً للزيادة ، وكافّة الرعية - إلا من غمط (۱) منهم النعمة - مُثْنُونَ عليك بحسن السيرة ، وَيُثْنُ النَّقِيْبَةُ (۲) ، وَيَعْدُونَ من مَا تَرِكَ أَنْكَ لَمْ تُدْحِضْ (۳) لِأَحَدٍ حُجَّةً ، وَلَمْ تَدْفَعْ حَقًّا لَشُبْهَةٍ ، وَهَذَا يَسِيرٌ من كَثِيرٍ ، لو قَصَدْنَا لِتَفْصِيْلِهِ ، لِأَنفَدْنَا الزَّمَانَ قَبْلَ تَحْصُلِهِ ، ثُمَّ كَانَ قَصْدُنَا الوَقُوفَ دُونَ الْغَايَةِ مِنْهُ . (زهر الآداب ۱ : ۳۴۱)

۸۱ - كتابه إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وكتب إليه أيضاً :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أوجِبُ المعروفِ شُكْرًا ، وَأَحْسُنُهُ عِنْدَ الْأَحْرَارِ مَوْقِعًا ، مَعْرُوفُكَ عِنْدِي ، وَذَلِكَ أَنْكَ تَطَوَّعْتَ بِهِ مُبْتَدِئًا ، وَشَفَعْتَ مَا تَقْدِّمُ مِنْهُ مَتَفَضَّلًا ، عَن غَيْرِ كَدٍّ لِي أَلْزَمَكَ دَيْنًا . أَوْ أَوْجَبَ عَلَيْكَ حَقًّا ، ثُمَّ يَقْطَعُنِي عَنِ الْأَخْذِ بِحُظِّي مِنْ لِقَائِكَ ، وَتَعْرِيفِكَ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ شُكْرِ إِعْنَامِكَ ، وَالْإِنْتِصَابِ إِلَى نِعْمَتِكَ ، وَإِفْرَادِي إِيَّاكَ بِالتَّامِيلِ دُونَ غَيْرِكَ ، تَخْلُقِي عَن مَنزِلَةِ الْخَاصَّةِ ، وَرَغْبَتِي عَن مَشَارِكَةِ الْعَامَّةِ (۴) ، وَأَنِّي لَسْتُ مَعْتَادًا لِلْخِدْمَةِ ، وَلَا الْمَلَاذِمَةَ ، وَلَا قَوِيًّا عَلَى الْمَغَادَاةِ وَالْمُرَاوَحَةِ ، فَلَا يَمْنَعُنِيكَ ارْتِفَاعُ قَدْرِكَ ، وَعِلْوُ مَنزِلَتِكَ ، وَمَا تَعَانِي مِنْ جَلَائِلِ الْأُمُورِ الَّتِي تَشْغَلُ عَن قَدَمَتِ حُرْمَتِهِ ، وَوَجِبَ حَقُّهُ ، وَنَسِيَ أَنْ يَذْكَرَ بِنَفْسِهِ ، مِنْ أَنْ تَتَطَوَّلَ (۵) بِتَجْدِيدِ ذِكْرِي وَخَبْرِي ، وَالْإِصْفَاءِ إِلَى مَنْ يَحْتَكُ عَلَى وَصْلِي وَبِرِّي ، وَيَرْغَبُكَ فِي الصَّنِيعَةِ عِنْدِي ، وَأَنَا أَسْأَلُ الَّذِي وَهَبَ ذَلِكَ مِنْكَ بِغَيْرِ سَعْيٍ مِنِّي لَهُ ، وَلَا نَسَبِ

(۱) غمط النعمة كضرب وسمع : بطرها .

(۲) النقية : النفس والطبيعة .

(۳) أدحض الحجّة . أبطلها .

(۴) وفي زهر الآداب : « ورغبتني عن الحلول محل العامة » .

(۵) أي تمنن وتنفضل .

كابدته فيه ، أن يُنسى^(۱) لك ولكافة الأحرار في أجلك : وأن يَمُنَّ عليك بِحِياطة
نعمتك ، وكتب^(۲) عدوك ، والزيادة في القدرة لك ، ولا يُخلى مكانك منك ، والله يعلم
أني لا أحبُّ أن أتحمِلَ مِنَّةً إلا لك . ولا أعتدُّ عارفةً مذكورة إلا منك .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۴ ، وزهر الآداب ۱ : ۳۴۱)

* * *

وله إليه آخر فصل من كتاب :

« وأنا أسأل الذي رَحِمَ العبادَ بك ، على حين افتقارٍ منهم إليك ، أن يُعِيدهم
مِنَ فِقدِكَ ، ولا يُعِيدهم إلى المكارِه التي استنقذهم منها بيدك . »

(زهر الآداب ۱ : ۳۴۱)

۸۲ - كتاب أبي علي البصير إلى أبي العيناء

وكتب أبو علي البصير إلى أبي العيناء :

« من أبي علي البصير ، ذي البرهان للنير ، المبلِّغ في التحذير ، المُعذِر
في النكير ، إلى أبي العيناء الضرب ، ذي الرأي الفصير ، والخلط الكثير ،
والإقدام بالنعير . »

سلامٌ على المخصوصين بالسلام ، من أجل حقيقة الإسلام ، المؤمنين بالحلل
والحرام ، والفرائض والأحكام ، فإني أحمدُ الله إلى نفسه وأوليائه من خلقه ، على
ما هداني له من دينه ، وعرفني من حقه ، وامتَنَّ عليَّ به من تصديق رُسله ، والأخذِ
بسُننه واتباع سبيله ، وصلى الله على محمد نبي الرحمة ، الداعي إلى ربه بالحكمة .

أما بعدُ ، فإنك الرجل الدقيق^(۳) حَسْبُه ، للردى مذهبُه ، الدنى مَكْسَبُه ،
الخبيس مُطْلَبُه ، البذي لسانُه ، المَقْلِي^(۴) مكانُه ، المبلؤ به إخوانُه ، أخصمهم بذلك

(۱) أي بطل وبعث . (۲) كتبت العدو كضرب : أخزاه وأذله ورده بغيظه .

(۳) وربما كان « الرقيق » .

(۴) تلاء كرماء ورضيه قلى : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

مَنْ عَظُمَتْ [عنده] نِعْمُهُ وتَظَاهَرَ إِحْسَانُهُ ، قَدْ صَيَّرَتْ اتِّمِيعَةَ^(۱) جُنَّةً ، وَشَتَمَ
 الْأَعْرَاضَ سُنَّةً ، وَالْاِقْتِصَادَ فِي ذَلِكَ مِثَّةً ، عَدُوُّكَ بِمَعَزِلٍ عَنْكَ ، وَصَدِيقُكَ عَلَى وَجَلٍ
 مِنْكَ ، إِنْ شَاهَدْتَهُ عَافَكَ ، وَإِنْ غِيبَتْ عَفَا خَافَكَ ، تَسْأَلُهُ فَوْقَ الطَّاقَةِ ، وَتُرْهِقُهُ عِنْدَ
 الْفَاقَةِ ، فَإِنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ لَمْ تُعَذِّرْهُ ، وَإِنْ اسْتَنْظَرَكَ لَمْ تُنْظِرْهُ^(۲) ، وَإِنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ
 لَمْ تُشْكُرْهُ ، لَا تَزِيدُكَ السَّنَّ إِلَّا نَقْصًا ، وَلَا يُفِيدُكَ الْغِنَى إِلَّا حِرْصًا ، تَسْمُو إِلَى
 الْكَبِيرِ ، بِقَدْرٍ صَغِيرٍ ، وَتُسِفُ إِلَى الطَّفِيفِ ، لَا لِلتَّخْفِيفِ ، وَتَعْرِضُ لِلنَّاسِ بِالسُّؤَالِ ،
 غَيْرَ مُحْتَشِمٍ مِنَ الْإِمْلَالِ ، وَلَا كَارِهِ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْكَ بِالْاِسْتِقْلَالِ ، حَتَّى لَقَدْ أُخْرِجَتْ
 الْأَصْفَانُ ، وَقَبَّحَتْ الْإِحْسَانَ ، وَزَهَّدَتْ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ ،
 وَعَدَرَتْ النَّاسَ فِي خُلْفِ الْعِدَاتِ ، وَدَفَعِ الْمُتَمَكِّنِ الْحَاجَاتِ ، وَأَغْرَبَتْهُمْ بِبَعْضِ
 الْعُمِيَانِ دُونَ أَهْلِ الْعَاهَاتِ ، مَنْ أَطَاعَكَ فِي مَالِهِ حَرَبْتَهُ^(۳) ، وَمَنْ مَنَعَكَ بِعَدْرِ وَاضِحِ
 سَبَبَتِهِ ، إِذَا عَنَّ لَكَ طَمَعَ كُنْتَ عَبْدَهُ ، بِتَدَلُّلٍ وَتَخَشُّعٍ لِمَنْ هُوَ عِنْدَهُ ، وَتَفْوِيٍّ قَبْلَ
 إِحْرَازِهِ جَعْدَهُ ، مَنْ أكرمَكَ أَهْنَتَهُ وَتَطَاوَلَتْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ أَهَانَكَ اسْتَكْنَتْ^(۴) لَهُ
 وَلِذَتْ فِي يَدَيْهِ ، وَمَنْ سَأَلَكَ لَمْ تَسْأَلْهُ ، وَمَنْ نَاجَزَكَ لَمْ تَقَاوِمْهُ ، النَّاسُ مِنْكَ بَيْنَ
 أَسْرَارِ تَفْشَى ، وَبَوَاقِ^(۵) تَخْشَى ، وَشَنَاعَاتٍ وَارِدَةٍ ، وَنَوَادِرَ بَارِدَةٍ ، تَدْرِيحُ^(۶)
 كَلَامَكَ خَوْفَ التَّحْصِيلِ ، وَتَوَرَّى عَنِ عِيِكَ بِالْقَالِ وَالْقَيْلِ ، مَعَاشِرَتُكَ مَتَجَنَّبَةٌ ،
 وَأَحَادِيثُكَ مَتَكَذَّبَةٌ ، لَا يُسْتَجَنَّبُ بِهَا فَهْمٌ ، وَلَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا عِلْمٌ ، تَهَامَسَ بِسُقُوطِهَا
 فَلَا يَحْشِيكَ ، وَتَتَلَقَّى بِالرَّدِّ لَهَا فَلَا يُؤْمَلُكَ ، تَسْمَعُ كَلَامَ خِيَارِ السَّلَفِ فَتَدْعِيهِ ، إِفْسَادًا
 وَإِلْحَادًا فِيهِ ، وَالتَّمَاصًا لِإِبْطَالِ حُجَجِ الدِّينِ ، وَتَشْكِيكَ لِأَهْلِ الْبَصِيرَةِ وَالْيَقِينِ ، فَإِنْ

(۱) الفجة : الوقاحة . والجنة : الوقاية .

(۲) أنظره : أخره .

(۳) حربته حربا كطلبه طلبا : سلب ماله .

(۴) في الأصل « استكنت » .

(۵) جمع بائقة : وهي الداهية .

(۶) أي تطوى .

امْتَحِنْتَ بَدُونَ مَا ادَّعَيْتَ ، أَحْبَبْتُمْ وَتَعَادَيْتُمْ^(۱) ، وَإِنْ كَلَّفْتُمْ مَظَاهِرَهُ هَدَيْتُمْ وَعَوَيْتُمْ ، ظَاهِرٌ إِسْلَامِكُمْ تَقِيَّةً ، وَمُرِيرَةٌ مَدْخُولَةٌ رَدِيَّةً ، تَضَعْتُمْ^(۲) فِي الْخَبْرِ عَنِ الرَّسُولِ ، وَتَدْفَعُ الْمَعْرُوفَ مِنْهُ بِالْجَهْلِ ، وَذَلِكَ تَخَلُّقٌ ، وَشُكْرٌ تَمَلُّقٌ ، وَأُطْفَأَتْ مَتَعَسَفٌ ، وَظَرَفَتْكُمْ مَتَكَلَّفٌ ، أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ عِنْدَكُمْ نَيْلُ حُرْمَتِهِ ، لَا تَحْفِلُ مَعَ إِدْرَاكِهِ شَيْءٌ عَدِمْتَهُ ، إِرْتِيَاكٌ عَنِ أَبِيكَ السَّمَايَةَ ، وَنَقْلُ الْأَخْبَارِ وَالْوِشَايَةِ ، لَا يُعْرَفُ لَهُ غَيْرُهَا طُعْمَةٌ^(۳) ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا بِهَا نِعْمَةٌ ، مَشْهُورٌ بِذَلِكَ فِي مِصْرِهِ ، غَيْرُ مَرْتَابٍ مِنْ أَمْرِهِ ، ثُمَّ أَنْتَ تَبْسُطُ لِسَانَكَ فِي الْأَحْرَارِ ، وَتَتَطَاوَلُ عَلَى ذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَقْدَارِ ، فَلَا أَصْلَ رَاسِخٍ ، وَلَا فِرْعَ شَامِخٍ ، وَلَا نَسَبٍ مَعْرُوفٍ ، وَلَا أَدَبٍ مَوْصُوفٍ ، أَغْرَاكَ حِلْمُنَا [عَلَيْكَ بِالتَّطَاوُلِ]^(۴) عَلَيْنَا ، وَإِبْطَاؤُنَا عِنْدَكَ بِالتَّسْرِيعِ إِلَيْنَا ، فَتَأْنِيْدُنَا^(۵) وَرَاقِبَتُنَا ، وَاحْتِجَابُنَا عَلَيْكَ [فَلَمْ تُنْكِرْ مَعْتَدِرًا] وَلَمْ تَقْصِرْ مُزْدَجِرًا ، بَلِ^(۶) لَمْ يُجِيبْنِي عَنْ وَاحِدٍ مِنْهَا ، تَعَابِيًّا^(۷) بِهَا وَعَجَزًا عَنْهَا ثُمَّ أَوْهَمْتَ أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ أَهْلَ جَهْلِ التَّمْيِيزِ وَالْقِيَاسِ - لَا يَنْظُرُونَ بِفَهْمٍ . وَلَا يَحْكُمُونَ بِعِلْمٍ ، وَلَا يُنْزِلُونَ الْأُمُورَ مَنَازِلَهَا ، وَلَا يَعْرِفُونَ حَقَّهَا وَبَاطِلَهَا ، يَظُنُّونَ الْبَلَاغَةَ فِي الْهَذَرِ^(۸) ، وَيَكْتَفُونَ بِالنَّظَرِ مِنَ الْخَبْرِ - أَنْتَ مَتَرَفَعٌ^(۹) عَنِ جَوَابِي . وَغَيْرُ مَحْتَفِلٍ بِعِتَابِي ، وَمَنْتَقٌ نَفْسُكَ -

(۱) تعادى : تباعد .

(۲) ضفت الحديث كنع : خلطه ، وفي الأصل « نعت » وهو تصحيف .

(۳) الطعنة : وجه المكسب .

(۴) ما بين القوسين بياض بالأصل ، وقد أتمت الجملة بما يناسب المقام .

(۵) تأنيته : انظرته وتأخرت في أمره ولم أعجل ، وفي الأصل هكذا « فانساك » .

(۶) في الأصل : « ولم تقصر مزدجرا بتا لم تجبني عن واحد منها . . . » ويظهر أنه قد سقط من

الناسخ هنا كلام ، بدليل أن الضمير في « منها » لم يتقدم له مرجع ، وأن كلمة « بتا » إن صححت فلاس لها موقع في معنى العبارة .

(۷) « عى بالأمر وعي كرضى وتعابيا واستعيا وتعبيا : ولم يهتد لوجه مراده ، أو عجز عنه ولم يطلق لإحكامه .

(۸) الهذر : سقط الكلام .

(۹) في الأصل « متوقع » وهو تحريف .

وقديما ما أغرتك ، فجنت عليك وضررتك - أنى أعذرك فيما تركت ، وأمسكك عنك ما أمسكت ، وأقِف عند أول هذا الأمر دون آخره ، وأكتفى بباطنه من ظاهره ، وهيات لظنك الكاذب ، وتباً لرأيتك العازب^(١) ، كلاً والله دون أن أغصك بالريق ، وأضطررك إلى المضييق ، وأهدم ما أسست ، وأكشِف ما لبثت^(٢) ، وأظهر ما جمجت ، وأبطل ما أوهمت ، وأبين^(٣) الشريف منك ، وأخذل^(٤) اللئيف عنك ، حتى تعود إلى وتزيع عن غيبك ، وتقيم جورك ، ولا تعدو طورك ، وحتى تستعطف الناس في حوائجك إليهم ، وتدع العنف بهم والتسحب^(٥) عليهم .

وسيتقرأ كتابي هذا الكاتب الأديب ، والفقير اللبيب ، والشاعر الأريب ، والمصنِّع^(٦) الخطيب ، والظريف الممتع ، والخصيف المُنعم ، وكل هؤلاء وكيلي عليك في طلب الجواب ، من طريق التطوُّع والاحتساب ، محمودين مأجورين ، مستولين غير مأمورين .

وقد نفذت لي إليك رسالة العتاب ، على مخرج ألفاظ الكتاب ، ظلمتك في المطالبة بالإجابة عنها ، وبهظت^(٧)ك بما حاتمك منها ، وتناولتك بالشعر وأنت مُفجِّم^(٨) ، وأنا لك في ذلك أظلم ، وقد ملت إلى السجع على علمي بخساسة حظّه ، ورَكَاكَ

(١) تبأله . أى ألزمه الله هلاكاً وخسرانا ، العازب . أى الغائب البعيد عن الصواب .

(٢) التلبس : التخليط والتدليس ، وفى الأصل ما لبثت ، وهو تحريف . والجمجمة : إخفاء

الشيء فى الصدر .

(٣) أى أقطعه عنك ، وفى الأصل « وأبين للشريف منك » وهو معنى صحيح أيضا : أى أظهر له

مساوتك فيتجنب مخالفتك .

(٤) فى الأصل « واحدل » وهو تصحيف .

(٥) تسحب عليه : تدل .

(٦) المصنِّع : البائع ، أو العالى الصوت ، أو من لا يرتج عليه فى كلامه ولا يتنعج ، وحصف

ككفرم : استحك عقله ، فهو حصيف .

(٧) بهظه الأمر : كنع ، غلبه وأقل عليه وبلغ به مشقة .

(٨) المفجِّم : العي ، ومن لا يقدر أن يقول شعرا .

معانيه والفظه ، إذ كنت تلوي به لسانك ، وتذني إليه عنانك ، قطعاً لحجبتك ، وإزاحة لملكك ، فإن أجبت فقد كشفت لنا ما لديك ، وإن اعترفت بالمعجز عطفنا ذلك عليك ، والسلام .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۱۷)

۸۳ - كتاب لأبي علي البصير في الاعتذار

وكتب أبو علي البصير يعتذر عن هفوة :

« ذكرت - أعزك الله - في كتابك ما يعلم الله اغتامي به ، واستكاثتي له ، وقلقي عند ماورد عليّ منه ، وإكباري قدر البلية به والمصيبة فيه ، والعالم بالسرائر ، المطلع على الضمائر ، يشهد - وكفى به شهيداً - أني ما أقفت على ما ذكرت ولا أتوهمه ، ولا يؤمئ لي ظنٌ إليه ، وإني لأفكر منذ ورد كتابك بما ورد به ، فما أجد ذكرى (۱) يُحيط بشيء منه ، وإن أقصى حفظي بما كان في ذلك المجلس كغلبة الشكر عليّ ، ثم خانتني فهمي ، فما كان بعد ذلك فيغير عليّ ، ولا قصد مني .
وما زاد في غمي ، وضاعف المكروه عليّ ، تحققت للأمر وهو خبر معترض الشك فيه ، والبطلان أولى به ، حتى ألزمتني إياه ، وقرعتني (۲) به كأنه قرع سمعك ، فإن ذلك أراي صورة المقت منك لي ، والغاظة عليّ ، والإسراع إلى قبول القبيح المضاف إليّ ، ووالله لو واجهتك علي تلك الحال بما أنهي إليك - وبالله أهوذ من ذلك فيما بيني وبين من هو دونك عندي من إخواني - لكان فيما أطلعتك عليه العشرة الطويلة ، والخبرة القديمة ، من إجلالي إياك ، وخالص محبتي لك ، مع ما يضطرني إليه متقدّم برّك وإحسانك ، ومَرْضِيَّاتُ أخلاقك من البعد بقايب لسان من كل ماساءك ما يدلك علي أن ما كان من ذلك كان آفة نالتني في عقلي ، وميزاجاً فاسداً رديئاً

(۱) الذكر بالضم وبكسر : للتذكير .

(۲) قرعه : لأمه وعنفه .

استولى على . ووالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، ما كتبتُ إلا بالحقيقة
عندي ، ولا تحرّيتُ زيادة ولا نقصا ، فإن تقبلتُ تتخذُ بذلك عندي يدًا ، وتوجب
على شكرا مُجدداً ، وإن تقمِ على موجدتك^(۱) أقمِ على تنصيفك واستعطائك
والتذلل لك ، والتضرع إليك ، والتحمل عليك ، حتى يعدل حُكْمك ، ويقي به
كرمك . (اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۸۷)

۸۴ - كتاب آخر

وكتب أيضاً :

قد كنتُ أرجو أن أكون قد أبرأتُ صدرك ، وأن ما كتبتُ به قد أتى من
وراء ما في نفسك ، فامتحنْتُ ذلك بلزوم منزلي ، وحبسني كتيبي ورسلي ، لأفريق
بين رغبتك في قربي وبين زهدك ، ولأرسي صورةَ حالي عندك ، فإذا تنصلي واعتذاري
لم يبلغنا بي استيجابَ رضاك - أطال الله بقاءك - وإذا أيماني غيرُ البرية^(۲) المصدقة
في حديثي إياك ، على طول مدةِ صحبتي لك ، دون ما أتحري الصدق فيه ، وأجتهد حلفاً
عليه ، إلا أن يكون عن علة عرّضتُ لك منعتك مما كنتُ تتطوّل به من الأمر
بمعرف خبري عند انقطاعي عنك ، فقدم الإشفاق على مَكَاني منك سوء الظن بصحة
عذرك ، وسلامةِ صدرك ، وبالله العظیم قسماً ثالثاً ، لا كاذباً ولا حائثاً ، إني للخالصُ
لك كله . سيرته وجهزه ، وغيبه ومشهده ، البعيد بقلبه ولسانه مما نُفِثَ في سمعك ،
وَوَقِرَ في قلبك ، وعلمك بحاجتي إلى حسن رأيك ، ودوام الحال عندك . شاهدٌ عدلٌ
على صدقِ إياك ، إن استخبرته شفاك ، وإن اقتصرتَ عليه كفاك ، هذا إذا كنتُ
لنفسى دون صديقي ، ولم أكن أعمل إلا على سوق بومى ، ولا أصالح إلا لمن صلح به

(۱) الموجدة : النضب . وتنصفه : سأله أن ينصفه .

(۲) مسهل عن البرية .

معاشي ، وكيف وقد علمت مجانبتي لهذه الصفة^(۱) ، ودوام عهدي للصديق على الحرمان
والجفوة ، وأنت لا تعلم من جهل بك ، ولا تُتَبَّه من غفلة فيك ، وليس مثلك من
جرح يقينه الظن ، ولا أفدَّ الحرَّ عنده العبد ، ولو صح مني الذنب إليك لكان الصفح
عني أولى بك ، فإن رأيت أن تعود كعهدي كان بك ، قبل التَكذِّب عَلَيَّ عندك ،
وأن تمنَّ بذلك عَلَيَّ من يُقدِّم إِيَّاكَ في مودتك ، وَعِنْدَكَ^(۲) في إجلالك وتعظيمك
والمسارعة إليك والطاعة لك ، فعَلتَ ، ذَا مِنَّةٍ عَظِيمَةٍ إِلَى مَنِّ لَكَ قَدِيمَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
ووهب لي عطفك ورضاك .
(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۸۶)

۸۵ - كتاب آخر

وله أيضا جواب اعتذار إليه :

« بلغني اعتذارك ، ووافي مني تطلعا شديدا إليه ، وكانا قد قدَّمتُ المواطنة^(۳) له
عندي . فسكن النفرة ، وأذهب الوحشة ، وجدَّد عهد المودة ، وأوجبتُ لك به التطوُّلَ
والمِنَّةَ واليدَ المشكورة ، ولم أكن كالتعنتِ المتسجِّبِ^(۴) الذي يطلبُ العلةَ ، ويفتنم
الزَّلةَ ، ويصدِّف^(۵) عن الحُجَّةِ ، وتضيِّقُ عنه المَعذِرَةَ ، وما نظرتُ لك إلا عَلَيَّ نَفْسِي ،
ولا بدأتُ إلا بحظي فيما استثبتُ من رأيك ، وحاميتُ عليه من إِيَّاكَ ، وَاللَّهِ أَسْأَلُ
حَسَنَ المَدَافَعَةِ عَنكَ ، وَامْتِنَاعِي بِهَا وَهَبَ لِي مِنْكَ ، وَالسَّلَامَ . »

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۸۸)

(۱) في الأصل «الطبقة» وأراه محرفا .
(۲) العند مثلك : الناحية ، وبالتحريك : الجانب .
(۳) واطنه على الأمر : وافقه .
(۴) تسجَّب عليه : تدلَّل .
(۵) أي يمرض .

۸۶ - كتابه إلى علي بن يحيى

وكتب إلى علي (۱) بن يحيى يشكر ويعتذر :

«النعمة شفيعٌ صدقٍ عند وليِّها، تقتضيه ربَّابَتها (۲)، والزيادة فيها، والمحافظة عَليها وإرغامُ أعدائها وحسادها الملتَمِسين لإفسادها وإزالتها، والإغضاء عَلَى ما يُفِضِي الحُرَّ عَلَى مثله في استقامتها، سِيِّئًا إذا كانت عند أهلها، وفي موضعها ومحلِّها، وكان المقلد لها مَنْ يقوم بشكرها ونشرها، وَيُشِيدُ بِذِكْرِها، ويستفرغُ المجهودَ من نفسه في شكرها، ويُعطيها ما يجب لها من الاعتراف بها، والانتساب إليها، والمحاماة عليها، وأنا أَحَدُ من أسكنته ظِلُّكَ، وأعلنته (۳) حبائلك، وحبوتته بلطفِ بَرِّكَ وخاصِّ عفايتك، فأنصفتُ بك من الزمان، واستغنيتُ بك عن الإخوان، فأنا لا أرغب إلا إليك، ولا أعتَمِدُ إلا عليك، ولا أستنجِحُ (۴) مَلَبًا إلا بك، والله أسأل البقاء لك، ودوام عزِّك وعزِّنا بك، وحِرَاسَةَ النعمة عندك وعندنا فيك .

وكان فرطَ مني قول إن تأولتُه (۵) لى أراك وجه عذرى، وقام عندك بحجتي، وأغناني عن توكيد الأيمان على حسن نيتي، وإن تأولتُه على - وبالله أعوذ من ذلك - الحَقَّ بى لأثمتك (۶)، وجننى على حالى ومنزلتى عندك، وقد أتيتك ممتريقًا بالزلة،

(۱) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم، وكان من خاصة ندماء التوكل، وخص به ومن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتد، وكان مقدما عندهم، يفضون إليه بأمرارهم، ويأمنونه على أخبارهم، وكان راوية للأشعار والأخبار شاعرا محسنا، وتوفى سنة ۲۷۵ - انظر الفهرست ص ۲۰۵ .

(۲) رب النعمة كنصر ربا بالفتح وربابا وربابة بكسر الراء فيها وربيبا : نأها وزادها وأتمها وأصلحها وحفظها ورعاها .

(۳) أى وصلته بحبال ودك وعطفتك . وحبوتته : منحته .

(۴) أى أطلب نججه .

(۵) أول الكلام وتأوله : فدره ، وفى الأصل « إن تأملته » وقد أصلحته كما ترى، ويؤيد ذلك

مقابله بما بعده .

(۶) اللاتمة : اللوم .

مستكينا للموجدة^(۱) ، عائذا بالصفح والإقالة ، فإن رأيتَ ألا تُقرِّ عيننا قذبتَ^(۲) بنعمتك عندي ، ولا تسلبني منها ما ألبستني ، وأن تقصيرَ من عقوبتي على المكروه الذي نابني بسبب عتبتك ، وتأمرَ بتعريفني من رأيك ما يطمئن^(۳) حشأى ، وتُسكن إليه نفسى ، ويأمن به روعى^(۴) » .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۸)

۸۷ - كتاب آخر

وله في الصفع :

« إن الذي فرط منك وإن تجاوز منى ما أرضى لك ، لم يبلغ ما يُفضيني إليك ، وحيث انتهى ما يخالفني من قولك وفعلك ، فإن وراءه تقيماً^(۵) مني لإساءتك ، وصفحا عن زلتك ، فإن تأمنا لا نخنك ، وإن يسؤ ظنك فإنما نحتاج إلى إصلاحه منك . » .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۰)

۸۸ - فصول لأبي علي البصير

فصل له :

« قد أكد الله يفتنا من المودة ما نأمن الدهر على حلِّ عقده ، ونقض مره^(۶) ، وما يستوى منه نقتنا بأنفسنا لك ، ولأنفسنا بما عندك . » .

* * *

(۱) استكان : خضع . والموجدة : الغضب .

(۲) أى تأذت ، والقذى : ما يقع في العين ، وقذبت حينه كرضى : وقع فيها القذى .

(۳) أى يسكن .

(۴) الروح بالفتح : النزح ، وبالضم : القلب وجواب الشرط محذوف للعلم به أى فعلت .

(۵) أى سزا .

(۶) في الأصل « مزاره » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه « مره » والمر بالفتح : الجبل ، أو « مراره » بالكسر ، جاء في اللسان : « والمر بضم ففتح : الجبل الذي أجيد قتله ، ويقال المرار بالكسر والمر بالفتح ، وفي الحديث أن رجلاً أصابه في سببه المرار : أى الجبل ، قال ابن الأثير : هكذا فسره ، وإنما الجبل المر ولعله جمع ، اه أو صوابه « مرره » بكسر ففتح جمع مرة بالكسر : وهي طاقة الجبل ، أو « مراره » جمع مريرة أو مرير : وهو الجبل الشديد القتل .

وفصل له :

« الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأُنس والثقة وبَسْطَ اللسان بالاستزادة ، وأنا أُمْتُ إليك بِالْحُرْمَةِ المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، حتى تُحِلَّ صاحبها مُحَلَّ خاصه الأهل بالقرابة . » (العقد الفريد ۲ : ۱۹۲)

۱۹ - كتاب لغسان بن عمرو الباهلي في الزم

« إنه انتهى إلى ما بلغك فلان ، وقد كفاني سقوطه مَثُونَةٌ إسقاطه ، وشدة تعديبه لِقَدْرِهِ الوصف لإفراطه ، فمرفتُك بحاله عُذْرٌ لِي عندك يُدْحِضُ^(۱) حجته ، ويكذبُ قوله ، وعتوبةٌ مثله الصفعُ عن ذنبه إذا قَصُرَ عن المجازاة قدره ، ولم يحتمل للمعاتبة عقله ، فصَفَحْتُ عن سبيله رغبةً بنفسِي عن ذكره ، ولولا ذلك انصَحْتُه^(۲) بسهامٍ نافذة ، وأكذبتُ مقالته بِمُجَجِّجٍ واضحة ، والسلام . »

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۲۱)

۹ - كتاب آخر له في الزم

« فلان ممن شَرَّفَتْ أمره ، وأعليت ذِكْرَهُ ، وولَّيْتَهُ نَشْرَ مكارمك فطَوَّأها ، وإظهارَ محاسنِك فأخفاها ، وَعَمَدَ إلى أمورِك فتعدَّأها ، استخفافاً بِالْحَرَمِ ، وقلةِ شكرٍ للنعم ، صرتُ إليه فوجدته ظاهراً الغدْرَ ، عظيمَ الكِبْرِ ، أسودَ القلب ، لم يُشْرِقْ نورُ الحكمة في قلبه ، ولم يَجْرِ ماءُ الحياءِ هلى وجهه ، فيه ثلاثة أمور : الفساد والخب^(۳) والكذب ، (قد أخرج الناس^(۴)) من فُسْحَةِ العدل إلى ضيق

(۱) أدحض حجته : أبطلها .

(۲) نصحه بالنبل : رماه .

(۳) الخب : الخداع والخبث والغش .

(۴) في الأصل « الفساد والخب والكذب من فسحة العدل إلى ضيق الجور » وقد زدت ما بين

القر - بن لبيد في المعنى .

الجور، حتى باعوا الطاريف والتلاد، وهموا ببيع النساء والأولاد، إذعانا للقهر، واستبسالا للجهد، ومخالفة للذل، ثم لم يقنعوا بذلك حتى أخذ منهم ما كان الله قد وضع ثقله عنهم، ولم تعمل به الولاة قبله، نضعيفا للبلاء، واستعمالا للأواء^(۱).

وجعلك عرضة لدعاء المظلومين، وسمعة في قلوب المؤمنين، فأيسر الملهوف من رَوْح^(۲) عدلك، والمكروب من رجاء فضلك، وقفل «كذا» تكريرا للشنع^(۳)، وأخذاً بالبدع، وإماتة للسنن، وجعل منزله مفضيا^(۴) لما جبي، وسيرة لما حوى، ليختزن الفضول^(۵)، ويستر ذلك عن العيون، حتى إذا حملهم الجهد فنقدت الطاقة، وماتت الحيلة، وترحت النفوس، كشف لهم عن خطة الجور، نايبة الأطراف، متراخية الشقة^(۶)، يعجز عن تجشها ذو القدرة الغنى، وذو المنة^(۷) القوى، وأبرز لهم غرة السيف ذى الشطب^(۸)، وهامة الجرز^(۹) ذى الشعب، فخبروه بجهدهم، وكشفوا له عن عذرهم، ففعل بهم «كذا»، حتى أعطوا المقادة كارهين، وعلى أنفسهم خائفين، لما عابنوا من القول الشنيع، والأمر الفظيع، فأرخص^(۱۰) بذلك قلوب المؤمنين، وكرة جواره أهل الفضل والدين، إذ لم يستطيعوا لما صنع تغييرا، ولم يجدوا إلى أمره بالمعروف سبيلا، فإن رأيت أن تنصيف كرمي من لومه، وتعي من دعة، وعسرى من سعة، فقد خالف طاعتك وأمرك، وتعامل على أهل مودتك وشكرك، فعلت» .

(۱) الأواء : الشدة. (۲) الروح : الرحمة. (۳) في الأصل « للشبع » وهو تحريف .
 (۴) كذا في الأصل والحق عليه صحيح ، وربما كان « مفضيا » وكلاهما اسم مكان .
 (۵) الفضول : جمع فضل ، وهو الزيادة . وفي الأصل « لتحرل » وهو تحريف وصوابه « ليختزن » .
 (۶) ترخ : ضد فرح . والشقة : المسافة . (۷) المنة : القوة .
 (۸) شطوب السيف وشطبه (بضمين) وشطبه (بضم ففتح) : طرائفه التي في منته ، واحده شطبة بضم ، وبضم ففتح ، وبكسر .
 (۹) الجرز كقفل وعنق : العمود من الحديد ، وفي الأصل « الحزر » وهو تصحيف .
 (۱۰) أرخصه : أوجه وأحرله .

۹۱ - کتاب آخر له

وله أيضاً :

« إنك صرفت حاجتي إلى فلان ، فوجدته ظاهراً الغدر ، عظيم الكبر ، فاشي
النوك^(۱) ، لا تقوى له وجوه الأحرار ، فرأيتك في عزله عن أياديك ، وصرف
حاجتنا إلى وجه قريب ، موقفاً ، إن شاء الله . »

(اختيار المنظوم والمشهور ۱۳ : ۴۲۲)

۹۲ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل

وكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل يعزّيه بابن له :

« إني أعزّيك ، لا أني على ثقة من الحياة ، ولكن سنة الدين
ليس المعزّي بباقي بعد ميتته ولا المعزّي ، وإن عاشا إلى حين »

(الفقد الفريد ۲ : ۳۶)

۹۳ - تحميد لإبراهيم بن العباس صدر رسالة الحميس

وكتب إبراهيم بن العباس للمتوكل رسالة للحميس صدرها :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي جلت نعمه ، وتظاهرت مننه ، وتتابعت أيديه ،
وعم إحسانه ، إله كل شيء ، وخالفه وبارته ومصوره ، والكائن قبله ، والباقي بعده ،
كما قال في كتابه : « كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون »
العالى في مشيئته ، والقاهر فوق عباده ، المتعالى عن شبه خلقه « ليس كمثله شيء »
وهو السميع البصير » خلق العباد بقدرته ، وهداهم برحمته ، وأوضح لهم السبيل

(۱) اللوك بالضم والفتح : الخنق .

إلى معرفته ، بما نصب لهم من دلائله ، وأراهم من عبره ، وصرفهم فيه من صنعه
كما قال جل جلاله : « الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ .
ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَمِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ
أَكْسَمُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » .

وذلك كله من خلقه إياهم بتمثيله ما مثل لهم من الدلائل التي نصبها لهم ،
والأعلام التي جعلها إزاء قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ، وبسر لهم خواطرم
وفكرهم ، والهيئة التي هيأهم لها ، ليقع الأمر والنهي عليهم ، فلا يكلفهم فوق
طاقتهم ، ولا يجشمهم ما يقصر عنه وسعهم ، نظرا منه تبارك وتعالى إليهم ، ورحمة
بهم ، ليؤمنوا به ويعبدوه ، فيستحققوا به رحمته ورضوانه ، والخلود في النعيم المقيم ،
والظلّ المديد ، والعيش الدائم ، كما قال تعالى ذكره : « إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ » . وكان من نظره ورأفته بهم أن بعث فيهم أنبياءه ورسله ،
يدعونهم إلى طاعته ، ويبينون لهم هداه ، ويوضحون لهم سبيله ، ويهدونهم إلى رحمته ،
ويعيدونهم ثوابه ، وينذرونهم عقابه ، ويبدئون لهم توبته ، ويحذرونهم سُخطه ،
ويبينون لهم سننه وشرائعه ، ويكشفون لهم مواضعه ، ويملئونهم كتابه وحكمته ،
كما قال تبارك وتعالى : « إِيَّاكَ مَنْ ذَلِكَ عَنْ بَيْتِنَا وَيَحْيَا مَنْ حَىَّ عَنْ بَيْتِنَا ،
وَإِنَّ اللَّهَ أَسْمِعُ عَالِمِينَ » . وكان من رأفته بهم ونظره لهم أن بعثهم إليهم بالحجج
الظاهرة ، والأعلام البيّنة ، والشواهد الناطقة ، التي أظهر بها صدقهم ، وأقام بها
برهانهم ، وأوضح بها دليلهم ، وأثابهم عمل سواهم ليكون أدعى لهم إلى تصديقهم
والقبول عنهم ، وأوكّد للعجبة على من أبى ذلك منهم » .

(اختيار النظم والمشور ۱۳ : ۲۷۲)

۹۴ - تحمید لبراہیم بن العباس

فی فتح إسحاق بن إسماعیل

« الحمد لله مُعِزُّ الْحَقِّ وَمُدْبِرُهُ ^(۱) ، وَقَامِعُ الْبَاطِلِ وَمُزِيلُهُ ، الطَّالِبِ فَلَا يَفُوتُهُ مَنْ طَلَبَ ، وَالغَالِبِ فَلَا يُعْجِزُهُ مَنْ غَلَبَ ، مُؤَيِّدِ خَائِفَتِهِ وَعَبْدِهِ ، وَنَاصِرِ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ ، الَّذِينَ أَقَامَ بِهِمْ دَعْوَتَهُ وَأَعْلَىٰ بِهِمْ كَلِمَتَهُ ، وَأَظْهَرَ بِهِمْ دِينَهُ ، وَأَدَالَ بِهِمْ حَقَّهُ وَجَاهَدَ بِهِمْ أَعْدَاءَهُ ، وَأَنَارَ بِهِمْ سَبِيلَهُ ، أَحَدًا يَتَقَبَّلُهُ وَيَرْضَاهُ ، وَيُوجِبُ أَفْضَلَ عَوَاقِبِ نَصْرِهِ ، وَسَوَابِغِ ^(۲) نِعْمَاتِهِ . »

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۶۹)

۹۵ - ومن رسالة له في قتل إسحاق بن إسماعيل ^(۳)

« وَقَسَمَ اللَّهُ عَدُوَّهُ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً : رُوحًا مُعْجَلَةً إِلَىٰ عَذَابِ اللَّهِ ، وَجُنَّةً مَنْسُوبَةً لِأَوْلِيَائِهِ اللَّهِ ، وَرَأْسًا مَنْقُولًا إِلَىٰ دَارِ خِلَافَةِ اللَّهِ ، اسْتَنْزَلُوهُ مِنْ مَعْقِلٍ إِلَىٰ عِقَالٍ ^(۴) ، وَبَدَّلُوهُ آجَالًا مِنْ آمَالٍ ، وَقَدِيمًا غَذَّتِ الْمَعْصِيَةَ ^(۵) أَبْنَاءَهَا ، فَحَلَبَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ دَرِّهَا ^(۶) مُرْضِعَةً ، وَبَسَطَتْ لَهُمْ مِنْ أَمَانِيَّتِهَا مُطْمَئِنَّةً ، وَرَكَبَتْ بِهِمْ مَخَاطِرَهَا مُوَضِعَةً ^(۷) ، حَتَّىٰ إِذَا وَتَقُوا ^(۸) فَأَمِنُوا ، وَرَكَبُوا فَاطْمَأَنُّوا ، وَانْقَضَىٰ رِضَاعٌ وَأَنْ فِطَامٌ ، سَقَّتْهُمْ مَسْمًا فَفُجِّرَتْ مَجَارِي أَلْبَانِهَا مِنْهَا دَمًا . وَأَعْقَبَتْهُمْ مِنْ حُلُوِّ غَدَائِهَا مَرًّا ، وَنَقَلَتْهُمْ مِنْ عِزِّ إِلَىٰ ذُلٍّ ، وَمِنْ فَرَحَةٍ إِلَىٰ تَرَحُّمَةٍ ، وَمِنْ مَسَرَّةٍ إِلَىٰ حَسْرَةٍ ، قَتَلَا وَأَسْرَا ، وَغَلَبَةَ ^(۹) »

(۱) أداله الله عليه : نصره .

(۲) نعمة سابغة : أى تامة .

(۳) الظاهر أن التعميد السابق صدر لتلك الرسالة .

(۴) المعقل : الملجأ ، والعقال : الجبل الذى بهل به البعير ، والمراد الذل والإسار .

(۵) وفي الطبى « العصبية » . (۶) الدر : اللبن .

(۷) أرضعت الناقة ووضعت : أسرعت فى سيرها .

(۸) وفي مروج الذهب « رتقوا » .

(۹) وفيه « وإباحة » . وقسمه على الأمر كضرب : أكرهه عليه وقهره .

وَقَمَرًا ، وَقَالَ مَنْ أَوْضَعَ فِي الْفِتْنَةِ مُرْهَبًا^(۱) ، وَاقْتَحَمَ لَهَا مُرْجَبًا ، إِلَّا اسْتَلْحَمَتْهُ
أَخِذَةً بِمُخَنَّفَةٍ^(۲) ، وَمُوهِنَةً^(۳) بِالْحَقِّ كَيْدَهُ ، حَتَّى جَعَلْتَهُ لِعَاجِلِهِ جَزْرًا^(۴) ، وَلَا جِلَّهُ
حَمَابًا ، وَلِلْحَقِّ مَوْغِفَةً ، وَعَنِ الْبَاطِلِ مَزْجَرَةً^(۵) ، أُولَئِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ،
وَأَعْدَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .

(تاريخ الطبري ۱۲ : ۷۹ ، ومروج الذهب ۲ : ۳۸۳)

۹۶ - تحميد له

« الحمد لله الغالب ذي القدرة ، والقاهر ذي العزة ، الذي لم يقابل بالحق باطلاً
في موطن من مواطن التعاكف بين عباده ، إِلَّا جَعَلَ أَوْلِيَاءَ الْحَقِّ مِنْهُمْ حِزْبَهُ
وَجُنْدَهُ ، وَجَعَلَ الْبَاطِلَ بِهِمْ قَلًّا^(۶) مَنْكُوبًا ، وَدَحِيضًا^(۷) زَهُوقًا ، إِنْ نَهَضَ بِهِ
أَوْلِيَائِهِ كَانَتْ مَرَاوِدُ عَوَاقِبِهِ مَفْرَقَةً مَا يُجْمَعُ ، وَمُبْتَرَةً^(۸) مَا أُعِدُّ ، وَقَائِدَةٌ بِأَشْيَاعِهِ
إِلَى مَصْرَعِ الظَّالِمِينَ ، حَتَّى يَكُونَ الْحَقُّ الطَّالِبَ الْأَعَزَّ ، وَالْبَاطِلُ الْمَطْلُوبَ الْأَذْلَّ ،
وَأَوْلِيَائِهِ الْحَقُّ الْأَعْلَمِينَ يَدًا وَأَيْدِيًا^(۹) ، وَأَشْيَاعُ الضَّلَالِ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا وَكَيْدًا ،
قَضَاءُ اللَّهِ وَسُنَّتُهُ ، وَعَادَةُ اللَّهِ وَإِرَادَتُهُ ، فِي الْفِتْنَةِ الْمَنْصُورَةِ ، أَنْ تَعَزَّ فَلَ تَرَامُ ، وَأَنْ
يَمَكَّنَ لَهَا فِي الْأَرْضِ كَمَا مَكَّنَ لِلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهَا ، وَفِي الْفِتْنَةِ النَّاكِبِينَ عَنْهُ ، أَنْ تَذِلَّ ،
فَتَكُونَ كَلِمَتِهَا الشُّفْلَى ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۶۹)

(۱) الرهج كشمس وسبب : الفبار ، وأرهج : أثار الفبار . وأجج النار : ألهبها .

(۲) استلحم الطريدة : تبعها ، والمخنيق : الخلق .

(۳) أوهنه : أضعفه .

(۴) يقال : تركوم جزر السباع : أي قطعاً من اللحم تأكلها السباع .

(۵) وفي مروج الذهب « وللباطل حجة » .

(۶) قوم فل : منهزمون .

(۷) دحيفا : أي مدحوضا باطلا ، من دحضت الحججة إذا بطلت ، وزهوقا : أي مضجعلا .

(۸) من بتره : أي قطعه واستأصله .

(۹) الأيد : القوة .

۹۷ - تحمید له فی فتح

«أما بعد، فالحمد لله الذي حمى نفسه، وفرض حمله على خلقه، وأعز دينه، وأكرم بطاعته أوليائه، وأكرم طاعته بأوليائه فجعل جنده منهم المنصورين، وحزبه منهم الغالبين، نهج^(۱) بهم سبيله، وأقام بهم حجته، وجاهد بهم أعداءه، وأظهر بهم حقه، وقمع بهم الباطل وأهله، وأعلى كلمتهم، وأبد نصرهم، وألف لهم وبهم، ومكّن لهم في الأرض، فجعلهم أئمةً وجماعهم الوارثين.

والحمد لله المعز لدينه، المظهر لحقه، الناصر لخلفائه، الممكن لحزبه، المنتقم بهم من صدق عنه، مؤيداً دينه بالنصر، ليظهره على الأديان، وحفه بالعرز، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجنوده بالفلج^(۲) فهم الأعلون إن استنصر بهم، والأعزون إن كاد بهم، والأقربون منه إخلاصاً وعملاً، حمداً يوازي نعمه، ويمتري^(۳) بمثله فواضله ومزيده.»

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۲۷۱)

۹۸ - تحمید آخر له

وله في فتح ابن البَيْتِ لما ظفر به :

«أما بعد، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخلفائه، وهادي أوليائه، أولياء الحق وحزب الهدى، الدين أقام بهم سبيل الرشاد، ونصب بهم مناهج الدين، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون.»

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۲۷۲)

(۲) الفلج : الظفر والفوز .

(۱) نهج : أوضح .

(۳) يمتري : أي يطلب ، من امتري الشيء إذا استخرجه ، والريح تمتري السحاب : أي

استخرجه وتستره .

۹۹ - تحمید له

« الحمد لله الذي أنجز وَعَدَّه ، ونصر عبده ، وأيد جندَه ، وجعل فتوح أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق ، وإدالة^(۱) باطل ، وإزالة عائد ، وإبادة عائد ، وإقالة مُستقيل ، ويسأل الله أمير المؤمنين مسألة العبد سيده ومولاه ، رغبة إليه ، متذللا له ، أن يصلي أفضل صلواته عنده على أكرم أنبيائه » .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۹۶)

۱۰۰ - تحمید له في فتح

« والحمد لله بجميع محامده التي تُحمد بها ، على جميع آلائه وجميع بلائه ، فيما ولى به خليفته ، ونصر به دينه ، وأقام به حقه ، وأعز به وليه ، وقمع به من أخلد عن سبيله ، حمدا يؤدى حق نفعته ، ويوجب به أفضل مزیده ، بمنه وطوله » .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۱۹۵)

۱۰۱ - تحمید له في آخر كتاب فتح

« فالحمد لله المزيل لما يهد البطلون ، ويمكر به الماكرون ، ويكيد به الملحدون ، تمكيننا لعبده وخليفته ، وذبا عن دينه وحقه ، وإظهارا لأولياته وحزبه ، وإمضاء لمزائمه وقدرته ، منيعا قادرا ، وممليا^(۲) مُمهلا ، عدلا إذا استدرج ، متفضلا إذا أنعم ، حمدا يُستنزل به نصره ، ويبلغ به رضوانه ، ويمتري بمثله فواضل مزیده » .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۹۵)

(۱) الإدالة : الغلبة . والعائد : المائل ، وفي الأصل : مشفوعة بين حق وإدالة باطل ، وإزالة عائد وإبادة ومستقيل وإقالة .
(۲) أملى له : أمهله .

۱۰۲ - كتابه إلى بعض إخوانه في شفاعته

وكتب شفاعته لرجل إلى بعض إخوانه :

« فلان ممن يزكو^(۱) شكره ، ويحسن ذكره ، ويعفاني أمره ، والصنيفة
عنده واقعة موقعها ، وسالكه طريقها .

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجى إصابة شكر لم يضع معه أجر »

(الأغاني ۹ : ۲۵ ، ومعجم الأدباء ۱ : ۱۷۸)

۱۰۳ - كتابه عن المتوكل إلى أهل حمص

ولما قرأ إبراهيم بن العباس هلى المتوكل رسالته إلى أهل حمص ، الخارجين هاهيه ،
والداعين إلى العصبية ، وهى :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين برى من حق الله عليه ، مما قوم به من أود^(۲) ،
وعدل به من زئج ، ولم به من منثير ، استعمال ثلاث ، يقدم بعضهم على بعض ،
أولاهن ما بتقدم به من تنبيه وتوقيف ، ثم ما يستظهر^(۳) به من تحذير وتخويف ،
ثم التى لا يقع بحسم الداء غيرها^(۴) .

أناة ، فإن لم تغف عقب بعدها وعيدا ، فإن لم يغن عزائمها »

عجب المتوكل من حسن ذلك ، وأوما إلى عبید الله بن يحيى بن خاقان : أما تسمع!
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إبراهيم فضيلة خبأها الله لك ، وذخيرة ذخرها على دولتك .
(معجم الأدباء ۱ : ۱۸۷ ، ووفيات الأعيان ۱ : ۱۰)

(۱) زكازكو : نما .

(۲) الأود : الاعوجاج . (۳) أى يستعين .

(۴) كذا فى الأصل ، وهو على تضمين يقع معنى يقوم ، وربما كان لا يتم حسم الداء بغيرها .

۱۰۴ - كتابه عن المنتصر إلى طاهر بن عبد الله

وكتب عن المنتصر بالله بن المتوكل إلى طاهر بن عبد الله يعزیه عن محمد ابن إسحاق :

« أما بعد ، تولى الله توفيقك وحياطتك ، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك . إن أفضل النعم نعمة تُلقيت بحق الله فيها من الشكر ، وأوفر حادثة ثواباً حادثة أدنى حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر ، ومثلك من قَدَّم ما يجب لله عليه في نعمة فشكرها ، وفي مصيبة فأطاعه فيها ، وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق (۱) مَوَلَى أمير المؤمنين - هذا الله عنه - قضاءه السابق والتوقع ، وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين - أدام الله عزه - وتقديم ما يقدم مثله أهل الحجة والفهم ، ما اعتاضه معتاضاً ، وقَدَّمه ، وفق ، فليكن الله عز وجل ، وما أطعته به ، وقَدَّمت حقه فيه ، أولى بك في الأمور كلها ، فإنك إن تقرب إليه في الكروه بطاعته ، يُحسِّن ولايتك في توفيقك لشكر نعمه عندك . »

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۰۷)

۱۰۵ - كتابه عن المعتز ولى العهد إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إبراهيم بن العباس عن المعتز ولى العهد إلى طاهر بن عبد الله يعزیه عن محمد بن إسحاق :

فإن أولى حق خصصت وقَدَّمت ، حثك ، بمحلك الذى أحلك به ، ومكانك الذى لك هندی ، والله عليك نعمة أنت حقيق بشكرها ، وامترأ (۲) مزیده بها ، والله فى خال نعمة ملات ، مثلك قدَّم طاعته فيها فرضى مستدعياً بالرضا ثوابه ، وسلم

(۱) هو ابن عم طاهر بن عبد الله ، وذلك أن طاهراً هو ابن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن رزيق بن ماهان ، وعمدا هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق بن ماهان .
(۲) مرى الشيء وامترأ : استخرجه .

حسب دعيا بالتسليم ما يقرب به منه ، وقد قضى الله عز وجل في محمد بن اسحق قضاءه الآتي على من مضى ، والمكتوب على من بقى ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، فارض بثواب الله عوضا من مصيبتك ، وارجع إلى ما وهب لك من خليفته - أدام الله تأييده - من إيثاره واختصاصه ، فاجعل ذلك أولى ما عزاك عن مصائبك ، وقدمت به الشكر في حق الله عنك ، واستصحب في أمورك كلها نية الشاكر عند النعمة ، والراضى عند المحنة ، تزد وتكف إن شاء الله .

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۰۷)

۱۰۶ - كتابه عن المؤيد وهو ولي عهد

إلى طاهر بن عبد الله

« فإن من حق الله على أهل النعم تقديم طاعته عند مصائبهم ، والتقرب إليه فيما يعزؤون منها بالرضا والتسليم ، وقد قضى الله عز وجل في محمد بن اسحق - عفا الله عنه - قضاءه في جميع خلقه حتى يبقى ويرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، فتلق - أمتع الله بحسن توفيقك - قضاء ربك بالتسليم له ، وتعز عن مصائبك بطاعته ، فإن مثلك من اكتفى بما فهم ، من أن يعزى ، واستغنى بما علم ، عن أن يوعظ إن شاء الله والسلام . »

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۰۷)

۱۰۷ - كتابه إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إبراهيم بن العباس إلى طاهر بن عبد الله يعزبه :

« أما بعد ، فإن أحق من أرضى الله في نعمته بشكره ، وفي مصائبه بالتسليم له ، من فهم ما في شكر النعم من استدعاء تاممها ، وما في التذلل للقادير من استحقاق رضوانه ، وقد جعل الله محلك من الحالتين جميعا محل المتقدم بنيته ومعرفته ،

وَاللَّهُ يَمْتَعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ بِصَالِحِ قَسْمِهِ فِيمَنْ مَضَى ، وَالْجَارِي عَلَى مَنْ بَقِيَ وَيَبْقَى ،
حَتَّى يُوَدِّيَ الْفَنَاءَ الَّذِي لَا بَقَاءَ مَعَهُ ، إِلَى الْبَقَاءِ الَّذِي لَا فَنَاءَ بَعْدَهُ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَمِظُكَ بِاللَّهِ ، وَهُوَ أَحَقُّ مَنْ وَعَظَ بِهِ ، وَبُرُودُكَ مِنْ إِثَارِ اللَّهِ
لَمَّا نَدَبَكَ لَهُ مِنْهُ ، وَسَهْلٌ لِعَظِيمِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ ، فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ ، بِمَا صَحِبَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ
طَاهِرٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَّامَهُ ، وَمَضَى عَلَيْهِ مِنْ بَصِيرَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، فَقَدِّمُ حَقَّ اللَّهِ
عَلَيْكَ بِطَاعَتِكَ لَهُ فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي مَوَاقِعِ أَقْدَارِهِ بِكَ ، تَقْتَضِي بِذَلِكَ مِنْ
ثَوَابِ اللَّهِ أَفْضَلَ عَوَاضِ الصَّالِحِينَ ، وَبَارِكِ اللَّهُ لِعَلِيٍّ فِيمَا أَصَارَهُ إِلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ اللَّهُ لَمَّا
قَرَّبَكَ مِنْهُ تَوْفِيقَكَ ، وَقَلَى أَرْضَاهُ عَنْكَ عَوْنَكَ^(۱) ، وَالسَّلَامُ .

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۲۷)

۱۰۸ - كتابه إلى طاهر بن عبد الله

وَكُتِبَ إِلَى طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي وَفَاةِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ .
« أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَتَعَالَى تَوَحَّدَ بِتَقْدِيرِ عِبَادِهِ ، وَإِمْضَاءِ إِرَادَتِهِ فِيهِمْ ،
وَجَعَلَ لِكُلِّ مِنْهُمْ نَهَايَةً إِلَيْهَا يَجْرِي بِهِمْ مُنْقَلَبُهُمْ وَمَتَّصِرَتُهُمْ ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ،
وَانْقَضَتْ مَدَةُ الْبَقَاءِ ، سَعِدَ أَهْلُ الْحَقِّ بِحَقِّهِمْ ، وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ،
وَخَيْرِ الْمُلْحِدِينَ .

وَإِنَّ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَبَقَاهُ اللَّهُ ، وَأَحْسَنَ سَعْيِهِ وَعَمَلِهِ -
كَانَ عِبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَبَدًا اللَّهُ بِهِ خَلْفَاءَهُ ، وَخَلِيفَتَهُ كَنَفَ^(۲) ، فَصَحِبَ عُمرَهُ ذَابًا
عَنْ دِينِ اللَّهِ ، مُحَافِظًا عَلَيْهِ ، مُطِيعًا لِلَّهِ فِي حَقِّهِ ، نَاصِرًا لَهُ مُتَقَرِّبًا إِلَى اللَّهِ فِي خَلْفَائِهِ ،
بِمَا يَرْضَاهُ مِنْهُمْ ، وَيَرْضِيهِمْ بِهِ عَنْهُ ، إِلَى أَنْ قَبَضَهُ اللَّهُ عَلَى أَحْسَنِ حَالَاتِهِ الَّتِي تَسْرُهُ

(۱) توفيقك مفعول أحسن ، وعونك مطروف عليه ، وأرضى : أفضل تفضيل .

(۲) كنفه : صانه وحفظه وحاطه وأمانه ، أى أيد به خلفاءه للماضين ، وكنف به خليفته
للماضر ، وفي الأصل « وخايفته وكيف .. »

أيام لقائه ، من طاعة ومناجحة وإخلاص عمل فكانت المصيبة به - عفا الله عنه - مصيبة خص أمير المؤمنين موقعها ، ثم وصلت من بعد أمير المؤمنين إلى من وصلت إليه فيك من ولده وأهله .

وأمير المؤمنين يعزى نفسه عن إسحق ، بما سبق من اختيار الله له في مثله من أوليائه و (ذوى) إخوانه ، ثم يعزى بك عنه إذا كانت مصيبتك به أو لى مصائبك بأن تُرمضك (۱) جلالته وموقعها ، وأولى مصائبك بأن يعزى بك (فيها) إذ كنت منها بين ثواب الله ورضا خليفته ، ولو استغنى ذو نازلة ومصيبة عند أمير المؤمنين عن تعزيتك بفضل ما جعله الله عنده ، كنت بما منحك الله عن ذلك غنيا ، ولولا أن أمير المؤمنين أوجب لك حق التعمرية ، لكان في علمه ما أغناه عن تناولك بها .

متع الله أمير المؤمنين بك ، ووفقك لرشدك بهذه النازلة الواقعة بحق الله فيها عليك وارض ثواب الله منها عوفا ، وما جعل الله لك عند أمير المؤمنين خلفاً كريماً ، وقعت به مقادير الله من ذلك ، بحيث اختيار المطيع لربه ، والمقدم لغده ، والراضى ما رضى الله له ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يسررك الله له عند انتهاء الخبر إليك ، مؤيدك (۲) ومسدّدك .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۲۸)

۱۰۹ - كتابه إلى طاهر

وكتب إلى طاهر أيضاً :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يوجب لك من كل فائدة نعمة ، وحادث (رزق) تهنتك بتجدد مواهب الله عز وجل ، وتعزيتك عن ملمات أقداره ، وقد قضى الله في محمد بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين ، ما هو قضاؤه في عبادته ، حتى يكون الفناء لهم

(۱) أرمضه : أوجعه وأحرقه .

(۲) حال من لفظ الجلالة .

والبقاء (له) ، وأمير المؤمنين يعزبك عن محمد بما أوجب الله لمن أمره (بالصبر^(۱)) في مصائبه ، من جزيل ثوابه وأجره ، فليكن الله وما قرّبك منه ، أولى بك في أحوالك كلها ، فإن مع شكر الله مزيده ، ومع التسليم لأمر الله رضاه ، وبالله توفيق أمير المؤمنين ، والسلام .
(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۲۸)

۱۱۰ - كتابه إلى طاهر

وكتب إلى طاهر يعزبه :

« أما بعد ، فإن أحق من أطاع الله في مصائبه ، من حسن بلاه الله عنده في نعمته وعلى حسب مواهب المعرفة تؤكد الحجة ، وقد انتهى إلى أمير المؤمنين قضاء الله في محمد بن الحسن بن مضعب ، وفر الله لك ثواب رزقه ، فقدم حق الله فيما أصابك منه مسأماً ، وفيما جدد لك شاكراً ، وارض بالله منجزاً لك ، واعلم أنك لم ترزاً من أهلك من هو أمضى^(۲) لسبيل منقلبته على سبيل سيرة واستقامة منه ، والله يحسن توفيقك وعونك ، والسلام .
(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۲۹)

۱۱۱ - كتابه إلى عبد الرحمن بن خاقان

وكتب إلى عبد الرحمن بن خاقان يعزبه عن أبي زكريا يحيى بن خاقان :

« أما بعد ، فقد جرى من قضاء الله في وفاة يحيى بن خاقان - على أحسن ما يتوفى عليه ذو طاعة ونصيحة وقيام بحق إمامه وسلطانة ورعيته - ما جرى على الأولين ، وهو جارٍ على الآخرين ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .
وأمير المؤمنين بأصرك بالرجوع إلى أمر الله ، والرضا بقضائه ، وتلقى النعمة

(۱) ما بين الأقواس الثلاثة ساقط في الأصل .

(۲) في الأصل « من مضى » .

برضا الله عن يحيى ، وما تبعه من الدعاء ، وخلائه في عقبه بما يستديمها به من الصبر والتسليم ، وبالشخص إلى باب أمير المؤمنين إذا ورد عليك كتابه هذا ، بعد أن تخلف في عملك من يقوم فيه مقامك ، مُتَبَسِّطَ الأمل ، منفسح الرجاء ، واثقاً بما يرعى أمير المؤمنين منك بنفسك في طاعته وموالاته ، وأسبابك ، والسلام .

* * *

ونسخة التوقيع بخط أمير المؤمنين في هذه التعمية :

« يا عبد الرحمن ، ثق بالله وبالذي لك عند أمير المؤمنين ، وطب نفساً ، ولا تحمل على نفسك من الغم ما لا ينفعك ، لا بل يضرك ، وبغتم به أمير المؤمنين ، وهذا خط أمير المؤمنين إليك والسلام . » (اختيار المنظوم والثنور ۱۳ : ۳۲۹)

۱۱۲ - كتابه إلى الحسن بن رجاء

« أنت والله يا أبا علي (يمين^(۱)) مصدراً عن محطاطٍ لنفسه فيها) المتقدم بفتته وأثره وجميل ما أبلى (۲) الله به وعرف منه ، فأحسن الله جزاءك عن خليفتك ولياً مجتهداً ، وأحسن الله جزاءك عنا أماً متفضلاً ، وبلغنا محبتنا فيما قللت ، وبالله أن كنت على أفضل حد^(۳) (إني^(۴)) كعلى نهاية مما عليه العتيدُ بنعمتك ، الممرور بما أجرى الله لك به ، وإني لأرجو ألا أكون مقصراً في حقك عن حقك . » (اختيار المنظوم والثنور ۱۳ : ۳۶۱)

(۱) أي وتلك يمين ... والجملة اعتراضية .

(۲) الإبلاء : الإنعام .

(۳) الحد : منتهى الشيء ، وربما كان « على أفضل جد » والجد بفتح الجيم : الحظ والحظوة والعظمة ، والاول أولى لقوله بعد « لعل نهاية » .

(۴) « بين القوسين بياض بالأصل . »

۱۱۳ - كتابه إلى محمد بن الحسن بن الفياض

ووقع إلى محمد بن الحسن بن الفياض وقد حمل مالا :
« إذا جَزَى اللهُ ولياً ، بأداء الفرض عليه ، وتأدية حق الشكر من نفسه خيراً ،
فأحسن الله جزاءك ، فبالله لئن كنا قدّمنا حسن الظن بك ، لقد وصلت ذلك بكفاية
حسنة ، وأثر صالح ، وأمور أقلّ منها يزيد في الثقة بك ، وإني لأرجو أن يسرك الله
به إن شاء الله ، ووافقت الأموال حاجة منا إليها ، وموئناً تراجمت ، أعان الله على
أكثرها بعنايتك وتسويدك ، والسلام . » (اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۱)

۱۱۴ - كتابه إلى عامل له

ووقع إبراهيم بن العباس في كتاب عامل له يعتدّ بحسن أثره ، ويمت
بمقام محمود :
« يا هذا ، لست أشك أن لك أثراً في التوفير ، كان من تقدّمك مقصراً عنه ،
وأنت معنيّ ومحماط ، غير أنك عفت^(۱) على ما أحدثت منك ، بما يقناهي إلى عنك ،
على السنّ المتظلمين وأصحاب الأخبار .
وذكر لي فلان ما جرى بينك وبين أخيه مما كثر وصفه له ، وقام منه وقعد ،
وتالله لأكوننّ الباحث عليك ، والمطالب لك دونه ، لإقدامك على شيخ ابن ستين
سنة ، بما أقدمت به عليه ، وأف لدنيا اضطرت إليكم ، فكنتم خياراً من يعمل فيها !
وأبرأ إلى الله من أعمالكم التي رجعت بها إلى أنفسكم ونياتكم . »
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۳)

(۱) أي عوته وأزلته .

۱۱۵ - کتاب له فی السلامة

« أما بعد ، فإن أولی نعمۃ تُشکر ، سلامةٌ شملت ، عزّاً فيها الحقُّ فوقَ مواقِعہ ، وذلّاً فيها الباطلُ فقم مع أشیاءہ ، وتقلب فی سترها وأمنها خاصّةً وعمامةً ، فانبسط فی تأمیل فضلها وعائدتها رعيّةً حاضرةً وقاصيةً .

وأمیر المؤمنین حيثُ كتبتُ إليك ، فی أعمّ السلامة أمنا وعزّا وأدومِ نعمةً موقعاً وخطراً ، وفي أجملِ بلاءٍ^(۱) الله ، يتعرّفه فی نفسه وولده وأوليائه وعوامّه ، وبالله عونُ أمير المؤمنين على شكرِ نعمه ، وتأدية حقه .

أعلمك أمير المؤمنين ذلك ليتعرفه ولتعتدّ النعمة به ، ولتكتب إلى عمالك فی نواحي أعمالك ، فيشكروا الله ومن قبلهم بلاء الله في خليفتهم ، مما وهب لهم منه ، وأجرى لهم به .

وأمير المؤمنين معنيٌّ بما يرد عليه من أخبارك وأعمالك وأمورك: خاصّها وعمامها ، ولطفها وجليلها ، وفي أوليائه ورعيته قبلك ، فاكتب إلى أمير المؤمنين من ذلك عما هو متطلع إليه ، متابعا كتبتك إليه على شرح خبرك وتاخيصة إن شاء الله .
(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۶۶)

۱۱۶ - کتاب له فی السلامة

« أما بعد ، فإن لكل فرع أصلاً ، عنه مؤداه^(۲) ومستنبطه ، وإليه مرجعه وموئلُه ، ومتى رُجع من أصول الأمور إلى نائلها^(۳) وتمكّنها ، رُجع من فروعها إلى استنبابها واستقامتها ، وأفضل ما تدبّره : أمور دين الله وخلافته ، وحقوق الله

(۱) أي نعمته .

(۲) في الأصل « واده » وأراه محرّفاً عن « مؤداه » وربما كان الأصل « مورده » .

(۳) نائل : تاصل .

وعبادِهِ ، فكان الأَصْلُ وزَ كَاوُهُ (۱) ما جَمَعَ يَأْذَنُ اللهُ سَكُونَ الدَّهْمَاءِ (۲) ، وَصَلَحَ
الْبَيْضَةَ (۳) وَأَمَّنَ السَّرْبَ (۴) ، وتَظَاهَرَ النِّعَمَ نِيْمًا قَرُبَ وَبَعُدَ ، وَدَنَا وَنَأَى ،
وَبَلَاهُ اللهُ حَيْدًا هُوَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مَعَ كِتَابِهِ هَذَا إِلَيْكَ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ، وَفِي
أَحْبَابِهِ وَخَاصَّتِهِ وَقَاصِيَتِهِ ، وَفِي أَنْصَارِهِ ، مِنْ عَمُومِ الْأَمْنِ وَشُمُولِهِ ، وَصَلَحِ الْحَالِ
وَاسْتِقَامَتِهَا ، (بِلاهُ يَرْبُو (۵)) عَنِ الْإِحْاطَةِ بِذِكْرِهِ دُونَ شُكْرِهِ ، وَعَنِ إِحْصَاءِ مَوَاهِبِ
اللهِ فِيهِ دُونَ إِحْصَائِهِ :

أَعْلَمَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ مَعْتَدًا بِنِعْمَةِ اللهِ فِيهِ ، وَمُسْتِيدًا بِذِكْرِهِ ، وَمَنْبِهَا عَلَى
جَمِيلِ آلَاءِ اللهِ ، وَمُسْتَدِيمًا حَمْدَهُ بِهِ ، لِتَأْمَرَ بِإِنْفَازِ كُتُبِكَ إِلَى عَمَّاكَ فِي نَوَاحِي أَعْمَالِكَ
بِمَا يُنْسَخُ مِنْ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا إِلَيْكَ ، لِتَقْرَأَهُ عَلَى مَنْ بَحْضَرْتَهُمْ وَأَطْرَافَهُمْ
مِنْ قَوَادِمِ الْمُؤْمِنِينَ وَجُنُودِهِ وَأَوْلِيَاءِهِ وَرَعِيَّتِهِ وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، فَيَحْمَدُوا اللهُ عَلَى
مَا أَبْلَى (۶) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ وَفِيهِمْ ، لِيَجِدُوا مِنْ شُكْرِ اللهِ عَلَى ذَلِكَ مَا يَمِثِلُهُ
اسْتِدِيمَتِ النِّعْمَةِ ، وَامْتَرَى (۷) صَالِحُ الزَّيْدِ ، فَافْعَلْ ذَلِكَ مُعَانًا عَلَى أَمْرِكَ ،
مُتَحَرِّبًا لِأَدَاءِ حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ ، وَالسَّلَامُ .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۶)

۱۱۷ - كتاب آخر

وكتب في سلامة الأضي :

« فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ أَشَادَ بِنِعْمِ اللهِ نَاطِقًا بِلِسَانِ شُكْرِهَا ، وَقَائِلًا بِأَحْسَنِ نَشْرِهَا ،
وَمَقْدِمًا حَقَّ اللهُ بِذَلِكَ فِيهَا ، مَنْ أَلْبَسَ مِنْ نِعَمِ اللهِ أَعَزَّ مَلَابِسَهَا ، وَخَيَّ مِنْهَا
بِأَفْضَلِ مَوَاهِبِهَا ، وَمَنْ لَمْ تَزَلْ عَادَةُ اللهِ عِنْدَهُ فِي مُتَجَدِّدِ نِعْمِهِ عَلَيْهِ ، بِتَبْيِيرِهِ لِأَدَاءِ

(۱) الزكاء : الصلاح والنماء ، وفي الأصل ور كاوها ، وأراه محرفا .

(۲) الدهماء : جماعة الناس . (۳) البيضة : حوزة كل شيء . (۴) السرب : النفس .

(۵) في الأصل « بد ... » وقد آمنت العبارة كما ترى .

(۶) أي أنعم عليه . (۷) امترى الشيء : استخرجه .

حقه فيها ، ذلك أمير المؤمنين فيما يعتدُّ به من جليل آلاء الله لديه فيما منحَّه ، وجيل فضلِه عليه فيما وقَّه له ، وباللَّه عونُ أمير المؤمنين بتباينه شكره ، واستحقاقه مزيده ، وإحراز ما هو أرضى وأزكى له عنده .

وكتابُ أمير المؤمنين إليك يوم النَّحر ، انصرافه من المصلَّى ، وقد عرفه الله في عيده ونَحْرَجِه ، من السلامة وعمومها ، والنَّعم وتظاهرها في نفسه وولده وقواده وأوليائه وفي خاصته وعامته ، أفضلَ ما لم يزل يعرفه إياه أمنا (۱) كَنَفَ به ، وعِزًّا ألبسه ، وشكرا وفقَّ له ، ونِعْمًا أبدَّ بها وقع ، وأعلى بها ورضع ، فجعل لأوليائه دينه وحقه من العلوِّ والكرامة ، وعلى أعدائه من الذلَّة والحسرة ، ما قد يما تفضلَ به على أمير المؤمنين بما استخلفه عليه واستحفظه فيه ، تفضلاً منه وإحساناً ، وحياطة وإنعاماً ، والله بذلك أرضى شكر ، وله أفضل ما قرَّب منه وأزلف (۲) عنده .

أحبَّ أمير المؤمنين الكتابَ بذلك إليك ، لتعرفه وتحمِّد الله عليه ، وتنفسه فيمن قبلك ، فيحمدوا الله ويمتدُّوا نعمه عليهم فيه ، فإن مع معرفة النصرة شكرها ، ومع التوفيق لشكرها حرامتها ووجوب مزيدها ، وأمير المؤمنين يأمرك بالكتاب إليه بخبرك وخبر من قبلك بما هو متطَّلِع إليه وإلى معرفته ، بهيِّج بما يردُّ عليه منه ، فتابع - أصلح الله بك - إلى أمير المؤمنين كتبك إن شاء الله .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۷)

۱۱۸ - ومن فصوله

« المودةُ تجمنا محبتنا ، والصناعةُ تؤلفنا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخ في لقاء ، أو تخلف في مكانة ، موضوع بيننا ، يوجب العذر فيه . »

(العقد الفريد ۲ : ۱۹۲)

(۱) في الأصل : منا ، وأراه محرفاً . (۲) أي قريب .

۱۱۹ - ومن كلامه

« ووجد أعداء الله زُخْرُفَ باطلهم ، وتمويه كَذِبِهِمْ ، سراباً بَقِيعةً (۱) يحسبه الظَّمانُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » وكوه يبيض برق عَرْض فأسرع ، ولمع فأطمع ، حتى إذا انحسرت (۲) مغاربه ، وتشعبت موائمة مَذاهبه ، وأيقن راجيه وطالبه ، أن لا ملاذ ولا وزر ، ولا مورد ولا صدر ، ولا من الحرب مفر ، هنالك ظهرت عواقب الحق مُنْجِيَةً ، وخواتم الباطل مُرْذِيَةً ، سنة الله فيما أزاله وأداله ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولا عن قضائه تحويلاً .

(معجم الأدباء ۱ : ۱۹۰)

۱۲۰ - كتاب الفضل بن حباب

إلى إبراهيم بن العباس

قال إبراهيم بن العباس الصولي : كتبت القاضي أبا خليفة الفضل بن حباب الجعفي في أمور أرادها ، فأغفلت التاريخ منها في كتابين ، فكتب إلي بعد الثاني :

« وصل كتابك - أعزك الله - مبهم الأوان ، مُظْمِم المِكان ، وأدنى خبراً ما القرب فيه بأولى من البُعد ، فإذا كتبت - أكرمك الله تعالى - فلتكن كتبك موسومة بتاريخ ، لأعرف أدنى آثارك ، وأقرب أخبارك ، إن شاء الله تعالى .

(زهر الآداب ۳ : ۱۴۳)

(۱) القبة جمع قاع : وهو ما انبسط من الأرض وفيه يكون السراب نصف النهار ، قال في اللسان : ولا نظير له إلا جار وجيرة ، وذهب أبو عبيد إلى أن القبة تكون للواحد .

(۲) أي انكسفت .

۱۲۱ - کتاب رجل إلى المتوكل

وكتب رجل إلى المتوكل على الله ، وقد أهدى إليه قارورة من دهن

لأنه ترجى :

« إن الهدية يا أمير المؤمنين ، إذا كانت من الصغير إلى الكبير ، كلما
لطفت^(۱) ودقت كانت أبقى وأحسن ، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير ، كلما
عظمت وجلت كانت أنفع وأوقع ، وأرجو ألا تكون قصرت بي همة أصارتني
إليك ، ولا أخرني^(۲) إرشاد دلتني عليك ، وأقول :

ما قصرت همةً بلغتُ بها بابك يا ذا النداء والكرم^(۳)
حسبي بودك إن ظفرتُ به ذخراً وعزاً يا واحد الأمم
(العقد الفريد ۳ : ۳۰۹)

۱۲۲ - کتاب رجل إلى مالك بن طوق

وكتب رجل إلى مالك بن طوق^(۴) لما عزل عن عمله .

« أصبحت والله فاضحاً متعباً : أما فاضحاً فلكل وال قبلك بحسن سيرتك ،
وأما متعباً فلكل وال بعدك أن يلدحك^(۵) .
(اختيار المنظوم والمنثور ۳ : ۳۰۰)

(۱) لطف الشيء ككرم : صغر ودق .

(۲) في الأصل « ولا أحرى » وهو تحريف .

(۳) الندى بالقصر : الكرم والجود ، ومدته للشعر .

(۴) كان أميراً على الأهواز في خلافة المتوكل - انظر الأغاني ۱۳ : ۲۲ .

۱۲۳ - کتاب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشَّيْص :
« كتابي إليك كتاب خَطَطْتُهُ بيمينِي ، وفرَّغْتُهُ لهُ ذِهْنِي ، فما ظنُّكَ بِحَاجَةِ :
هذا مَوْقِعِهَا مِنِّي ؟ أتراني أقبلُ العذرَ فيها ؟ أو أقصِّرُ في الشكرِ عليها ،
وإبن أبي الشَّيْص قد عرَفَتْ حالَهُ ونَسَبَهُ وصفاتِهِ^(۱) ، ولو كانت أيدِينا تنبسط بیره
ما عدنا إلى غيرنا ، فاكتفِ بهذا منا . »

(العقد الفريد ۲ : ۱۹۳ ، واختيار المنظوم والمثور ۱۳ : ۳۹۴)

۱۲۴ - كتاب أحد الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر

وكتب بعض الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر^(۲) وقد نالتهما مِحْنَةٌ ،
ثم ردَّ قَتْما نعمة :

(۱) وفي المنظوم والمثور « وكفايته » .

(۲) قال ابن النديم في الفهرست ص ۱۷۸ . « بنو المدبر : أحمد ومحمد وإبراهيم ، وجميعهم شاعر
مترسل بليغ » ، وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني - في ترجمة إبراهيم بن المدبر ج ۱۹ ص ۱۱۴ -
« إبراهيم بن المدبر شاعر كاتب متقدم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوي الجاه والمتصرفين
في كبار الأعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله » وقال : « كان أحمد بن
المدبر ولي لعبيد الله بن يحيى بن خازان عملا ، فلم يحمده أثره فيه . وعمل على أن ينسكه ، وبلغ أحمد ذلك
فهرب ، وكان عبيد الله منعرفا عن إبراهيم شديد النفاسة عليه لرأى المتوكل فيه ، فأغراه به وعرفه خير
أخيه ، وادعى عليه مالا جليلا ، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه ، وأوغر صدره عليه حتى أذن له في حبه
ولإبراهيم في حبه أثمان كثيرة حسان مختارة أورد صاحب الأغاني بعضها - وطال حبه ، فلم يكن
لأحد في خلاصه منه حيلة ، حتى خلاصه محمد بن عبد الله بن طاهر ، وبذل أن يحتمل في ماله كل ما يطالب
به ، فأعفاه المتوكل من ذلك ، ووجه له » .

وقال ياقوت في معجم الأدباء ج ۱ : ص ۲۲۶ : « هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ،
تولى الولايات الجليلة ، ثم وزير المعتمد ، ومات سنة ۲۷۹ وهو ينتقل للمعتضد ديوان الضياع ببغداد »
أقول : وأكبر ظني أنه « المدبر » بفتح الباء . وهو الصواب إذ رأيت بعد في كتاب المشبه في أسماء
الرجال للذهبي ص ۷۲ ، طبع أوربة « إبراهيم بن المدبر (بفتح الباء الموحدة) الأخباري يحكى
عنه جحظة » .

« بسم الله الرحمن الرحيم : لو قُبِلَتْ فيكما ، ودانيتُ قدرَيْكما ، لقلتُ :
جعلني الله فداكما ، ولكن أُخِرَتْ عنكما ، فلا أُقْبَلُ فيكما^(۱) ، وقد باغتني المِحْنَةُ
التي لو مات إنسان غمًّا بها لَكُنْتُهُ ، ثم انصَلتُ بي النعمة التي لو طار^(۲) إنسان فرحاً
بها لَكُنْتُهُ » .

وكتب تحته :

وليس بتزويق اللسان وصورغِه ولكنه قد خالط اللحم والدِّمَا
(زهر الآداب ۳ : ۱۶ ، وأدب الكتاب ص ۱۵۳)

۱۲۵ - كتاب عمر بن أيوب إلى أحمد بن المدبر

وكتب أبو حنيفة عمر بن أيوب إلى أبي الحسين أحمد بن محمد بن المدبر ، بعاتبه
في أن دعاه مدًّا الله في عُمرِك :

« يَا جَوَادًا بِالثَّنَا وَبِخَيْلًا بِالْعَطَا

إِنَّ : « مَدَّ اللَّهُ فِي عُمرِك » مِنْ كُتُبِ الْجَفَا

لَيْسَ يُسْتَعْمَلُ هَذَا الصَّدْرُ بَيْنَ الْأَصْفِيَا

فَتَفَضَّلْ بِأَفْتَى الثَّنَا مِنْ بِتَفَخِيمِ الدُّعَا »

(أدب الكتاب ص ۱۶۰)

۱۲۶ - كتاب أبي العباس المبرد إلى إبراهيم بن المدبر

وقال أبو الحسن الأخفش^(۳) علي بن سايان : استهدى إبراهيم بن المدبر

(۱) وفي أدب الكتاب : « ولكن لا أجزى عنكما ، ولا أقتل بكما » .

(۲) في الأصل « أدب الكتاب » طال وهو تحريف .

(۳) هو الأخفش الأصغر النحوي للعروف ، توفى ، سنة ۳۱۵ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان

۱ : ۳۳۲ ، والفهرست لابن النديم ص ۱۲۳ ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ۳۱۲ .

أبا العباس^(۱) محمد بن يزيد جيسا يجمع إلى تأديب ولده الإمتاع يابناسه^(۲) ، فندبني لذلك وكتب إليه ممي :

« قد أنفذتُ إليك - أعزك الله - فلانا وَجُمْلَةُ أمرِهِ أنه كما قال الشاعر :

إذا زرتُ الملك فإن حَسْبِي شفيعاً عندهم أن يُخْبِرُونِي »

(زهر الآداب ۱ : ۱۴۴)

۱۲۷ - كتاب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون

قال صاحب الأغاني :

وكتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون في أيام نكبته يسأله إذ كان المتوكل والفتح بن خاقان بأمره :

كم قرى يَبْقَى عَلَيَّ ذا بَدَنِي ؟ قد بلى من طول همٍّ وِضْنِي

(۱) هو أبو العباس المبرد النحوي المشهور صاحب كتاب الكامل ، كان إماماً في النحو واللغة ، روى عنه الأخفش المذكور ، وتوفي سنة ۲۸۵ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۴۹۵ والفهرست لابن النديم ص ۸۷ ، ونزهة الألباء - ص ۲۷۹ .

جاء في وفيات الأعيان ۱ : ۴۹۷ « والمبرد بضم الميم وفتح الباء والراء المشددة لقب عرف به ، واختلف العلماء في سبب تاقبيه بذلك ، فالقدي ذكره ابن الجوزي في كتاب الألقاب أنه قال : سئل المبرد لم لقبت بهذا اللقب؟ فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والذاكرة فكرهت الذهاب إليه ، فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني ، فجاء رسول الوالي يطلبني ، فقال لي أبو حاتم : ادخل في هذا ، يعني غلاف زملة (وهي البرادة التي يبرد فيها الماء) فارغاً ، فدخلت فيه وغطى رأسه ، ثم خرج إلى الرسول ، وقال : ليس هو عندي ، فقال : أخبرت أنه دخل إليك ، فقال : أدخلت الدار وفتشها ، فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يفتن لغلاف الزملة ، ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على الزملة المبرد المبرد ، وتسامم الناس بذلك فلم يجوابه ، وقيل إن الذي لقبه به شيخه أبو عثمان المازني ، وقيل غير ذلك ، وجاء في الزهر للسيوطي ۲ : ۲۶۷ في « فصل في معرفة الألقاب وأسبابها » : « قال السيرافي : لما صنف المازني كتابه الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب : فقال له : قم فأنت المبرد بكسر الراء أي المثبت للهق ، فقيره الكوفيون وفتحوا الراء » .

(۲) ذكر صاحب الأغاني في ترجمة ابن المدبر أنه كان يتولى البصرة (ج ۱۹ : ص ۱۲۴) فالظاهر أن ذلك الاستهداء كان إبان توليه إياها ، وقد كان المبرد من أئمة النحويين البصريين .

أنا في أمرٍ وأسبابٍ رَدَى وَحَدِيدٍ فَادِحٍ يَكَلِمُنِي ^(۱)
 يابنَ حَمدُونَ فَتَى الجُودِ الذي أنا منه في جَنِي وَرَدِي جَنِي ^(۲)
 ما الذي تَرُقُبُهُ ، أم ما تَرَى في أخٍ مَضطَّهِدٍ مرثَمِنٍ ؟
 وأبو عِمْرانَ موسى حَنِيقٌ حاقِدٌ يَطابُنِي بالإِحَنِ ^(۳)
 وَعُبيدُ اللهِ أيضاً مِثْلُهُ وَنَجَاحٌ بي مُجِدُّ ما بِنِي ^(۴)
 ليس يَشْفِيهِ سوى سَفَكِ دمي أو يراني مُدرَجاً في كَفَنِي
 والأَميرُ الفَتَحُ إن أذكَرته حُرْمَتِي قامَ بأمرِي وَعُنِي
 قال : صِدْقٌ حينَ ادْعُو باسمِهِ وسرورٌ حينَ بَعُرُو حَزَنِي
 قل له : يا حُسنَ ما أوليتني ما إِيأا أوليتني من تَمَنِي
 زاد إحسانَكَ عِندي عِظَماً أَنَّهُ بادِرٌ إن يعرفني
 لست أدري كيف أُجْزِيكَ به غيرَ أُنِّي مُثَقَلٌ بالمِنِي
 ما رأَى القومُ كذَنبِي عندهم عَظُمُ ذَنبِي أَنبِي لم أَخُنِي
 ذاك فَعَلِي وَتُرَاثِي عن أبي واقتدائي بأخي في السُّنِنِي
 سُنَّةٌ صالِحَةٌ مَعروفَةٌ هي مِنِّي في تَدِيمِ الزَمَنِ
 ظَهَرَ الأعداءُ بي عن حِيلَةٍ ولعلَّ اللهُ أن يظْفِرَنِي
 لِيَتَ أني ومُهمٌ في مَجاسِ يَظْهَرُ الحَقُّ به لِلأَقْطَنِ
 فَتَرَى لي ولهم مَلْحَمَةٌ يَمَلِكُ الخائِنُ فيها وَالذَّنِي ^(۵)
 والذي أسألُ أن يُنصِفَنِي حاكِمٌ يَقضِي بما يَلزُمُنِي

(۱) فدحه كمنه : أثقله . وكله كضربه : جرحه .
 (۲) الجني كفتي : كل ما يجني ، وثمر جني كفتي : جني من ساعته .
 (۳) في الأصل « حاقن » وأراه محرفاً ، والإحن : جمع إحنة بالكسر : وهي الحقد .
 (۴) أي ما يفتر . وفي الأصل « ونجاح في ... » وهو تحريف .
 (۵) الملحمة : الواقعة العظيمة القتل .

قل الحمدون خليلي وابني واميسى حرّ كوه يا بني^(۱)
فلم يزالوا في أمره حتى خالصوه .
(الأغاني ۱۹ : ۱۱۹)

۱۲۸ - كتابه إلى عريب

وكان بين إبراهيم بن المدبر وبين عريب^(۲) المغنية حال مشهورة ، كان يهواها
وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة .

وقد كتبت إليه من سرّ من رأى كتابا تنشوقه فيه ، وتخبره باستيحاشها له ،
واهتمامها بأمره ، وأنها قد سألت الخليفة في أمره ، فوعدها بما تحب .

فأجابها عن كتابها ، وكتب في آخر الكتاب :

لعمرك ما صوتُ بديعٍ لمعبدي^(۳) بأحسنَ عندي من كتابِ عريبِ
تأمّلتُ في أثنائه خطُّ كاتبِ ورقّةٍ مشتاقٍ ، ولفظَ خطيبِ
وراجعتني من وصلها ما استرقتني وزهدني في وصل كلِّ حبيبِ
فصرت لها عبدا مقرأً بملكها ، وستمسكاً من ودّها بنصيب^(۴)
(الأغاني ۱۹ : ۱۱۶)

۱۲۹ - كتاب لابن المدبر

ولابن المدبر :

« وصل كتابك المفتوح بالعتاب الجميل ، والتمريم اللطيف ، فلولاً ما غلب على
من السرور بسلامتك ، لتقطعت عمّا بعتابك ، الذي اطفأ حتى كاد يخنقني عن أهل

(۱) قال صاحب الأغاني : يعني يابني الزانية .

(۲) انظر أخبارها في الأغاني ۱۸ : ۱۷۵ .

(۳) هو معبد بن وهب الفنى المشهور ، كان في عهد الدولة الأموية ، ومات في أيام الوليد بن يزيد

بدمشق - انظر ترجمته في الأغاني ۱ : ۱۸ .

(۴) وقد أورد صاحب الأغاني مكانيات شمزية بين إبراهيم بن المدبر وبين عريب وغيرها فارجع إليها

الرقة والفيضة ، وغاظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ، فلا أعدمى الله رضاك مجازيا به على ما استحقته عقبتك ، فأنت ظالم فيه ، وعتابك ولي المخرج منه .
(العقد الفريد : ۲ : ۱۹۴)

۱۳۰ - الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر

وهي رسالة في موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها أبو اليسر إبراهيم ابن محمد بن المدبر :

« بسم الله الرحمن الرحيم : وفق الله بالحكمة ذهنك ، وشرح بها صدرك ، وأنطق بالحق لسانك ، وشرف به بيانك . وصل إلى كتابك العجيب الذي استفهمتني فيه - بجوامع كلمك - جوامع أسباب البلاغة ، واستكشفتني عن غوامض آداب أدوات الكتابة : سألتني أن أوفيك بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته ، وحدود فخامة المعنى وجزالة ، ورشاقة نظم الكتاب ، ومشاكلة برده ، وحسن أفتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله ، واعتدال وُصوله ، وسلامتهما من الزلل ، وبمديهما من الخطل^(۱) ، ومتى يكون الكاتب مستحقا اسم الكتابة ، والبليغ مسلما له معاني البلاغة ، في إشارته واستمراره ، وإلى أي أدواته هو أحوج ، وبأي آلاته هو أعمل ، إذا حصص^(۲) الحق ، ودعى إلى السبقي ، وفهمته .

وأنا رايم لك - أي ذلك الله - من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك ، ويعبر عن جملة سؤالك ، وإن طوأت في الكتاب وعرضت ، وأظنبت في الوصف وأسهببت ، ومُسْتَقْص على نفسى في الجواب ، على قدر استقصائك في السؤال ، وإن أخل به التيات^(۳) الحال، وسكون الحركة ، وفتور النشاط ، وانتشار الروية ، وتشم الفكر ، واشتراك القلب ، والله المستعان .

(۱) الخطل : الخطأ . (۲) حصص : وضع واستبان .

(۳) الالتيات : الاختلاط والالتفاف .

اعلم - أبتدك الله - أن أدوات ديوان جميع المحاسن ، وآلات المكارم ، طائفة مُنقادةٌ
لهذه الصنعة التي خطبتها ، وتاليةٌ تابعة لها ، وغيرُ خارجة إلى جَعْد أحكامها ، ولا
دافعة إياها بلزمها الإقرارُ به لها ، إضراراً منها إليها ، وعجزاً عنها ، فإن تقاضتكَ
نفسك علمها ، ونازعتك همتك إلى طلبها ، فاتخذ البرهان دليلاً شاهداً ، والحق إماماً
قائداً ، يقرب مسافة ارتيادك ، ويسهل عليك سبيل مطالبتها ، واستوهِب الله توفيقاً
تستنجح به مطالبك ، واستمنحه رشداً يُقبل إليك بوجه مذهبك ، فاقصد
في ارتيادك ، وتأمل الصواب في قولك وفعلك ، ولا تكن إلى جعود قصدِ السابق
بالعجاج ، ولا تخرج إلى إهمال حق المصيب بالمعاندة والإنكار ، ولا تستخف بالحكمة
ولا تُضنرُها حيث وجدتها ، فتزحل نافرة عن مواطنها من قبلك ، وتظن شاردةً
عن مكانها من بالك ، وتعمق^(۱) بعد العِمارة من قلبك آثارها ، وتنطمس بعد
الوضوح أعلامها .

واعلم أن الاكتساب بالتعلم والتكلف ، وطول الاختلاف إلى العلماء ، ومدارسة
كتب الحكماء ، فإن أردت خوض بحار البلاغة ، وطلبت أدوات الفصاحة ، فتصنّع
من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه ، في تلميح
ذهنك ، واستنجاح بلاغتك ، ومن نوادير كلام الناس ما تستعين به ، ومن الأشعار
والأخبار والسِّبَر والأشعار^(۲) ما يتسع به منطقتك ، ويعذبُ به لسانك ، ويطول به
قلبك ، وانظر في كتب المقامات والخطب ، ومحاورات العرب ، ومعاني المعجم ،
وحدود المنطق ، وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم ، وسيرهم ووقائعهم ، ومكابدهم
في حروبهم ، بعد أن تتوسط في علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والسور والشروط
ككتب السجلات والأمانات ، فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب ، وتتمهراً^(۳) في نزع

(۱) تنقي الأثر : درس والمعنى .

(۲) في الأصل : والأسماء ، وهو تحريف .

(۳) أول المقدم : لتكون ماهراً .

آمی القرآن فی مواضعها ، واجتلاب الأمثال فی أما کننا ، واختراع الألفاظ الجزلة ، وقرض الشعر الجید وعلم العروض ، فإن تضمن المثل السائر ، والبيت الفابر البارع ، مما یزین کتابتك ، ما لم تخاطب خایفة أو ملكا جمیل القدر ، فإن اجتلاب الشعر فی كتب الخلفاء والجللة الرؤساء ، عیب واستهجان للکتب ، إلا أن یكون الکاتب هو القارض للشعر والصانع له ، فإن ذلك مما یزید فی أبتته ، ویدل علی براعته ، وإن شدوت^(۱) من هذه المعلوم مالا یسغلك محله ، وتفقتت من هذه الفنون ما تستعین به علی إطالة قلمك ، وتقویم أود^(۲) بیامك .

بمد أن یكون الکاتب صحیح القریحة ، حلو الشائل ، عذب الألفاظ ، دقیق الفهم ، حسن القامة ، بعیدا من القدامة^(۳) ، خفیف الرئوح ، حاذق الحس ، محنكا بالتجربة ، عالما بحلال الکتاب والسنة وحرامهما ، وبالملوك وسیرها وأیامها ، وبالدهور فی تقلبها وتداولها ، مع براعة الأدب ، وتألیف الأوصاف ، ومشاكاة الاستعارة ، وحسن الإشارة ، وشرح المعنی بمثله من القول ، حتی تنصب صورًا منطقیة تعرب عن أنفسها ، وتدل علی أعیانها ، لأن الحکماء قد شرطوا فی صفات الکتاب : اعتدال^(۴) القامة ، وصغر الهامة^(۵) ، وخفة الأهازیم^(۶) ، وكثافة اللحية ، وصدق الحس ، وأطف المذهب ، وحلاوة الشائل ، وخفة الإشارة ، وملاحة الزمی ، حتی قال بعض المهالبة^(۷) لولده : « تزبوا بزمی الکتاب ، فإن فیهم أدب الملوك ، وتواضع الشوقة » .

ومن کمال آلة الكتابة : أن یكون الکاتب بهی الملبس ، نظیف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقیق الذهن ، صادق الحس ، حسن البیان ، رفیق حواشی

(۱) شدا : أخذ طرفا من الأدب . (۲) الأود : الاعوجاج .

(۳) القدامة : العی عن الکلام فی ثقل ورخاوة وقلة فهم ، قدم ککرم فهو قدم کصعب .

(۴) فی رسائل البلغاء « طول القامة » .

(۵) الهامة : الرأس .

(۶) اللهمتان : نائتان تحت الأذنین من أعلى النعین والمدین .

(۷) المهالبة : بنو المهلب بن أبی صفرة .

اللسان ، حلو الإشارة ، مایح الاستعارة ، لطیف المسالك ، مُستفزة^(۱) المر كَب ، ولا يكون مع ذلك فضاء الجئة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية . عظیم الهامة ؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا یبق بصاحبها الذكاء والفطنة .

وإذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتّاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم ، فخطب كُلاً على قدر أئبته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وتفطنه وانتباهه ، واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام ، فأربعة منها للطبقة العلوية ، وأربعة دونها ، ولكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمة حظ لا يتسع للکاتب البلیغ أن یقصر بأهلها عنها ، ویتقیب معناها إلى غيرها . فالطبقة العليا : الخلافة التي أجّل الله قدرها ، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظیم والتوقیر والمخاطبة والترسل . والطبقة الثانية الوزراء والکتّاب الذين یخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، ويرتقون الفتوق بأرائهم ، ويتجتلون بأدابهم . والطبقة الثالثة : أمراء نفورهم وقواد جیوشهم ، فإنه یجب مخاطبة كل امرئ منهم على قدره وموضعه وعظه وغفائه^(۲) وجزائه واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم ، وجلائل أعمالهم . والطبقة الرابعة : القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلیة الفضلاء ، فمعهم أئبة السلطنة ، وهیبة الأمراء .

أما الطبقات الأربع الأخرى ، فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظیمهم في الکتب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها . والثانية : وزراءهم وکتّابهم وأتباعهم الذين بهم تفرع أبوابهم ، وبعنائتهم تستباح^(۳) أموالهم . والثالثة : هم العلماء الذين یجب توقیرهم في الکتب ، إشرف العالم وعلو درجة أهله . والرابعة : أهل القدر والجلالة والظرف والحلاوة والطلاوة^(۴) والعالم والأدب ، فإنهم یضطررونك بحیة أذهانهم ، وشدة تمیزهم وانتقادهم وأدبهم وتصنعهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مکاتبتهم .

(۱) الفاره من الدواب : الجید السیر ، واستفزهها : استكرمها أي اتفقاها كريمة فارحة .

(۲) أي كفايته . (۳) استباحه : سأله العطاء ، وفي المقدم « استباح » وهو تحریف .

(۴) الطلاوة مثلثة : الحسن والبهجة .

واستغفينا عن الترتيب للتجار والسوقة والعوام رتبة ، لاستغفناهم بتجارتهن
عن هذه الآلات ، واشتغالهم بمهماتهن عن هذه الأدوات .

ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهبٌ يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك
إياهم في كتبك ، فتزين كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتُعطيَه قِسْمَه ، وتوفيه نصيبه ،
فإنك متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم
في غير مسالكهم ، وتجرى شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك
في غير سلكه .

فلا تَعْتَدِ^(۱) بالمعنى الجزل مالم تُلْبِسِه لفظاً جزلاً لا اتفاقاً بمن كاتبته ، ومشابها لمن
راسلته ، فإن إلباسك المعنى - وإن شرف وصلح - لفظاً مختلفاً عن قدر المكتوب
إليه ، لم تجر به عادتهم ، تهجين^(۲) المعنى ، وإخلال بقدره ، وظلم لحق المكتوب
إليه ، ونقص مما يجب له ؛ كما أن في اتباع^(۳) تعارفهم ، وما انتشرت به عادتهم ،
وجرت به سنتهم ، قطعاً لعذرهم ، وخروجاً من حقوقهم ، وبلوغاً إلى غير غاية مرادهم ،
وإسقاطاً لحجة أدبهم ، فمن^(۴) الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها ،
في كتب السادات والأمراء والملوك - على اتفاق المعاني - مثل : « أبقاك الله طويلاً »
و « عمرك ملياً^(۵) » وإن كنا نعلم أنه لا فرقان بين قولهم : « أطال الله بقاءك »
وبين قولهم : « أبقاك الله طويلاً » ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنبه قدراً ،
في مخاطبة الملوك ، كما أنهم جعلوا : « أكرمك الله وأبقاك » أحسن منزلة في كتب
الفضلاء والأدباء ، من « جُعيتُ فداك » على اشتراك معناه ، واحتماله أن يكون فداءً
من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداءً له من الشر ، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(۱) في رسائل البلاغ « فلا يفيد المعنى الجزل » . (۲) التهجين : التقييح .
(۳) في رسائل البلاغ « كما أن في امتناع تعارفهم ... وضعا لقدرهم » وهو تحريف .
(۴) في العفة « ضمن » وهو تحريف .
(۵) عمره الله وعمره : أبقاه ، وملياً : أى دهرأ طويلاً ، والفرق والفرقان واحد .

قال احمد بن أبي وقاص : « ازم ، فذاك ابي واتى » لكرهت ، أن يكتب بها أحد .
على أن كتاب العسكر وعوامهم قد أولعوا بهذه اللفظة ، حتى استعملوها في جميع
مخاوراتهم ، وجعلوها هجيراً^(۱) في مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير
ولذلك قال محمود الوراق :

كُلُّ مَنْ حَلَّ « سُرَّ مَنْ رَأَى » مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يُصَاحِبِ الْأَمْلَاكَ
لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَائِلًا فِي طَرِيقِ قَالَ لِلْكَلْبِ : يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ
وكذلك لم يُجيزوا أن يكتبوا بمثل « أبقاك الله وأمتع بك » إلا إلى الحرمة
والأهل والتابع المنقطع إليك ، وأما في كتب الإخوان فغير جائز ، بل مذموم
مرغوب عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتِ مُدْكَأً فَتِهْتِ فِي كُتُبِكَ؟^(۲)
أَمْ هَلْ تَرَى أَنَّ فِي التَّوَاضُعِ لِلْإِخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ؟
أَنْعَبْتَ كَفَيْكَ فِي مَكَاتِبِي حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعَبِكَ
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابُ ذِي أَدَبٍ يَكْتُبُ فِي صَدْرِهِ : « وَأَمْتَعْ بِكَ »^(۳)
فكتب إليه محمد بن عبد الملك :

أَنْكَرْتَ مَعِي مَا فَاسَتْ فَاعِلُهُ فَإِنْ تَرَاهُ يُحِطُّ فِي كُتُبِكَ
فَاعْفُ - فَدَتِكَ الْفُؤُوسُ - عَنْ رَجُلٍ يَبِشُ حَقَّ الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ
كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءِ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنْالُ مِنْ سَدَبِكَ
إِنْ بِكَ جَهْلًا أَنْكَ مِنْ قَبْلِي فَعُدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ

(۱) يقال : هذا هجيراء : أي دأبه وشأنه .

(۲) حال يحول : تحول وتغير ، والتيه بالكسر : الكبر والصف .

(۳) وفي رواية المقدم الفرید :

أكان حفا كتاب ذي مفة يكون في صدره : « وأمتع بك » ؟

وأما صدور السلف فإنما كانت من فلان بن فلان إلى فلان ، كذلك جرت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العلاء بن الحضرمي ، وإلى أقيال اليمن ، وإلى كسرى وقنصر ، وكتب أصحابه والتابعين كذلك ، حتى استخلص الكتاب هذه المحدثات من بدائع الصدور ، واستنبطوا لطيف الكلام ، ورتبوا لكل رتبة ، وجروا على تلك السنة الماضية إلى عصرنا هذا في كتب الخلفاء والأمراء ، وثبتوا على ذلك المنهج في كتب الفتوحات والأمانات والسجلات .

ولكل مكتوب إليه قدر ووزن ينبغى للكاتب أن لا يتجاوز به عنه ، ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحوص (۱) حين خاطب الملوك بخاطبة العوام في قوله :

وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الحديث ، يقول ما لا يفعل (۲)

فهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجلوا أقدار الملوك أن يمدحوا بما يمدح به العوام ، لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان مدحا ، فهو واجب على كل ، والملوك لا يمدحون بالفروض الواجبة ، وإنما يحسن مدحهم بالنوافل (۳) ، لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لاتزني بحليلة (۴) جارك ، وإنك لاتخون ما استودعت ، وإنك تصدق في وعدك ، وتفي بهدك ، كان قد أثنى بما يجب ، ولكنه لم يصل بذنائه إلى مقصد ، وقال ما لا يستحسن مثله في الملوك .

ونحن نعلم أن كل أمير تولى من أمور المؤمنين شيئا فهو أمير المؤمنين ، غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا للخلفاء خاصة ، ونعلم أن الكيس هو العقل إذا عانوا به ضد الحقيق (۵) ، ولكنك لو وصفت رجلا قلت : « إن فلانا أعاقل »

(۱) شاعر أموى من أهل المدينة توفى سنة ۱۰۵ - انظر ترجمته في الأغاني ۴ : ۴۰ ، والشعر والشعراء ص ۲۰۴ .

(۲) مَذِقُ اللبن كنصر مذاقا فهو مَذِوق ومَذِيق ومَذِق كفرح : خلطه بالماء ، ومنه قيل : فلان يمدق الود : إذا لم يخلصه .

(۳) النوافل ، جم نافلة ، وهي ما تفعله بما لم يجب . (۴) الحليلة : الزوجة .

(۵) وله معان أخر ، وهي : الجود والطييب والجماع والغلبة بالكياسة .

كنت قد مدحته عند الناس ، ولو قلت : « إنه كَيْسٌ » كنت قد قصرت به عن وصفه ، وصفرت من قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ، لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة إلا إلى حيثُ جرتُ منها العادة في استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة مع الخدائفة والغرّة وخساسة النفس وصغر السنّ ، وقد روينا عن عليّ رضي الله عنه أنه تبجّج^(۱) بالكيس حين بنى سجن الكوفة فقال في ذلك :

أما نراني كَيْتًا مُكَيْتًا بنيتُ بعد نافعٍ مُخَيِّتًا^(۲)
 * حصنا حصينا وأمينا كَيْتًا^(۳) *

وقال الشاعر :

« ما يصنع الأحقُّ المرزوقُ بالكَيْسِ ، ونَعَمَ أن الصلاة رحمة ، غير أنهم قد حرّموها^(۴) » إلا على الأنبياء ، كذلك روى عن ابن عباس رضي الله عنه ، وسمع سعد بن أبي وقاص أخاه يُلبّي ويقول في تليته : « لَبَّيْكَ يَا ذَا الْمَعَارِجِ^(۵) » فقال : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس كذلك ، كذا نلجى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنا نقول : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ » وكان أبو إبراهيم المزني قال في بعض

(۱) تبجج بالشيء : إذا غر به ، وفي العقد « أنه تسمى بالكيس » .

(۲) الكيس المكيس . الطريف والمعروف بالكيس ، والخيس بكسر الباء الشدة وتحتها : السجن ، لأنه يخيس المحبوسين أي يذلهم ، أو هو موضع الخيس ، واسم سجن بناء على رضي الله عنه بالكوفة ، وكان أولا بنى سجنا بها سماه نافعا ، وكان غير مستوثق البناء - وكان من قصب - فكان المحبوسون يهربون منه ، وقيل إنه نقب وأفلت منه المحبسون ، فهدمه على وبنى لهم الخيس من مدر، وجاء في شفاء الغليل ص ۱۰۹ : « ولم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم سجن ، وكان يحبس في المسجد أو في الدهاليز حيث أمكن ، فلما كان زمن سيدنا علي رضي الله عنه أحدث السجن ، وكان أول من أحدثه في الإسلام ، وسماه نافعا ولم يكن حصينا ، فأنزلت الناس منه ، فبنى آخر وسماه مخيا وقال فيه » .

(۳) في الأصل « وأميرا » وفي اللسان والقاموس والشفاء « وأمينا » .

(۴) في العقد « كرموا الصلاة » .

(۵) المعارج بكسر الميم والمعرج بكسرها وفتحها : السلم . والمرقاة ، بالكسر والفتح أيضا .

ما خاطب به داود بن خائف الأصمبہانی : « وإن قال كذا فقد خرج عن الملة ،
والحمد لله » فنقض ذلك عليه داود ، وقال فيما رد عليه : تحمد الله على أن تُخرج امرأ
مسلماً من الإسلام ! هذا موضع استرجاع ، والحمد مكان يليق به وإنما يقال في المصيبة :
« إنا لله وإنا إليه راجعون » .

فامتثل هذه الرسوم والمذاهب ، وأجر على آدابهم ، فلـكل رسوم امتثلوها ،
وتحفظ في صدور كتبك وفصولها ، وافتتاحها وخاتمها ، وضع كل معنى في موضع
يليق به ، وتخيير لكل لفظة معنى يشاكلها ، وليكن ما تختم به فصولك في موضع
ذكر الشكوى بمثل : « والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » وفي موضع
ذكر البلوى : « نسال الله دفع الخذور ، ونسال الله صرف السوء » وفي موضع ذكر
المصيبة بمثل « إنا لله وإنا إليه راجعون » وفي موضع ذكر النعم بمثل : « والحمد لله
خالصاً ، والشكر لله واجباً » فإنها مواضع ينبغي للكاتب تفقدها ، فإنما يكون كاتباً
إذا وضع كل معنى في موضعه ، وعلق كل لفظة على طبقها من المعنى ، فلا يجعل أول
ما ينبغي له أن يكتب في آخر كتابه في أوله ، ولا أوله في آخره ، فإن سمعت
جعفر بن محمد الكاتب يقول : « لا ينبغي للكاتب أن يكون كاتباً ، حتى لا يستطيع
أحد أن يؤخر أول كتابه ، ولا يقدم آخره » .

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتى في آي القرآن ، من الاقتصار
والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام ، والعام بالخاص ، لأن الله سبحانه وتعالى إنما
خاطب بالقرآن قوماً فصحاء ، فهموا عنه جل تناوذه أمره ونهيهِ ومُراده ، والرسائل
إنما يخاطب بها قوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب ، وكذلك ينبغي
للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملبس ، فإنه إن ذهب الكاتب على مثل
قوله تعالى : « وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ^(۱) » وقوله :

(۱) تأويله : وأسأل أهل القرية .

« بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » احتاج أن يبين معناه : بل مكركم بالليل والنهار ، ومثل هذا في القرآن كثير لا يتسع الكتاب لذكره .

وكذلك لا يجوز أيضا في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الأشعار الموزونة ، لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور^(۱) مقيّد بالوزن والقوافي ؛ فلذلك أجازوا لهم صرفَ ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها ، واغتفروا فيه الإغراب وسوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار وذلك كله غير مُسَاغ^(۲) في الرسائل ، ولا جائز في البلاغات ، فمما في الشعر من الحذف :

قول الشاعر :

« قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي^(۳) »

يعنى الحمام

وقول الآخر :

« صِفْرُ الْوِشَاحِينَ صَمُوتُ الْخَلْخَلِ^(۴) »

يريد الخللخال

وكقول الآخر :

« دَارٌ لِيَلْمَى إِذْهُ مِنْ هَوَاكَ^(۵) »

يريد إذ هي

(۱) أي مقيد ، من القصر وهو الحبس .

(۲) من أساغ فلان الشراب : إذا ابتلعه بسهولة ، وفي القعدة منساغ ، أي جائز ، بناء من أساغ وجعله مطاوعا لساغ ، يقال : ساغ له ذلك ، أي جاز فهو سائغ أي جائز ، ولاداعي إلى استعمال المطاوع هنا مادام الفعل يؤدي المعنى .

(۳) قاله العجاج ، ويروى في شواهد كتب النحو (باب إعمال اسم الفاعل) « أو الفاعل ، وورق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة التي يضرب بياضها إلى سواد ، والحمي : أصله الحمام حذف الميم الأخيرة وقلبت الألف ياء ، وقلبت الفتحه كسرة للروى .

(۴) الوشاح : أديم عريض يربصع بالجوهر ، تشبه المرأة بين عاتقها وكشحيها ، والصفر : الحالى ، وصفر الوشاحين : أي ضامرة المصيرين ، وقال صاحب اللسان : « والخلل كجفر وبرقع من الحلى : معروف ، قال الشاعر : « براءة الجبد صموت الخلل » ثم قال : « والخلل كالخلل ، والخلل لفة في الخلل أو مقصور منه ، واحده خلاخل النساء .

(۵) بناء في شرح التصريح (۱ : ۱۰۳) : « وف هو وهي الجميع ضمير ، وهو مذهب البصريين ومذهب الكوفيون إلى أن الضمير هو الماء فقط ، والواو والياء لإشباع » وفي حاشية الصبان (۸۹ : ۱) : «

وكتقول الحطيئة :

فيه الرماح وفيه كل سايفة جدلاء مسرودة من صنع سلام^(۱)

يريد سليمان بن داود ، وكتقول النابغة :

« وَنَسَجُ سُلَيْمٍ كُلَّ قَضَاءِ ذَائِلِ^(۲) »

« وقد تحذف الواو والياء منهما اضطراراً ، وتسكنهما قيس وأسد ، وتشددهما همدان . »

أقول: ومما جاء بالتشديد قول الشاعر: وإن لسانى شهدة يشقن بها وهو على من صبه الله علقم
وهاك كلمة لصاحب اللسان في هذا الصدد قال: « قال الكسائي: هو ، أصله أن يكون على ثلاثة
أحرف مثل أنت ، فيقال: هو فعل ذلك ، ومن العرب من يخففه فيقول: هو فعل ذلك، وحكى الكسائي
عن بنى أسد وتيم وقيس: هو فعل ذلك ، باسكان الواو ، وأنشد لعبيد:

وركضك لولا هو لقيت الذي لقوا فأصبحت قد جاوزت قوما أعادبا

وقال الكسائي: بعضهم يلقي الواو من هو إذا كان قبلها ألف ساكنة فيقول: حتاه فعل ذلك وإتاه
فعل ذلك ، قال: وأنشد أبو خالد الأسدي: * إذاه لم يؤذن له لم ينبس *

قال: وأنشدني خشاف: إذاه سام الحسف آلى بقسم بالله لا يأخذ إلا ما احتم

قال: وأنشدنا أبو مجالد للعجير السلولي:

فبيناه يشمرى رحله قال قائل لمن جعل رث المتاع نجيب

وقال ابن جني: إنما ذلك لضرورة في الشعر ، وللتشبيه للضمير المنفصل بالضمير المتصل في عصاه وقناه ،

ولم يقيد الجوهري حذف الواو من هو بقوله إذا كان قبلها ألف ساكنة ، بل قال: وربما حذف من هو

الواو في ضرورة الشعر ، وأورد قول الشاعر: فبيناه يشمرى رحله ، وكذلك الياء من هي ، وأنشد:

« دار أسدي إذ من هواكا ، اه - لسان العرب ج ۲۰ : ص ۳۶۶ . »

(۱) الهاء في فيه تعود على قوله في بيت قبله :

وججعل كجهم الليل منتجع أرض العدو بيؤس بعد لإنعام

ودرع سابعة: تامة طويلة ، ودرع جدلاء: محكمة ، والسرد: نسج الدرع ، وسلام: يعنى

سليمان بن داود عليهما السلام - وإنما أراد داود - وكان يصنع الدروع ، قال تعالى فيه:

« وَالنَّالَهُ الْخَلْدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ » وقال « وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ

لِبُؤْسِ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ » واللبوس: الدرع ، والبيت من قصيدة للحطيئة

في مدح أبي موسى الأشعري - انظر ديوان الحطيئة ص ۳۶ .

(۲) هو شطر بيت من قصيدة للنابغة الذبياني، قالها في وقعة غزو عمرو بن الحرت الأصغر الغساني

لبنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان - انظر ديوان النابغة ص ۹۱ - والبيت:

وكل صوت تلة تبعية ونسج سليم كل قضاء ذائل

والصوت كصبور: الدرع الثقيلة ، والنثلة بالفتح: الدرع الواسعة ، وتبعية نسبة إلى تبع ،

وسليم: أى سليمان ، يريد داود كما تقدم ، والقضاء: الدرع المحكمة ، ودرع ذائل وذائلة ومذالة

جضم الميم: طويلة .

وقول الآخر : « من نسج داودِ أبي سلامٍ ^(۱) »

وقول الآخر : « والشيخ عثمانُ أبي عفانٍ »

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر :

وسائله بثقلته بن سسيرٍ وقد علقته بثعلبة العلوقة ^(۲)

أراد ثعلبة بن سيار ، وقول الآخر :

ولستُ بآتيةٍ ولا أستطيعه ولاك استقني إن كان ماؤك ذا فضلٍ ^(۳)

أراد ولكن :

وكذلك ينبغى فى الرسائل ألا يصغر الأسم فى موضع التعظيم ، وإن كان

ذلك جائزا ، مثل قولهم : دُوَيْهِيَّةٌ تصغير داهية ، وجُدَيْلٌ تصغير جدل ، وعُدَيْقٌ

تصغير هذق ، قال لبيد :

وكلُّ أناسٍ سوف تدخل بينهم دُوَيْهِيَّةٌ تصغرُ منها الأنامل ^(۴)

وقال الحجاب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة : « أنا عُدَيْقُهَا المُرْجَبُ ،

وجُدَيْلُهَا المَحْكَكُ ^(۵) » .

(۱) هو شطر بيت للأصود بن يعفر - انظر لسان العرب ١٥ : ١٩٣ - والبيت :

ودعا بمحكمة أمين سكرها من نسج داود أبي سلام

(والسك بالفتح : الدرع الضيقة الحلق) قال صاحب اللسان : وقالوا فى سليمان اسم النبي صلى الله

عليه وسلم : سليم وسلام فغيروه ضرورة ، قال : ومثل ذلك فى أشعارهم كثير ، واستشهد بالأبيات الثلاثة المذكورة ، وبشاهد آخر وهو :

مضاعفة تخبرها سليم كأن تغيرها حدق الجراد

(والتغير بالفتح : رهوس مامير حلق الدرع) .

(۲) العلوقة . المنية ، وجاء فى اللسان (٦ : ٥٨) « جملة سيرا للضرورة ، لأنه لم يمكنه سيار

لأجل الوزن ، قال ابن برى : البيت للفضل الكرى بذكر أن ثعلبة بن سيار كان فى أسره » .

(۳) البيت للنجاشى من أبيات قالها فى ذنب لقيه على ماء فدعاها أن يؤاخيها - انظر الأبيات

على حاشية الأمير على المغنى ج ١ : ص ٢٠٨ - .

(۴) المراد بالدويهيية : الموت .

(۵) قال الحجاب ذلك وقد قام يطلب بحق الأنصار فى الخلافة - انظر جمهرة خطب العرب ١ : ٦٥ -

والجدليل تصغير الجذال (بالكسر) وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجربى لتحنك به وتتمرس =

ومما لا يجوز في الرسائل ، وكرهوه في الكلام أيضاً ، مثل قولهم : كَلْتُ إِيَّاكَ
وأعنى إياك ، وهو جائز في الشعر ، قال الشاعر :

وأحسِنْ وَأَجْمِلْ فِي أُسِيرِكَ إِنَّهُ ضَعِيفٌ ، وَلَمْ يَأْسِرْ كَأِيَّاكَ أَسِيرٌ

وقال الراجز :

« إِيَّاكَ حَتَّى بَاغَتْ إِيَّاكَ »

وإساءة النظم في التأليف في الشعر كثير .

وتكون الكلمة بشمة حتى إذا وضعت موضعها ، وقرنت مع أخوانها ،

حَسُنَ حَالُهَا وَرَاقَتْ ، كقول الحسن بن هاني^(۱) : « ذُو خَيْرٍ أَفَلَّتْ مِنْ كَدِّ

الْجَيْلِ^(۲) » والسكدة كلمة قلقة لاسيما في الرقيق والغزل والتشبيب ، غير أنها لما

وقعت في موضعها حسنت ، كما أن اللفظة العذبة إذا لم توضع موضعها نفرت ،

قال الشاعر :

رَأَتْ عَارِضًا جَوْنًا فَقَامَتْ غَرِيرَةً بِمِسْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّالِمِ تَبَادِيرُهُ^(۳)

فأوقع الجلف^(۴) الجافي هذه اللفظة غير موقعها ، وظلمها إذ جعلها في غير مكانها ،

لأن المساحي لا تكون ولا تصلح للغرائر ، وأين كان عن قول الشاعر :

غَرَائِرُ ، مَا حَدَّثَنَ يُهْدِينُ أُنْسَهُ فَمَا فَوْقَهُ مِنْهُنَّ غَيْرُ غَرَائِرٍ

حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ الْعَصَمَ تَدْعَى بِهِ أَتَتْ وَدُونَ يَدِ النَّحْشَاءِ حَدُّ الْبَوَاتِرِ^(۵)

فتغيز من الألفاظ أرجحها وزنا ، وأجزلها معنى ، وأشرفها جوهرًا ، وأكرمها

والمحكك : الذي تتحكك به ، والمذيق تصغير المذوق (بالفتح) : وهو النخلة ، والمرجب الذي

جعل له رجة (كركبة) وهي دعامة تبني حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت

تخوفوا عليها أن تنقر من الرياح العواصف ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستثنى برأيه وعقله .

(۱) هو أبو نواس الشاعر العبّاسي المشهور .

(۲) ذو خصر : أي ذو ثغر خصر أي بارد ، وفي الأصل « حضر » وهو تصحيف .

(۳) العارض : السحاب المقترض في الأفق ، والجون : الأسود (والأبيض أيضاً ، ضد) والسحابة

ماسعى به الطين ، أي قشر وجرف ، والغريرة : الذابة لا تجر بها لها .

(۴) الجلف : الجافي .

(۵) أنسه : أي أنس الحديث ، والعصم : جم أعصم ، وهو الوعل الذي في ذراعيه بياض وسائر أسوده

أو أحر ، والباتر : السيف القاطم .

حَسَبًا، وَأَلَيَّهَا فِي مَكَانِهَا، وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا، وَإِيكُن فِي صَدْرِ كِتَابِكَ دَلِيلٌ
وَاضِعٌ عَلَى مُرَادِكَ، وَافْتِتَاحُ كَلَامِكَ بُرْهَانٌ شَاهِدٌ عَلَى مَقْصِدِكَ، حَيْثَمَا جَرَبْتَ فِيهِ
مِنَ فَنُونِ الْعِلْمِ، وَتَزَعْتَ نَحْوَهُ مِنْ مَذَاهِبِ الْخُطْبِ وَالْبَلَاغَاتِ^(۱)، فَإِنْ ذَلِكَ أَجْزَلُ
لِعِنَاكَ، وَأَحْسَنُ لِاتِّسَاقِ كَلَامِكَ، وَلَا تُطَيِّبَنَّ صَدْرَ كَلَامِكَ إِطَالَةً تُخْرِجُهُ عَنِ
حَدِّهِ، وَلَا تَقْصُرْ بِهِ عَنِ حَقِّهِ، وَلَوْ صَوَّرَ اللَّفْظُ وَكَانَ لَهُ حَدٌّ، لَوْ قَفَّتْكَ عَلَيْهِ، غَيْرَ
أَنَّهُمْ - فِي الْجُمْلَةِ - كَرِهُوا أَنْ يَزِيدُوا صُدُورَ كِتَابِ الْمُلُوكِ عَلَى سَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ،
وَهَذِهِ إِشَارَةٌ لِاتَّبَعْرِ إِلَّا عَنِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْمَقْصُودِ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الْأَسْطُرَ غَيْرَ مَحْدُودَةٍ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي لَكَ، أَنْ تُصَلِّحَ آتَكَ الَّتِي لَا بَدَّ لَكَ مِنْهَا، وَأَدْوَانِكَ
الَّتِي لَا تَتَمُّ^(۲) صِنَاعَتِكَ إِلَّا بِهَا، وَهِيَ دَوَانُكَ، فَابْدَأْ بِعِمَارَتِهَا وَإِصْلَاحِهَا^(۳)، وَتَحْيِزِ
لَهَا لَيْقَةً^(۴) نَقِيَّةً مِنَ الشُّعْرِ وَالْوَدْحِ، لِثَلَايُخْرِجَ عَلَى حَرْفِ قَلَمِكَ مَا يُفْسِدُ كِتَابَكَ،
وَيَشْغَلُكَ بِتَفْقِيهِتِهِ، وَخُذْ مِنَ الْمِدَادِ الْفَارِسِيِّ خَمْسَةَ دِرَاهِمٍ، وَمِنَ الصَّمْغِ الْعَرَبِيِّ دَرَاهِمًا،
وَعَفْصًا^(۵) مَسْحُوقًا نِصْفَ دِرْهَمٍ، وَرَمَادَ الْقِرَطَاسِ الْمُحْرَقِ دَرَاهِمِينَ، ثُمَّ تَسْحَقْهَا
وَتُقَرِّبْهَا، وَتَجْمَعْهَا بِيضَ الْبَيْضِ، ثُمَّ بِنْدِيقِهَا^(۶) وَاجْعَلْهَا فِي الظِّلِّ، فَإِذَا احْتَجَّتْ
إِلَيْهَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِقْدَارَ حَاجَتِكَ فَكَسَرْتَهُ وَحَشَوْتَهُ بِهِ دَوَانِكَ، وَإِذَا نَقَعْتَهُ فِي مَاءِ
السَّنَقِ حَتَّى يَنْحَلَّ وَيَذُوبَ وَيَخْتَمِرَ، ثُمَّ أَمَدَدْتَ مِنْ مَائِهِ دَوَانِكَ، كَانَ
أَجُودًا وَأَنْقَى .

ثُمَّ اخْتَرْنَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَنْيَابِ الْقَصَبِ الَّتِي يَصَاحُ لِكِتَابَةِ الْقِرَاطِيسِ، أَقْلَهُ عُقْدًا،

(۱) فِي الْعُقْدِ - وَأَفْضَلُ الْكُتُبِ مَا كَانَ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ دَلِيلٌ عَلَى حَاجَتِهِ، كَمَا أَنَّ أَفْضَلَ الْآيَاتِ مَا دَلَّ
أَوَّلَ الْبَيْتِ عَلَى لَاقِيَتِهِ .

(۲) فِي الْعُقْدِ « لَا تَتَمُّ » .

(۳) وَفِي الْعُقْدِ « فَلْيَنْعَمْ رَبُّهَا إِصْلَاحَهَا » أَيْ فَلْيَجِدْ .

(۴) اللَّيْقَةُ : الصَّوْفَةُ الَّتِي تَوْضَعُ فِي الدَّوَاةِ، وَالْوَدْحُ : مَا تَطْلُقُ بِأَصْوَابِ الْغَنَمِ مِنَ الْبَعْرِ وَالْبَوْلِ . وَفِي
الْأَصْلِ « الْوَدْحُ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(۵) الْغَفْسُ : الَّذِي يَتَّخِذُ مِنْهُ الْحَبْرُ، مَوْلَدٌ، وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ .

(۶) أَيْ اجْعَلْهَا بِنَادِقٍ، وَالْبِنْدِيقُ : الَّذِي يَرْمِي بِهِ وَاحِدَتَهُ بِبِنْدِيقَةٍ .

وأكثفه لحما ، وأصلبه قشراً ، وأعدله استواءً ، وتجنب الأقلام الفارسية ما استطعت ، فإنها ما تصلح إلا للكواعيد والرقوق^(۱) .

واجعل لقلمك برية حادة ، فإن تعثر يد الكاتب وقت قطع القرطاس ، ناقص مروءته ، ومخيل بظرفه ، وإن قدرت ألا تقطع القرطاس إذا فرغت من كتابك إلا بخراطوم قلمك ، فافعل ، فإن ذلك أكمل لمروءتك ، وأبدع لظرفك ، وقطعك .

واستعمل لبري القلم سيكينا طواويسيا^(۲) ، مذاق الحد ، وميض الطرف ، فيكون ذلك عونا لك على بري أقلامك ، فإن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس ، ولئن قيل كأنه الرمح الرديني^(۳) ، لقد قال الكاتب كأنه القلم البحرى ، وتفقد الأنوبة قبل بریکها لثلا تجعلها منكوسة ، وأبرها من ناحية نبات القصبه ، وأرهف^(۴) - ما قدرت - جانبي قلمك ، لبرد ما انتشر من المداد ، ولا تطل شقه . فإن القلم لا يمسح المداد من شقه إلا مقدار ما احتملت شعبته^(۵) . فرفع شعبتيه ليجمعا لك حواشى تصويره .

(۱) الرقوق : جمع رق بالفتح ويكسر : وهو جلد رقيق يكتب فيه .

(۲) نسبة إلى طواويس ، وهى اسم ناحية من أعمال بخارى بينها وبين سمرقند ، وذلك السكين وذاقه وأذاقه : حده .

(۳) الرديني : نسبة إلى ردينة ، وهى امرأة سمر ، وكانا يقومان الرماح بنحو حجر .

(۴) رهفه كمنح وأرهفه : رافقه .

(۵) فى الأصل « شبتاه » ، فارفع شبتيه ليجمعا لك حواشى تحضيره « وهو تحريم » ، جاء فى أدب الكتاب من ۸۶ : « من كلام مسلم بن الوليد ، فى صفة برى القلم قوله : « حرف قطة قلمك قليلا ليعلق المداد به ، وأرهف جانبيه لبرد ما استودعته إلى مقصده ، وشق فى رأسه شقا - غير عاد - ليعتسب الاستمداد عليه ، ورفع من شعبتيه ليجمعا حواشى تصويره . . . » وأورد صاحب صبح الأعشى قول مسلم فى ذلك (۳ : ۶) وفيه : « ما خلا قلما جوف باربه بطنه ليعلق المداد به ، وأرهف جانبيه لبرد ما انتشر منه إليه ، وشق رأسه ليعتسب الاستمداد عليه ، وأربع من شعبته ليجمعا حواشى تصويره إليه . . . » والصواب : ورفع من شعبته كما قدمنا .

وأما قطع القلم فعلى قدر القلم الذى يتعاطاه الكاتب من الخط ، غير أن المسلسل (۱) لا يكاد يتسلسل إلا بالقلم للربيع القط ، كما أن كتب الملوك والسجلات لا تحسن إلا بالقلم المحرف الكوفى ، وأما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه والمقصود إليه فى النوائب والمهمات .

ورأيت كثيرا من الكتاب يختارون قلم النرجس - لنعجده وتجانسه ، ومن اللازورد أبسط منه وأقوم حروفا ، وأما الموشع والمولع والمدج والمنعم والمسمم ، فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه ، وأما حسن الخط فالتأجله حداً أقف عليه أكثر من قول على النصر أباذى (۲) الكاتب ، فإني سألته واستوصفته الخط ، فقال : أعلمك الخط فى كلمة واحدة ، فقلت له : تفضل بذلك ، فقال : لا تكتب حرفاً حتى تستفرغ مجهودك فى كتابة الحرف المبدوء به ، وتجعل فى نفسك أنك لا تكتب غيره ، حتى لا تعجل (۳) عنه إلى غيره ، وإياك والنقط والشكل فى كتابك ، إلا أن تمر بالحرف المفضل الذى تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجها ، فإني سمعت سعيد بن حميد الكاتب يقول : « لأن يشكل على الحرف ، أحب إلى من أن يعاب بالنقط والإعجام » وقال المأمون لكتابه : إياكم والشونيز (۴) فى كتبكم ، يعنى النقط ؛ ولذلك قال ابن هانى :

لم ترض بالإعجام حين كتبه حتى كتبت السب بالإعراب

ولا تغفل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، فقد قال أبو العيناء : « إن

(۱) فصل الفلقشندى فى صبح الأعشى الكلام على أنواع الأقلام فى الفصل الثانى من الباب الثانى فى الخط - اقرأ هذا الفصل فى ج ۳ : ص ۵ - ۱۵۲ من باب الخط (ج ۲ : ص ۴۴۰ - ج ۳ : ص ۲۲۶)

(۲) نسبة إلى نصر أباذ : عملة بنيسابور ، ومعناها بالفارسية عمارة نصر ، تنسب إلى نصر بن عبد العزيز الخزاعى ، وكان قد ولّى الرى فى أيام السفاح ، ولم يزل عليها إلى أن قتل أبو مسلم الخراسانى ، وفى رسائل البغواء : « على بن زبير النصرانى » وهو تحريف .

(۳) فى العقد « حتى تعجز عنه » .

(۴) الشونيز : الحبة السوداء ، فارسية ، والكلام على التشبيه .

بنی أمیة هم الذین كانوا أمروا کتّابهم فطرحوا ذلك من کتبهم ، فجزت عادةُ
الکتاب إلى یومنا هذا علی ماسنّوه « وقد قال علیه الصلاة والسلام : « لا تجعلونی
کقدح (۱) الراكب ، ولكن اجعلونی فی أول الدعاء وأوسطه وآخره » صلی الله علیه
وعلی آله وسلم أوّلاً وأوسطاً وآخرأ .

وأحبّ أن تجعل بدلَ الإشارةِ (۲) الترابَ ؛ فإن النبی صلی الله علیه وسلم قال :
« أتربوا کتبکم ، فإنه أنجح للحاجة » ولا تدع التاريخ ، فإنه يدل علی تحقیق الأخبار
وقربها وبعدها ، وانظر إلى ما مضی من الشهر وما بقی منه ، فإن کان الماضي أقلّ من
نصف الشهر قلت : لكذا ليلةً مضت من شهر كذا ، وإن کان الباقي أقلّ من
النصف قلت : لكذا أيضاً بقيت ، وقد قال بعض الکتاب : إن الماضي من الشهر
تخصیه ، والباقي لا تخصیه ، لأنك لا تدري : أیتیم الشهر أو ينقص ، وليس هذا بشيء ،
لأن تاریخ الکتاب ليس من الأحكام فی شيء ، وما علی الکاتب أن یکتب إلا بما
ظہر وتبین لا بما یظن .

ولا تجعل سحاة (۳) کتبتک فلیظة إلا فی اليهود والسجلات التي تحتاج إلى
خواتمها وطوابعها ؛ فإن محمد بن عیسی الکاتب کاتب آل طاهر أخبر عنهم أن
عبد الله بن طاهر کتب إلى العراق فی إشخاص کاتب کان کتب إليه ، فکتب
وغلظ سحاة کتابه ، فردّ الکتاب إليه ، فقدم علیه راجياً لبرّه وجائزته ، فقال
عبد الله بن طاهر : إن کان معک مسحاة (۴) فاقطع خزّم کتّابک وانصرف وراءک ،

(۱) معناه : لا تؤخرونی فی الذکر ، لأن الراكب یعاق قدحه فی آخر رحله عند فراغه من ترحاله
ويجمله خلفه ، قال حسان بن ثابت یهجو أبا سفیان بن الحارث بن عبد المطلب :

وأنت زئیم نیط فی آل هاشم کما نیط خلف الراكب القدح الفرد

(۲) أشر الحشبة کتلت : شقها ، لغة فی النون ، والمثّار : المنشار ، قال الشاعر :

* أناشر لا زالت یمنک آشره *

جمع بین لغتی النون والهمزة ، فالأشارة هی المنارة الدقیقة التي تتخلف عن شق الحشب .

(۳) سحاة القرطاس : ما أخذ منه ، وسحا القرطاس وسحاه : أخذ منه سحاة ، أو شده بها ،

وسحا الکتاب وسحاه وأسحاه : شده بسحاة .

(۴) المسحاة : كالمجرفة إلا أنها من حديد .

وكذلك لاتعظم الطينة ، ففي المثل : « من عظم الطينة فإنه مظلوم » ولا تطبعا
إلا بعد عنواناتها ، فإن ذلك من أدبهم ^(۱) ، وقد يجب عليك علم الصاق القراطيس
وتحوها ، ولم أر شيئا في إلصاقها اللطف من أن يُنقع الصمغ العربي في الماء ساعة حتى
يذوب ، ثم يُلصق به ، وكذلك ماء الكثيراء والنشاستج ^(۲) ، ثم تطويه طيبا رقيقا ،
وتجعله في منديل نظيف ، ويرفع تحت وسادة حتى يجف . وأما تحوها ، فعلى قدر
لطف الكاتب وقائيته ، غير أنه ينبغي له أن لا يلقط السواد من القراطيس إلا بمثل
الشمع المسخن واللبن المصوغ ، وما أشبههما ، ثم يكون لفظه رويدا رويدا ، كلما
لقط جانبا حوله إلى الجانب الآخر .

وأما قراءة الكتب المختومة والتلطف لنقض خواتيمها ، فما لا نذكره خوفا
من سفيه .

وأما تضمين الأسرار في الكتب حتى لا يقرأها غير المكتوب إليه ، ففيه أدب
يجب معرفته ، وقد تعلق العامة بالمعنى ، قال الأصماني ^(۳) : وكان أبو حاتم سهل
ابن محمد قد وضع منه أشياء جليلة من تبديل الحروف تبديلا يخفى ، وألطف من ذلك
أن تأخذ لبنا حليبا فتكتب به في قراطيس ، فيدثر المكتوب إليه عليه رمادا حارا من
رماد القراطيس ، فإنه يظهر ما كتبت به إن شاء الله ، وإن كتبت بماء الزاج الأبيض
وذرت عليه العفص المدقوق بزاج ، أو بماء العفص وذرت عليه شيئا من الزاج ، أو تنقع
شيئا من وشق ^(۴) ثم تكتب به ، ثم نثرت عليه الرماد فإنه يظهر ، وإن أحببته لا يقرأ
بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة .

وإن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب ، فزِن اللفظة قبل أن تُخرجها بميزان

(۱) في الأصل « فإن ذلك مراد بهم » وهو تحريف .

(۲) هو النشا ، فارسي حذف شطره تخفيفا .

(۳) في رسائل البلغاء : « تعلق العامة بالقص والأصبياني » وهو تحريف .

(۴) الوشق والأشق كسكر : صمغ نبات .

التصريف إذا عرضت ، وعارِ الكلمة بعياره إذا سَنَحْت ، فربما مرَّ بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبت : « أنا فاعل » أحسن من أن تكتب : « أنا أفعل » وموضع آخر يكون فيه « استفعلت » أحلى من « فعلت » .

فأدرِ الألفاظ هل أعكاسها^(۱) ، وأعرضها على معانيها ، وقابها على جميع وجوهها ، فأى لفظة رأيتها في المكان الذي نَدَبْتها إليه ، فأنزِعها إلى المكان الذي أوردتها عليه ، وأوقِعها فيه ، ولا تجعل اللفظة قَلِقَةً في موضعها ، نافيةً عن مكانها . فإنك متى فعلت هَجَّنتَ الموضع الذي حاولتَ تحسينه ، وأفسدت المكان الذي أردت إصلاحه ، فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقصدك بها إلى غير نصابها^(۲) ، إنما هو كترقيق الثوب الذي إذا لم تتشابهه رِقاعه ، ولم تتقارب أجزاءه ، خرج من حدِّ الجِدَّة ، وتغير حسنه ، كما قال الشاعر :

إن الجديد إذا ما زِيدَ في خَلْقٍ يُبِينُ للناس أن الثوب مرقوعٌ
وَأرتصدُّ لكتابك فراغ قلبك ، وساعة نشاطك ، فتجد ما يمتنع عليك بالكَدِّ
والتكلف ، لأن سماحة النفس بمكنونها ، وجود الأذهان بمخزونها ، إنما هو مع
الشهوة المفرطة في الشعر^(۳) ، والحجة الغالبة فيه ، أو الغضب الباهت منه ذلك . قيل
لبعضهم لم لاتقول الشعر؟ قال : كيف أقوله ، وأنا لا اغضب ولا أطرب ! وهذا
كأنه إن جرَّيت من البلاغة على عِرْق^(۴) ، وظهرت منها على حظ ، فأما إن كانت غير
مناسبة لطبعك ، ولا واقعة شهوتك عليها ، فلا تُنصِ^(۵) مطيِّتك في التماسها ، ولا تُتعب

(۱) الأعكان والعكن (بضم ففتح) : الأطواء في البطن من السمن ، وواحدة العكن عكنة بضم فكون ، والكلام على التشبيه ، وفي رسائل البلاغ : « فأدرِ الألفاظ في أماكنها . . . حتى تقع موقعا » .

(۲) النصاب : الأصل .

(۳) في الأصل « الشعر » وهو تحريف .

(۴) العرق : الأصل .

(۵) أنصاء : هزله .

بدنك في انتفاؤها ، واصرف عيناك عنها ، ولا تطمع فيها باستعارتك ألفاظ الفاس وكلامهم ، فإن ذلك غير مُشْرَك ، ولا مُجْدِي عليك ، ومن كان مرجعه فيها إلى اغتصاب الألفاظ من تقدمه ، والاستضاءة بكوكب من سبقه ، ومَحْبِ ذبل حُلَّة غيره ، ولم يكن معه أداة تولد له من بنات قلبه ، وتناج ذهنه الكلام الحر ، والمعنى الجزل ، لم يكن من الصناعة في غير ولا نفي^(۱) ، على أن كلام العظماء المطبوعين ، ودرس رسائل المتقدمين على كل حال مما يفتق اللسان ، ويوسع المنطق ، ويشحذ الطبع ، ويستثير كوامنه إن كانت فيه سجيته ، قال العتّابي : « ما رأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم ، وجرينا فيه من صنوف الآداب ، شيئا أصعب مراما ، ولا أوعر مسلكا ، ولا أدل على نقص الرجال ورجاحتهم ، وأصالة الرأي وحسن التمييز منه واختياره ، من الصناعة التي خطبتها ، والمعنى الذي طلبته » وليس شيء أصعب من اختيار الألفاظ وقصدك بها إلى موضعها ؛ لأن اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتها في الفصاحة والحسن ولا تحسن في مكان غيرها . وبتمييز هذه المعاني ، ومناسبة طبائع جهابذتها^(۲) ، ومشاكلة أرواحهم ، جعلوا الكتابة نسبا وقرابة ، وأوجبوا على أهلها حفظها .

قال الحسن بن وهب : الكتابة نفس واحدة تجزأت في أبدان متفرقة ، ومن لم يعرف فضلها وجهل أهلها ، وتعدى بهم رتبهم التي وصفهم الله بها^(۳) ، فإنه ليس من الإنسانية في شيء .

وقالت البرامكة : رسائل المرء في كتبه دليل على عقله ، وشاهد على غيبه .
وقال الشاعر :

وَتُنْكَرُ وَدَّ الْمَرْءُ فِي لِحْظِ عَيْنِهِ وَتَعْرِفُ عَقْلَ الْمَرْءِ حِينَ تُكَانِبُهُ

(۱) من أمثال العرب : « لا في العير ولا في النفي » مثل يضرب لرجل يحط أمره ، ويصرف قدره ، وقد تقدم شرحه في ۳ هجرة خطب العرب ۲ : ۱۳۷ .
(۲) جهابذة : جمع جهيد ، بكسر الجيم والياء وهو النقاد الخبير .
(۳) يشير إلى قوله تعالى : « كِرَامًا كَاتِبِينَ » .

وقال آخر :

وشعرُ الفتى يُبدي غريزة طبعه وبالكتب يبدو عقله وبلاغته

وقيل للشعبي : أي شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .

وقال العتبي : عقول الناس مدونة في كتبهم ، وقال ابن المقفع : كلام الرجل

وافد عقله .

وشبّهت الحكماء المعاني بالفواني ، والألفاظ بالمعارض ، فإذا كسا الكاتب البليغ

المعنى الجزل لفظاً رائعاً ، وأعاره مخرجاً سهلاً ، كان للقلب أحلى ، وللصدر أملئ (۱) ،

ولكنه بقي عليه أن ينظّمه في سلكه مع شقائمه ، كاللؤلؤ المنشور الذي يتولى

نظامه الخاذق ، والجوهري العالم يظهر بإحكام الصنعة له حسنا هو فيه ،

ومنحة بهجة هي له ، كما أن الجاهل إذا وضع بين الجوهرتين خرزة ، هجن (۲)

نظامه ، وأطفأ نوره . كان حبيب (۳) بن أوس ربما وقع على جوهرة فجعلها بين

بغرتين ، قال الشاعر :

ولو قرنت بدرٍ فاخرٍ خرزاً من الزجاج لقلنا بئس ما نظاما

والياقوت حسن ، وهو في جيد الحسناء أحسن ، وكذلك الشعر الجيد موق (۴)

ولكنه من أفواه العظماء آنق ، والتاج الشريف بهي المنظر ، وهو على الملك أبهى ،

كما قال ابن قيس الرقييات (۵) :

(۱) سهل عن أملاء . (۲) التهجين : التقييع .

(۳) هو أبو تمام الشاعر العباسي المشهور - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۹۲۹ ، والأغاني

۱۵ : ۹۶ ، والفهرست لابن النديم ص ۲۳۵ .

(۴) آنقى الشيء : أينافا : أعجبني .

(۵) هو عبيد الله بن قيس ، ولما لقب بذلك لأنه شب بثلاث نوة سمين جيمارقية ، كان زبير

الهوى ، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل مصعب وقتل عبد الله بن الزبير

هرب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه - انظر ترجمته في الأغاني

۴ : ۱۵۴ ، والشعر والشعراء ص ۲۱۲ .

بعتدل التاج فوق مفرق^(۱)

قال أبو العتاهية لابن منذر^(۲) : بلغني أنك تقول الشعر في الدهر ، والقصيدة في الشهر ، فقال : نعم ، لو رضيتُ لنفسي أن أؤلف تأليفك ، وأقول : « يا عتبَ يادُرّة الغواص^(۳) » لقلت في اليوم والليلة ألف قصيدة ، وقال عمر^(۴) بن بِلَجّ لشاعر : أنا أشعر منك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك تقول البيت وابن عمه ، وأنا أقول البيت وأخاه . فإن مُنيت بحب الكتابة وصناعتها ، والبلاغة وتأليفها ، وجاش صدرك بشعر معقود ، أو دنتك نفسك إلى تأليف الكلام المنثور . وتهيتاً لك نظمٌ هو عندك معتدل ، وكلامٌ لديك متسق ، فلا تدعونك الثقةُ بنفسك ، والعجب بتأليفك ، أن تهجُم به على أهل الصناعة ، فإنك تنظر إلى تأليفك بعين الوالد لولده ، والماشق إلى عشيقته ، كما قال حبيب :

(۱) المفرق كقعد ومجلس : وسط الرأس ، وهو الذي يفرق فيه الشعر ، وهذا صدر بيت وعجزه : « على جبين كأنه الذهب » وهو من قصيدة قالها في مدح عبد الملك ، ولما أنشده إياها ووصل إلى هذا البيت ، قال له عبد الملك : يا ابن قيس تدحني بالتاج كأنى من العجم ، وتقول في مصعب :

لأنا مصعب شهاب من الأسماء تجلت عن وجهه الظلماء

ملكك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً .

(۲) أبو العتاهية شاعر عباسي معروف ، وله ترجمة مطولة في الأغاني ۳ : ۱۲۲ ، وفي الشعر والشعراء ص ۳۰۹ ، ووفيات الأغاني ۱ : ۷۱ ، والفهرست ص ۲۲۷ . وابن منذر : هو محمد بن منذر ، شاعر عباسي أيضا - انظر ترجمته في الأغاني ۱۷ : ۹ ، والشعر والشعراء ص ۳۶۴ .

(۳) عتبة التي كان أبو العتاهية يشبب بها : هي جارية لريطة بنت أبي العباس السفاح ، وكانت تحت المهدي ، فلما بلغ المهدي لكثارة في وصفها غضب فأمر بحبسها ، ثم شفع له يزيد بن منصور الحميري خال المهدي فأطلقه ، وجاء في الأغاني (۱۷ : ۱۱) « اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن منذر ، فقال له أبو العتاهية : يا أبا عبد الله ، كيف أنت في الشعر ؟ قال : أقول في الليلة إذا صنع الفول وانسمت الفواق عشرة أبيات إلى خة عشر ، فقال له أبو العتاهية : لكني لو شئت أن أقول في الليلة ألف بيت لقلت ، فقال ابن منذر : أجل ، والله إذا أردت أن أقول مثل قولك :

ألا يا عتبة الساعة أموت الساعة الساعة

قلت : ولكني لا أعود نفسي مثل هذا الكلام الساقط ، ولا أسمع له - يا به ، فحجل أبو العتاهية وقام يجر رجله .

(۴) شاعر أموي ، وكان ممن هجا جريراً - انظر خبره في الشعر والشعراء ص ۲۶۱ ، وفي الأغاني في ترجمة جرير ۷ : ۳۵ والفرزدق ۱۹ : ۲ .

وَبُيُوسَىٰ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا ، لَا كُنْ هُوَ بِأَبْنِهِ وَبَشَعْرِهِ مُفْتُونٌ
 وَلَكِنْ أَعْرَضَهُ عَلَى الْبُلْغَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالخَطَبَاءِ مَمْرُوجًا بغيره ، فَإِنْ أَصْغَوْا إِلَيْهِ ،
 وَأَذِنُوا (۱) لَهُ ، وَشَخَّصُوا بِالْأَبْصَارِ ، وَاسْتَمَادُوهُ وَطَلَبُوهُ مِنْكَ وَامْتَزَجَ ، فَكَشِفَ
 مِنْ تِلْكَ الرِّسَالَةِ وَالخَطْبَةِ وَالشُّعْرَ اسْمَهُ ، وَانْسَبَهُ إِلَى نَفْسِكَ ، وَإِنْ رَأَيْتَ عَنْهُ الْعِيُونَ
 مَهْزُوفَةً ، وَالْقُلُوبَ عَنْهُ ذَاهِبَةً (۲) ، فَاسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى تَخْلُفِكَ عَنِ الصَّنَاعَةِ ، وَتَقَاصُرِكَ
 عَنْهَا ، وَاسْتَرِبْ رَأْيَكَ عِنْدَ رَأْيِ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْبَلَاغَةِ ، فَقَدْ بَلَغْنِي أَنْ بَعْضَ
 الْمُلُوكِ دَعَا إِنْسَانًا إِلَى مَوَاسِئِهِ ، حَتَّى ارْتَفَعَتِ الْحِشْمَةُ بَيْنَهُمَا ، فَأَخْرَجَ لَهُ كِتَابًا قَدْ غَشَاهُ
 بِالْجُلُودِ ، وَجَمَعَ أَطْرَافَهُ بِالْإِبْرِيمِ (۳) ، وَسَوَّى وِرْقَهُ ، وَزَخَرَفَ كِتَابَتَهُ ، وَجَمَلَ يَقْرَأُ
 عَلَيْهِ كَلَامًا قَدْ حَبَّرَهُ (۴) فِيهِ ، وَنَمَّقَهُ عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَجَعَلَ يَسْتَحْسِنُ مَا لَا يَحْسُنُ ، وَيَقِفُ
 عَلَى مَا لَا يَسْتَثْقِلُ قِرَاءَتَهُ ، حَتَّى أَتَى عَلَى الْكِتَابِ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مَا قَرَأْتُ
 عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : أَرَى عَقْلَ صَانِعِ هَذَا الْكَلَامِ أَكْثَرَ مِنْ كَلَامِهِ ، فَفِطَنَ لَهُ وَلَمْ يَعَاوِدْهُ ،
 إِلَى أَنْ وَقَفَ بِهِ عَلَى تَنْوُرِ مَسْجُورٍ (۵) ، ثُمَّ قَذَفَ بِالْكِتَابِ فِي النَّارِ ، وَهَذَا رَجُلٌ فِي عَقْلِهِ
 فَضْلَةٌ ، وَفِيهِ تَمْيِيزٌ .

وَإِنَّمَا الْبَلِيَّةُ فِيمَنْ إِذَا بَيَّنَّتْ لَهُ سَوْءَ نِظْمِهِ وَاخْتِيَارَهُ ، وَوَقَفَتْهُ عَلَى سَخَافَةِ لَفْظِهِ ،
 هَجَرَكَ وَعَادَاكَ ، فَاجْعَلْ هَذَا الْأَصْلَ مِيزَانًا تَزَنُ بِهِ مَذْهَبَكَ فِي رِسَائِلِكَ وَبَلَاغَتِكَ ، وَلَا
 تَخَاطِبَنَّ خَاصًّا بِكَلَامٍ عَامٍ ، وَلَا عَامًّا بِكَلَامٍ خَاصٍّ ، فَتَنِي خَاطِبْتَ أَحَدًا بِغَيْرِ مَا يَشَاكُلُهُ ،
 فَقَدْ أَجْرَبْتَ الْكَلَامَ غَيْرَ مُجْرَاهُ ، وَكَشَفْتَهُ ، وَقَضَدُكَ بِالْكَلامِ الشَّرِيفِ الرَّجُلِ الشَّرِيفِ
 تَنْبِيهًا لِقَدْرِ كَلَامِكَ ، وَرَفَعُ لِدَرَجَتِهِ ، قَالَ :

فَلَمْ أَمْدَحْهُ تَفْخِيمًا لَشِعْرِي وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ اللَّادِيحَا

(۱) أذن إليه وله كفرح : استمع معجبا ، أو عام .

(۲) في الأصل : وإهية . (۳) الإبريسم : الحرير .

(۴) التجبير : التحسين .

(۵) التنور : الذي يخبز فيه - الفرن - وسجر التنور : أحماء .

فلا تخرجن كلمة حتى تزينها بميزانها ، فتعرف تمامها ونظامها ، ومواردها ومصادرها ، وتجذب ما قد رزت الألفاظ الوحشية ، وارتفع عن الألفاظ السخيفة ، واقتضب كلاماً بين الكلامين .

قال الجاحظ : « ما رأيت قوماً أمثلَ طريقةً في البلاغة من هؤلاء الكتاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً » . وقال خالد ابن صفوان : « أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المفرّب ولا القروي المخذج^(۱) ، الذي صحت مبانيه ، وحسنت معانيه ، ودار على السن القائين ، وخفّ على آذان السامعين ، ويزداد حسناً على تمرّ السنين ، بتجلية الرؤاة ، وتنقية السّراة » .

والكتاب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا حاول صيغة كتاب سالت على قلبه عيون الكلام من بناييمها ، وظهرت من معادنها ، وندرت^(۲) من مواطنها ، عن غير استكراه ولا اغتصاب .

حدثنا صديق للعتّابي قال له : اعمل لي رسالة ، فاستمدّه مدّة بعد أخرى ، فقال له : ما أرى بلاغتك إلا شاردةً عنك ، فقال له العتّابي : إني لما تناوتُ القلم تداعتُ على المعاني من كل جهة ، فأحببتُ أن أترك كل معنى يرجع إلى موضعه ، ثم أجمتني لك أحسنها .

وأملّى يزيد بن عبد الله أخو ذبيان^(۳) على كاتب له ، فأعجل الكاتب ، ودارك في الإملاء عليه^(۴) ، فتمتّ قلم الكاتب عن تقييد إملائه ، فقال له متحرّشاً : اكتب

(۱) الإعراب : الإتيان بالغريب ، والمعنى المغرب صاحبه . والمخذج : الناقص ، من قولهم : أخذجت الناقة : أي جاءت بولد ناقص فهي مخدج (بكسر الدال) والولد مخدج (بفتحها) ، ورجل مخدج اليد : ناقصها .

(۲) أي ظهرت ، ندر الشيء ندوراً : سقط من جوف شيء ، أو من بين أشياء ظهر ، وربما كان « بدوت » أي صبقت وعجلت ، وفي رسائل البلاغ « وتدرّب » وهو نصيف .

(۳) في رسائل البلاغ « أخو دينار » وهو تحريف .

(۴) وفي رسائل البلاغ : « وأعجل عليه الإملاء » وأمل عليه الكتاب بمعنى أمل .

يا حمار ، فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ، إنه لما هطلت شآبيب^(۱) الكلام ،
وتدافقت سيولُه على حرف القلم ، كَلَّ القلمُ عن إدراك ما وجب عليه تقييدُه ،
فايتمذكر الأمير عذري ، فكان حضور جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد .

وقال له يوما وقد نطَّ حرفا في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طُغْيَانٌ في القلم .
وكما احلّوَلَى الكلام وعذبَ ورقَّ وسهلت مخارجه ، كان أسهلَ ولُوجا
في الأسماع ، وأشدَّ انصالاً بالقلوب ، وأخفَّ على الأهواء ، ولا سيما إذا كان المعنى
البديع مترجما بانفط مؤنق^(۲) شريف ، ومعبرا بكلام مؤلف رشيق ، لم يشنه التكلف
بميسمه^(۳) ، ولم يُفسده التعميد باستهلاكه ، كقول ابن أبي كريمة :

قَفَاهُ وَجْهُ حَسَنٌ ، وَالَّذِي قَفَاهُ وَجْهُ يُشْبِهُ الشَّمْسَا

وهجَّن المعنى بتوعُر مخارج الحروف ، وأخذَه الحسن بن هاني فسهله وقال =
«بَدَّ^(۴) حُسْنَ الوجوه حُسْنُ قَفَا كَا» وكلاهما من حَسَانٍ حيث يقول :
قَفَاؤُكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَأَمْلُكَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذِرِ^(۵)

وانظر إلى سلاسة الحسن بن سهل حيث قال :

شَرِسْتِ بِلِ لِفْتِ بِلِ قَابِلَتِ ذَاكَ بَدَا فَأَنْتِ لَأَشْكُ فَيْكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وكتب عيسى بن هليمة كتابا إلى أخيه أبي الحسن ، فعقد كلامه ، وجاز المقدار

في التَّنطع ، فوقع في أسفل كتابه :

(۱) شآبيب : جمع شؤبوب كعصفور ، وهي الدفعة من المطر .

(۲) أي معجب .

(۳) وسمه : أثر فيه بسمة ، أي علامة ، والميسم : الآلة التي يوسم بها .

(۴) بد : قال .

(۵) القفا قد يمد كما في هذا البيت ، والعرب تؤنثه ، والتذكير أعم . وكان حسان بن ثابت زار الحرث
ابن أبي شمر النعماني - وكان النعمان بن المنذر يساميه - فقال الحرث لحسان : لقد نبئت أنك تفضل النعمان
على ، فقال : وكيف أفضله عليك ؟ فوالله أقفاك أحسن من وجهه ، ولأملك أشرف من أبيه ، في كلام
كثير ، فقال له : هذا لا يسمع إلا في شعر ، فنظمه في أبيات منها هذا البيت - انظر ديوان حسان ص ۱۸۲

أَنْ يَكُونَ بَلِيغًا مِّنْ اسْمِهِ كَانَ عِيًّا
وَتَالِثُ الْحَرْفِ مِنْهُ إِذَا كَتَبْتَ مُسِيًّا^(۱)

وبلغني أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يثن من علة ، فخرج من عنده ،
ومر بباب الطاق ، وإذا بطائر يدعى « الشفانين »^(۲) فاشتراه وبعث به إليه ، وكتب
كتابا ينقطع في بلاغته ، وذكر أنه يقال له شفانين ، وأرجو أن يكون شفاء من أنين ،
فوقع في أسفل الكتاب : « والله لو عطست ضبا لم تكن عندي إلا نبطيا »^(۳) ،
فأفصر^(۴) عن تنطعك ، وسهل كلامك ، وفي هذا المعنى قال محمد الموصلي يهجو
حبيب بن أوس الطائي :

أنت عندي عربيٌّ ليس في ذاك كلامٌ
شعرُ ساقيك وفخذيك خزامي ونمام^(۵)
وقدَى عينيك صمغٌ ونواصيك شبام^(۶)
وضلوع الصدر من شلوك نبعٌ وبشام^(۷)

(۱) مسيا مسهل عن مسيئا بمعنى سي ، ويريد أن النظر الثاني من اسم سي ، يشه رسم .

(۲) عدمه؟ لاحظ في أنواع الحمام ، وقيل : هو الذي تسميه العامة الحمام - انظر كلمة عنه في حياة
الحيوان الكبرى للدميري ۲ : ۷۴ .

(۳) فسره في العقد قال : قوله : لو عطست ضبا : يريد أن الضباب من طعام الأعراب ، وفي
بلدكم يقال : لو عطست فنثرت ضبا من عمامك لم تلحق بالأعراب ولم تكن إلا نبطيا ، وقد جاء في بعض
الحديث : إن القط من نثرة عطسة الأسد ، وإن العار من نثرة عطسة الخنزير ، فقال هذا : لون أن الضب
من نثرتك لم تكن إلا نبطيا . والنبط : قوم كانوا يزلون بالبطائح بين العراقيين .

(۴) أي كف ، وفي الأصل : فأفصر عن بعضك وهو تحريف .

(۵) الخزامي : نبت زهره أطيب الأزهار نفحة ، والنمام : نبت أيضا .

(۶) في العقد : شمام ، وهو محرف ، وأرى أن صوابه : شبام ، وهو نبات يشب (أي بحسن)
به لون الحناء .

(۷) الشلو : الجسد من كل شيء ، والنسيم : شجر لنفسى والمسام ، والبشام : شجر عطر الرائحة
بمناك بفضبه .

لو تحرّرت كنت كذا لأنّ جفّلت منك نعام^(۱)
 وطيّبا راتعات^(۲) وبراييم^(۳) عظام^(۴)
 وحمّام يتغنى^(۵) حبّذا ذاك الحمّام
 أنا ما ذنبي إن كذّ ذبني فيك الأنام
 وقفاً يحلف ما إن أعرفت فيه الكرام
 ثم قالوا هاشمي من بني الأنباط حام
 كذبوا ما أنت إلاّ عربيّ والسلام

وسألني بعض أهل العلم أن أكتب له قصّة إلى جعفر بن عبد الواحد القاضي ،
 وقال : اكتب لي قصّة سهلة بليغة الألفاظ ، فقلت له : دعني أكتب لك ما يصلح
 للقضاة ، فغضب وقال : ما أسأل أن تعطيني شيئاً إنما أسألك هذا المعنى الرخيص ،
 فاحتملت عتية لذيّمام^(۳) ، فكتبت له قصة لاتصلح أن تدفع إلا لرؤية^(۴) بن العجاج
 يقرؤها أو الطرمّاح^(۵) ، فلما حصّات بيد القاضي أراد قراءتها فإذا هي مُغلّقة عليه ،
 فقال له : أنت كتبت هذه القصة ؟ قال : نعم ، قال : إذن فاقرأها ، فذهب ليقرأها ،
 فإذا هي بالشودانية ، استعجاما عليه ، فقال له : أصلح الله القاضي ، إنما أقرؤها في بيتي ،
 فقال له : فاطلب حاجتك إذن في بيتك ، فرجع إلى غضبان أسدنا يشتم وبؤذي ،

(۱) انجمل : أسرع الهرب .

(۲) البراييم : جمع يربوع بالفتح ، وهو دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ، ورجلاه أطول من يديه ، عكس الزرافة .

(۳) الذمام : الحق والحزمة .

(۴) هو راجز عميد مشهور كأبيه العجاج ، وكان بصيرا باللغة عالما بجوشيا وغربها ، وهو من مخضرمي الدواتين ، مدح بن أمية وبني العباس ومات سنة ۱۴۵ هـ - انظر ترجمته في الأغاني ۲۱ : ۵۷ ، ووفيات الأعيان ۱ : ۱۸۷ ، والشعر والشعراء ص ۲۳۰ .

(۵) هو الطرمّاح بن حكيم ، شاعر أموي مشهور . قال رؤبة : كان الطرمّاح والكهيت بصيران إلى فيسألاني عن الغريب ، فأخبرهما به ، فأراه بعد في أشعارهما . وسئل ابن الأعرابي عن ثمان عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرمّاح فلم يعرف منها واحدة ، يقول في جميعها : لا أدري لا أدري - انظر ترجمته في الأغاني ۱۰ : ۱۴۸ ، والشعر والشعراء ص ۲۲۸ .

وسألني أن أكتب له قصة على ما أرى ، فكُتبت له كتاباً يُشبه أن يكون من مثله إلى القضاة ، فقرأه وقضى حاجته ، وعلم أنه لم يكتب واحدة منهما .

والكتاب إذا لم يكن شبيهاً بحالة (١) صاحبه ، كان أحد الأسباب المانعة ، والمعاني كلها ممتثلة ، والكلام مُشَبَّع (٢) ، ولكن سياسته صعبة ، وتأليفه شديد ، إلا على جهابذته وفرسانه أمراء الكلام ، بصرفونه كيف شاءوا ، ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، ويكون اللفظ أسبق إلى الأسماع من معناه إلى القلوب (٣) .

قال الجاحظ : كان لفظه في وزن إشارته ، وطبعه في معناه في مطابقة معناه .
وذكر الحسن بن وهب أحمد بن يوسف فقال : ما كنت أدري : أَلْفُظُهُ آتَى أَم مَعْنَاهُ ،
أَوْ مَعْنَاهُ أَجْزَلُ أَمْ لَيْظُهُ ؟

والمعاني وإن كانت كامنة في الصدور ، فإنها مصورة فيها ومتصلة بها ، وهي كاللآلئ المنطوية (٤) في أصدافها ، والنار الخبوءة في أحجارها ، فإن أظهرتها من أكنانها (٥) وأصدافها ، تبين حُسنها ، وإن قدحت النار من مكانها وأحجارها انتفعت بها ، وإلا بقيت محجوبة مستورة ، وربما يُستثار الكامن منها ، ويُستخرج المستتر (٦) من جواهرها ، بقدر حذق المستنبط ، وصواب حركات المستخرج ، وقصد إشارته ، ولطف مذاهبه ، وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ، ولا بصيب إشارته ، وكلما كان الكلام أفصح ، والبيان أوضح ، كان أدلّ

(١) في الأصل « بحاجة » وأراه محرفاً .

(٢) امثله : تصوره حتى كأنه ينظر إليه ، ومشبع من قولهم : رجل مشبع العقل يفتح الباء أي وافره ، وفي الأصل « مشبعا » وهو تحريف .

(٣) وجاء في نهاية الأرب ٧ : ٨ وقالوا : لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمك .

(٤) في الأصل « المنطومة » وهو تحريف .

(٥) الأكنان : جم كن ، وهو السر ، بالكسر ، فيهما .

(٦) استسر : استتر وخفي .

على حسن وجه المعنى ، وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفي بالروح الخفي ، واللفظ الظاهر بالجلتان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جَزَل ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام متسقاً ، وتضاهل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح ، كتضاؤل الحسناء في الأطمار^(۱) الرثمة .

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ ، وإشارة ، وعقد وخط ، وقد ذكر أرسطاطاليس صنفاً خامساً في كتاب المنطق ، وهو الذي يسمى النصبة ، والنصبة : الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهي الناطقة بغير لفظ ، والمشيرة إليه بغير يد ، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض ، وفي كل صامت وناطق ، وهي داخلة في جملة هذه المعاني الأربعة ، وخارجة منها بالحلية ، ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبها ، وحلية غير مُشاكلية لحلية أختها ، غير أنها في الجملة كاشفة عن أعيان المعاني ، وسافرة^(۲) عن وجوهها^(۳) . وأوضح هذه الدلائل ، وأفصح هذه الأصناف ، صنفان منها ، وهما اللسان والفم ، وكلاهما يترجمان وبدلان على القلب ، وبستمليان منه ، ويؤديان عنه ما لا تؤدي هذه الأصناف الباقية . فأما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حد الأستنبهام إلى حد الإنسانية بالكلام ، ولذلك قال صاحب المنطق : حد الإنسان : الحى الناطق . وقال هشام ابن عبد الملك « إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه من بين الجوارح بتوحيده ، وما جعل الله من عبّر عن شيء مثل من لم يعبر عنه » . وقال علي بن عبدة : « إنما يُبين عن الإنسان اللسان ، وعن المودة العينان » . وقال آخر : « الرجل مخبوء تحت لسانه^(۴) » . وقالوا « المرء بأصفره : قلبه ولسانه » .

(۱) الأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو الثوب الملق .

(۲) أي كاشفة أيضاً .

(۳) وقد عقد الجاحظ فصلاً طويلاً في الكلام على أصناف الدلالات على المعاني - انظر باب البيان

من كتابه البيان والتبيين ج ۱ : ص ۴۲ .

(۴) من الحكم الروبية عن الإمام علي كرم الله وجهه « المرء مخبوء تحت لسانه » .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا الأصفران ، لسانه
فإن ترها راقتك يوماً ، فربما
وقال الأعور التيمي (۲) :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وقال آخر :

إن الكلام أفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلاً
وقال الطائي :

وما كانت الحكماء قالت لسان المرء من خدام الفؤاد

وللخط صورة معروفة ، وحاية موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه الأوصاف ، لأنه ينوب عنها في الإيضاح عند المشهد ، ويفضلها في المغيب ، لأن الكتب تُقرأ في الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرقة ، وتُدْرَس في كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان ذليلاً فصيحاً لا يمدو سامعه ، ولا يجاوزه إلى غيره ، وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله عز وجل : « الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » وأقسم (۳) به كما أقسم بغيره (۴) ، ثم أقسم بما يكتبه القلم ، إفصاحاً عن حاله ، وإعظاماً لشأنه ، وتنبيهاً لذكره ، فقال : « وَمَا يَسْطُرُونَ » . ومن فضيلة الخط : أنه لسان اليد ، ورسول الضمير (۵) ودليل الإرادة ، والناطق عن الخواطر ، وسفير المقول ، ووَخِي الفِكر ، وسلاح المعرفة ، ومحادثة الأخلاء على التناهي ، وأنس الإخوان عند الفرقة ، ومستودع

(۱) الضمير يعود على مفهوم من السياق : أي صورته .

(۲) وفي رواية الزوزني أن هذا البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته .

(۳) قال تعالى : « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » .

(۴) من السماء والطارق والفجر والشمس والليل والضحى والتبن والزيتون . . . الخ مما ورد في القرآن ، والآيات في ذلك معروفة .

(۵) وفي العقد والصبح ونهاية الأرب « وبهجة الضمير » .

الأمرار ، وديوان الأمور ، وترجمان القلوب ، والمعبر عن النفوس ، والمخبر عن الخواطر ، ومورث الآخر مكارم الأول ، والناقل إليه مآثر الماضي ، والمخلد له حكمته وعلمه ، والمسامر للعين بئر القلب ، والمخاطب عن الناصت (۱) ، والمجادل عن الساكت ، والمفصح عن الأبكم ، والمتكلم عن الأخرس ، الذي تشهد له آثاره بفضائله ، وأخباره بمناقبه .

وقد وضعت البلاغة من القلم (۲) علو القدر ، وباذخ (۳) العز ، كأبي مسلم صاحب الدولة : فرقت شمله ، وبددت جمعه ، ونقضت برمه (۴) ، وأفسدت صلاحه ، وضعضعت بنيانه ، مع ذكائه وتفطنه ، ومكايده ودهائه ، وأصالة رأيه وشدة شكيمته (۵) ، وامتناعه على أبي جعفر ونفاره عنه ، كيف استفزه ابن المقفع ، وصالح بن عبد القدوس ، وجبيل بن يزيد ، واستمالوه بسحر ألفاظهم ، وبلاغة أقلامهم ، حتى نزل من باذخ عزه ، وجاء مبادراً حتى وقع في الشرك المنصوب له ، فتفرق جمه ، وانظفا نوره ، وصار خيراً سائراً ، ورثماً دائراً (۶) .

ورفع القلم خاشع الطرف ، صغير الخطر (۷) ، لئيم الجنس ، درج من عش التجار ، ونشأ بين المكياال والميزان ، كيف شالت (۸) البلاغة بضعبيه ، ورفعت من ناظره ، حتى شافهت به عنان السماء ، ورفعت بناءه فوق البناء ، حتى طلبه الراكب ، وقصده الطالب ، وخشعت له الرجال ، وحفظته العيون بالوقار ، وتمكن من الصنائع ،

(۱) نصت كضرب ، وأنصت : سكت .

(۲) في رسائل البلاغ : « وقد وقعت البلاغة من العلم ، وهو تحريف .

(۳) الباذخ : العالى .

(۴) يقال برم الحبل برما وأبرمه لإبراما .

(۵) الشكيمه : الأنفة .

(۶) أى دارماً محجواً .

(۷) الخطر : القدر .

(۸) أشال الحجر ، وشال به يشول شولا : رفعه ، فانشال هو - ولا يقال شلت بالكسر -

والضبع - المضدكها أو وسطها ، والضان . السحاب واحده عناة .

وَمُدَّتْ نَحْوَهُ الْأَصَابِعُ ، فَشُكِرَتْ مِنْهُ اللَّفْظَةُ ، وَرُجِيَتْ مِنْهُ الْأَحْظَةُ ، كَعَمَدٍ (۱) ابن عبد الملك بن الزيات ، وفيه يقول علي بن الجهم (۲) :

أَحْسَنُ مِنْ عَشْرِينَ بَيْتًا سُدِّي جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتِ
مَا أَحْوَجَ الْمَلِكَ إِلَى مَطْرَةٍ تَفْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَيْتِ (۳)

فأجابه محمد بن عبد الملك :

رَقِيتَ فِي الْقَوْلِ إِلَى خُطَّةٍ قَدَّرَكَ فِيهَا قَدْ تَعَدَّيْتَ

(۱) كان جده أبان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ويتجر فيه ، وكان أبو عبد الملك تاجراً من مياسير التجار بالكرخ (عملة ببغداد) فكان يحنه على التجارة ، وملازمته ، فيأبى إلا الكتابة ، وطلبها ، وقصد المعالي حتى بلغ مرتبة الوزارة كما قدمنا ، وكان في أول أمره من جملة الكتاب ، وسبب تقدمه أن المعتصم ورد عليه كتاب من بعض العمال ، فقرأه عليه وزيره أحمد بن عمار بن شاذي البصري ، وكان في الكتاب ذكر الكلاء ، فقال له المعتصم : ما الكلاء ؟ فقال لا أدري - وكان قليل المعرفة بالأدب - فقال المعتصم : خليفة أمي ووزير عامي ! - وكان المعتصم ضيف الكتابة - ثم قال : أبصروا من الباب من الكتاب ؟ فوجدوا ابن الزيات المذكور فأدخلوه إليه ، فقال له : ما الكلاء ؟ فقال : الكلاء المشبه على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الحلاء ، فإذا يبس فهو الحشيش ، وشرع في تقسيم أنواع النبات ، فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده - انظر الأغاني ۲۰ : ۴۶ ووفيات الأعيان ۲ : ۵۴ ، والفخرى ص ۲۱۳ ، وغرر الحقائق الواضحة ص ۱۴۳ .

(۲) شاعر عباسي مشهور ، توفي سنة ۲۴۹ - انظر ترجمته في الأغاني ۹ : ۹۹ ، ووفيات الأعيان

۱ : ۳۴۹ .

(۳) الوضو : وسخ الدم ، وفي العقد الفريد (۳ : ۱۱۱) : وقال محمد بن الجهم يهجو ابن الزيات : أحسن من سبعين بيتاً . . . وجاء في الأغاني (۲۰ : ۵۱) . كان محمد بن عبد الملك يعادي أحمد بن أبي دواد ويهجوهم ، فكان أحمد يجمع الشعراء ويحرضهم على هجائه ويصلهم ، ثم قال فيه أحمد بيتين كانا أجود ما هجأ به ، وهما : أحسن من خمسين بيتاً . . . وفي وفيات الأعيان : (۲ : ۵۶) وكان ابن الزيات قد هجأ ابن أبي دواد بتسعين بيتاً ، فعمل القاضي أحمد فيه بيتين وهما : أحسن من تسعين بيتاً . . . وجاء فيه أيضاً (۱ : ۲۵) وهجا بعض الشعراء ابن الزيات بقصيدة عدد أبياتها سبعون بيتاً ، فبلغ خبرها القاضي أحمد فقال . . . فبلغ ابن الزيات ذلك - ويقال : إن بعض أجداد القاضي أحمد كان يبيع القار (الزيت) - فقال :

ياذا الذي يطعم في هجونا عرضت بي نفسك للعوت
الزيت لا يزرى بأحابنا أحابنا مرونة البيت
فيرتم الملك فلم تنقه حتى غسلنا القار بالزيت

وقبره : أطلاله بالقار .

قَوِّرْتُمْ أَلَّا تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ كُنْتُمْ رِجَالًا مَشْرُوعًا فِي سَبْعِينَ أَلْفًا نَفْسًا فَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ جُنُودٌ قَاتِلَةٌ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا نَفْسًا حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارِءَ بِالزَّيْتِ (١)

وقال حبيب بن أوس يمدحه ويصف قلبه :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ السَّكَلَى وَالْمَفَاصِلُ (٢)

وكان محمد من أطف الناس ذهنًا ، وأرقهم طبعًا ، وأصدقهم حسًا ، وأزشفهم قلبًا ، وأملحهم إشارةً ، إذا قال أصاب ، وإذا كتب أبلغ ، وإذا شعر (٣) أحسن ، وإذا اختصر أغنى عن الإطالة : أمره الواثق أن يتلطف بعبد الله بن طاهر ، ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم (٤) ، وفوض ذلك لابن عمه إسحاق بن إبراهيم ، فكتب :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما في يمينك ، من أمر الجزائر والعواصم ، فيجعله في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته (٥) » .

وقال مهمل بن بركة يهجو أبا نوح النصراني الكاتب :

بِأَبِي وَأُمِّي ، ضَاعَتِ الْأَحْلَامُ أَمْ ضَاعَتِ الْأَذْهَانُ وَالْأَفْهَامُ ؟ (٦)
مَنْ صَدَّ عَنْ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَلَا بَأْسَ الْمَسْلُومِينَ قِيَامُ ؟
إِلَّا تَكُنْ أَسْيَافُهُمْ مَشْهُورَةً فِينَا ، فَتَلِكُ سَيُوفُهُمْ أَقْلَامُ

(١) البيتان هلي هذه الرواية فيهما عيب شعري وهو الإصراف ، لأن حركة روى البيت الأول فتحة ، وحركة روى البيت الثاني كسرة .

(٢) الشبابة : حد كل شيء ، وهذا البيت هو الأول من أبيات تسعة مشهورة - انظرها ، في العقد الفريد ٢ : ١٧٩ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٥ ، وصبح الأعشى ٢ : ٤٤٨ ، وأدب الكتاب ص ٧٥ وزهر الآداب ٢ : ٣٥ .

(٣) شعر كنصر وكرم قال شعراً ، أو شعر بالفتح : قال شعراً ، وشعر بالضم : أجاده .

(٤) العواصم : ولاية كانت قصبتهما أنطاكية .

(٥) ليس ابن الزيات في هذا المعنى يبدع ، بل اقتبسه من يحيى بن خالد البرمكي - انظر ما قدمناه

في ص ١٥٥ من الجزء الثالث .

(٦) الأحلام : العقول .

وقال عبد الرحمن بن كيسان : « استعمال الكلام أجدر بإحضار الذهن عند تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام^(۱) » .
ولم يُخْتَلَفَ في شرف القلم ، وإنما اختلف في كيفية البلاغة وما هيّتها ، وقد مدحها كل قوم بأوضح عبارتهم ، وأحسن بيانهم ، فقال صاحب اليونانيين : « البلاغة تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام » وقال الرومي : « البلاغة وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة^(۲) » وقال الفارسي^(۳) : « هي معرفة الفصل من الوصل » وقال الهندي : « هي البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة ، ثم إن تدع الإفصاح بها إلى الكفاية عنها ، إذا كان الإفصاح أوعرَ طريقاً ، وربما كان الإطراق عنها أبلغ في الدرك ، وأحقّ بالظفر » وقال غيره : « جماعُ البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، والحذق بما التبس من المعاني وغمض ، وبما شرد عاينك من اللفظ وتعذر » ثم قال : « وزين ذلك كله وبهاؤه ، وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشمايل معتدلة ، والألفاظ موزونة ، واللهجة نقية ، فإن جامع ذلك السنُّ والسمت^(۴) والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام^(۵) » .

وقيل لهندي ما البلاغة ؟ فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها^(۶) : « أول البلاغة

(۱) وفي البيان والتبيين ۱ : ۴۵ « وقال عبد الرحمن بن كيسان : استعمال القلم أجدر أن يحس الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام » .

(۲) وفي البيان والتبيين ۱ : ۴۹ « وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الإطالة ، وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة » (وكذا في زهر الآداب ۱ : ۱۳۵) . قال الجاحظ : وقال بعض أهل الهند : « جماع البلاغة البصر بالحجة . . . » .

(۳) يعني أبا علي الفارسي . (۴) السميت : هيئة أهل الخير .

(۵) انظر البيان والتبيين ۱ : ۴۹ .

(۶) جاء في البيان والتبيين (۱ : ۵۱) « قال معمر أبو الأشعث : قلت لبهلة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند ، ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولاكني لا أحسن ترجمتها لك ، ولم أهالج هذه الصناعة فأتق من نفسي بالقيام بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها ، قال أبو الأشعث : فلقيت بتلك الصحيفة النرجة ، فإذا فيها : أول البلاغة اجتماع . . . » انظر أيضا زهر الآداب ۱ : ۱۲۰ .

اجتماع (۱) آلة البلاغة ، وذلك أن يكون البليغ رابطاً الجأش (۲) ، ما كن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا يفتح الألفاظ كل التفتيح ، ولا يصفئها كل التصفية (۳) ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفاً حكماً علماً ، ومن قد تعود حذف فضل الكلام ، وأسقط مشترك اللفظ (۴) وقال أنوشيروان بزرجمهر (۵) : متى يكون العبي بليغاً ؟ فقال : إذا وصف بليغاً ، وقال أرسطاطاليس : « البلاغة حسن الاستعارة » وقال بشر بن خالد (۶) : « البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد عن خسيس الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير » وقال خالد بن صفوان : « ليس البلاغة بحجة اللسان ، ولا بكثرة الهديان ، ولكنها إصابة المعنى ، والقرع بالحجة » وقال عمر بن عبد العزيز : « البليغ من إذا وجد كثيراً ملاًه ، وإذا وجد قليلاً كفاه » ، وقال ابن عتبة : « البلاغة دنو المأخذ ، وقرع الحجة ، والاستغناء بالقليل عن الكثير » وقال بعضهم : « إني لأكره للإنسان أن يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقدار عقله ، كما أكره أن يكون مقدار عقله فاضلاً عن مقدار لسانه وعلمه ، يكفي من حظ البلاغة

(۱) في رسائل البلغاء « احتمال » .

(۲) الجأش : روع القلب إذا اضطرب من الزرع ، ونس الإنسان . وربط جأشه رباطة (بالكسر) اشتد قلبه .

(۳) في رسائل البلغاء « ويصعبها كل التصعبة » .

(۴) جاء في البيان والتبيين ، وزهر الآداب عقب ذلك « قد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لاعلى جهة التصفح والاعتراض . ووجه النظر والاستطراف » .

(۵) بزرجمهر : مركب من بزرج معرب بزرك أى الكبير ، ومهر : أى الروح ، وهو : بزرجمهر ابن البختكان وزير كسرى أنوشروان ملك الفرس ، وكان شديد الفكر حصيف الرأي .

(۶) وفي العقد « جعفر بن خالد » وفي زهر الآداب ۱ : ۱۳۴ « قال أعرابي : البلاغة التقرب من البعيد ، والتباعد من الكفاة ، والدلالة بقليل على كثير » .

أن لا يؤتَى السامعُ من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتَى الناطق من سوء فهم السامع^(۱)»
 وقيل لعمر بن عبید^(۲) : ما البلاغة ؟ فقال : « ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار ،
 وما بصرك بواقع رشدك ، وعواقب غيِّك ، فقال السائل : ليس هذا أريد ، فقال :
 من لم يُحسِّن أن يسكت لم يُحسِّن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يُحسِّن القول^(۳) ،
 قال : ليس هذا أريد : قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إنا معاشر الأنبياء
 بكاء^(۴) » وكانوا يكرهون أن يزيد منطقُ الرجل على عقله ، فقال له السائل : ليس
 هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ، مالا يخافون
 من فتنة السكوت وسقطات الصمت^(۵) ، فقال : ليس هذا أريد ، فقال : فكأنك
 إنما تريد تخيير اللفظ في حسن إفهام ، قال : نعم ، قال : إنك إن أردت تقرير حجة الله
 في عقول المكلفين^(۶) ، وتخفيف المشوثة على المستمعين ، وتزوين تلك المعاني في قلوب
 المریدین^(۷) ، بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبةً في سرعة
 استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة الناطقة عن الكتاب والسنة ،

(۱) جاء في البيان والتبيين ۱ : ۴۹ « قال الإمام إبراهيم بن محمد : يكفى من حظ البلاغة . . . الخ » انظر أيضا زهر الآداب ۱ : ۱۳۴ ، وفي نهاية الأرب ۷ : ۷ « وقيل لأخر ما البلاغة ؟ قال : ألا يؤتَى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتَى السامع من سوء بيان القائل » .
 (۲) وردت هذه المحاوره في زهر الآداب ۱ : ۱۱۷ ، ونهاية الأرب ۷ : ۷ ، وعمر بن عبید ابن باب : إمام من أئمة المعتزلة توفي سنة ۱۴۴ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۳۸۴ .
 (۳) وفي نهاية الأرب : « قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول » .
 (۴) بكأ الرجل بكاءً بالفتح فهو بكى ، من قوم بالكسر : قل كلامه خافه ، وأصله من بكأت الناقة والشاة كجعل وكرم بكثا وبكاءة بالفتح فيهما ، وبكوه وبكاه بالضم فيهما ، فهي بكى وبكئة : إذا قل لبني . وفي الحديث « إنا معاشر النبا بكاه » وفي رواية « نحن معاشر الأنبياء فينا بك وبكاه » بالضم أى قلته كلام إلا فيما نحتاج إليه - انظر لسان العرب والقاموس مادة بكأ .
 (۵) في رسائل البلغاء « قال كانوا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت » والتصحيح من زهر الآداب .
 (۶) وفي نهاية الأرب « المتكلمين » .
 (۷) وفيه « المستمعين » .

كنت قد أوتيتَ فصلَ الخطاب ، واستوجبت من الله سبحانه جزيلَ الثواب (۱) .
وقال الخليل بن أحمد : كلُّ ما أدّى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة ، فإن استطعت
أن يكون لفظك لعناك طيباً ، ولتلك الحال وفقاً ، وآخِر كلامك لأوله مشابها ،
ومواردُه لمصادرِه مُوازِنًا فافعل ، واحرص أن تكون لكلامك متبهماً ، وإن ظُرف
ولنظامك مستريباً وإن لطف . بمواتاة (۲) آلتك لك ، وتصرف إرادتك معك ،
فافعل إن شاء الله .

وهذه الرسالة عذراء ، لأنها بكر معانٍ لم تفتري عنها بلاغةُ الناطقين ، ولا كَسَتْها
أَكْفُ المَفَوَّهين ، ولا غاصت عليها فِطْنُ المتكلمين ، ولا سبق إلى ألفاظها أذهان
الناطقين ، فاجعلها مثلاً بين عينيك ، ومصوِّرة بين يديك ، ومسامرة لك في ليلك
ونهارك ، تهطلُ عليك شآبيبُ منافعها ، ويُظَلِّك منها بركاتها ، وتُورِدك مناهلَ
بلاغتها ، وتدلُّك على مَنَميع (۳) رشدها ، وتُصدِرُك وقد نُقِع (۴) ظمؤك بيدنا ببحر
إحسانها إن شاء الله عز وجل ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم (۵) .

(رسائل البلاء ص ۱۷۶ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۷۱)

(۱) وجاء في زهر الآداب عقب ذلك : « فليل لعبد الكريم بن روح الفخاري : من هذا الذي
صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال : سألت عن ذلك أبا حفص الشمري فقال : ومن يجترى عليه هذه الحراة
إلا حفص بن سالم ؟ » أفول : وحفص هذا هو أحد دعاء المعتزلة الذين أنفذهم واصل بن عطاء إلى الآفاق ،
وبتهم في البلاد ، لنشر مذهب الاعتزال ، وقد بعثه واصل إلى خراسان - انظر المنية والأمل ص ۱۹ «
والبيان والتبيين ۱ : ۱۴ .

(۲) المواتاة : الموافقة والمطاوعة . (۳) طريق مهيج : أي بين .

(۴) نقع الماء العطش كقطع : سكنه ، وفي المثل « الرشف أنقع » أي إن الشراب الذي يتشرف
قليلاً قليلاً أقطع للعطش وأنجم ، وإن كان فيه بطن ، مثل يضرب في ترك العجلة .

(۵) ذكر الأستاذ كرد علي في رسائل البلاء أنه نقل هذه الرسالة من مجموع قديم من كتب الشيخ
طاهر الجزائري ، وقد أورد صاحب العقد الفريد نحواً من شطرها في باب أدوات الكتابة ، وأخبار
الكتاب ، غير أنه لم يوردها على النمط الذي ورد في رسائل البلاء ، بل تصرف فيها كثيراً بال حذف والزيادة
والنقد والتأخير ، وتراه يلقب إبراهيم بن محمد بن المدبر كانتها بالشيباني ، فيقول : قال إبراهيم بن محمد
الشيباني وأورد القلقشندي في صبح الأعشى . فقرأ منها - انظر ج ۲ : ص ۴۵۷ و ج ۳ .
ص ۶ ، وكذا النويري في نهاية الأرب - انظر ج ۷ ص ۱۲ ، ۱۳ ، ۱۹ وكلاهما يلقبه بالشيباني أيضاً ،
والظاهر أنه ينتمي إلى شيبان بالولاء .

۱۳۱ - کتاب محمد بن مکرم إلى إبراهيم بن المدبر

وكتب محمد^(۱) بن مکرم إلى إبراهيم بن المدبر .

« الحمد لله رب العالمين ، حمداً يَجُوزُ حَمْدَ الحامدين ، الذي جعل قضاءه خَيْرَةً لك ، فإن زادك نعمةً وفَقَّك لشكرها ، وإن امتحنك ببلوىٍ مِنْ نَفْتٍ^(۲) حاسدٍ ، أو كيدٍ كائدي ، أثار برهانك ، وأفلج^(۳) حُجَّتَكَ ، وجمع بين وِلِيَّتِكَ وعدوك في الشهادة لك ، وإن نقل أمراً عن يدك فربما يَرُجِعُهُ إليك مختلفاً إِفْقَدِكَ ، هذا إلى ما جعل عندك من خواص النعم التي إن ذكرناها فأطنبنا ، أو تجوزنا فقصرنا ، كان غابتنا إلى الحُسور^(۴) دون مدى غابتك ، وقد زادك الله بهذا الحادث فضلاً عظيماً ، لِمَا ظَهَرَ مِنْ وَآلِهِ العامة إليك ، وتطلمها إلى ما كانت فيه ، من لين إنصافك وكرم أخلاقك ، ووَخْشَةِ الخاصَّةِ لِمَا فَتَدَّتْ مِنْ حسن معاملتك ، وكثير تفضلتك ، وأيقن أهل الرأي والتأمل لصفحات الأمور أن كل ما خرج عنك فعائدٌ إليك ، ومتصلٌ به غيره ، حتى تستقرَّ في يدك عراً الأمور ومعاقدُها ، وتفتح برأيك وتدير أبوابها ومغالقها ، فليهنئك أن كل ما زاد غيرك نقصاً ، زادك فضلاً ، وكل ما نقص من الرجال وحطاً ، ألحق بك شرفاً فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا ممن يقبله رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموافقتك ، ويجري منها على سبيل طاعتك . »

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۱)

(۱) كاتب بليغ مترسل ، وكان بينه وبين أبي العيناء مداعبات ، انظر أخباره في الفهرست لابن النديم ص ۱۷۹ ، وفي خلال ترجمة أبي العيناء في وفيات الأعيان وزهر الآداب كما قدمنا .

(۲) النفث شبيه بالنفخ ، والمعنى مما يصدر عن الحاسد .

(۳) أي نصرها .

(۴) الحسور : الكلال والاقطاع .

۱۳۲ - كتابه إلى أحمد بن المدبر

وكتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر :

« إن جميع أكتفائك ونظرائك يتنازعون الفضل ، فإذا انتهوا إليك
أقرؤا لك ، ويتنافسون المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك ، فزادك الله وزادنا بك
وفيك ، وجعلنا من يقبله رأبك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموقع موافقتك ،
ويجري فيها على سبيل طاعتك » .
(العقد الفريد ۲ : ۱۹۶)

۱۳۳ - كتابه إلى أحمد بن دينار

وكتب محمد بن مكرم إلى أحمد بن دينار يعزیه بأخيه :

« الذي حرّ كفى للكتاب أيها الأمير تعزيتك بمن لا ترميك الأيام بمثل
الحادث فيه ، ولا تعترض مما كان الله جمعه لك عنده ، من الميل إليك ، والاستباق^(۱)
في صفوك ، والصبر على مكروه جفائك ، مع ما كان الله أعاره من قوة العقل ،
وأصالة الرأي ، ومدّ له من عيانه إلى قصوى غايات أمله ورجائه ، أبي محمد رضى الله عنه ،
وإنا لله وإنا إليه راجعون ، على ما أفاتتنا الأيام منه حين تم واستوى ، وعالی
في الثروة وتناهى ، وعند الله أحسب المصاب به ، وعظم الله لك الأجر ، وأجزل لك
العوض والدخر ، فكل ماضٍ من أهلك فأنت سيدادُ ثلثته ، وجابرُ رزقته ، والمؤنس
من وحشته وفقده ، وقد خلف من أنت أحق الناس به : من عجوزٍ وَايَتُ تربيَتِكَ^(۲)
وحياطتك في طبقات سينك ، وولَدِ رُبُّوا في حجرك ، ونبتوا في حوزتك ، وليس لهم
بعد الله مرجع سواك ، ولا مقيل إلا في ظلك وذراك^(۳) ، فأشُدك الله فيهم ، فإنه

(۱) في الأصل « الإساق » وهو تحريف .

(۲) في الأصل « فرسك » .

(۳) الذرى . الظل ، يقال : أنا في ذراه : أى في كنفه وسننه .

رضی اللہ عنہ آخر بہم بعمارة سُروۃ ، وقطعہم بِبِصِلۃ^(۱) فضلہ ، فاللہ یجزیہ بجمیل
آثرہ ، ویُخلف علیہم ما ہو أهلہ ، فإن رأى الأمير أن یضمہم إلیہ ، ویحقق ثقۃً أیہم
كانت بہ ، ویجزی ہلی أمہ ما یقوم بعصمتہا وصیانتہا ، فَعَلَّ إن شاء اللہ .

(اختیار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۸)

۱۳۴ - کتابہ إلی أحمد بن دینار

وکتب إلی أحمد بن دینار :

« نحن من السرور أیہا الأمير بما قد استفاض من جمیل أثرک فیما تلی من
أعمالک ، وزمک إیہا بحزمک وعزمک ، واندياسک^(۲) أهلها من جورٍ من ولیہم
قبلک ، وسرورهم بتطاؤل أيامک ، والسکون فی ظلِّ یدک وجناحک ، فی إمانہ من
تخصه وتعمه نعمتک ، وتحول به الحولُ حیث حالت بک ، فالحمد لله الذی جعل العاقبة
لک ، ولم یردّ علينا آمالنا فیک منکوسةً ، كما ردّها علی غیرنا فی غیرک ، ولو ردّت
أن أباک کان عاین آثارک هذه ومناقیک ، وإن کان الافتراق لم یقع بینکما حتی
علم أنک خلفه ، وألقى إلیک بأمره ومعاقد ثقته ، وجعلک موضع اختصاصه وأثرته ،
وصرف ذلك عن کان لا یستحقه ، وذمّ سالف رأیه فیک وفیه ، وحید آخره ،
ثم نعمة اتصت لک بما قبلها ، انتظمت بها أمورک فاعتدلت ، وتلاحت علیها
وانسقت : ما منحت فی کانیک ، ومستقرّ تمتک ، وحامل أعبائک ، من الکفاية
والنصيحة ، ووضعیه عن قلبک مئونة التهمة والقص لأثره ، وإدخاله راحة الطمانينة
إلیہ ، وروح الثقة به ، لا كما ابتلی أخوک^(۳) ، فإنه صحبه نخلط علیہ أمره ، وأفشى
أسراره إلی صاحب بریده ، فأنفل^(۴) ذلك بینهم ، وقطع حبالهم ، حتی هجنت^(۵)

(۱) فی الأصل « بمفلة » . (۲) اتناشه . انثله واستنقده .

(۳) جاء فی تاریخ الطبری ۱۰ : ۳۶۲ « وفی سنة ۲۲۴ - فی خلافة المنصور - ولی جعفر بن دینار

الیمین » وجاء فیہ أيضا ۱۱ : ۱۸ « وفی سنة ۲۳۱ ولی الواثق جعفر بن دینار الیمین » .

(۴) الإنفال : أخذ الرجل الفأس لقطع القتاد لإبله ، والمعنی هنا فقطع . (۵) أى قبعت .

آثاره مع حُسْنِهَا ووضوحها ، وصِفِرَتْ يَدُهُ مِنْ حَظِّ عَمَلِهِ ، وَلَزِمَهُ الدَّمُّ مِنْ أَهْلِهِ ،
فهذه كُتِبَتْهُ إِلَى ، فِي اطِّرَاحِ نَصِيحَةٍ لَهُ كَانَتْ فِيهِ ، وَيَسْأَلُنِي أَنْ أُشْخِصَ إِلَيْهِ كَاتِبًا
يَحْمِلُ ثِقَلَهُ ، وَيَفْتَحُ لَهُ مَا أَرْتَجُّهُ (۱) مِنْ أَمْرِهِ ، وَهَذَا مِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ ، وَبِمَنْ طَأْتُكَ ،
وَإِقْبَالَ الْأُمُورِ إِلَيْكَ ، وَسَعْيِهَا عَلَى طَرِيقِ مَوَافَقَتِكَ ، وَهَنِيئًا ، هُنَاكَ اللَّهُ نَعَمَهُ خَاصًّا
وَعَامًّا ، وَأَوْزَعَكَ (۲) شُكْرَهَا ، وَأَوْجِبُ لَكَ بِالشُّكْرِ أَحْسَنَ الزَّيْدِ فِيهَا .

(اختيار النظم والمنثور ۱۳ : ۳۰۰)

۱۳۵ - كتابه إلى نصراني أسلم

وكتب محمد بن مكرم إلى نصراني أسلم .

« أما بعد : فالحمد لله الذي وَفَّقَكَ لِشُكْرِهِ ، وَعَرَّفَكَ هِدَايَتَهُ ، فَطَهَّرَ مِنَ الْارْتِيَابِ
قَلْبَكَ ، وَمِنَ الْاِفْتِرَاءِ عَلَيْهِ لِمَا نَكَ ، وَمَا زَالَتْ نَحَايَةُ بِلْكَ مِمَّا لَنَا جَمِيلٌ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ لَكَ ،
حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تَزَلْ بِالْإِسْلَامِ مُوسِمًا ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى غَيْرِهِ مَقِيمًا ، وَكُنَّا مُؤْمَلِينَ
لِمَا صِرْتَ إِلَيْهِ ، مُشْفِقِينَ لَكَ بِمَا كُنْتَ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا كَادَ إِشْفَاقُنَا بِتَعَلِّي رَجَاءِنَا ،
أَتَتْ السَّعَادَةُ بِمَا لَمْ تَزَلِ الْأَنْفُسُ تَعِدُّ مِنْكَ ، فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي نَوَّرَ لَكَ فِي رَأْيِكَ ،
وَأَضَاءَ لَكَ سَبِيلَ رَشْدِكَ ، أَنْ يُوَفِّقَكَ لِصَالِحِ الْعَمَلِ ، وَأَنْ يُوَثِّقَكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ،
وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَيَقْبَلَ عَذَابَ النَّارِ » .

(اختيار النظم والمنثور ۱۳ : ۳۰۰ ، وزهر الآداب ۱ : ۳۲۵)

۱۳۶ - كتابه إلى حاج

وكتب تهنئة لحاج :

« بِأَنَّكَ اللَّهُ الرِّضَا فِي أَمَلِكَ ، مِنْ نُجْحِ كُلِّ حَاجَةٍ ، وَإِبْلَإِغِ كُلِّ أُمْنِيَّةٍ ،
وَتَقْبُلِ كُلِّ دَعْوَةٍ خَصَّصْتَ بِهَا نَفْسَكَ أَوْ عَمَّمْتَ بِهَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِكَ ، فِي تَجَامِعِ

(۲) أى أهلك .

(۱) أى ما أغلقه .

وَفُودِهِ ، وَمُعْتَزَلِ قَرَارِهِ . فَكُنْتَ شَافِعَ مَنْ شَهِدَكَ ، وَوَافِدَ مَنْ غَابَ عَنْكَ ،
يَسْتَفْتِحُ بِدَعَائِكَ ، وَيُرْجِي بِرُكَّةِ تَحْضُرِكَ ، وَالْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِ جَاهِكَ .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۹۹)

۱۳۷ - كتابه إلى بعض الرؤساء

وكتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء يعتذر :

« قَبِلْتُ بِعَيْنِكَ (۱) غِرَّةَ الْخِدَاةِ ، فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجْرِبَةُ (۲) ، وَبَاعَدْتَنِي عَنْكَ
الثِّقَةُ بِالْأَيَّامِ ، فَأَذِنْتَنِي إِلَيْكَ الضَّرُورَةُ ، ثِقَةً بِإِسْرَاحِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ ،
وَقَبُولِكَ لِعُذْرِي ، وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ سَدَّتْ عَلَيَّ
مَسَالِكَ الصَّفْحِ عَنِّي ، فَرَاجِعْ فِي مَجْدِكَ وَسُؤْدُودِكَ ، وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذِلَّ مِنْ
مَوْقِفِي ، لَوْلَا أَنْ الْخَاطِبَةَ فِيهِ لَكَ ، وَلَا خُطَّةً أَذْنًا مِنْ خُطَّتِي ، لَوْلَا أَنَّهَا
فِي طَلَبِ رِضَاكَ (۳) . »

(زهر الآداب ۳ : ۳۸۲ ، وعيون الأخبار ۳ : ۱۰۵)

۱۳۸ - كتابه إلى سليمان بن وهب

وله إلى سليمان بن وهب يمزّيه عن أخيه الحسن :

« لئن أطنبتُ في وصف جلالته المصيبة بفلان ، لَأَجِدَنَّ مِنَ الْقَوْلِ مُسْتَعْرَضًا
فَيَبْعًا يَزِيدُ الْإِيمَانَ فِيهِ عَلَى غَايَتِهِ بَعْدًا ، وَلئن أسهبتُ في ذكر ثوابها - الذي إذا
خَطَرَتِ الدُّنْيَا لِأَقْلِهِ لَهَا كَانَتْ بِهِ وَفَاءً وَهُوَ تَبَعًا (۴) - لَأَجِدَنَّ أَرْحَبَ مِنْهُ مَذْهَبًا ،

(۱) نبا عنه : تبحر وتباعد ، والفرقة : الففلة .

(۲) وفي عيون الأخبار : الخسكة - بالضم - .

(۳) وفيه : « وإن كانت ذنوبي قد سدت عليك مسالك الصفح ، فأى موقف هو أذنا من هذا
الموقف ، لولا أن الخاطبة فيه لك ، وأى خطة هي أوهى بصاحبها من خطة أنا رآكها ، لولا أنها
في رضاك ؟ » . (۴) في الأصل هكذا : معا .

وأوسع مجالاً ومضطرباً ، فجعل الله حظَّ الصابرين المحتسبين ، الذين عرفوا
فساموا ، وأيقنوا فصبروا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، أخذاً بأدب الله الذي قرَن به
صلاته ورحمته ، ورحم الله فلانا رحمة تاتي من وراء زلله ، وتُعنى على قرطات لسانه
ويديه ، فلهذا ظمَن عن الدنيا محموداً مفقوداً ، قد أطل تفجع عشيره وخليئه ، وصدع
في قلبه ، وجأى جنبه ، وأعدمه سلوة العوض ، وراحة السكون إلى أحد .
وبعد ، فإن الرمض^(۱) والهلع إنما يكونان للمصيبة الخاصة التي لاتعدو صاحبها ،
ولا يجدُ مُسعداً عليها ، ولا شريكاً فيها ، وقد أعانك الله على مصيبتك بالواضح^(۲)
رحماً بك ، والبيد سبباً منك ، وجمع في ثقلِ حملها وألمِ فجعها صديقك وعدوك ،
وكلُّ مُكتسبٍ منها سرّاً بال وحشة ، ومُنطوي على دخيلِ حزن ، وناظرٌ من أعقابها
في منظرٍ وعرٍ ، فجميهم^(۳) فيها مشترك ، وأنت بالتعزى حقيقٌ قن^(۴) ، على أنها
لو خصتكَ لكان في علمك - بأن كل مصيبة سَلت من شائنةٍ تَنقِصُ نوابها فهي
النعمة الوافية ، وكل مصيبة تحيِّف^(۵) جزعها أجرها فهي الرزية الباقية - ما أغناك
وكفناك عن أن تعيش من غيرك ، أو تعوّل في حظك على سواك ، وأن يتخطى
الجزعُ نعمة الله عليك إلى قلبك ، أو يجتازها إلى عزمك ، اللهم إلا مالا تملكه
النفس في بدء الصدمة من لوعة الفرقة حتى تقسم أمرها ، وتصير إلى أخذ مالها
وترك ما عليها ، فتفتناً^(۶) بفوز قدحك ، وبغنم سهمك ، ويبني الله أثرك منهاجاً
لغيرك ، فقدماً وهب الله لك الخيرة في رأيك ، والتوفيق في إيرادك وإصدارك ،
فله الحمد ومفه المعونة على الشكر ، وبطوله يستحقُّ المزيد ، فإن رأيت أن تأمر

(۱) الرمض : حرقة الفيض .

(۲) وشجت بك قرابته كوعد : اشبكت ، والواشجة : الرحم المشدكة .

(۳) في الأصل « فمجالك » .

(۴) أي حقيق أيضاً ، بكسر الميم وفتحها وكأمر .

(۵) أي تنقص .

(۶) فتى : كفرح : انكسر غضبه ، وفي الأصل فتناً وربما كان « فتناً » .

بالكتاب إلى بما نفسى إليه متطلعةً ، وإليه مرجعى ، من صبرٍ إن كان عزم لك عليه ، أتخذك فيه إماما ، وأروح عن قلبى براحة قلبك . أو غيره (۱) - لا ابتلاك الله به - فأقضى فيه معك ، وأحلّ فيه محمّلتك ، فعلت إن شاء الله .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۹)

۱۳۹ - كتاب محمد بن مكرم إلى أبي العيناء

وكتب محمد بن مكرم إلى أبي العيناء .

« أما بعد ، فإنى لأعرف للمعروف طريقا أحزن (۲) ولا أوعر من طريقه إليك ، ولا مستودعا أقل زكاء (۳) ولا أبعد من ثمرة خير من مكانه عندك ، لأنه يحصل منك المعروف في حسب دنى ، ولسان بدى ، وجهل قد ملك عليك هينانك ، فالعروف لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، غايتك في المعروف أن تجزره (۴) ، وفي وائيه أن تكفره (۵) .

(المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۱۱)

۱۴۰ - فصول لابن مكرم

فصل له :

« إن من النعمة على المثنى عليك ألا يخاف الإفراط ، ولا يأمن التقصير ، ويأمن

(۱) معطوف على « صبر » .

(۲) أى أوعر ، من الحزن بالفتح : وهو ماغلظ من الأرض .

(۳) الزكاء : النماء والصلاح .

(۴) أى تقطعه وتتناصله . وفي الأصل « تخرزه » وهو تصحيف . وربما كان « تحقره » كما في العقد .

(۵) تقدم لك (في الجزء الثالث من ۳۸۱) أن صاحب العقد الفريد روى هذا الكتاب - بصورة

أخصر من ذلك - معزوا إلى أحمد بن يوسف . ولم أورد هنا رد أبي العيناء على ابن مكرم لما فيه من إغشاش صريح لا يليق نشره .

أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِيصَةُ الْكُذْبِ ، وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا ،
وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنْ الدَّاعِيَ لَا يَعْتَمِدُ (۱) كَثْرَةَ الْمُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ .

وفصل له :

« السيفُ العتيقُ إذا أصابه الصَّدَأُ ، استغنى بالقليل من الجلاء ، حتى تعود جدته
ويظهر فرندُه (۲) ، لاين طبيعته ، وكرم جوهره ، ولم أضفِ نفسى لك عَجَبًا بك
بل شكرًا . »

وفصل له :

« زاد معروفك عندى عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مُسْتَوْرٍ حَقِيرٍ ، وَعِنْدَ النَّاسِ مُشْهُورٍ
كَبِيرٍ (۳) . »

وكتب في التنصل :

« لاقِ عَظِيمَ أَمَلِي فِيكَ ، مَا تَبِتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذَنْبًا : مُخْطِئًا وَلَا مُتَعَمِّدًا ،
وَلَعَلَّ فَلْتَةً لَمْ أَلْقِ لَهَا بَالًا ، فَأَوْطَيْتُ لَهَا اعْتِدَارًا ، وَإِنْ تَكُنْ ، فَبُغْيَةٌ حَاصِدٍ زَخْرَفَهَا
عَلَى لِسَانِ وَاشٍ نَبَذَهَا إِلَيْكَ فِي بَعْضِ غِرَاتِكَ ، أَصَابَتْ مِنِّي مَقْتَلًا ، وَشَفَّتْ مِنْكَ
غَلِيلاً . »

(العقد الفريد ۲ : ۱۹۴ ، ۱۹۶)

(۱) في الأصل « لا يقدم » وهو تحريف .

(۲) فرند اليف : جوهره .

(۳) أخذه الشاعر فقال :

زاد معروفك عندى عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مُسْتَوْرٍ حَقِيرٍ
تَنَاسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتَهُ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مُشْهُورٌ كَبِيرٌ

وله :

« لا تتركني معلقاً بحاجتي ، فالصبر الجميل خيرٌ من المَطْل الطويل . »

وله :

« إنه يسهّل عليّ في طلب حاجتي إليك أمران في نفسي ، وأمران فيك فأما اللذان في نفسي فأني لست أضيقُ عنك بعذري ، ولا أصونُ عنك شكري . وأما اللذان فيك ، فسرورك إن أُجِدَّيتَ^(۱) ، وصحةُ عذرك إن أُكِدَّيتَ^(۲) . »

(اختيار المنظوم والمنثور : ۱۳ : ۳۹۳)

۱۴۱ - كتاب سعيد بن موسى إلى أبي شراعة

وكتب أبو شراعة^(۳) إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مُسَلِّم بن قُتَيْبَةَ يستهديه نبيذاً ، فكتب إليه سعيد :

« إذا سألتني - جعلني الله فداك - حاجةً فاشطُطْ ، واحتكِمِ فيها حكم الصبي على أهله ، فإن ذلك يسرّني وأصارع إلى إجابتك فيه . »
وأمر له بما التمس من الفبيذ ، فزجه صاحب شرابه وبعث به إليه .

۱۴۲ - ردّ أبي شراعة على سعيد بن موسى

فكتب إليه أبو شراعة :

« أستنسي^(۴) الله أجلك ، وأستعيذه من الآفات لك ، وأستعينه على شكر ما وهب من النعمة فيك ، إنه لذلك وليّ ، وبه مَلِيّ :

(۱) أجدي : أعطى . (۲) أكدي : بخل أو قل خيره أو قلل عطاءه .

(۳) هو أحمد بن محمد بن شراعة ، من بكر بن وائل ، شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية ، جيد الشعر ، وهو كالبديوي في مذهب ، وكان يتعاطى الرسائل والمحطبات مع شعره ، وكان صديقاً لإبراهيم ابن المدير أيام تفلده البصرة أثيراً عنده - انظر ترجمته في الأغاني ۲۰ : ۳۵ .

(۴) أي أسأله أن يطيل أجلك .

أتانى غلامك المبيعُ قدّه، السعيدُ بملكك^(۱) جدّه، بكتاب قرأته غير مُستكره
اللفظِ ولا مُزور^(۲) عن القصد، ينطق بحكمتك، ويُبين عن فضلك، فوالله ما أوضَحَ
لى خَبيّاً، ولا زادنى بك علماً، وإذا أنت تسأل فيه أن تَهَبَ، وتحب أن تُحمَدَ، ولا
غَرَو^(۳) أن تفعل ذلك، ومن كَتَبَ^(۴) أخذته، وعن كَلالة^(۵) وغير كَلالةٍ ورثته،
موسى أبوك، وسعيد جدك، وعمرُو عمك، ولك دار الصلّة ودار الضيافة، وصاحب
البغلة الشهباء^(۶)، وحُصَيْنُ بن الحُمام^(۷)، وعروة بن الورد^(۸) قفى أى غلوات^(۹) المجد
يطمع قرينك أن يستولى على المدى والأمدِ، والأمدُ دونك.

وَكتابك إلى أن أتحممَ عليك تحمّمُ الصبيّ على أهله، فَشَدَّ ماجررتَ إلى
معروفك، ودَلَّتَ على الأَنس بك، وحاشا للمحكوم له والمحكوم عليه فى ذات الحَسَبِ
العتيق^(۱۰)، والمنظر الأنيق، الذى يسرّ القلب، ويلأّم الرُوح، ويطرُدُ الهمَّ :
تَدِبُّ خِلالَ شُؤنِ الفتى دَبِيبَ دَبَا النملةِ المنتعشِ^(۱۱)

(۱) الملكة : الملك .

(۲) ازور : مال وانحرف ، والقصد استقامة الطريق .

(۳) لاغرو ولا غروى : لا عجب .

(۴) أى من قرب .

(۵) الكلاله : ما لم يكن من النسب لها ، قال الفرزدق : « ورثم قناه الملك لا عن كلاله » أى

ورثتموها ووراثه قرب لا ووراثه بعد ، قال عامر بن الطفيل :

وما سودتنى عامر عن كلاله أبى الله أن أسمو بأُم ولا أب

ومنه قولهم : هو ابن عم كلاله ، أى ببيد النسب ، فإذا أرادوا القرب قالوا هو ابن عم دنية

(بكسر الدال) .

(۶) شهباء ذات شهبه بالضم ، وهى بياض يصدعه سواد .

(۷) كان سيد بنى سهم بن مرة ، وكان يقال له : مانع الضيم ، وهو شاعر جاهلى مقل - انظر

ترجمته فى الأغاني ۱۲ : ۱۱۸ ، والشعر والشعراء ص ۲۴۷ .

(۸) شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وكان يلقب : عروة الصعاليك، لخطاه ،

وهو من بنى هبش - انظر ترجمته فى الأغاني ۲ : ۱۸۴ ، والشعر والشعراء ص ۲۶۰ .

(۹) الغلوة : الغاية قدر رمية سهم أبعد ما يقدر عليه، ويقال : هى قدر ثلثمائة ذراع الى أربعمائة ،

وقد تستعمل الغلوة فى سباق الخيل ، - وهو المقصود هنا - والمدى والأمد : الغاية .

(۱۰) يعنى الخمر .

(۱۱) الدبا : أصفر النمل .

إِذَا فُتِحَتْ فَعَمَّتْ رِيْحُهَا وَإِنْ سِيلَ حَمَارُهَا قَالَ: «خَش»^(۱)،
فَإِنْ كُنْتَ رَعَيْتَ لَهَا عَهْدًا، وَحَفِظْتَ لَهَا عِنْدَكَ يَدًا، فَانظُرْ رَبَّ الْخَانُوتِ^(۲)،
فَامْطُلُهُ دَيْنَهُ، وَاقْطَعِ السَّبَبَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَقَدْ أَسَاءَ صُحْبَتَهَا، وَأَفْسَدَ بِالْمَاءِ جُمْتَهَا^(۳)،
وَسَاطَ عَلَيْهَا عَدُوَهَا، وَاعْلَمْ بِأَنَّ أَبَاكَ الْمُتَمَثِّلَ بِقَوْلِهِ:

بَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا فَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ
وَقَدْ بَسَطَتْ قَدْرَتُكَ لِسَانَكَ، وَأَكْثَرْتَ لَكَ الْحَمْدَ، فَذُوْنِكَ مُهْرَةٌ^(۴) الْبَسِيحَةُ
مِنْهُ فَقَالَ:

وَبَادِرٌ بِمَعْرُوفٍ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا زَوَالَ افْتِقَارٍ أَوْ غِنَى عَنْكَ يُعْقِبُ
وَقَدْ بَعَثَتْ إِلَيْكَ بِقَرَابَةٍ^(۵) مَعَ الرَّسُولِ، وَأَنْشَأَتْ فِي إِثْرِهَا أَقْوَالَ:
إِلَيْكَ ابْنَ مُوسَى الْجُودِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي مُجَلَّلَةً يَضْفُو عَلَيْهَا جِلَالُهَا^(۶)
كَدُومُ الْوَجَى لَا تَشْتَكِي أَلَمَ الشَّرَى سِوَاهُ عَلَيْهَا مَوْتُهَا وَاعْتِلَالُهَا^(۷)
إِذَا شَرِبَتْ أَبْصَرَتْ مَا جَوْفُ بَطْنِهَا وَإِنْ ظَمِئَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهَا هَزَالُهَا
وَإِنْ سَحَتِ حِمْلًا تَكَلَّفُ حِمْلَهَا وَإِنْ حَطَّ عَنْهَا لَمْ أَبْلُ كَيْفَ حَالُهَا^(۸)
بَعَثْنَا بِهَا تَسْمُو الْعَيُونَ وَرَاءَهَا إِلَيْكَ، وَمَا يُخَشَى عَلَيْهَا كَلَالُهَا^(۹)
وَعَنَى مُغْنِينَا بِصَوْتِ فَشَاقِنِي مَتَى رَاجِعٌ مِنْ أُمِّ عَمْرٍو خِيَالُهَا

- (۱) فَعَمَّتْ الْعَيْبُ كُنْمٌ : سَدٌ خِيَاشِيْمَةٌ ، وَصَالٌ بِسَالٌ : لَفَةٌ فِي سَأْلِ الْمَهْمُوزِ ، وَخَشٌ : كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ تَفْسِيرُهَا : طَيْبٌ .
(۲) الْخَانُوتُ : دُكَّانُ الْحَمَارِ ، وَيُقَالُ : مَطَّلَهُ حَقَّهُ ، وَبِهِ .
(۳) وَرَبَّمَا كَانَتْ « حَسْبًا » .
(۴) الْمَهْرَةُ : الْفُرْصَةُ . (۵) أَيْ بِنْدَى قَرَابَةٍ .
(۶) الْجِلَالُ جَمْعُ جَلٍّ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ : وَهُوَ ، أَنْتَلِبُهُ الدَّابَّةُ لِتَصَانَ بِهِ ، وَجِلَّلَهَا : أَلْبَسَهَا الْجِلَّ ، وَثَوْبٌ ضَافٌ : أَيْ سَابِغٌ .
(۷) الْوَجَى : الْحَنَى أَوْ أَشَدُّ مِنْهُ ، وَالسَّرَى : سَبْرٌ عَامَةٌ اللَّيْلِ .
(۸) يُقَالُ : مَا بِالْيَتِّهِ وَمَا بِالْيَتِّهِ بِهِ : أَيْ لَمْ أَكْثَرْتْ بِهِ ، وَلَمْ أَبَالْ وَلَمْ أَبْلُ ، حَذَفُوا الْأَلْفَ تَخْفِيفًا لِكثْرَةِ الْاسْتِعْمَالِ .
(۹) الْكَلَالُ : الْإِعْيَاءُ .

أَحِبُّ لَكُمْ قَيْسَ بْنَ عَيْلَانَ كَلَّمَا وَيُعْجِبُنِي فُرْسَانُهَا وَرَجَالُهَا^(۱)
وَمَالِي لَا أَهْوَى بَقَاءَ قَبِيلَةٍ أَبُوكَ لَهَا بَدْرٌ وَأَنْتَ هَلَاكُهَا!
فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِرَسُولِهِ الَّذِي حَمَلَ إِلَيْهِ النَّبِيذَ ، وَبِصَاحِبِ شِرَابِهِ ، وَكُلِّ مَا كَانَ
فِي خَزَائِنِهِ مِنَ الشَّرَابِ ، وَبِثَلَاثَةِ دِينَارٍ .
(الأغاني ۲۰ : ۴۰)

۱۴۳ - كتاب البيعة المنتصر بالله

ومات المتوكل على الله سنة ۲۴۷ هـ فبويع ابنه المنتصر بالله بالخلافة ، وكانت نسخة
البيعة التي أخذت له :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : تُبَايِعُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْمُنْتَصِرَ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَبَيْعَةِ
طَوْعٍ وَاعْتِقَادٍ ، وَرِضَا وَرَغْبَةٍ ، بِإِخْلَاصٍ مِنْ سِرَائِرِكُمْ ، وَانْشِرَاحٍ مِنْ صُدُورِكُمْ ،
وَصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِكُمْ ، لَا مُكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، بِلِ مُقَرَّرِينَ عَالِمِينَ بِمَا فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ
وَتَأْكِيدِهَا ، مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ ، وَإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ وَحَقِّقِهِ ، وَمِنْ عُمُومِ صَالِحِ
عِبَادِ اللَّهِ ، وَاجْتِمَاعِ السَّكَّامَةِ ، وَلِمَ الشَّمْتِ ، وَسُكُونِ الدَّهْمِ^(۲) ، وَأَمْنِ الْعَوَاقِبِ ،
وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَقَمَعِ الْمُجْدِدِينَ ، عَلَى أَنْ مُحَمَّدًا الْإِمَامَ الْمُنْتَصِرَ بِاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ
الْمُقَرَّرُ عَلَيْكُمْ طَاعَتُهُ وَمَنَاصِحَتُهُ ، وَالْوَفَاءُ بِحَقِّهِ وَعَقْدِهِ ، لَا تَشْكُونَ وَلَا تُدْهِنُونَ^(۳)
وَلَا تَمِيلُونَ وَلَا تَرْتَابُونَ ، وَعَلَى السَّمْعِ لَهُ وَالطَّاعَةِ ، وَالْمَسَالَةِ وَالنُّصْرَةِ ، وَالْوَفَاءِ
وَالِاسْتِقَامَةِ ، وَالنَّصِيحَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْخُفُوفِ^(۴) وَالْوُقُوفِ عِنْدَ كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ
عَبْدُ اللَّهِ الْإِمَامُ الْمُنْتَصِرُ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلَى أَنْكُمْ أَوْلِيَاءَ أَوْلِيَائِهِ ، وَأَعْدَاءَ أَعْدَائِهِ

(۱) اَلِكَمْ أَى لِأَجَلِكُمْ ، وَفَيْسَ : هُوَ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ بْنِ مَضَرَ . وَالْمَعْنَى : أَحَبُّ جَمِيعِ الْعَرَبِ
الْمَضَرِيَّةِ لِأَجَلِكُمْ (وَسَعِيدُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ مِنْ بَاهِلَةَ ، وَهُوَ بَنُو مَالِكِ بْنِ أَعْمَرَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ) .
(۲) الدَّهْمُ : جَاعَةُ النَّاسِ .

(۳) الْإِدْهَانُ : إِظْهَارُ خِلَافِ مَا يُضْمَرُ ، وَالْفَشُّ .

(۴) الْخُفُوفُ : الْعَجَلَةُ وَسُرْعَةُ السَّيْرِ .

من خاصّ وعامّ ، وأبعد وأقرب ، وتمسّكون ببيعته بوفاء العقد ، وذمّة العهد ، سرائرُكم في ذلك مثلُ علانيتكم ، وضمائرُكم مثلُ السنّتكم ، راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين في عاجلكم وآجلكم ، وعلى إعطائكم أمير المؤمنين بعد تجديدكم بيعته هذه على أنفسكم ، وتأكيدكم إياها في أعناقكم ، صفةً أيمانكم راغبين طامعين عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونيّاتكم ، وعلى ألاّ تسعوا في نقضِ شيء مما أكّد الله عليكم ، وعلى ألاّ يميل بكم تميل^(۱) في ذلك عن نصرة وإخلاص ، ونصح ومُوالاة وعلى أن لا تبدّلوا ، ولا يرجع منكم راجع عن نيّته وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتكم بها السنّتكم وعهودكم ، بيعةً يطلع الله من قلوبكم على اجتيابها^(۲) واعتقادها ، وعلى الوفاء بدمته بها ، وعلى إخلاصكم في نصرتها ومُوالاة أهلها ، لا يشوب ذلك منكم دغل^(۳) ولا إذهان ، ولا احتيال ولا تأوّل ، حتى تلقوا الله موفين بعهده ، ومؤذنين حقه عليكم ، غير مستشرّفين^(۴) ولا تاركين ، إذ كان الدين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنّما يبايعون الله ، يدُ الله فوق أيديهم فمن نكث إنّما ينفكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا ، عليكم بذلك وبما أكّدت هذه البيعة في أعناقكم ، وأعطيتكم بها من صفة أيمانكم ، وبما اشترط عليكم بها ، من وفاء ونصر ومُوالاة واجتهاد ونصح ، وعليكم عهدُ الله إن عهده كان مستولا ، وذمّةُ الله وذمّةُ رسوله ، وأشدُّ ما أخذ على أنبيائه ورسله وعلى أحد من عباده من متأكّد وثائقه ، أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ولا تبدّلوا ، وأن تطيعوا ولا تمصّوا ، وأن تخلّصوا ولا ترتابوا ، وأن تمسّكوا بما عاهدتم عليه تمسّك أهل الطاعة بطاعتهم ، وذوى العهد والوفاء بوفائهم

(۱) ميل بالفتح مصدر كميل ، وبصح أن يكون بالضم ، اسم فاعل .

(۲) اجتياب : اختاره .

(۳) الدغل : الفساد .

(۴) استشرّفه حقه : ظلمه ، وسيأتي في كتاب البيعة للمعتمد غير مستريين .

وحنفهم ، لا يذنبتكم عن ذلك دوى ولا تميل ، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدى ،
 باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة ، بما جعلتم على
 أنفسكم ، لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها ، فمن نكث منكم ممن بايع
 أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه ، مسيراً أو مغليناً ، أو مصرحاً أو محتالاً ،
 فأدهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذت به موثيق أمير المؤمنين وعهود الله
 عليه ، مستعملاً في ذلك الهوى بنى دون الجِدِّ ، والرُّكُونِ إلى الباطل دون نُصرة الحق ،
 وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم ، فكلُّ ما يملك كلُّ
 واحد من خان في ذلك بشيء نقض عهده ، من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع
 صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله ، محرَّمٌ عليه أن يرجع شيء من ذلك إلى
 ماله ، عن حيلة يقدّمها لنفسه أو يَحْتالُ بها ، وما أفاد^(۱) في بقية عمره من فائدة مال بقاء
 خطراً ما أو يجرُّ قدرها ، فذاك سبيله إلى أن توافيه منيته ، ويأتي عليه أجله ، وكلُّ مملوك
 يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى ، أحرارٌ لوجه الله ، ونسأوه يوم يلزمه
 الحنث ، ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنة ، طوالق البتة طلاق الخرج^(۲) ،
 لا مثنوية^(۳) فيه ولا رجعة ، وعليه المشى إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة^(۴) لا يقبل
 الله منه إلا الوفاء بها ، وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريهان ،
 ولا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^(۵) ، والله عليكم بذلك شهيد ، وكفى بالله شهيداً .
 (تاريخ الطبرى ۷۱: ۱۱)

(۱) أى استفادة . (۲) انظر ص ۱۴۰ من الجزء الثالث .

(۳) أى لا استثناء . (۴) الحجة : السنة .

(۵) الصرف : التوبة ، والعدل : الفدية .

۱۴۴ - کتاب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وفي سنة ۲۴۸ أغزى المنتصر وصيفاً التركي - أحد كبار الموالى الأتراك - بلاد الروم، وكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين :

سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله .

أما بعد : فإن الله - وله الحمدُ على آلائه ، والشكرُ بجميل بآلائه - اختار الإسلام وفضله ، وأتمه وأكمله ، وجعله وسيلةً إلى رضاه ومثوبته ، وسبيلاً نهجاً^(۱) إلى رحمته ، وسبباً إلى مذكور كرامته ، فقهر له من خالفه ، وأذلّ له من عمّد عن حقه ، وابتغى غير سبيله ، وخصه بآتم الشرائع وأكملها ، وأفضل الأحكام وأعد لها ، وبعث به خيرته من خلقه ، وصفوته من عباده ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجعل الجهادَ أعظم فرائضه منزلةً عنده ، وأعلىها رتبةً لديه ، وأنجحها وسيلةً إليه ، لأن الله عز وجل أعرز دينه ، وأذلّ عبادة الشرك ، قال الله عز وجل آمرا بالجهاد ، ومفترضاً له : « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

وليست تتمضى بالجهاد في سبيل الله حال لا يكابد في الله نصيباً ولا أذى ، ولا يُنفق نفقةً ، ولا يقارع عدواً ، ولا يقطع بلداً ، ولا يعا أرضاً ، إلا وله بذلك أمرٌ مكتوبٌ ، وثوابٌ جزيلٌ ، وأجرٌ مأمولٌ ، قال الله عز وجل : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيدُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا نَخْمَةٌ^(۲) فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّأُونَ مَوْطِئًا

(۲) النخمة : الجماعة .

(۱) النهج : الطريق الواضح .

يَفِيضُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ثم أثنى عز وجل بفضل منزلة المجاهدين على القاعدین عنده ، وما وَعَدَهُم من جزائه ومَثُوبته وما لهم من الزُّلْفَى عنده فقال : « لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الصَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » .

فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وجعل جَنَّتَهُ تَمَنَّا لَهُمْ ، ورضوانه جزاء لهم على بذلها وَعَدًّا مِنْهُ حَقًّا لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَحُكْمًا عَدْلًا لَا تَبْدِيلَ لَهُ ، قال الله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » وحكم الله عز وجل لأحياء المجاهدين بنصره ، والفوز برحمته ، وأشهد لموتهم بالحياة الدائمة ، والزُّلْفَى لديه ، والحظ الجزيل من ثوابه ، فقال : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

وليس من شيء يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم ، ويسعون به في حطِّ أوزارهم ، وَفَكَكٌ^(۱) رقاہم ، ويستوجبون به الثواب من ربهم ، إلا والجهاد عنده أعظم منه منزلة ، وأعلى لديه رتبة ، وأولى بالفوز في العاجلة والآجلة ، لأن

(۱) فكَك الرمن بالفتح ويكسر : مايفتك به .

أهلہ بذلوا لله أنفسهم ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وسمعوا بها دون من وراءهم من إخوانهم وحریم المسلمین وبيضتہم ، ووقوا (۱) بجہادہم العدو .

وقد رأى أمير المؤمنين - إنا يحبه من التقرب إلى الله بجہاد عدوه ، وقضاء حقه عليه فيما استحفظه من دينه ، والتماس الزلفى له في إعزاز أوليائه ، وإحلال البأس والنقمة بمن حاد عن دينه ، وكذب رسله ، وفارق طاعته - أن ينهض « وصيفاً » مؤلى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة الروم غازياً ، إنا عرف الله أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ، ومحمود تعبته ، وخلص نيته في كل ما قر به من الله ومن خليفته .

وقد رأى أمير المؤمنين - والله ولي مؤنته وتوفيقه - أن يكون موافقاً « وصيفاً » فيمن أنهض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنده وشاكريته (۲) نفر ماطية (۳) ، لائذتى عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وذلك من شهور المعجم للنصف من حزيران ، ودخوله بلاد أعداء الله في أول يوم من تموز .

فأعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عمالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا ، ومُرهم بقراءته على من قبيلهم من المسلمين ، وترغيبهم في الجهاد وحثهم عليه ، واستنفارهم إليه ، وتعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهلہ ، ليعمل ذوو النيات والحسبة والرغبة في الجهاد على حسب ذلك في النهوض إلى عدوهم ، وألحفوف إلى معاونة إخوانهم ، والذيادة عن دينهم ، والرمى من وراء حوزتهم ، بموافقة عسكر « وصيفاً »

(۱) أى أذلوا وقهروا .

(۲) الشاكرى : الأجير والمستخدم .

(۳) قال ياقوت في معجمه « ماطية » بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء وتخفيف الياء ، والعامية تقولہ ابيشديد الياء وكسر الطاء : بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تناخم الشام .

مولیٰ امیر المؤمنین مَلَطِیَّةَ فی الوقت الذی حدّہ امیرُ المؤمنین لهم إن شاء الله ،
والسلام علیک ورحمة الله وبرکاته .

وكتب أحمد بن الخصب^(۱) لسبع لیلٍ خلّون من المحرم سنة ثمانٍ وأربعین ومائتین .
(تاریخ الطبری ۱۱ : ۷۴)

۱۴۵ - رقعة المعتز والمؤید فی خلع أنفسهما من البيعة

وسعی الأتراكُ سَعِيَهُمْ - بتدبير الوزير أحمد بن الخصب - لدى المنتصر ،
فی أن یخلع أخو به أبی عبد الله المعتز وإبراهیم المؤید من الخلافة ، فلم یزالوا به حتى
فعل ، واستكتبَ كلا منهما رُقعةً بخطه أنه خلع نفسه من البيعة ، وقاما فیمن اجتمع
من وُجوه الناس فأعلنّا ذلك لهم ، وكانت النسخة التي كتبها .

« بسم الله الرحمن الرحيم : إن أمير المؤمنين المتوكل على الله رضی الله عنه قلّدي
هذا الأمر ، وبایع لی وأنا صغير ، من غير إرادتی ومحبتی ، فلما فهمتُ أمری علمت
أني لا أقومُ بما قلّدي ، ولا أصلحُ لخلافة المسلمين ، فمن كانت بیعتی فی عنقه فهو
مِن نَقْضِهَا فی حِلٍّ ، وقد حللتکم منها ، وأبرأتکم من أیمانکم ، ولا عهد لی
فی رقابکم ولا عقد ، وأنتم برّآه من ذلك » .

وكان الذی قرأ الرقعة أحمد بن الخصب ، ثم قام كل منهما فقال لمن حضر :
هذه رقتی وهذا قولی ، فاشهدوا علیّ ، وقد أبرأتکم من أیمانکم وحللتکم منها ؛
فقال لهما المنتصر عند ذلك : قد خار الله لكما وللمسلمين .

(تاریخ الطبری ۱۱ : ۷۷)

(۱) كان وزيراً للمنتصر - انظر خبره فی الفخری ص ۲۱۷ و مروج الذهب ۲ : ۴۹۹ .

۱۴۶ - کتاب المنتصر بخلع المعتر والمؤید

وكتب المنتصر كتابا إلى العمال بتمامهما ، وهذه نسخة كتابه إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر في ذلك :

« من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين .

أما بعد ، فإن الله - وله الحمد على آلائه ، والشكرُ بجميل بآلائه - جعل ولاةَ الأمر ، من خلفائه القائمين بما بَعَثَ به رسوله صلى الله عليه وسلم ، والذائين عن دينه ، والداعين إلى حقه ، والمُضِين لأحكامه ، وجعل ما اختصهم به من كرامته قواما لعباده ، وصلاحا لبلادهم ، ورحمةً عَمَّرَ بها خَلْقَهُ ، وافترض طاعتهم ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأوجبها في مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ ، لِما جَمَعَ فيها من سُكُونِ الدِّهْمَاءِ ، وَأَسَاقِ الْأَهْوَاءِ ، وَلَمَّ الشَّعَثَ ، وَأَمِنَ السُّبُلَ وَوَقَمَ الْعُدُو ، وَحَفِظَ الْحَرِيمَ ، وَسَدَّ الثُّغُورَ ، وَانْتَظَمَ الْأُمُورَ ، فَقَالَ : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ » فَمِنَ الْحَقِّ عَلَى خَلَفَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ حَبَّأَهُمْ بِعَظِيمِ نِعْمَتِهِ ، وَاخْتَصَّ بِأَعْلَى رُتَبِ كَرَامَتِهِ ، وَاسْتَحْفَظَهُمْ فِيما جَعَلَهُ وَصِيْلَةً إِلَى رَحْمَتِهِ ، وَسَبِيحا لِرِضاهِ وَمَثُوبَةً ، أَنْ يُؤَثِّرُوا طَاعَتَهُ فِي كُلِّ حَالٍ تَصَرَّفَتْ بِهِمْ ، وَيُقِيمُوا حَقَّهُ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ مِنْهُمْ ، وَأَنْ يَكُونَ مَحَلُّهُمْ مِنَ الْاجْتِهَادِ فِي كُلِّ ما قَرَّبَ مِنْ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ حَسَبَ مَوَاقِعِهِمْ مِنَ الدِّينِ ، وَوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ مَسْأَلَةً ، رَغْبَةً إِلَيْهِ وَتَذَلُّلاً لِعِظَمَتِهِ ، أَنْ يَتَوَلَّاهُ فِيما اسْتَرْعَاهُ ، وَوَلَايَةَ يَجْمَعُ إِهْ بِها صِلَاحَ ما قَلَدَهُ ، وَيَحْمِلُ عَنْهُ أَعْيَاءَ ما حَمَلَهُ ، وَيُعِينُهُ بِتَوْفِيقِهِ عَلَى طَاعَتِهِ ، إِنَّهُ حَمِيمٌ قَرِيبٌ .

وقد علمت ما حضرت من رفع أبي عبد الله وإبراهيم ابني أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين رُفَعَتَيْنِ بخطوطهما يذكران فيهما ما هرّفهما الله من عطف أمير المؤمنين عليهما ورأفته بهما ، وجميل نظره لهما ، وما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله عقده لأبي عبد الله من ولاية عهد أمير المؤمنين ، وإبراهيم من ولاية العهد بعد أبي عبد الله ، وأن ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفلاً لم يبلغ ثلاث سنين ، ولم يفهم ما عقده له ، ولا وقف على ما قلده ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحلم ، ولم تجر (۱) أحكامهما ، ولا جرت أحكام الإسلام عليهما ، وأنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووقفنا على عجزهما عن القيام بما عقده لهما من العهد ، وأسند إليهما من الأعمال ، أن ينصحا لله ولجماعة المسلمين ، بأن يُخْرِجَا من هذا الأمر الذي عقده لهما أنفسهما ، ويعتزلا الأعمال التي قلداها ، ويجعلا كل من في عنقه لهما بيعة وعايه يمين ، في حل ، إذ كانا لا يقومان بما رُشِحَا له ، ولا يصلحان لتقلده ، وأن يُخْرِجَا مَنْ كان ضمّاً إليهما ممن في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين ومواليه وغلمانته وجنده وشاكريته وجميع من مع أولئك القواد بالخضرة وخراسان وسائر النواحي عن رؤسومهما ، وبزوال عنهم جميعاً ذكر الضم إليهما ، وأن يكونا سوقة (۲) من سرق المسلمين وعاقبتهم ، ويصيفان ما لم يزالا يذكران لأمر المؤمنين من ذلك ، ويسألانه فيه ، منذ أفضى الله بخلافته إليه ، وأنهما قد خآما أنفسهما من ولاية العهد وخرجا منها ، وجعلا كل من لهما عايه بيعة ويمين ، من قواد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيته قريبتهم وبعيدهم ، وحاضرهم وغائبهم ، في حل وسعة من بيعتهم وأيمانهم ، ليخلعوهما كما حلما أنفسهما ، وجعلا لأمر المؤمنين على أنفسهما عهد الله وأشد ما أخذ على ملائكته وأنبيائه وعباده من

(۱) وربما كان « ولم تجر » .

(۲) السوقة : الرعية ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وقد يجمع على سوق بضم فتح .

عهد وميثاق ، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليهما من الأيمان ، بإقامتهما على طاعته
ومناصحته وموالاته في السر والعلانية ، وبسالان أمير المؤمنين أن يظهر ما فعلاه
وينشره ، ويحضر جميع أوليائه لسمعوا ذلك منهما ، طالبين راغبين ، طائعين غير
مكرهين ولا مجبرين ، ويقرأ عليهم الرقعتان اللتان رفعاهما بخطوطهما ، بما ذكرنا
من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد وهما صبيان ، وخلصهما أنفسهما بعد بلوغهما ،
وما سألنا من صرفهما عن الأعمال التي يتوليانيها ، وإخراج من كان بها ممن ضم
إليهما في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين وجنده وغلمانة وشاكريته وجميع من مع
أوائك القواد بالخضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما ، وإزالة ذكر الضم
إليهما عنهما ، وأن يكتب الكتاب بذلك إلى جميع عمال النواحي ، وأن أمير المؤمنين
وقف على صدقهما فيما ذكرنا ورفعا ، وتقدم في إحضار جميع إخوته ، ومن بحضرتهم من
أهل بيته وقواده ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكريته وكتابه وقضاته والفقهاء
وغيرهم وسائر أوليائه الذين كانت وقعت البيعة لهما بذلك عليهم . وحضر أبو عبد الله
وإبراهيم ابنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه ، وقرئت رقعتاهما بخطوطهما بحضرتهم
في مجلس أمير المؤمنين عليهما وعلى جميع من حضر ، وأعادنا من القول بعد قراءة الرقعتين
مثل الذي كتبنا به ، ورأى أمير المؤمنين أن يجمع في إجابتهما إلى نشر ما فعلاه
وإظهاره وإمضائه ذلك ، قضاء حقوق ثلاثة : منها حق الله عز وجل فيما استحفظه من
خلافته ، وأوجب عليه من النظر لأوليائه فيما يجمع لهم كلمتهم في يومهم وغداهم ،
ويؤلف بين قلوبهم ، ومنها حق الرعية الذين هم ودائع الله عنده ، حتى يكون التقاد
لأمورهم من يراعيهم آناء الليل والنهار ، بعنايته ونظيره وتفقدته وعدله ورأفته ، ومن
يقوم بأحكام الله في خلقه ، ومن يضطلع بثقل (١) السياسة وصواب التدبير ، ومنها حق
أبي عبد الله وإبراهيم فيما يوجبه أمير المؤمنين لهما بأخوتهم وماس رحمة ، لأنهما
لو أقاما على ما خرجا منه ، مع عجزهما عنه ، لم يؤان تأدى ذلك إلى ما يعظم في الدين

(١) الثقل : الحمل ، واضطاع به : قوى على عمله .

ضرره ، ويعمُّ المسلمين مكروهه ، ويرجع عليهما عظيمُ الوزرِ فيه ، فخلعهما أمير المؤمنين إذ خلعا أنفسهما من ولاية العهد ، وخلعهما جميعُ إخوة أمير المؤمنين ومن بحضرتة من أهل بيته ، وخلعهما جميعُ من حضر من قواد أمير المؤمنين ومواليه وشيخته ورؤساء جنده وشاكريته وكتابه وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين ، الذين كانت أخذت لهما البيعة عليهم ، وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك إلى جميع العمال ، ليمتدوا في العمل بحسب ما فيها ، ويخلعوا أبا عبد الله وإبراهيم من ولاية العهد ، إذ كانا قد خلعا أنفسهما من ذلك ، وحالًا الخاصَّ والعامَّ ، والحاضرَ والغائبَ ، والدانيَ والقاصيَ منه ، ويُسقطوا ذكْرهما بولاية العهد ، وذِكْر ما نُسب إليه من نسب ولاية العهد ، من المعتز بالله والمؤيد بالله من كتبهم وأفظهم ، والدعاء لهما على المنابر ، ويُسقطوا كلَّ ما ثبت في دواوينهم من رسوميها القديمة والحديثة الواقعة على من كان مضمومًا إليهما ، ويُزيلوا ما على الأعلام والمطارد^(۱) من ذكْرهما ، وما وُسمت به دوابُّ الشاكريَّة والرَّابطة من أسمائهما ، وتخلَّك من أمير المؤمنين وحالك عنده على حسب ما أخاص الله لأمر المؤمنين من طاعتك ومناصحتك وموالياتك ومشايعتك ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك ، وما عرف الله أمير المؤمنين من طاعتك ، ويُمن نعيمك^(۲) ، واجتهادك في قضاء الحق ، وقد أفردك أمير المؤمنين بقيادتك ، وإزالة الضمِّ إلى أبي عبد الله عنك ، وعمَّن في ناحيتك بالحضرة وسائر النواحي ، ولم يجعل أمير المؤمنين بينك وبينه أحدًا برأسك ، وخرج أمره بذلك إلى ولاة دواوينه . فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وأوعز إليهم في العمل على حسبه إن شاء الله والسلام .

(۱) المطارد كعب : رمح قصير يطرد به .

(۲) النعيبة : النفس .

وكتب أحمد بن الخصب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .
(تاريخ الطبري ۱۱ : ۷۷)

۱۴۷ - كتاب البيعة للمعتز بالله

وتوفي المنتصر بالله سنة ۲۴۸ هـ فولي الخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم ، وأُتِبَ بالمستعين بالله ، وفي عهده قويت شوكة الأتراك .

وفي سنة ۲۵۱ انحدر المستعين من سامرا^(۱) إلى بغداد ، وما لبث الأتراك أن ثاروا به ، وأخرجوا المعتز^(۲) بالله وبايعوه ، وكانت نسخة بيعته^(۳) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، تَبَايَعُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْإِمَامَ الْمُعْتَزَّ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِيَعَةَ طَوْيِعٍ وَاعْتِقَادٍ ، وَرِضًا وَرَغْبَةً وَإِخْلَاصٍ مِنْ سَرَائِرِكُمْ ، وَأَنْشِرَاحٍ مِنْ صُدُورِكُمْ ، وَصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِكُمْ ، لَا مُكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، بِلِ مَقْرَرِينَ عَالِمِينَ بِمَا فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَتَأْكِيدِهَا مِنْ تَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ، وَإِعْزَازِ حَقِّهِ وَدِينِهِ ، وَمِنْ عُحُومِ صَلَاحِ عِبَادِ اللَّهِ ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ ، وَتَمَّ الشَّمْتِ ، وَسُكُونِ الدَّهْمِ ، وَأَمْنِ الْعَوَاقِبِ ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَقَمْعِ الْمُتَجَدِّدِينَ ، عَلَى أَنْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزَّ بِاللَّهِ ، عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ ، الْمَفْتَرَضُ عَلَيْكُمْ طَاعَتُهُ وَنَصِيحَتُهُ ، وَالْوَفَاءُ بِحَقِّهِ وَعَهْدِهِ ، لَا تَشْكُونَ وَلَا تُدْهِنُونَ وَلَا تَمِيلُونَ وَلَا تَرْتَابُونَ ، وَعَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْمُشَاطِعَةِ وَالْوَفَاءِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالنَّصِيحَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَأُخْلُوفِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْإِمَامُ الْمُعْتَزَّ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ مَوَالِيَةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَمُعَادَاةِ أَعْدَائِهِ ، مِنْ خَاصَّةٍ وَعَامَّةٍ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، مَتَمِّكِينَ بِيَعَتِهِ بِوَفَاءِ الْعَقْدِ ، وَذِمَّةِ الْعَهْدِ ، سَرَائِرُكُمْ فِي ذَلِكَ كَعَلَانِيَتِكُمْ ،

(۱) سامرا لفة في سر من رأى ، وقد قدمنا كلمة عنها في ص ۱۳۴ .

(۲) وكان المعتز والمؤيد في حبس في الجوسق (أي القصر) في حجرة صغيرة ، مع كل واحد منهما غلام يخدمه ، موكل بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بلبان ، ومعه عدة من الأعوان .

(۳) هي نسخة بيعة المنتصر مع تنبير لطيف ويظهر أنه من التاسع .

وَضَمَائِرُكُمْ فِيهِ كَثَلُ أَلْسِنَتِكُمْ ، رَاضِينَ بِمَا يَرْضَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ بَيْعَتِكُمْ هَذِهِ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَتَأْكِيدِكُمْ إِيَّاهَا فِي أَعْنَاقِكُمْ ، صَفْقَةً ، رَاغِبِينَ طَائِعِينَ ، عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ
قُلُوبِكُمْ وَأَهْوَانِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ ، وَبِوَلَايَةِ عَهْدِ الْمَسَلِينَ لِإِبْرَاهِيمَ الْوَالِدِ بِاللَّهِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَعَلَى الْأَلَّا تَسْمَعُوا فِي نَقْضِ شَيْءٍ مِمَّا أَكَّدَ عَلَيْكُمْ ، وَحَلَى أَنْ لَا تَمِيلَ بِكُمْ فِي ذَلِكَ تَمِيلٌ
عَنْ نَصْرَةٍ وَإِخْلَاصٍ وَمُوَالَاةٍ ، وَعَلَى الْأَلَّا تُبَدِّلُوا وَلَا تَغَيِّرُوا ، وَلَا يَرْجِعَ مِنْكُمْ رَاجِعٌ
عَنْ بَيْعَتِهِ وَانطِوَاءِهِ إِلَى غَيْرِ عِلَانِيَتِهِ ، وَعَلَى أَنْ تَكُونَ بَيْعَتُكُمْ الَّتِي أُعْطِيْتَهُمْهَا بِالْأَلْسِنَتِكُمْ
وَعَهْدِكُمْ بَيْعَةً يَطَّلِعُ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِكُمْ عَلَى اجْتِبَائِهَا وَاعْتِمَادِهَا ، وَعَلَى الْوَفَاءِ بِذِمَّةِ اللَّهِ فِيهَا
وَعَلَى إِخْلَاصِكُمْ فِي نَصْرَتِهَا وَمُوَالَاةِ أَهْلِهَا ، لَا يَشُوبُ ذَلِكَ مِنْكُمْ نِفَاقٌ وَلَا إِدْهَانٌ ، وَلَا تَأْوِيلٌ ،
حَتَّى تَتَّقُوا اللَّهَ مُؤَفِّينَ بِهِدَاهِ ، مُؤَدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، غَيْرَ مُسْتَرِيْبِينَ وَلَا نَاكُثِينَ ،
إِذْ كَانَ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ مِنْكُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَيْعَةَ خِلَافَتِهِ وَوَلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِإِبْرَاهِيمَ
الْوَالِدِ بِاللَّهِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ
نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا
عَظِيمًا ، عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ وَبِمَا أَكَّدْتُ عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ فِي أَعْنَاقِكُمْ ، وَأُعْطِيْتُمْ بِهَا
مِنْ صَفْقَةِ أَيْمَانِكُمْ ، وَبِمَا اشْتَرِطْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ وَفَاءٍ وَنَصْرَةٍ وَمُوَالَاةٍ وَاجْتِهَادٍ ، وَعَلَيْكُمْ
عَهْدُ اللَّهِ ، إِنْ عَاهَدَ كَانَ مَسْتَوْلًا ، وَذِمَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ وَعَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ مَوَاكِيدِهِ وَمَوَاقِيْقِهِ ، أَنْ
تَسْمَعُوا مَا أَخَذَ عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ ، وَلَا تَبَدِّلُوا وَلَا تَمِيلُوا ، وَأَنْ تَمَسَّكُوا بِمَا
عَاهَدْتُمْ اللَّهَ عَلَيْهِ تَمَسُّكُ أَهْلِ الطَّاعَةِ بِطَاعَتِهِمْ ، وَذَوِي الْوَفَاءِ وَالْعَهْدِ بِوَفَائِهِمْ ، لَا يَلْفِتِكُمْ
عَنْ ذَلِكَ هَيْئٌ وَلَا مِيلٌ ، وَلَا يُزَيِّغُ قُلُوبَكُمْ نِقْمَةٌ أَوْ ضَلَالَةٌ عَنْ هُدًى ، بِأَذَانٍ فِي ذَلِكَ
أَنْفُسَكُمْ وَاجْتِهَادَكُمْ ، وَمَقَدِّمِينَ فِيهِ حَقَّ الدِّينِ وَالطَّاعَةِ وَالْوَفَاءِ بِمَا جَعَلْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ،
لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكُمْ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ إِلَّا الْوَفَاءَ بِهَا ، فَمَنْ نَكَثَ مِنْكُمْ مِنْ بَايِعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمَسَلِينَ أَخَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ ، عَلَى مَا أَخَذَ عَلَيْكُمْ ، مُسِرًّا أَوْ مُعْلِنًا ،

مُصْرَحًا أَوْ مُحْتَالًا أَوْ مُتَاوَلًا ، وَأُذْهَنَ فِيهَا أُعْطِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَفِيهَا أُخِذَ عَلَيْهِ مِنْ
 ، وَاتَّبَعَ اللَّهُ وَعَهْدَهُ ، وَزَاغَ عَنِ السَّبِيلِ الَّتِي يَعْتَمِدُ بِهَا أُولُو الرَّأْيِ ، فَكُلُّ مَا يَمْلِكُ
 كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِنْ خَيْرٍ (۱) فِي ذَلِكَ مِنْكُمْ عَهْدُهُ ، مِنْ مَالٍ أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائِمَةٍ أَوْ زَرْعٍ
 أَوْ ضَرْعٍ ، صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ فِي وَجْهِ سَبِيلِ اللَّهِ ، مُحْبَسٌ مُحْرَمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ
 شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَالِهِ ، عَنْ حِيلَةٍ يَدْعُهَا لِنَفْسِهِ أَوْ يَحْتَالُ لَهَا بِهَا ، وَمَا أَفَادَ فِي بَقِيَةِ عَمْرِهِ
 مِنْ فَائِدَةٍ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهَا أَوْ يَجِلُّ ، فَذَلِكَ سَبِيلُهَا إِلَى أَنْ تَوَافِيَهِ مَنِيَّتُهُ ، وَيَأْتِيَ عَلَيْهِ أَجَلُهُ
 وَكُلِّ مَمْلُوكٍ يَمْلِكُهُ الْيَوْمَ وَإِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أَتَى ، أَحْرَارٌ لَوْجَهُ اللَّهُ ،
 وَنِسَاءٌ يَوْمَ يَلْزَمُهُ فِيهِ الْحِنْتُ وَمَنْ يَتَزَوَّجُ بَعْدَهُنَّ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً ، طَوَائِقُ طُلَاقٍ
 الْحَرَجِ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ إِلَّا الْوَفَاءَ بِهَا ، وَهُوَ بَرٌّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ
 مِنْهُ بَرِيئَانِ ، وَلَا قَبِيلَ اللَّهِ مِنْهُ صَرَفًا وَلَا عَدْلًا ، وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَلَا حَوْلَ
 وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۹۸)

۱۴۸ - كتاب عن محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد

(كتبه سعيد بن حميد)

ولما بايع الأتراك المعتز بسامراء ، أمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين
 بغداد ، فتقدم في ذلك ، وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكل على حرب المستعين
 وابن طاهر وولاه ذلك ، فصار إلى بغداد في جمع من الأتراك والمغاربة ، فصدم ابن
 طاهر وأوقع بهم ودارت عليهم الدائرة .

وأمر ابن طاهر سعيد بن حميد فكتب كتابا يذكر فيه هذه الواقعة ، فقرأ
 على أهل بغداد في مسجد جامعها ، ونسخته :

(۱) الحتر : الفدر والحديعة أو ألبح الفدر ، وفعله كضرب ونصر .

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحدٌ شكرَ نعمته ،
والقادر فلا يعارضُ في قدرته ، والعزيز فلا يذلُّ في أمره ، والحكيم العدل فلا يردُّ
حُكمه ، والناصر فلا يكون نصره إلا للحق وأهله ، والمالك لكل شيء فلا يخرج
أحدٌ عن أمره ، والهادي إلى سبيل رحمته فلا يضلُّ من انقادَ لطاغته ، والمقدم
إعذاره ليظاھرَ به حجَّته ، الذي جعل دينه لعباده رحمةً ، وخلافته لدينه دِصمةً ، وطاعة
خلفائه فرضا واجبا على كافة الأمة ، فهم المستحفظون في أرضه على ما بعث به رساله ،
وأمنائوه على خلقه فيما دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج حقه ، اثلا تتشعب
بهم الطُّرق المخالفة لسبيله ، والهادون لهم إلى صراطه ، ليجمعهم على الجادة^(۱) التي
ندب إليها عباده ، بهم محيي الدين من البغاة الطاغين ، وحفظت معالم الحق من
الغواية المخالفين ، محتجِّين على الأمم بكتاب الله الذي استعملهم به ، ورُعاةً للأمر بحق الله
الذي اختارهم له ، إن جادلوا كانت حجة الله معهم ، وإن حاربوا حُكم بالنصر
لهم ، وإن جامدوا كانت في طاعة الله نصرهم ، وإن بفاهم عدو كانت كفاية^(۲)
الله حائلة دونهم ، ومغفلا لهم ، وإن كادهم كائد فالله من وراء عوثهم ، نصَّبهم الله
لإعزاز دينه ، فمن عاداهم فإنما عادى الدين الذي أعزَّه وحرسه بهم ، ومن ناوَاهم^(۳)
فإنما طعن على الحق الذي يكلِّوه بحراستهم . جيوشهم بالرَّعب^(۴) منصوره ، وكتائبهم
بسلطان الله من عدوهم مُحوطة^(۵) ، وأيديهم بذبَّها عن دين الله عالية ، وأشياءهم
بتناصرهم في الحق غالبية ، وأحزابُ أعدائهم بغيرهم مضمومة^(۶) ، وحجَّتهم عند الله
وعند خلقه داخضة^(۷) ، ووسائيلهم إلى النصر مردودة ، وأحكامُ الله بخذلانهم واقعة

(۱) الجادة : الطريق الواضح ، وندبه إلى الأمر كنصر : دعاه وحثه .

(۲) وفي المنظوم والمنثور « نكابة » .

(۳) ناواه : عاداه ويكلِّوه : يحرصه ويحفظه .

(۴) وفي الطبری « بالنصر والعز » .

(۵) وفيه « محفوفة » وأيديهم عن دين الله دافعة » . (۶) قعه كنعه : أهره وأذله .

(۷) دحضت الحججة كنع : بطلت ، وفي الطبری « راحضة » وهو تحريف .

وأقداره بإسلامهم إلى أوليائه جارية ، وعادته فيهم وفي الأمم السالفة والقرون الخالية ماضية ، ليكون أهل الحق على ثقة من إنجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجوجين بما قدّم إليهم من الإنذار ، مُعَجَّلَةً لهم نعمة الله بأيدي أوليائه ، مُعَدًّا لهم العذاب عند ربهم ، والخزي موصول بنواصيهم في دنياهم ، وعذاب الآخرة من ورأسهم ، وما الله بظلام للعبيد ، وصلى الله على نبيه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، والمنقذ من الضلالة إلى الهدى ، صلاة تامّة نامية بركاتها ، دائماً اتصالتها ، وسلم تسليماً ، والحمد لله تواضعاً لتعظيمه ، والحمد لله إقراراً برؤوبيته ، والحمد لله اعترافاً بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته ، والحمد لله الهادي إلى تحمده ، والموجب به مزيدة ، والمحصي به عوائد إحسانه ، تحمداً يرضاه ويتقبله ، ويوجب طوله وإفضاله ، والحمد لله الذي حكم بالخذلان على من بغى على أهل دينه ، وسبق وعده بالنصر لمن بغى عليه من أنصار حقه ، وأنزل بذلك كتابه العزيز موعظة للباغين ، فإن أقاموا كانت التذكرة نافعة لهم ، والحجة عند الله لمن قام بها فيهم ، ثم أوجب بعد التذكرة والإصرار جهادهم ، فقال فيما قدّم من وعده ، وأبان من برهانه : « وَمَنْ بَغَى عَلَيَّ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ » وَعَدَا مِنْ اللَّهِ حَقًّا ، نَهَى بِهِ أَعْدَاءَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَثَبَّتَ بِهِ أَوْلِيَائَهُ عَلَى سَبِيلِهِ ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ .

والله عند أمير المؤمنين - في رئيس دعوته ، وسيف دولته ، والمحامي عن سلطانه ، ومحل ثقة ، والمتقدم في طاعته ونصيحته لأوليائه ، والذاب عن حقه ، والقائم بمجاهدة أعدائه ، محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين - نعمة يرغب إلى الله في إتمامها ، والترفيق لشكرها ، والتطول بمن أراد المزيد فيها ، فإن الله قدر لآبائه القيام بالدعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين ، ثم جمع له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية ، حين حاول

أعداء الله أن يَطْمِسُوا معالمَ دينه وَيَعْفُوا^(١) ، فقام بحق الله وحق خليفته ، مُحامياً عنها ، ومُرَامياً مِنْ ورائها ، متناوِلاً للبعيد برأيه ونظريه ، مباشِراً للقريب بإشرافه وتفقدِهِ ، باذِلاً نفسه في كل ما قرَّبَهُ من الله ، وأوجب له الزُّلفَةَ عنده ، وسيمنعُ الله أمير المؤمنين به وَإِيّاً مُكَانِفًا^(٢) على الحق ، وناصراً مُوازِراً على الخير ، وظهيراً مُجاهداً لعدوِّ الدين .

وقد علمت ما كان كتابُ أمير المؤمنين تقدّم به إليكم فيما أحدثته الفرقةُ الضالّةُ عن سبيل ربها ، المفارقةُ لِامصمةِ دينها ، الكافرةُ بنعم الله ، ونعم خليفته عندها ، للمباينةُ لجماعةِ الأمة التي أَلَّفَ اللهُ بِخلافَتِهِ نِظامَهَا ، المحاولَةُ لِتشتيتِ الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثةُ لبيعتِهِ ، الخالعةُ لِرَبِيقَةِ^(٣) الإسلام من أعناقها ، الموالِي الأتراك وما صارت إليه من نَصَبِ الغلام المعروف بأبي عبد الله بن المتوكل لإمامتها^(٤) ، عند مَصِير أمير المؤمنين إلى مدينة السلام ، محلَّ سلطانه ، ومجتمعِ أنصاره وأبناء أنصار آبائه ، وما قابلَ به أمير المؤمنين خيانتهم ، وآثرَهُ من الأفاة في أمرهم ، ثم إن هؤلاء الناكثين جمعوا جَمْعاً من الأتراك والمغاربة ومن وَلَجَ في سوادهم ، ودخل في غمارهم^(٥) مُؤَاتِيّاً لِلْفِتْنَةِ مِنَ الْفَأْفِ^(٦) الْغَيِّ ، ورأَسُوا عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتوكل ، ثم ساروا نحو مدينة السلام في الجانب الشرقي ، مُعْلِنِينَ لِلبغى والاقْتِدَارِ ، مُظْهِرِينَ لِلغَيِّ والإصرار ، فتَأَنَّمُ^(٧) أمير المؤمنين ، وفسحَ لهم في النَظْرَةَ لهم ، وأمر بالكتاب إليهم بما فيه تبصيرهم الرشد ، وتذكيرهم بما قدموا من البيعة ،

(١) عفاه كدخّل وعفاه : عاه .

(٢) كانفه : عاونه وساعده ، والظهير : المعين .

(٣) الربيعة واحدة الربق بالكسر ، وهو جبل فيه عدة عرى تشد به اليهم ، والمراد هنا العهد .

(٤) في الأصل « تاريخ الطبري » : « من نصر » وفيه أيضا « لإقامتها » وهو تحريف .

(٥) ولج يُلج : دخل ، وسوادهم : هامتهم ، وغمارهم بالضم والفتح : زحمتهم وكثرتهم .

(٦) مؤاتيا : مطاوعا ، والأفانف جمع لف بالكسر وهو الحزب والطائفة ، من الالتفاف .

(٧) جاء في اللسان « تأنى في الأمر أي ترفق وتنظر ، استأنى به أي انظر به ، ويقال : تأنيتك

حتى لا أتاة بي » ، وفسح له كمنم : وسع ، والنظرة : التأخير .

وإفهامهم ما لله عليهم وله في ذلك من الحق ، وأن خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طَوْعًا خُرُوجٌ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَالْبِرَاءَةُ مِنْهُ وَمِنْ رَسُولِهِ ، وَتَحْرِيمُهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْ فِي تَمَشُّكِهِمْ بِه سَلَامَةٌ أَدْيَانِهِمْ ، وَبِقَاءِ نِعْمَتِهِمْ ، وَالِاحْتِرَاسَ مِنْ حُلُولِ النَّقْمِ بِهِمْ ، وَأَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا سَلَفَ مِنْ بَلَائِهِ عِنْدَهُمْ ، مِنْ أَسْتَنَى الْمَوَاهِبِ ، وَأَرْفَعَ الرِّغَابِ ، وَالِاخْتِصَاصِ بِسِنِّي الْمَرَاتِبِ ، وَالتَّقَدُّمِ فِي الْمَجَافِلِ ، فَأَبَوْا إِلَّا تَمَادِيًا وَنِفَارًا ، وَتَمَشُّكَ بِالْفَنَى وَإِصْرَارًا ، فَقَلَّدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ نَصِيحَتَهُ الْمُؤْتَمِنَ وَوَلِيَّهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَدْبِيرَ أُمُورِهِمْ ، وَدَعَاءَهُمْ إِلَى الْحَقِّ مَا كَانَتْ الْإِنَابَةُ ، أَوْ مَحَارِبَتَهُمْ إِنْ جَنَحَ بِهِمْ غَيْثُهُمْ ، وَتَقَلُّعُوا (۱) فِي ضَلَالِهِمْ ، فَلَمْ يَأْهُمُ (۲) نَظْرًا وَإِفْهَامًا ، وَتَبَيَّنَا وَإِرْشَادًا ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ رَافِعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّوَعُّدِ لِأَهْلِ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، بِسَفْكَ دِمَائِهِمْ ، وَسَبْيِ نِسَائِهِمْ ، وَتَقْنَمُ (۳) أَمْوَالَهُمْ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا كَانُوا فِي مَسِيرِهِمْ عَلَى السَّبِيلِ الَّتِي يَسْتَعْمَلُهَا أَهْلُ الشَّرْكِ فِي غَارَاتِهِمْ ، وَيَمِيلُونَ إِلَيْهَا عِنْدَ إِمْكَانِ النَّهْزَةِ (۴) ، لَا يَجْتَازُونَ بِعَامِرٍ إِلَّا أَخْرَبُوهُ ، وَلَا بِمَجْرِمٍ (۵) مُسْلِمٍ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا أَبَاحُوهُ ، وَلَا بِمُسْلِمٍ يَعْجَزُ عَنْهُمْ إِلَّا قَتَلُوهُ ، وَلَا بِعَالٍ لِمُسْلِمٍ وَلَا ذِمِّيٍّ إِلَّا أَخَذُوهُ ، حَتَّى انْتَقَلَ كَثِيرٌ مِنْ سَبَقَتْ إِلَيْهِ أَخْبَارُهُمْ مِنْ أَمَلَمِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ ، وَفَارَقُوا مَنَازِلَهُمْ وَرِبَاعَهُمْ (۶) ، وَفَزِعُوا إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَحْصُنًا مِنْ مَعَرَّتِهِمْ ، لَا يَمْرُؤُنَ بَغْنَى إِلَّا خَلَعُوا عَنْهُ لِبَاسَ الْغِنَى ، وَلَا يَمَسُّوهُ إِلَّا هَتَكُوا عَنِ الذَّرِّيَّةِ وَالنِّسَاءِ سِتْرَهُ ، لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا (۷) وَلَا ذِمَّةً ، وَلَا يَتَوَقَّفُونَ عَنْ مُسْلِمٍ بِهَتَكٍ وَلَا مُثَلَّةٍ (۸) ، وَلَا يَرْغَبُونَ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ دَمٍ وَلَا حُرْمَةٍ .

(۱) المتطلع : الشاخص للأمر والرافع رأسه للنهوض والتقدم .

(۲) ألا يألو : قصر . (۳) اغتنمه وتغنمه : عده غنيمة .

(۴) النهزة : الفرسة .

(۵) حريمك : ماحميه وتقاتل عنه .

(۶) الرباع جمع ربيع بالفتح : وهو المنزل . (۷) الإل : العهد .

(۸) مثل به بالتخفيف مثله ، ومثل به بالتشديد تخيلا : نكل .

ثم تلقوا التذكرة بالحرب، وقابلوا الموعظة بالإصرار على الذنب، وعارضوا التبصير بالاستبصار في الباطل، فدلفوا^(۱) نحو باب الشماسية، وقد رتب محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين بذلك الباب والأبواب التي سبيلها سبيله من أبواب مدينة السلام الجيوش في العدة الكاملة، والعدة المتظاهرة، معاً قلمهم التوكل على ربهم، وحصونهم الاعتصام بطاعته، وشعارهم التكبير والتهليل أمام عدوهم، ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين يأمرهم بتحصين ما يليهم، والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحة^(۲) لهم، فيأداهم الأولياء بالموعظة، وبدأهم الفؤاة لنا كثون بحرهم، وغادوهم أياما بجموعهم وعدادهم، مدلين بعتهم ومقدرين أن لا غالب لهم، ولا يعلون بالله أن قدرته فوق قدرتهم، وأن أقداره نافذة بخلاف إرادتهم، وأحكامه عادلة ماضية لأهل الحق عليهم، حتى إذا كان يوم السبت للنصف من صفر، وافوا باب الشماسية بأجمعهم، قد نشروا أعلامهم، وتنادوا بشعارهم، وتمحصنوا بأسلحتهم، وبدأ الأمر منهم لمن عابنهم، ليس لهم وعيد دون سفك الدماء، وسبي النساء، واستباحة الأموال، فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا، وقابلوهم بالتذكرة فلم يصفوا إليها، وبدءوا بالحرب مناياها، فتسرع الأولياء عند ذلك إليهم، واستنصروا الله عليهم، واستحكمت بالله ثقتهم، ونفذت به بصائرهم، فلم تزل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم، فقتل الله من حباتهم وفرسانهم ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعة كثيراً عددها، ونالت الجراحة المشخنة^(۳) التي تأتي على من نالته أكثر عامتهم، فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه أن قد أ كذب ظنونهم، وحال بينهم وبين أمانيتهم، وجعل عواقبها حسرات عليهم، استنصروا جيشاً من « سامراً » من الأتراك والمغاربة: في العتاد^(۴) والعدة والجلد والأسلحة،

(۱) دلفت الكتيبة في الحرب كضرب : تقدمت .

(۲) مندوحة : أي سعة .

(۳) أنخن في المدو : بالغ الجراحة فيهم .

(۴) العتاد : العدة .

في الجانب الغربي طالبين المعرّة ، ومؤملين أن ينالوا ثيلا من أهله ، باشتغال إخوانهم في الجانب الشرقي بأعدائهم ، وقد كان محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين شحنا الجاريتين جميعا بالرجال والعدّة ، ووكل بكل ناحية من يقوم بحفظها وحراستها ، ويكف عن الرعية بوائق^(۱) أعدائهم ، ووكل بكل باب من الأبواب قائدا في جمع كثير ، ورتب على الشور من يراعيه في الليل والنهار ، وبث الرجال ليعرف أخبار أعداء الله في حرّ كاتهم ونهوضهم ، ومقامهم وتصرفهم ، فيعامل كل حال لهم بحال يفت الله في أعضادهم^(۲) بها ، فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، وافى الجيش الذي أنهضوه من الجانب الغربي الباب المعروف بباب قطربل^(۳) ، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرقي من دجلة ، في عدد لا يسمه إلا الفضا ، ولا يحمله إلا المجال الفسيح ، وقد تواعدوا أن يكون دنوهم من الأبواب معا ، إشغال الأولياء بحربهم من الجهات ، فيضعفوا عنهم ، ويغلبوا حقهم بباطلهم ، أملا كادهم الله فيه غير صادق ، وظنا خائبا لله فيه قضاء نافذ ، وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبي عون وبغدار بن موسى الطبري مولى أمير المؤمنين وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قطربل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته ، والاتباع لأمره ، والتصرف مع كتابه ، والتوقف عن الحرب حتى تسبق التذكرة الأسماع ، وتنزل الحجّة بالتتابع منهم والإصرار ، فنفذوا في جمع يقابل جمعهم ، مستبصرين في حق الله عليهم ، مسارعين إلى لقاء عدوهم ، محتسبين خطاهم ومسيرهم واثقين بالثواب الآجل ، والجزاء العاجل ، فتلقاهم ومن معهم أعداء الله قد أطلقوا نحوهم أعنتهم ، وأشرعوا^(۴) انفجورهم أسنتهم ، لا يشكون أنهم نهزة المختلس ، وغنيمة المنتهب ، فنادوهم بالموعظة نداء مسمعا فبجتها أسماءهم ، وعميت عنها

(۱) البوائق جمع بائقة : وهي الداهية .

(۲) فت في عضده : أضغه .

(۳) اسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الحمر .

(۴) أشرع نحوه الرمح والسيف وشرعهما : أفبلهما إياه وسددهما له .

أَبْصَارُهُمْ ، وَصَدَقَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فِي لِقَائِهِمْ بِقُلُوبٍ مُسْتَجِمَّةٍ لَهُمْ ، وَعَلِمَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ فِيهِمْ ؛ فَجَالَتْ الْخَيْلُ بِهِمْ جَوْلَةً ، وَعَاوَدَتْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ عَلَيْهِمْ ، طَعْنَا بِالرَّمَاحِ ، وَضَرَبْنَا بِالسُّيُوفِ ، وَرَشَقْنَا بِالسِّهَامِ ، فَلَمَّا مَسَّهْمُ أَلَمُ جِرَاحِهَا ، وَكَلَمَتُهُمْ ^(۱) الْحَرْبُ بِأَنْبِيَائِهَا ، وَدَارَتْ عَلَيْهِمْ رِحَاها وَصَمَّ عَلَيْهِمْ أُنْبَاؤُهَا ، ظَلَمًا إِلَى دِمَائِهِمْ ، وَلَوَّأَ أَدْبَارَهُمْ وَمَنَحَ اللَّهُ أَكْتَانَهُمْ ، وَأَوْقَعَ بَأْسَهُ بِهِمْ ، فَفُتِلَتْ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ لَمْ يَحْتَسِبُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِتَوْبَةٍ ، وَلَمْ يَتَحَصَّنُوا مِنْ عِقَابِهِ بِإِنَابَةٍ ^(۲) ، ثُمَّ ثَابَتْ ثَانِيَةً فَوْقَنُوا بِإِزَاءِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَعَبَّرَ إِلَيْهِمْ أَشْيَاءُهُمُ الْغَاوُونَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ بِيَابِ الشَّمَامِيَةِ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ أَنْجَادِهِمْ ^(۳) فِي السَّفَنِ ، مَعَاوِنِينَ لَهُمْ هَلَى ضَلَالَتِهِمْ ، فَانْهَضَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَالِدَ بْنَ عِمْرَانَ وَالشَّاهَ ابْنَ مِيكَالَ مَوْلَى طَاهِرٍ نَحْوَهُمْ ، فَفَنَدَوْا بِبَصِيرَةٍ لَا يَتَخَوَّنُهَا فَتُورٌ ، وَنِيَّةً لَا يَلْحَقُهَا تَقْصِيرٌ ، وَمَعِيهِمَا الْعَبَّاسُ بْنُ قَارِنٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا وَافَى الشَّاهُ فِيمَنْ مَعَهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَكَلَّ بِالْمَوَاضِعِ الَّتِي يَتَخَوَّفُ مِنْهَا مَدْخَلَ الْكُمْنَاءِ ، ثُمَّ حَمَلَ وَمِنْ تَوَجُّهِ مَعَهُ مِنَ الْقَوَادِ الْمَسْمُومِينَ مَاضِينَ لَا يَعُوقُهُمْ ^(۴) الْوَعِيدُ ، وَلَا يَشْكُرُونَ مِنَ اللَّهِ فِي النَّصْرِ وَالْتَأْيِيدِ ، فَوَضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِيهِمْ ، تُتَمِّضِي أَحْكَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى أَلْحَقُوهُمْ بِالْمَعْسَكِ الَّذِي كَانُوا عَسَكَرُوا فِيهِ وَجَاوَزُوهُ ، وَسَلَبُوهُمْ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ سِلَاحٍ وَكُرَاعٍ ^(۵) وَعَتَادِ الْحَرْبِ ، فَمِنْ قَتِيلٍ غَوَدَتْ جُثَّتُهُ بِمَضْرَعِهِ ، وَوُقِلَتْ هَامَتُهُ ^(۶) إِلَى مَصِيرٍ فِيهِ مُعْتَبَرٌ لغيره ، وَمِنْ لَاجِئٍ مِنَ السَّيْفِ إِلَى الْغَرَقِ ، لَمْ يُجِرْهُ اللَّهُ مِنْ حِذَارِهِ ، وَمِنْ أُسِيرٍ مَصْفُودٍ ^(۷) يُقَادُ إِلَى دَارِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَحِزْبِهِ ، وَمِنْ هَارِبٍ بِحُشَاشَةٍ ^(۸) نَفْسُهُ ، قَدْ أُسْكِنَ

(۱) كَلِمَةٌ كَضَرْبٍ : جِرْحُهُ .

(۲) فِي الْأَصْلِ « بِأَمَانَةٍ » وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا « بِإِنَابَةٍ » لِتَنَاسُبِ قَوْلِهِ قَبْلَ « بِتَوْبَةٍ » .

(۳) أَنْجَادٌ جَمْعُ نَجْدٍ ، وَالنَّجْدُ كَشْمَسٍ وَكَتِفٍ وَرَجُلٍ : الشَّجَاعُ الْمَاضِي فِيمَا يَعْبُزُ غَيْرَهُ .

(۴) فِي الْأَصْلِ « لَا يَفُوقُهُمْ » وَأَرَاهُ مَحْرَفًا وَمِثْلَهُ « لَا يَفُوقُهُمْ » .

(۵) الْكُرَاعُ : اسْمٌ يَجْمَعُ الْخَيْلَ . (۶) الْهَامَةُ : الرَّأْسُ .

(۷) مَصْفُودٌ كَضَرْبِهِ : شَدَّهُ وَأَوْتَقَهُ كَأَصْفَدِهِ وَصَفَدِهِ .

(۸) الْحُشَاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْجُرْبَعِ وَالرَّبِيضِ .

الله انلوف قلبه ، فكانت النعمة بحمد الله واقعةً بالفريقين : من وافى الجانب الغربي قادمًا ، ومن عبر إليهم من الجانب الشرقي مُنجداً لم ينج منهم ناج ، ولم يعتصم منهم بالتوبة معتصم ، ولا أقبل إلى الله مُقبل ، فرقاً أربعا يجمعها النار « وبشملها عاجل النكال ، عظةً ومعتبراً لأولي الأَبصار ، وكانوا كما قال الله عز وجل : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (۱) ، جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارُ » ولم تزل الحربُ بين الأولياء وبين الفرقة التي كانت في الجانب الشرقي ، والقتلُ محتفل^(۲) في أعلامهم ، والجراحُ فاشيةٌ فيهم ، حتى إذا عابنوا ما أنزل الله بأشياعهم من البوار ، وأحلَّ بهم من النعمة والاستئصال ، ما لهم من الله من عاصم ، ولا من أوليائه ملجأ ولا مَوْتَلٍ ، ولَّوا منهزمين مفلولين منكوبين ، قد أراهم الله العبرِ في إخوانهم الغلوية ، وطوائفهم المضيلة ، وضلَّ ما كان في أنفسهم ، لما رأوا من نصر الله لجنده ، وإعزازِهِ لأوليائه ، والحمد لله رب العالمين ، قَامِعِ الْفُؤَادِ الْناكِبِينَ عن دينه ، وَالْبَغَاةِ الْناقِضِينَ لعَهْدِهِ وَالْمُرَاقِ الْخَارِجِينَ من جُمْلَةِ أَهْلِ حَقِّهِ حَمْدًا مُبَلِّغًا رِضَاهُ . وَمُوجِبًا أَفْضَلَ مَزِيدِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ أَوْلَا وَآخِرًا عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِهِ ، وَالِدَاعِي إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ ، وَسَلَّمَ نَسْلِيًا .

وكتب سعيد بن حميد يوم السبت لسبع خلون^(۳) من صفر سنة ۲۵۱

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۱۰۶ ، واختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۸۴)

(۱) البوار : الهلاك .

(۲) من احتفل : أي اجتمع .

(۳) هكذا في الأصل وأراه خطأً وصوابه « بقين » لأن الوقعة استمرت إلى يوم الأربعاء بإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، كما جاء في هذه الرسالة .

١٤٩ — كتاب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان

وكتب سعيد^(١) بن حميد إلى بعض أهل السلطان في يوم النيروز :
 « أيها السيد الشريف ، عشت أطول الأعمار ، بزيادة من العمر موصولة
 بفرائضها من الشكر ، لا ينقضي حقُّ نعمةٍ حتى يُجدد لك أخرى ، ولا يمرُّ بك يومٌ
 إلا كان مقصراً عما بعده ، مؤفياً عما قبله .
 إني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة ، فالتمت
 الناسي^(٢) بهم في الإهداء ، وإن قصرت بي الحال عن الواجب ، وإني إن أهديت نفسي
 فهي ملكٌ لك ، لاحظاً فيها لغيرك ، ورميت بطرفي إلى كرائم مالي فوجدتها منك ،
 فإن كنت أهديت منها شيئاً فإني لمهدٍ مالك إليك ، ونزعتُ إلى مودتي فوجدتها
 خالصةً لك ، قديمةً غير مستحدثة ، فرأيتُ إن جعلتها هديتي لم أجدد لهذا اليوم
 الجديد برّاً ولا لطفاً ، ولم أميز منزلةً من شكرى بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر
 مقصراً عن الحق والنعمة ، زائداً على ما تبلغه الطاقة ، فجعلت الاعتراف
 بالتقصير عن حقك هديةً إليك ، والإقرار عما يجب لك برّاً توصلُ به إليك ،
 وقلتُ في ذلك .

إن أهدى مالاً فهو واهبهُ وهو الحقيقُ عليه بالشكر
 أو أهدى شكرى فهو مرتين بجميلِ فعلِكَ آخرَ الدهرِ
 والشمسُ تستغني إذا طلعتُ أن تستضئ بسنةِ البدرِ^(٣)

(العقد الفريد ٣ : ٣٠٧)

(١) كان كاتب أحمد بن الحبيب ، وقلده المستعين ديوان الرسائل ، وكان كاتباً شاعراً مرسلًا
 عذب الألفاظ مقدما في صناعته ، وهو من أبناء الجوس . وكان يدعى أنه من أولاد ملوك الفرس - انظر
 ترجمته في النهرست لابن النديم ص ١٧٩ ومروج الذهب ٢ : ٤٠٨ وتاريخ الطبري ١١ : ٧٠
 والأغانى ١٧ : ٢ .

(٢) قال في اللسان : الناسي و الأمور : الأسوة أي القدوة ، وفلان يأتسى بفلان : أي
 يقتدى به .
 (٣) السنة : الوجه .

١٥٠ - كتاب سعيد بن حميد إلى صديق له

وكتب سعيد بن حميد إلى صديق له يوم نيروز :

« هذا يومٌ سهَّلتُ فيه الشُّنَّةُ للعبيد الإهداء للملوك ، فتعلَّمت كلُّ طائفةٍ من البرِّ بحسب القدرة والهمة ، ولم أجد فيما أملاك ما يني بحقك ، ووجدت تقربك أبلغ في أداء ما يجب لك ، ومن لم يؤت في هديته إلا من جهة قدرته فلا طعن عليه . »

(صبح الأعشى ٢ : ٤٢٠)

١٥١ - كتاب سعيد بن حميد إلى أبي العباس بن ثوابة

وكان سعيد بن حميد صديقا لأبي العباس^(١) بن ثوابة ، فدعاه يوما ، وجاءه رسول « فضل^(٢) » الشاعرة ، يسأله المصير إليها ، فمضى معه وتأخر عن أبي العباس ، فكتب إليه رُقة يعاتبه فيها معاتباً فيها بعضُ الغلظة : فكتب إليه سعيد :

أقلُّ عتابك ، فالبقاء قليلُ	والدهرُ يعدل تارة ويميلُ
لم أبك من زمن دامتُ صروفه	إلا بكيتُ عليه حين يزولُ
وإكلُّ نائبة أمت ممددة	ولكلِّ حال أقبلتُ تحويلُ
والمنتمون إلى الإخاء جماعة	إن حصلوا أفهام التحصيل ^(٣)
ولعلَّ أحداث الليالي والردي	يوما ستصدعُ بيننا وتحول ^(٤)

(١) آل ثوابة بن يونس من بلفاء الكتاب العباسيين ، منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة (توفي سنة ٢٧٧) ، وابنه أبو عبد الله محمد بن أحمد وكان مترسلاً بليفاً ، وكتب للعتضد ، وأخوه أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة ، تولى ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان الوزير ، ثم ابنه أبو الحسين محمد بن جعفر بن ثوابة ؛ ثم ابنه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن جعفر بن ثوابة ، ولي ديوان الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر سنة ٣١٢ و أيام المتندر إلى أن مات وهو متوايه في أيام معز الدولة سنة ٣٤٩ - انظر معجم الأدباء ٤ : ١٤٤ ، ٢٤٣ و ٧ : ١٨٧ والفهرست ص ١٨٧ - ١٨٨

(٢) جارية مولدة من مولدات البصرة ، أهديت إلى المتوكل ولم يكن في نساء زمنها أشعر منها - انظر أخبارها في الأغاني ج ٢١ ص ١١٤ .

(٣) يحصل : أي يرق .

(٤) التحصيل : تمييز ما حصل .

فَلَيْسَ سَبَقْتُ لَتَبِيكَيْنِ بِحَسْرَةٍ وَلَيْكَثْرَنَ عَلَيَّ مِنْكَ عَوِيلٌ
وَلَتُفْجَمَنَّ بِمُخْلِصٍ لَكَ وَامِقٍ حَبْلُ الْوَفَاءِ بِجِبِلِهِ مَوْصُولٌ^(۱)
(الأغاني ۱۷ : ۶)

۱۵۲ - كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة

وَعُضِبْتَ فَضْلَ الشَّاعِرَةِ عَلَى سَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهَا :
بِأَيِّهَا الظَّالِمُ مَالِي وَلَكَ ؟ أَهَكَذَا تَهْجُرُ مَنْ وَاصَلَكَ ؟
لَا تَصْرِفِ الرَّحْمَةَ عَنْ أَهْلِهَا قَدْ يَعْطِفُ الْمَوْلَى عَلَى مَنْ مَلَكَ^(۲)
ظَلَمْتَ نَفْسًا فِيكَ عُلَّقَتْهَا فِدَارًا بِالظُّلْمِ عَلَى الْفَلَكَ^(۳)
تَبَارَكَ اللَّهُ ، فَمَا أَعْلَمَ اللَّهُ بِمَا أَتَى ، وَمَا أَغْفَلَكَ !
فَرَأَجَعْتُ وَصَلَهُ وَصَارَتْ إِلَيْهِ جَوَابًا لِلرُّقْعَةِ .
(الأغاني ۱۷ : ۶)

۱۵۳ - كتابه إلى فضل الشاعرة

وَكُتِبَ سَعِيدِ بْنِ حَمِيدِ رُقْعَةً إِلَى فَضْلِ الشَّاعِرَةِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا مِنْ تَغْيِيرِ ظَنِّهَا بِهِ ،
وَفِي آخِرِهَا :

نَظَنُّونَ أَنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ بِعَدَمِكُمْ بَدِيلًا ، وَبَعْضُ الظَّنِّ إِتْمٌ وَمُنْكَرٌ
إِذَا كَانَ قَلْبِي فِي يَدَيْكَ رَهِينَةً فَكَيْفَ بَلَاقِبِ أَصَابِي وَأَهْجُرُ ؟
(الأغاني ۱۷ : ۴)

(۱) الوامق : المحب .

(۲) المولى هنا : السيد .

(۳) علق فلان امرأته (بالبناء اللججول) : أحبها .

۱۵۴ - كتابه إلى فضل الشاعرة

وتفاضبَ سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أياما ، ثم كتب إليها :
تَعَالَى نُجْدُ عَهْدِ الرِّضَا وَنَصْفَحُ فِي الْحَبِّ عَمَّا مَضَى
وَنَجْرِي عَلَى سُنَّةِ الْعَاشِقِينَ وَنَضْمُنُ عَنِّي وَعَنْكَ الرِّضَا
وَيَبْدُلُ هَذَا لِهَذَا هَوَاهُ وَيَصِيرُ فِي حُبِّهِ لِقَضَا
وَنَخْضَعُ ذُلًّا خُضُوعَ الْعَبِيدِ لِمَوْلَى عَزِيزٍ إِذَا أَعْرَضَا
فَأِنِّي مُذْ لِحَ هَذَا الْعِتَابُ كَأَنِّي أَبْطِنْتُ جَمْرَ الْغَضَا (۱)
فصارت إليه وصالحته (۲)
(الأغانى ۱۷ : ۵)

۱۵۵ - كتابه إلى أبي هفان

وبلغ أبا هفان (۳) عن سعيد بن حميد كلام فيه جفاء وطمع على شعره ، فتوعدده بالهجاء . وكان الحاكي عن ذلك كاذبا ، فبلغ سعيدا ما جرى ، فكتب إلى أبي هفان .

أَمْسَى يَخُوفُنِي الْعَبْدِي بِصَوَاتِهِ وَكَيْفَ آمَنُ بِأَسِّ الضَّيْفَمِ الْهَصِيرِ (۴)
مَنْ لَيْسَ يُحْرِزُنِي مِنْ سَيْفِهِ أَجَلِي وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَيْدِهِ حَذْرِي
وَلَا أَبَارِزُهُ بِالْأَمْرِ بِكَرْهُهُ وَلَوْ أَعْنَتُ بِأَنْصَارٍ مِنَ الْغَيْرِ (۵)

(۱) الغضا : شجر له جر يبقى طويلا .
(۲) وقد أورد صاحب الأغانى عددا ما قدمنا مكاتبات شعرية بين فضل وسعيد بن حميد وبينها وبين غيره ، فارجع إليها في ترجمتهما فيه .
(۳) هو أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب الشاعر - انظر ترجمته في نزهة الألبا في طبقات الأدبا ص ۲۶۷ .
(۴) الضيفم : الأسد ، وكذا الهصر ، من هصره إذا كسره .
(۵) غير الدهر : أحداثه الفيرة .

له سهامٌ بلا ريش ولا عقبٍ وقوسه أبدا عطلٌ من الوتر (١)
وكيف آمنٌ من نحرى له غرضٌ وسهمه صائبٌ يخفى عن البصر؟
(الأغانى ١٧ : ٧)

١٥٦ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه يهنئه بعزل عن عمله :

« جَعَانِي اللَّهُ مِنَ السُّوءِ وَالْمَكْرُوهِ فِدَاءَكَ ، وَأَطَالَ فِي الْخَيْرِ وَالسَّرُورِ بَقَاءَكَ ،
وَأَتَمَّ نِعْمَةً عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ مِنْهَا مَزِيدَكَ ، وَبَلَّغَكَ أَقْصَى أَمْنِيَّتِكَ ، وَقَدَّمَنِي أَمَامَكَ ،
وَقَدْ بَلَّغَنِي مَا اخْتَارَ اللَّهُ لَكَ ، فَسُرِرْتُ مِنْ حَيْثُ يَنْتَمِي لَكَ مَنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ النِّعْمَةِ
عَلَيْكَ ، وَلَا يَرَاكَ بَعِينَ اسْتِحْقَاقِكَ ، وَلَكِنَّ سَاءَنِي مَا سَاءَ إِخْوَانُكَ مِنْ عَزْلِكَ ، لَقَدْ
سَرَّنِي مَا يَسِّرُ اللَّهُ لَكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ انْصِرَافَكَ مَحْمُودًا ، وَقَضَى لَكَ فِي عَاقِبَتِكَ
الْحُسْنَى ، وَأَقُولُ :

إِيهِنَّكَ أَنْ أَصْبَحْتَ مُجْتَمِعَ الْحَمْدِ
وَأَنَّكَ صُنْتَ الْأَمْرَ فِيمَا وَوَلِيَّتَهُ
فَلَا يَحْسَبُ الْبَاغُونَ عَزْلَكَ مَعْنًا
وَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ جُرْدًا لِلْوَعَى
وَرَاعَى الْمَعَالِي ، وَالْمَحَامِي عَنْ الْمَجْدِ
فَفَرَّقَتْ مَا بَيْنَ الْغَوَايَةِ وَالرُّشْدِ
فَإِنَّ إِلَى الْإِصْدَارِ عَاقِبَةَ الْوَرْدِ
فَأَحْمَدَ فِيهَا ثُمَّ رُدَّ إِلَى الْغَمْدِ
وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

فَنْ يَكُنْ بُوْرُودِ الْعَزْلِ مَكْتَبًا
بَعْدَ الْوَلَايَةِ عَزْلٌ يَسْتَبِينُ بِهِ
فَإِنِّي بُورُودِ الْعَزْلِ مَسْرُورُ
طَوَّلُ الْوَلَاةِ ، وَبَعْدَ الْعَزْلِ تَأْمِيرُ

أَمَّا مَا عِنْدِي مَعَ تَصَوُّرِ الْعَاقِبَةِ لَكَ فِي نَفْسِي ، فَيَهَسِّنِي فِي أَمْرِكَ فِي حَالِ الْمِحْنَةِ
مَا يَخْصُنِي مِنْهُ فِي وَقْتِ تَجَدُّدِ النِّعْمَةِ ، وَبِحَسَبِ ضَمِيرِكَ الشَّاهِدِ عَلَى مَا عِنْدِي مَا أَجِدُهُ

(١) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

لك في نفسى ، فلا زلتَ في نِعَمٍ متتَابِعةٍ متجدِّدةٍ ، ولا عَدِمْتَ الثَّرْوَةَ وَالزِّيَادَةَ ،
وَبَلَّغَكَ اللهُ أَقْصَى أَمَلِكَ وَأَمَلِ أَخِيكَ لَكَ ، وَكَبَّتْ^(۱) أَعْدَاؤُكَ ، وَجَعَلَنِي وَقَاءَكَ
الْمُقَدَّمُ عِنْدَكَ .

أُحِبُّ أَنْ تُشْرِحَ لِي صُورَةَ الْأَمْرِ ، إِلامَ تَأَدَّتْ؟ وَكَيْفَ كَانَ الْإِبْتِدَاءُ؟ فَإِنِ
لَا أَشْكُ أَنَّهَا حَيْلَةٌ وَنِيَّةٌ مِنْ عِزِّ الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ الْقَدْرِ ، وَلَهَا عَاقِبَةٌ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللهُ
مُحْمَدَةٌ ، وَتُنْفِضِي مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفْسِي ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۱)

۱۵۷ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه يهنئه بعزل عن عمله :
« حَفِظَكَ اللهُ بِحِفْظِهِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكَ كِرَامَتَهُ ، وَأَدَامَ إِلَيْكَ إِحْسَانَهُ .
إِنْ سُرِرِي بِصَرْفِكَ ، أَكْثَرُ مِنْ سُرُورِ أَهْلِ عَمَلِكَ بِمَا خُصُّوا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكَ ،
وَقَدْ كُنْتَ أَعَزَّكَ اللهُ - فِيمَا يُرَبُّبًا^(۲) بِكَ عَنْهُ ، بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ فِي قَدْرِكَ وَاسْتِثْنَائِكَ ،
وَلَكِنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لَكَ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ ، فَطَبْنَا نَفْسًا بِالَّذِي رَجَوْنَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي سَلَّمَ مِنْهُ ، وَنَسَّأَهُ تَمَامَ نِعْمِهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا فِيكَ ، بِتَبْلِيغِكَ أَمَلَكَ وَأَمَانَا فِيكَ ،
وَشَفَعِ مَا كَانَ مِنْ وِلَايَتِكَ بِأَعْظَمِ الدَّرَجَاتِ ، وَأَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ ، ثُمَّ خَصَّكَ اللهُ بِمَجْمِيلِ
الصَّنْعِ ، وَبَلَّغَكَ غَايَةَ الْمُؤْمَلِينَ .

إِنْ مِنْ سَعَادَةِ الْوَالِي - حَفِظَكَ اللهُ - وَأَعْظَمِ مَا يُنْخَصُّ بِهِ فِي عَمَلِهِ وَوِلَايَتِهِ ،
السَّلَامَةَ مِنْ بَوَائِقِ^(۳) الْإِثْمِ ، وَنَوَائِبِ الدُّنْيَا وَشُرْهَا ، وَالْعَاقِبَةَ بِمَا يَخَافُ مِنْهَا ،

(۱) كَبَّتْ : أَذَلَهُ وَرَدَّهُ بِغِيظِهِ .

(۲) يُرَبُّبًا : أَيْ لِأَرْبَابِكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ : أَيْ أَرْفَعُكَ عَنْهُ ، وَاسْتَأْهِلَهُ : صَارَ أَهْلًا لَهُ وَمُسْتَحَقًّا ،
قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ : وَهِيَ لَفَةٌ جَيِّدَةٌ ، وَإِنْكَارُ الْجَوْهَرِيِّ بِالطَّلِ (لِأَنَّ يَفْعُولُ : وَلَا تَقُلْ مُسْتَأْهِلٌ ،
وَالْعَامَّةُ تَقُولُ) .

(۳) الْبَوَائِقُ جَمْعُ بَائِقَةٍ : وَهِيَ الدَّاهِيَةُ .

وقد خصك الله منها - بمنه وطوله - ما نرجو أن يكون سببا لك إلى كثير ما تستحق من المراتب ، والله نسأل إيزاعك (۱) شُكْرَ ما مَنَّ به عليك ، وتبليغك غاية أملك في جميع أمورك ، برحمته وفضله .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۱)

۱۵۸ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه :

« سَرَّكَ اللهُ بِتَابِعِ نِعْمِهِ ، وَتَرَادُفِ إِحْسَانِهِ ، وَزَادَكَ مِنْ فَوَاضِلِ أَقْسَامِهِ ، بِلَغْنِي - أ كَرَمِكَ اللهُ - مَا وَهَبَ اللهُ لَكَ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فَقَوَّكَ اللهُ عَلَى مَا اسْتَرَعَاكَ ، وَرَزَقَكَ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاكَ ، وَالسَّلَامَةَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا » .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۹۹)

۱۵۹ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه :

« أَنَا أَهْنَىٰ بِكَ الْعَمَلَ الَّذِي وُلِّيْتَهُ ، وَلَا أَهْنَنُكَ بِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ أَصَارَهُ إِلَى مَنْ يُورِدُهُ مَوَارِدَ الصَّوَابِ ، وَيُضَدِّرُهُ مَصَادِرَ الْحُجَّةِ ، وَيَصُونُهُ مِنْ كُلِّ خَلَلٍ وَتَقْصِيرٍ ، وَيُنْضِيهِ بِالرَّأْيِ الْأَصِيلِ ، وَالْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ ، قَرَنَ اللهُ لَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ بِشُكْرِهَا ، وَأَوْجِبَ لَكَ بِطَوْلِهِ الْمَزِيدَ مِنْهَا ، وَأَوْزَعَكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهَا مَا يَصُونُهَا مِنَ الْفِتَنِ ، وَيَحْوِطُهَا مِنَ النِّقْصِ » .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۹۹)

۱۶۰ - كتاب له في السلامة

« كتابي إليك عن سلامة ، وَوَحْشَتِي لِفِرَاقِ الْبَلَدِ الَّذِي يَجْمَعُ السَّادَةَ وَالْإِخْوَانَ ، وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ ، عَلَى حَسَبِ الْأُنْسِ بِمَكَانِي فِيهِ ، وَالسَّرُورِ بِهِ ، وَلَكِنَّ الْمَقْدَارَ

(۱) أوزعه الله : ألهه .

يَجْرِي فَيَتَصَرَّفُ مَعَهُ ، وَقَعَ ذَلِكَ بِالْهَوَىٰ أَوْ خَالَفَهُ ، وَإِنَّ كَانَتْ هَذِهِ حَالِي فِي الْوَحْشَةِ ،
إِنَّ أَكْثَرَ ذَلِكَ وَأَوْفَرَهُ لِفِرَاقِكَ وَمَا بَعْدُنَا مِنَ الْأُنْسِ بِكَ ، فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لَنَا
اجْتِمَاعًا عَاجِلًا فِي سَلَامَةٍ مِنَ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ ، وَغَيْبُطَةً مِنَ الْحَالِ ، وَغَنَىٰ عَنِ الْمَطَالِبِ
بِرَحْمَتِهِ . ()
(اِخْتِيَارِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ ۱۳ : ۳۷۵)

۱۶۱ - كِتَابُ لَهُ فِي الشُّوقِ

« كِتَابِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَيْفَ وَحَشْتِي لَكَ ، لَا أَوْحَشَكَ اللَّهُ مِنْ نَعْمِهِ ، وَلَا فَرَّقَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَافِيَتِهِ ، وَكَانَ مِمَّا زَادَ فِي الْوَحْشَةِ أَنَّهَا جَاوَزَتْ الْأَمَلَ الْمَتَمَكِّنَ فِي الْأُنْسِ
بِقُرْبِ الدَّارِ ، وَتَدَانِي الْمَزَارِ ، مُحَمَّدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَعْمِهِ ، وَنَسْتَدِيحُهُ لَكَ وَلَنَا فِيكَ
أَجَلَ بِلَانِهِ ، وَنَسَأَهُ الْأَيُّخِيَّةَ مِنْ شُكْرِهِ وَمَزِيدِهِ ، وَلَوْ كُنْتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَكْتُبُ
إِلَيْكَ كِتَابًا ، بَلْ لَوْ شَخَّصْتُ نَحْوَكَ قَاصِدًا ، لَسَكَانَ ذَلِكَ دُونَ الْحَقِّ ، وَلَكِنِّي
غَلِقْتُ^(۱) بِمَا تَعَلَّمُ مِنَ الْعَمَلِ ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَتَابِعَ كِتَابِي فَاسْأَلُكَ سَبِيلًا مِنْ سُبُلِ الثَّقَلِ ،
وَأَقِفُ بِمَنْزِلَةِ تَوْسُطٍ ، أَرْجُو أَنْ أَسْلَمَ بِهَا مِنَ الْجَفَاءِ وَالْإِبْرَامِ^(۲) ، وَأَنَا وَإِنْ أَبْقَيْتُ
عَلَيْكَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي شُغْلِكَ ، فَلَسْتُ بِمَمْتَنِعٍ مِنْ مَسْأَلَتِكَ التَّطَوُّلَ بِتَعْرِيفِي جَمَلَةً مِنْ
خَبْرِكَ أَسْكُنُ إِلَيْهَا ، وَأَعْتَدُ بِالْفِعْمَةِ وَأَحْدَدَ اللَّهُ عَلَيْهَا . »

(اِخْتِيَارِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ ۱۳ : ۳۷۵)

۱۶۲ - كِتَابُ آخِرٍ

« كِتَابُكَ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ أَسْأَلَكَ فِي كُلِّ مَا نَفَدَ لِي رَسُولٌ ، وَمِنَ الْجَفَاءِ^(۳)
أَنْ أَعْفِيكَ مِنْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلًا بَيْنَ السَّبِيلَيْنِ تَخْرُجُ مِنْ وَأَنْتَ
بِهَا مِنْ حَدِّ الْمُبْرَمِينَ ، وَتَخْرُجُ أَنْتَ بِهَا مِنْ حَدِّ الْجَفَاءِ . »

(اِخْتِيَارِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ ۱۳ : ۳۷۵)

(۱) مِنْ غَلَقِ الرَّهْنِ : إِذَا لَمْ يَفْسُكْ فِي الْوَقْتِ الْمَشْرُوطِ ، وَالْمَعْنَى أَنِّي مُقْبِدٌ بِقِيُودِ مِنَ الْعَمَلِ لِأَحْلِ
مِنْهَا ، مَرَهَقٌ بِالشَّوَاغِلِ الْجَمَّةِ الَّتِي مَلَكَتْ عَلَى أَوْقَاتِي .

(۲) أِبْرَمَهُ : أَضْجَرَهُ . (۳) فِي الْأَصْلِ « رَسُولٌ مِنَ الْجَفَاءِ . . . » .

۱۶۳ - کتاب آخر

« أنا أنعمد في كتبى إليك ما ينجف ويسهل عليك ، فأُمسِكُ عن الكتاب أحياناً بالإبقاء^(۱) ، وأُكتبُ أحياناً لئلا يتوهم على الجفاء ، فإن يجر الأمر عندك فيها هذا المجرى ، وإلا فالمستعجب قريب ، ومتابعة الكتب على سهل مُمكن » .
(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۷۵)

۱۶۴ - كتاب له في توصية

« من شكر فقد قضى حقَّ النعمة ، واستوجب من المنعم الزيادة ، وقد شكر فلان ما وعدته في حاجته ، فاستوجب الإنجاز بالشكر ، وكل ما ناله من مرفقٍ وحظٍّ فهما واصلان إلى دونه ، فأحب أن تأتي في أمره ما أنت أهله » .
(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۸۳)

۱۶۵ - كتاب له في الاعتذار

« من قبل عذرِكَ في ترك إجابه فلا قبل الله عذره ، ومن حسن أمرِكَ في ترك ابتداءه بالكتاب فلا حسن الله أمره ، فإنك الآن بفضل خذقك أردت أن تحفوني بحجة ، وتقصّر في برى برهان قاطع يقوم عند الجاهل - غيرك - مقام المقبول من الأمر ، ولكنه إذا تصفحه أهل النظر علموا أنه طارف من الحيلة استعملته ، وطريق من الغدر سلكته ، والله إن في طمعك في أن أُقبل إقراركَ بالعجز عن إجابتى ، لمساومة منك بعقل ، وتشكيك لي فيما تحيط به معرفتى ، وتقر لي بالجهل من حيث شهدت بالعلم لي ، وأبلغ المناقضة ما لم تطل فيه المجاذبة ، وما استشهد فيه على المنازع من قوله ، وعدل عن التماس الدليل من جهة تُبعد بينه وبين صاحبه »

(۱) أى بسبب الإبقاء عليك ، والإشفاق من الزيادة في شغلك ، لعل بكثرة أعمالك .

قد صدقت - أعزك الله - في كل ما قدمت من الدعوى ، وفلجت^(۱) فيما ذهبت إليه من الحجّة ، وعجزت بالحقيقة عما انتحلت العجز عنه في الظاهر ، فقد كتبت إلى كتابا لم تعد فيه طريق العادة ، هو كتابنا ، فاكتب الآن الجواب ، وأنت محمود يا صلف^(۲) ، وحسبي من معاتبتك ، فليس يجب للفارغ أن يكلف المشغول النظر في أكثر من هذا المقدار من كتابه فيما لا يجدي ولا يعود بحظّ .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۰)

۱۶۶ - كتاب تعزية له

« إذا استوى المعزى والمعزى في النائية ، استغني عن الاكثار في الوصف لموقع الرزية ، والعذر في التأخر يكاد ظهوره يُنبئ عن التنبيه عليه ، وأنت أولى بما تطول به في قبوله ، وأنا أقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إقرارا له بالهدكة ، واعترافا بالرجوع إليه ، وتسليا لقضائه : ورضا بمواقع أقداره ، وأسأل الله أن يصلي على محمد صلاة متصلة بركاتها ، وأن يوفقك لما يرضيه عنك قولا وفعلًا ، حتى يكمل لك ثواب الصابر المحتسب ، وجزاء المطيع المتعجّز للوعد ؛ ويرحم فلانا ويحمّله أعلى منازل أوليائه الذين رضى سعيهم ، وتطول بفضلهم عليهم ، إنه وليّ قدير . »

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۰)

۱۶۷ - كتاب تعزية له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وكتب تعزية إلى محمد بن عبد الله بن طاهر عن بعض أوليائه :

« ورد على الخبر - أعز الله الأمير - بحديث قضاء الله في الولي الناصح ، المطيع الشاكر ، فلان - رحمه الله - فكان وقع المصاب به على حسب علمي بمحلّه كان من

(۱) أي انتصرت وظفرت .

(۲) الصلف بالتحريك : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا .

الأمير وما يراعاه من حق طاعته ونصيحته ، وما يجرى عليه من أدبه وسلوك نهجه ،
والتمسك بأمره ، وما يوجبه الأمير لمن وسمه بمعرفه ، وشرفه باختياره ، واختصاصه
بالقرب من خدمته ، هذا مع ما أخلص الله بيني وبينه من المودة الصادقة ، والثقة
الصحيحة التي بعثتنا على التمسك بحبل الأمير ، والاتصال بأسبابه ، والوقوف في ظله ،
فإن الله عز وجل جعل ذلك سبباً يجمع أهله ، وإن اختلفت بهم الأسباب ، وتفرقت
بهم الديار ، وتباعدت الأشكال .

وأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزل له المثوبة والذخر ، وجعل الله الأمير وارث
أعمارنا ، والباقي بعدنا ، والمومل خلوفنا وأعقابنا ، ورحم الله أبا فلان ونقله إلى جنته
التي لا يجاوزها أمل ، ولا يوازيها خطر ، فإكاد أشهد مشهداً من مشاهد التمييز
والنظر ، إلا وهم شاهدون له بالفضل الذي شرّفه به اصطناع الأمير واختياره والنصيحة
له ، وقدّمه الله به على أكفائه^(۱) ، فلقد رفعه الله به إن شاء الله في حياته [وأورثه^(۲)]
ثناء جميلاً بعد وفاته .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۷)

۱۶۸ - تعزية له في مثله

« لولا أن التعزية على المصائب سبيل لا ينكر على مثلي من خدم الأمير وعبيده
سلوكها ، لأجلت الأمير أن أذكره من الصبر وحسن العزاء مما أعلم أنه بفضل
نعمة الله عليه ، وما خوّله من العلم الذي جعله به قدوة ، وإنما أسأل الله عز وجل أن
يوفق أمير المؤمنين لما يُعظيم به أجره ، ويجزل به مثوبته ، ولا يهد له ركناً ، ولا
يريه في شيء من عواربه لديه ومناجحه نقصاً ولا غيراً ، ولا تبديلاً ، بمنه ولطفه . »

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۷)

(۱) في الأصل « والنصيحة له التي قد الله به على كفاية » وهو تحريف .

(۲) زدت هذه الكلمة لتستقيم العبارة .

۱۶۹ - کتاب له

وكتب :

« شُغْلِكَ يَقْطَعُنَا عَنْ مَطَالِبَتِكَ بِالْحَقِّ فِي جَوَابَاتِ كُتُبِنَا إِلَيْكَ ، وَصِدْقُ مَوْدَّتِنَا لَكَ يَمْنَعُنَا مِنَ التَّقْصِي فِي الْحُجَّةِ عَلَيْكَ ، وَمَنْ يَكِلَكَ إِلَى رَأْيِكَ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى بِكَ إِلَّا لَكَ ، صِلَةَ إِخْوَانِكَ وَالتَّعَاهُدَ لَهُمْ مِنْ بَرِّكَ بِمَا يُشْبِهُ فَضْلَكَ ، وَالنِّعْمَةَ عَلَيْهِمْ فِيكَ .
وَقَلَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ أَقْدَمَهُ بِهَا عَلَى الْأُخُوَّةِ ، لِأَنَّكَ تَعْلَمُ قُرْبَ مَا بَيْنَ الْمَوَدَّةِ وَالقَرَابَةِ ، وَقَدْ بَلَّوْتُهُ (۱) عَلَى الْحَالَاتِ كُلِّهَا ، فَلَمْ يَزِدْنِي اخْتِبَارُهُ إِلَّا اخْتِيَارَ آلِهِ ، وَلَا أَعْلَمُ بِالْعَسْكَرِ جَلِيلًا إِلَّا وَهَوْلِي صَدِيقٌ ، يَشْكُرُ بِشُكْرِهِ ، وَيُوجِبُ عَلَيَّ نَفْسَهُ الْمِنَّةَ فِيمَا آتَى إِلَيْهِ ، فَأَمَّا مَنْ بَيْنَ إِخْوَانِهِ فَلَسْتُ أُعَدِّلُ عَنْ قِضَاءِ حَقِّهِ ، وَلَا أَتَأَخَّرُ عَنْ مَعْرُوفِ أُسْدِي إِلَيْهِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُحِدَّهُ بِالْحَجَلِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ بِنَفْسِهِ وَسَلَفِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ سُوقَ الْأَحْرَارِ أَنْفَقَ (۲) مِنْهَا عِنْدَكُمْ ، أَهْلَ الْبَيْتِ ، أَبْقَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَقْيَمِكُمْ ، وَرَحِمَ مَاضِيَكُمْ . »

(اختيار المنظوم والنثور ۱۲ : ۲۵۹)

۱۷۰ - تحميد له في فتح

وله تحميد في فتح من وصيف :

« أَمَا بَعْدَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَمِيدِ الْحَمِيدِ ، الْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ ، الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَمْضَاهُ عَلَى مَشِيئَتِهِ ، وَدَبَّرَهُ بِعِلْمِهِ ، وَأَخَاهُ فِيهِ آثَارَ حِكْمَتِهِ الَّتِي تَدْعُو الْعُقُولَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَتَشْهَدُ لَذَوِي الْأَبَابِ بِرَبُّوبِيَّتِهِ ، وَتَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكَ فِي مَلِكِهِ فَيُنَازِعُهُ ، وَلَا مُعِينٌ عَلَى مَا خَلَقَ فَتَلَزَمَهُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، فَلَيْسَ بِتَصَرُّفِ عِبَادِهِ فِي حَالٍ إِلَّا كَانَتْ دَلِيلًا عَلَيْهِ ، وَلَا تَقَعُ الْأَبْصَارُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا كَانَ شَاهِدًا لَهُ ، بِمَا

(۱) بلاء ببلوه : اختبره .

(۲) أي أروج .

(۱۷) - جهرة رسائل العرب - رابع)

وَمَسَّم فِيهِ مِنْ آثَارِ صُنْعِهِ ، وَأَبَانَ فِيهِ مِنْ دَلَائِلِ تَدْبِيرِهِ ، إِعْذَاراً بِحُجَّتِهِ ، وَتَطْوِئاً
بِنِعْمَتِهِ ، وَهَدَايَةً إِلَى حَقِّهِ ، وَإِرْشَاداً إِلَى سَبِيلِ طَاعَتِهِ « وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

والحمد لله العزيز القهار ، الملك الجبار ، الذي اصطفى الإسلام واختاره ، وارتضاه
وطهره ، وأعلاه وأظهره ، فجعله حجةً أهله على من شاقهم ^(۱) ، ووسيلتهم إلى النصر
على من عند ^(۲) في حقهم ، وابتغى غير سبيلهم ، وبعث به رساله يدعوون إلى حقه ،
ويهدون إلى سبيله بالآيات التي يبينون بها عن المخلوقين ، ويوجبون بها الحججة على
المخالفين ، حتى انتهت كرامة الله إلى خاتم أنبيائه ، وحامل كتابه ، ومفتاح رحمته
صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرُّسُلِ ، واختلاف من الملل ، ودثور ^(۳)
من أعلام الحق ، واستملاء من الباطل ، والناس عاندون عن سبيل ربهم ، يتسافكون
دماءهم ، ويحجلون ما حرّم الله عليهم ، ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ،
وأيدّه بالبرهان الواضح ، والحجج القواطع ، والآيات الشواهد ، وأنزل عليه كتابه
العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ،
وجعل فيه أوضح الدليل على رسالته ، وأعدل الشواهد على نبوته ، إذ عجز المخلوقون
عن أن يأتوا بمثله على مرّ الأيام ، وكثرة الأعداء والمنازعين ، يتحدّاهم به في المواسم ،
ويقصدون بحجّته في المحافل ، ولا يزدادون عنه إلا حُسوراً ^(۴) وعجزاً ، ولا تزداد
حجة الله عليهم إلا تظاهراً وعُلواً ، ثم أيدّه بالنصر بأنصار ألف بينهم بطاعته ، وجمعهم
على حقه ، ولم تشمّهم بنصرة دينه ، بعد الشقاق المتصل بينهم ، والحرب المفرقة لجماعتهم
كما قال عز وجل : « هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ » وقدّم إليه وعده
بالنصرة والتمكين ، فجعله بشرى للمؤمنين ، وحجة على الكافرين ، ودليلاً على ما بعثه

(۲) أي مال .

(۱) أي خالفهم وعاداهم .

(۴) أي كلالاً وانقطاعاً .

(۳) دثر الأثر كدخل دثوراً : درس .

به من الدين ، فهزَمَ بالقليل من عددهم الكثير من عدد أعدائهم ، وغلب بضعفائهم
أهل القوة من ناوَأَمُّ (۱) ، فَلَءَ به حَدَّهم ، وفضَّ جوعهم ، وافتتح حصونهم
وحرير (۲) مَعَاقِلِهِم ، وأظهر بحجته ونصره عليهم ، وأنجز سابق وَعَدِهِ لهم وفيهم ،
وَأَلَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ . (اختيار النظم والمنثور ۱۳ : ۲۸۲)

۱۷۱ - فصول لسعيد بن حميد في المودة

وكتب سعيد بن حميد :

« إني أهديت مودتي رغبةً إليك ، ورضيتُ بالقبول منك مَثُوبَةً ، فصرتَ
بقبولها قاضياً لحقِّ ، ومالكا لِرِيقٍ ، وصرتُ - بالتسرع إلى الهدية ، والتخير
للمثوبة - مُرْتَهِنَ اللسان بارضا ، واليدين بالوفا . »

* * *

وفصل له :

« إني صادقتُ منك جوهر نفسي ، فأنا خير محمودٍ على الانقياد لك بغير زمام ،
لأن النفس يقود بعضها بمضا . »

* * *

وفصل له :

« لساني ترطَّبَ بذكرك ، وقابي معمور بحببتك ، حضرتَ أو غبتَ ، ميرتَ
أو أقت . » (العقد الفريد ۲ : ۱۹۲)

(۱) أي عادم .

(۲) الحرير : الحصين ، والمقل كجلس : الملجأ .

۱۷۳ - کتاب سعید بن عبد الملك إلى سعید بن حمید

وكتب سعید بن عبد الملك إلى سعید بن حمید :

« أكره - أطل الله بقاءك - أن أضحك ونفسي موضع العذر والقبول ، فيكون أحدنا معتذرا مقصرا ، والآخر قابلا متفضلا . ولكن أذكر ما في التلاقي من تجديد البر ، وفي التخلف من قلة الصبر ، وأسأل الله تعالى أن يوفقك وإيانا لما يكون منه عقبى الشكر » .

۱۷۳ - رد سعید بن حمید عليه

فأجابه سعید بن حمید :

« وصل كتابك - أكرمك الله تعالى - الحاضر سروره ، اللطيف موقعه ، الجميل صدوره ومورده ، الشاهد ظاهره على صدق باطنه ، ونحن - أعزك الله - نجعل عزاءك الاعتراف بفضلك ، ومجازاتك التقصير دونك ، ونرى أن لا عذر في التخلف عنك وإن حال الاشتغال بيننا وبينك ، فإن كنت ساحت على العذر قبل الاعتذار ، وسبقت إلى فضيلة الاعتذار ، فلا زلت على كل خير دايلا ، وإليه داعيا ، وبه آمرا ، وقد التقينا قبل وصول كتابك لقاء أحدث قطرا^(۱) ، وهاج شوقا ، وأرجو أن تدع لنا الجمعة بما فاضت به الأيام ، فننال حظا من محادثتك والأنس بك » .
(زهر الآداب ۳ : ۳۶۱)

۱۷۴ - كتاب لسعيد بن عبد الملك في السلامة

« أما بعد ، فإن أولى نعمة تشكر وتقبل ، نعمة حصت فاستقامت بها الأمور واقعة بمصالحها ، جارية على أقصد^(۲) سذنها ، وأجل ما ولي الله به منها ،

(۱) أي قطر الدموع ، كناية عن شدة تأمير اللقاء .
(۲) أي أقوم : أفضل ، من القصد وهو استقامة الطريق .

وَمَتَّ فَأَلْفَتِ الْبَشَرَ ، وَجَمَعَتِ الْكَلِمَةَ ، وَأَمَنَتِ السَّرْبَ (۱) ، وَسَكَنَتْ بِهَا
الدَّهْمَاءَ (۲)

وإن أمير المؤمنين كتب إليك ، وهو من ترادف النعم الخاصة عنده في نفسه
وولده وأدانيه وأوليائه ، من شمول السلامة والنعمة والصنع وتنابعه في رعيته وأموره
بمخضرتة وقاصبته وكذا . . .

فإنه يقول لأمر المؤمنين في ذلك شكر تفضله ، وإليه الرغبة في إدامة
أحسن ما أنعم به عليه ، إنه ولي قدير .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۶)

۱۷۵ - كتاب له في سلامة الفطر

« أما بعد ، فإن الله هو وليُّ أمير المؤمنين فيما استحفظه من النظر في سياسة عباده
ومراعاة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامة شرائع دينه ، ودلالة الأمة إلى مرشدها
في قضاء حق الله عليها ، وجمعها في المواطن التي ندبها إليها ، وجعل نوافل (۳)
الخير والبر فيها ، فأدام الله صلاحها ، ولا أخلاها من بركة رعايته ، ومن ولايته
وسياسته ، ولا زالت في كنف السلامة بسلامته ، وظل العافية بعافيته ، وعلى سبيل
نجاة هدايته .

وقد كتبتُ إلى أمير المؤمنين فيما وليه الله به في تخرجه إلى عيده من يوم
فطره ، وما وقفه له من التقرب إليه بوسائل التذلل في طاعته ، والاجتهاد في شكره ،
والمناجحة في مخاطبة من حضره ، وإنصاتهم لوعظه وتذكيره ، وما وليه الله به من العافية
والسلامة الشاملة ، والنعمة الكاملة (والسلامة (۴) التامة) والعز الموصول بالسكينة ،

(۱) السرب : النفس . (۲) الدهماء : جماعة الناس . (۳) النافلة : العطفية .
(۴) هكذا في الأصل ، وبلاحظ أن كلمة « السلامة » قد تقدمت ، فلعنه سهو من الناسخ ، أو قد
يكون الأصل « والسطة التامة » .

والإخبات^(١) والخشوع ، وحسن الرغبة والدعة والوقار والاستغفار والتكبير ،
 والتهليل ، وما منحه الله من كثرة الدعاء ممن شاهد من خاصته وعامته ، ومن أوفى
 من البلدان والأمصار ، وآتاه من تفرغهم لشكر النعمة عليهم ، وأفرشهم^(٢) من عدله
 وإحسانه ، وفضله وامتنانه ، وأعانهم على ما كانوا يتشوقونه^(٣) ، ويعيدون له في
 أعيادهم ، من رفع حوائجهم وذكر مظالمهم ، منّا من الله خص به خليفته ، وأعطاه
 فضل مزيبته ، بما وفقه له من العدل والنصفة ، والبرّ والرحمة ، والعطف^(٤) والرافة ،
 كتاباً أمرت بنسخه لك آخر كتابي هذا ، فافعل وافعل . . . والسلام .
 (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧١)

١٧٦ - كتاب له في الاعتذار

« كَلَّظَكَ اللهُ بِمَغْفِرَتِهِ ، وَعَادَ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِعَفْوِهِ ، فَتَسْأَلُ اللهُ مَا لَا يَقْبَلُهُ عَلَى الْعِلْمِ
 وَالْقُدْرَةِ غَيْرُهُ ، لَوْ بُدِّئَتْ مَكَانَ سُوءِ الظَّنِّ أَحْسَنَهُ ، وَتَيَقَّنْتُ أَنْ قَلِيلٌ مَا يُبْلَمُ بِصَدِيقِي
 - مِمَّا يَطْرِفُ عَيْنَهُ ، وَيُؤْذِيهِ سَمَاعُهُ ، دُونَ مَا يَخَافُ مِنْ لَوْ أَحِقَّ^(٥) عَيْبِهِ - لَا يُزَابِلُ
 خَلْدِي الْإِهْتِمَامُ بِهِ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ تَخْرُجًا ، كُنْتُ رَوَّحْتُ عَنْ قَلْبِكَ وَعَنْ
 فِي اسْتِبْطَائِكَ » .
 (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٩)

١٧٧ - تعزية لسعيد بن عبد الملك

« لِكُلِّ مُعَزَّى - أَعَزَّ اللهُ الْأَمِيرَ ، سَبِيلٌ فِي مَوْقِعِهِ مِنَ التَّمْزِيَةِ وَالْعِزَاءِ ، وَحَقُّ
 الْأَمِيرِ لَا يَقْضِيهِ طَوْلُ السَّعْيِ فِيهِ ، بِجَلَالَةِ خَطَرِهِ ، وَعِظَمِ قَدْرِهِ ، وَكُلُّ مَا أُدِّيَ إِلَيْهِ مِنْهُ

(١) أخبت : خشم وتواضع .

(٢) من أفرش فلانا بساطاً : إذا بسطه له كفرشه .

(٣) تشوف إليه : تطلع .

(٤) في الأصل « والعطف » وهو تحريف .

(٥) في الأصل « من لواحق عيبه » وأراه محرفاً .

فهو دون ما يجب له (وما (۱) قصر عنه) لفضل منزلته ، وارتفاع مزيد النعمة عليه وتواليها (۲) ، فإن النعم على الأمير متكاملة قد وفرتة عن الجزع لحادث المصيبة ، وذلكته بالتقوى لخالص الشكر ، وهلت به في كل أمر يحدث له أو عليه ، وحطت درجة مثلى عن تعزيتة إلا بالدعاء ، فثبت الله الأمير بعزيمة الصبر ، ووفاه متكامل الأجر وزاده في مدة العمر ، ولا أخلاه في السراء والضراء من نعمة تثبتته على شكر يجمع له به ذخائر البر ، ووهب لميتة رضوانه ومغفرته ، وبراد عفوه في جنته التي لا يجاوزها أمل ، ولا يبلغها خطر .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۲)

۱۷۸ - تعزية له

« المصائب - أكرمك الله - هدايا لقوم ، وبلايا على آخرين ، فجعلك الله ممن عقل ، عند ما استعمل الشكر عند الإمتاع ، والصبر عند الارتجاع . »
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۷)

۱۷۹ - كتاب له في توصية

« للعودة أسباب تؤدى إلى انصال المحبة ، واجتماع المودة ، وأنساق نظم الأخوة وكتابي هذا من أسبابها القوية ، إذ كان في سبيل البر والثوبة ، ولفلان قبلك حاجة ، فافعل وافعل . »
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۳)

(۱) ما هنا نافية ، والجملة حالية .

(۲) في الأصل « وتواهيها » وهو تحريف .

۱۸۰ - کتاب آخر

« کتابی إلیک لک ، فإن قبِلتہ کان شیبها بکرمک ونعمۃ اللہ عندک ، وما أقبلُ منک إلا أن تقبَلہ ولا تؤخرہ ، وهو أنك قد عرفت ما یجب لفلان ، وما کتبتُ به لہ ، وما أرجعُ علیہ بلوئم فی حسن ظنہ بک ، وصبرہ علیک ، ووفائہ لک ، ولا أرضی منک أن تفعلُ عنہ ، وأن تجعل حاجتہ فیما تدافع به أو تغلُ فیہ ، فقد ضمنتُ لہ عنک أن یكون جوابہ النُجیح ، وقد اقتصر علی کتابی واقتصرت لہ علیہ ، وأرجو ألا تُخِلَّ به ، ولا تردَّه بغير حظ إن شاء اللہ . »

(اختیار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۹۳)

۱۸۱ - کتاب لہ فی إطلاق محبوس

« معرفتی أنك لا تجاوز فی العقوبة سبیلها من مواقع الأدب بالحق ، تحمِلنی علی مسألتک ما أنت مُوجبٌ لہ ، والذکرى تنفع المؤمنین ، ولولا ذلك لاستغنی صاحبُ کتابی عنہ ، فإن کان ذنبہ صغیرا ، فالعقوبة تُخرِجه من حبسه ، وإن كنت تناهیت فی حبسه إلى مدة ذنبہ ، فالحقُ یُخرِجه ، وکتابی متقاضٍ لک . »

(اختیار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۹۴)

۱۸۲ - کتاب لہ

وكتب سعيد بن عبد الملك :

« کتبتُ - علی شُفْلِ - فی قِطْع من القِرطاس ، ولم یقطع بی حسنُ الظن بک فی قبولک العذر ، وتحسينک ما أنت أهل لتحصينه ، فإنک تقبل دون حَقک ، وتهب الذنب فیہ ، فيكون شـكرك جاريا على سبيلين ، كلاهما يُبين لک عن فضلک ، ويوجب لک ما لا يقصر معهُ إلا مغبونُ الحظ ، خسيسُ الفصيب . »

(اختیار المنظوم والنثور ۱۲ : ۲۶۴)

۱۸۳ - ومن فصوله

فصل له :

« أنا صَبُّ إِلَيْكَ ، سَامِي الطَّرْفِ نَحْوِكَ ، وَذِكْرُكَ مُلْصَقِ بِلِسَانِي ، وَاسْمُكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهَوَاتِي (۱) وَشَخْصُكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ قَابِي ، وَأَخَذَهُمْ بِمَجَامِعِ هَوَايَ . »

وفصل له :

« لَنَعْنُ أَحَقُّ بِابْتِدَائِكَ بِمَا ابْتَدَأْتَنَا بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ ، إِلَّا أَنْكَ أَحَقُّ بِالْفَضْلِ الَّذِي سَبَقْتَنَا إِلَيْهِ . » (العقد الفريد ۲ : ۱۹۲)

۱۸۴ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المعتز

وَطَفِقَ أَمْرُ الْمُسْتَعِينِ يَضْعُفُ ، وَالْمُعْتَزُ يَقْوَى ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ طَاهِرٍ كَاتِبَ الْمُعْتَزَ ، وَجَنَحَ إِلَيْهِ ، وَمَالَ إِلَى الصَّلَاحِ عَلَى خَلْعِ الْمُسْتَعِينِ ، وَكَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ أَنْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَبَايَعَ الْمُعْتَزَ (سنة ۲۵۲) فَأَخَذَ لَهُ ابْنُ طَاهِرٍ الْبَيْعَةَ بِبَغْدَادَ ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الشُّهُودَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَالْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ وَالْقَوَادِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْبُرْدَةَ وَالْقَضِيبَ وَالخَاتَمَ ، وَوَجَّهَ ذَلِكَ مَعَ أَخِيهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى الْمُعْتَزِ بِسَامَرَةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُتَمِّمِ النِّعَمِ بِرَحْمَتِهِ ، وَالْمَهَادِي إِلَى شُكْرِهِ بِفَضْلِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي جَمَعَ لَهُ مَا فَرَّقَ مِنَ الْفَضْلِ فِي الرِّسْلِ قَبْلَهُ ، وَجَعَلَ تَرَاتُّمَهُ رَاجِعًا إِلَى مَنْ خَصَّهُ بِخِلَافَتِهِ وَصَلَّمَ تَسْلِيمًا .

(۱) لهوات جمع لهواة : وهي العملة الشترقة على الملق .

کتابی إلى أمير المؤمنين ، وقد تمَّ الله له أمره ، وتسلَّمتُ تراثَ رسولِ الله
صلى الله عليه وسلم ممن كان عنده ، وأنفذتهُ إلى أمير المؤمنين مع عبید الله
ابن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبده .
(تاریخ الطبری ۱۱ : ۱۳۷)

وجاء في مروج الذهب للمسعودی :

وقدمَ على المعتز عبید الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبردة
والتضيب والسيف وبجوهر الخلافة ومعه شاهك الخادم ، وكتب محمد بن عبد الله إلى
المعتز في شاهك :

« إن من أتاك بإرث رسول الله صلى الله عليه وسلم جديرٌ أن لا تُخفَر ذِمَّتُهُ (۱) »
(مروج الذهب ۲ : ۴۲۰)

ثم أُحْدِر المستعین إلى « واسط » وقتل في شوال من سنة ۲۵۲ هـ .

۱۸۵ - کتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عمال النواحي

ولما أفضت الخلافة إلى المعتز ، أمر بالعقد لأنصاره على النواحي ، وأطلقهم
في أشعار أعدائهم وأبشارهم (۲) ودمائهم ، فلما بلغ محمد بن عبد الله بن طاهر ما أمر به
في النواحي أثنأ كتاباً نسخة :

« أما بعد : فإن زبغ الهوى صدَف (۳) بكم عن حزم الرأي ، فأوقمكم (۴)
حبائل الخطأ ، ولو ملكتم الحقَّ عليكم ، وحكمتُم به فيكم ، لأوردكم البصيرة ، ونفى
عنكم غيابة (۵) الخيرة ، والآن ، فإن تجنحوا (۶) لاسلم تحقنوا دماءكم ، وترغدوا

(۱) أخفَره : نقض عهده وغدره .
(۲) أشعار : جمع شعر كشمس وسبب ، وهو معروف ، وأبشار : جمع بشر كسبب : وهو ظاهر
الجلد جمع بشرة كرقبة ، والمعنى : أباح لهم ضربهم وجلدهم .
(۳) صدَف عنه كضرب : أعرض ، وصدفه : صرفه .
(۴) أى رى بكم .
(۵) غيابة كل شئ : ما سترك منه .
(۶) تجنحوا : تملوا .

عیشکم ، ویصنع أمير المؤمنين عن جريرة^(۱) جارمکم ، وأخلى لكم ذرورة سُبُوغ
 النعمة عایکم ، وإن مَضیتم علی غلوائکم^(۲) ، وسوّل لكم الأملُ أسوأ أعمالکم ،
 فأذّنوا^(۳) بحربٍ من الله ورَسُولِهِ بعد نَبَذِ^(۴) المَعذِرَةِ إليکم ، وإقامةِ الحجّةِ علیکم ،
 ولئن شئتُ الغاراتُ ، وشبَّ ضرامُ^(۵) الحربِ ، ودارت رحاها علی قُطْبِهَا ،
 وحسّمتِ^(۶) الصوارمُ أوصالَ مُحامِئِهَا ، واستجرتِ الفِوَالِی^(۷) من نَهْمِهَا ، ودُعِيتُ
 نَزَالِ^(۸) ، والتَّحَمَّ الأبطالُ ، وكَلَّحتِ^(۹) الحربُ عن أنيابِهَا أشدَّاقِهَا ، وألقتُ للتجرّدِ
 عنها قِنَاعِهَا ، واختلفتُ أعناقُ الخيلِ ، وزحفتُ أهلُ النجدةِ إلى أهلِ البغى ، كَتَعَلَمُنَّ
 أیُ الفريقینِ أسمحُ بالموتِ نفسًا ، وأشدُّ عندَ اللقاءِ بَطْشًا ، ولاتَ حينَ مَعذِرَةٍ ، ولا
 قبولِ فِدْيَةٍ ، وقد أَعذَرَ مَنْ أُنذَرَ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أیَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .
 (تاریخ الطبری ۱۱ : ۱۴۹)

۱۸۶ - رد الأتراك علی کتاب ابن طاهر

قَبَلَعَ کتابُ محمد بن عبد الله الأتراكَ فکتبوا جوابَ کتابه :
 « إنَّ شَخْصَ الباطلِ تصوّرَ لك في صورةِ الحقِّ ، فتخيّلْ لك الفئِ رُشْدًا ،

- (۱) الجريرة : الذنب ، وجرم كضرب وأجرم : أدب ، وسبوغ النعمة : انساءها .
- (۲) الغلواء : الغلو .
- (۳) أي كونوا على علم بها ، من أذن بالشيء كسمع : علم به .
- (۴) أي تقديم ، وأصل النبذ : الطرح .
- (۵) شب : أوقد ، والضرام : دقاق الخطب الذي يسمع اشتعال النار فيه .
- (۶) حسمت : قطعت .
- (۷) الفوالى : جمع عالية : وهي أعلى الرمح ، والجرة بالكسر : ما يبيض به البعير من بطنه فبأكله
 ثانية ، وقد اجتر وأجر ، ولم يرد في كتب اللغة استجر بهذا المعنى .
- (۸) نزال : معدول عن المنازلة في الحرب ، ولذا أنت ، قال الشاعر :
 ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الدرع
 وقال آخر .
- * فدعوا نزال فكنت أول نازل *
- (۹) الكاوح : بدو الأسنان عند العبوس ، وفعله كنع .

كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ (۱) يَحْسَبُهُ الظُّلْمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْثًا ، وَلَوْ رَاجَعْتَ
عُرُوبَ (۲) عَقْلِكَ ، أَنَارَكَ بِرَهَانِ الْبَصِيرَةِ ، وَحَسَمَ عَنْكَ مَوَادَّ الشُّبْهَةِ ، لَكِن
حِصَّتْ (۳) عَنْ سُنَّةِ الْحَقِيقَةِ ، وَنَكَصَتْ عَلَىٰ عَقَبِيِّكَ ، لِأَنَّ مَلَأَكَ طِبَاعَكَ مِنْ دَوَاعِي الْخَيْرَةِ ،
فَكَنتَ فِي الْإِصْفَاءِ لِهَتَافِهِ ، وَلِلتَّجَرُّدِ إِلَىٰ وُرُودِهِ ، كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ
فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ، وَلَعَمْرُكَ يَا مُحَمَّدُ : لَقَدْ وَرَدَ وَعْدُكَ لَنَا ، وَوَعِيدُكَ إِيَّانَا ، فَلَمْ يَدُنَا
مَعَكَ ، وَلَمْ يُنْثِنَا عَنْكَ ، إِذْ كَانَ فَحْصُ الْيَقِينِ قَدْ كَشَفَ عَنْ مَكْنُونِ ضَمِيرِكَ ، وَأَلْفَاكَ
كَالْمَكْتَفِي بِالْبَرْقِ نَهْجًا إِذَا أَضَاءَ لَهُ مَشَىٰ فِيهِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ قَامَ ، وَلَعَمْرُكَ لَئِنْ اشْتَدَّ
فِي الْبَغْيِ شَأُوكَ (۴) ، وَمُتَّعْتَ بِصُبَابَةِ مِنَ الْأَمَلِ ، لَيْسَ كَوْنُ أَمْرِكَ عَلَيْكَ غُمَّةً ،
وَلَنَأْتِيَنَّكَ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَكَ بِهَا ، وَلَنُخْرِجَنَّكَ مِنْهَا ذَلِيلًا وَأَنْتَ مِنَ الصَّاعِرِينَ ،
وَلَوْلَا انْتِظَارُنَا كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِإِعْلَامِنَا مَا نَعْمَلُ فِي شَأِكَلَتِهِ (۵) ، بَلَّغْنَا بِالسِّيَاطِ
النِّيَاطَ ، وَغَمَدْنَا السِّيَوفَ وَهِيَ كَالَّةٌ ، وَجَمَلْنَا عَلِيَّهَا سَافِدَهَا ، وَجَعَلْنَاهَا مَأْوَىٰ
الظُّلْمَانِ (۶) وَالْحَيَّاتِ وَالْبُومِ ، وَقَدْ نَادَيْتُكَ مِنْ كَثَبِ (۷) ، وَأَسْمَعْنَاكَ إِنْ كُنْتَ حَيًّا ،
فَإِنْ تُجِبُ تَقْدِيحَ ، وَإِنْ تَأْبَ إِلَّا غِيًّا نُخْزِكَ بِهِ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ لَتُصْبِحَنَّ نَادِيَيْنِ .
(تاريخ الطبري ۱۱ : ۱۵۰)

- (۱) السراب. ما تراه نصف النهار ، كأنه ماء ، والقبة : جمع قاع : وهو أرض سهلة مطمئنة قد
انقرجت عنها الجبال والآكام .
(۲) العزوب : الغيبة والذهاب ، أي عقلك الذاهب .
(۳) حاص عنه يحبس : عدل وحاد ، والسنة : الطريقة ، ونكص على عقبه : رجع عما كان عليه من
خير ، خاص بالرجوع عن الخير ، أو في الشر نادر .
(۴) الشأو : السبق والغاية ، والصباية : البقية .
(۵) النياطة : الطريقة والذهب ، والنياطة : عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه .
(۶) الظلمان : جمع ظليم : وهو ذكر النعام .
(۷) أي من قرب .

۱۸۷ - کتاب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمود الإسكافي

وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي^(۱) وزير المعتز بالله - وكان المعتز يختص به ويتقرب إليه قبل الوزارة - :

« مازلتُ - أيديك الله تعالى - أذمُّ الدهر بدمك إياه ، وانتظر لنفسى ولك عتياه ، وأتمنى زوال مَنْ لا ذنبَ له إلى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله ، وأترك الإعدار في الطلب ، على الاختلال الشديد ، ضينًا بالمعروف عندي إلا عن أهله ، وحبسًا لشعري إلا عن مستحقة » .

۱۸۸ - رد جعفر على محمد بن عباد

فوقع في كتابه :

« لم أؤخر ذكرَكَ ناسيا لحظك ، ولا مُهملا لواجبك ، ولا مُوهيناً لمهمِّ أمرِكَ ، لكني ترقبتُ اتساع الحال ، وانفساح الأعمال ، لأخصك بأسناها خطرًا ، وبأجلها فدرا ، وأعودها نفعاً عليك ، وأوفرها رزقاً لك ، وأقربها مسافةً منك ، فإذا كنت من تحفزه^(۲) الأعمال ، ولا يتبع له الإمهال ، فأختار لك خير ما يشير إليه الوقت ، وأنعم^(۳) النظر فيه ، فأجعله أول ما أمضيه » .
(زهر الآداب ۳ : ۱۹۸)

(۱) انظر خبره في الفخرى ص ۲۲۱ ، وفي زهر الآداب أنه ابن محمد وهو تحريف ، وصوابه ابن محمود كما في الفخرى ، ويدل على ذلك ما جاء فيه ص ۲۲۲ : « واستوزره المعتز ثانية ، ولما تولى الوزارة في المرة الثانية قال بعض الشعراء :

يا فاس لا تولي بتفنيدي وعلى القلب بالمواعيد

وانتظري قد رأيت ما ساقه الله لي جعفر بن محمود

وفي تاريخ الطبري أنه جعفر بن محمود أيضا - انظر ج ۱۱ : ص ۱۶۱ .

(۲) في الأصل « تحقره » وهو تصحيف ، وصوابه « تحفزه » كما أثبتته ، من حفزه كضربه أي دفعه وأعجله .

(۳) في لسان العرب : أنعم النظر في الشيء : إذا أطال العكرة فيه ، وفيه أيضا وفي القاموس :

أنعم في الأمر بالنظر .

۱۸۹ - کتاب ابن طاہر إلى عماله

وفي سنة ۲۵۳ ھ مات محمد بن عبد الله بن طاہر - وكانت علته التي مات فيها قروحا أصابته في حلقه ورأسه فذبحته - واستخاف محمد قبل موته أخاه عبید الله على أعماله ، ووصى بذلك وكتب به إلى عماله ، ثم وجه المعتز الخلع وولاية بغداد إلى عبید الله .

وهذه نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بن عبد الله إلى عماله باستخلافه أخاه عبید الله بعده :

« أما بعد : فإن الله عز وجل جعل الموت حَتْمًا مَقْضِيًّا جَارِيًّا على الباقيين من خلقه ، حسب ما جرى على الماضين . وحقيقٌ على من أُعطي حظًا من توفيق الله أن يكون على استعدادٍ لحُلُولِ ما لا بُدَّ منه ، ولا مَحِيصٍ^(۱) عنه في كل الأحوال .

وكتابي هذا وأنا في غِلَّةٍ قد اشتد الإشفاقُ منها ، وكاد الإياسُ يغلب على الرجاء فيها ، فإن يُبِيلَ^(۲) الله وَيُدْفَعْ فبقدرته وكريم عَادَتِهِ ، وإن يَحْدُثْ بي الحَدَثُ الذي هو سبيلُ الأولين والآخِرِينَ ، فقد استخلفتُ عبید الله بن عبد الله مَوْلَى أمير المؤمنين ، أخي الموثوقِ بأقتفائه أئري ، وأخذهُ بِسَدِّ ما أنا بسبيله من سلطان أمير المؤمنين ، إلى أن يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه ، فاعلم ذلك وأُتَمِّرْ فيما تتولاه بما تَرِدُ به كُتُبُ عبید الله وأمره إن شاء الله . »

وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة سنة ۲۵۳ ھ .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۱۵۵)

(۱) أي لا مفر ولا مهرب منه .

(۲) أي يبرئ ، من بل من مرضه إذا برأ ، وأبل أيضا .

۱۹۰ - رقعة المعتز بخلع نفسه

واضطرب أمر المعتز واضطره الأتراك أن يخلع نفسه ففعل ، وبايعوا بالخلافة
محمد المهدى بالله بن الواثق بالله سنة ۲۵۵ ، ثم قتلوا المعتز ، وكانت نسخة الرقعة
بخلع المعتز نفسه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أشهدُ عليه الشهود المسمون في هذا الكتاب ،
شَهِدُوا أَن أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أَقْرَأَهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ ،
فِي صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَجَوَازٍ مِنْ أَمْرِهِ ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ ، أَنَّهُ نَظَرَ فِيهَا كَانَ تَقَلَّدَهُ مِنْ
أَمْرِ الْخِلَافَةِ وَالْقِيَامِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَأَى أَنَّهُ لَا يَصَاحُ لِذَلِكَ وَلَا يَكْمُلُ لَهُ ، وَأَنَّهُ عَاجِزٌ
عَنِ الْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْهَا ، ضَعِيفٌ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَخْرَجَ نَفْسَهُ وَتَبَرَّأَ مِنْهَا وَخَلَعَهَا مِنْ
رَقَبَتِهِ وَخَلَعَ نَفْسَهُ مِنْهَا ، وَبَرَّأَ كُلَّ مَنْ كَانَتْ لَهُ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ ، مِنْ جَمِيعِ أَوْلِيَائِهِ وَسَائِرِ
النَّاسِ ، مِمَّا كَانَ لَهُ فِي رِقَابِهِمْ مِنَ الْبَيْعَةِ وَالْعَهْدِ وَالْمَوَاتِيقِ وَالْأَيْمَانِ بِالطَّلَاقِ وَالْعَتَاقِ
وَالصَّدَقَةِ وَالْحِجِّ وَسَائِرِ الْأَيْمَانِ ، وَخَلَعَهُمْ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ ، وَجَعَلَهُمْ فِي سَقَةِ مَنْهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الصَّلَاحَ لَهُ وَاللِّسْلِينَ فِي خُرُوجِهِ عَنِ الْخِلَافَةِ وَالتَّبَرُّيِ
مِنْهَا ، وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِجَمِيعِ مَا سَمِّيَ وَوُصِفَ فِي هَذَا الْكِتَابِ جَمِيعَ الشُّهُودِ الْمَسْمُومِينَ
فِيهِ وَجَمِيعَ مَنْ حَضَرَ ، بَعْدَ أَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ حَرْفًا حَرْفًا ، فَأَقْرَأَهُ بِفَهْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ جَمِيعَ مَا فِيهِ
طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ اِثْلَاثَ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ۲۵۵ » .

فوقع المعتز في ذلك :

« أَقْرَأَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِجَمِيعِ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَكَتَبَ بِخَطِّهِ » .

وكتب الشهود شهاداتهم : شهد الحسن بن محمد ، ومحمد بن يحيى ، وأحمد بن
جناب ، ويحيى بن زكرياء بن أبي يعقوب الأصبهاني ، وعبد الله بن محمد العامري ،
وأحمد بن الفضل بن يحيى ، وحامد بن إسحاق ، وعبد الله بن محمد ، وإبراهيم بن محمد .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۱۶۲)

۱۹۱ - کتاب الموالى بالكرخ والدور إلى المهتدى

وفي سنة ۲۵۶ هـ انتشر الخبر في العامة أن القوم على أن يخلعوا المهتدى ويفتخروا به ، فتحرك الموالى بالكرخ والدور^(۱) ، ووجهوا إلى المهتدى وسألوه أن يوجه إليهم أحد إخوته ، فوجه إليهم أخاه أبا القاسم ، فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمر المؤمنين ، وأنه بلغهم أن موسى بن بغا وبايكباك وجماعة من قوادهم يريدونه على الخلع ، وأنهم يبذلون دماءهم دون ذلك ، وأنهم قد قرءوا بذلك رقاعا ألقيت في المسجد والطرقات ، وشكروا مع ذلك سوء حالهم وتأخر أرزاقهم ، وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم التي قد أجهقت بالضياع والخراج ، وما صار لكبرائهم من المعاون والزيادات من الرسوم القديمة ، مع أرزاق النساء والدخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال الخراج ، وكثر كلامهم في ذلك ، فقال لهم أبو القاسم : اكتبوا هذا في كتاب إلى أمير المؤمنين أتولى إيصاله لكم ، فكتبوا ذلك .

۱۹۲ - رد المهتدى عليهم

فكتب المهتدى جواب كتابهم بخطه وختمه بخاتمه ، وغدا أبو القاسم إلى الكرخ فوافق بكتاب المهتدى فقرأ عليهم ، وإذا فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله وصلى على محمد النبي وعلى آله وسلم نسلما كثيرا ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم وليا وحافظا ، فهمت كتابكم ، وسررتي ما ذكرتكم من طاعتكم ، وما أتم عليه ، فأحسن الله جزاءكم ، وتولى حياتكم ، فأما ما ذكرتكم من خلعتكم^(۲) وحاجتكم فعزير على ذلك فيكم ، ولو ددت والله أن

(۱) الكرخ : نخلة بغداد ، ودور بغداد : موضع بها أيضا .

(۲) الخلة : الحاجة .

صلاحيكم يهيناً بأن لا آكل ولا أطعم ولدي وأهلي إلا القوت الذي لا يسع شيء دونه،
ولا ألبس أحداً من ولدي إلا ما ستر العورة، ولا والله - حاطكم الله - ما صار إليّ
منذ تولدتُ أمركم لفسى وأهلي وولدي ومنتدئ غلمانى وحشمى إلا خمسة عشر ألف
دينار، وأنتم تقفون على ما ورد ويرد، وكل ذلك مصروف إليكم، غير مدخر
عنكم، وأما ما ذكرتم مما بلغكم وقرأتم به الرقاع التي أقيت في المساجد والطرقات،
وما بذلت من أنفسكم، فأنتم أهل ذلك، وأين تعتذرون مما ذكرتم، ونحن وأنتم
نفس واحدة، فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأمانتكم خيراً، وليس الأمر كما
بلغكم، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله، وأما ما ذكرتم من الإقطاعات
والمعاون وغيرها، فأنا أنظر في ذلك وأصير منه إلى محبتكم إن شاء الله والسلام عليكم،
أرشدنا الله وإياكم، وكان لنا ولكم حافظاً، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على
محمد النبي وآله وسلم تسليماً كثيراً .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۱۹۵)

۱۹۳ - كتاب الموالي بالكرخ والدور إلى المهتدي

فلما فرغ القارئ كثير الكلام، فقال لهم أبو القاسم اكتبوا بذلك كتاباً،
فكتبوا بعد أن دعوا الله فيه لأمر المؤمنين:

« إن الذي يسألون أن تُردّ الأمور إلى أمير المؤمنين في الخاص والعام،
ولا يعترض عليه معترض، وأن تردّ رسومهم إلى ما كانت عليه أيام المستهين بالله،
وأن يكون على كل تسعة منهم هرب، وعلى كل خمسين خليفة، وعلى كل مائة قائد،
وأن تسقط أرزاق النساء والزيادات والمعاون ولا يدخل مولى في قبالة^(۱) ولا غيرها،
وأن يوضع لهم العطاء في كل شهرين على ما لم يزل، وأن تبطل الإقطاعات، وأن
يكون أمير المؤمنين يريد من شاء ويرفع من شاء . »

(۱) قبل به كنصر وسمع وضرب قبالة: كفل، والنيل: الكفيل والضامن.

وذكروا أنهم صائرون في إثر كتابهم إلى باب أمير المؤمنين ، ومقيمون هناك إلى أن تُقضى حوائجهم ، وأنه إن بلغهم أن أحداً اعترض على أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن بفا وبابيكباك ومفلحا وياجور وبكالبا وغيرهم ، ودَعَوْا الله لأمر المؤمنين ، ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم فانصرف به حتى أوصله .

۱۹۴ - كتاب المهتدى إليهم

فأخذ المهتدى كتابهم ، ووقع بإجابتهم إلى ما سألوا ، ثم كتب كتاباً مفرداً بخطه وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى أبي القاسم . وصار أبو القاسم إليهم بكتاب أمير المؤمنين فقرأ عليهم فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله وحده . وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم .

أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم ، وأصاح أموركم وأمور المسلمين بكم ، وعلى أيديكم ؛ فهيمتُ كتابكم وقرأته على رؤسائكم ، فذكروا مثل الذي ذكرتم ، وسألوا مثل الذي سألتهم ، وقد أجبتكم إلى جميع ما سألتهم ، محبةً لأحلكم وألقتكم واجتماع كلمتكم ، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم ، وأن تصير دائرةً عليكم ، فليست لكم حاجة إلى حركة ، فطيبوا نفساً والسلام . »

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۱۹۷)

۱۹۵ - كتابهم إلى المهتدى

فتكلموا كلاماً كثيراً ، ثم كتبوا كتاباً يعتذرون فيه بمثل العذر الأول إلى أمير المؤمنين ، وذكروا فيه خصالاً مما ذكروه في الكتاب الذي قبله ، ووصفوا أنه لا يُقنعهم إلا أن يُنفذ إليهم خمسة توقيعات : - توقيعاتاً بحطّ الزيادات ، وتوقيعاتاً برَدِّ

الإقطاعات ، وتوقيعا بإخراج الموالي البوّابين من الخصاصّة إلى عداد البرّانيين^(۱) ،
وتوقيعا بردّ الرّسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعین ، وتوقيعا بردّ التّلاجی^(۲) -
حتى يدفعوها إلى رجل يضمّن إليه خمسين رجلا من أهل الدور ، وخمسين رجلا من
أهل سامرّا يتنجزون من الدواوين ، ثم يصير أمير المؤمنین الجيش إلى أحد إخوته
أو غیرهم ممن یرى ، یرسفر^(۳) بينه وبينهم بأمرهم ، ولا يكون رجلا من الموالي ،
وأن يؤمر صالح بن وصيف فيحاسب هو وموسى بن بفا على ما عندهم من الأموال ،
وأنه لا يرضيهم دون ما سألوا في كتبهم كلها ، مع تعجيل العطاء وإدراة أرزاقهم
عليهم في كل شهرين ، وأنهم قد كتبوا إلى أهل سامرّا والمغاربة في موافاتهم ،
وأنهم صارتون إلى باب أمير المؤمنین لينجز ذلك لهم ، ودفعوا الكتاب إلى
أبي القاسم .

۱۹۶ - كتابهم إلى القواد

وكتبوا كتابا آخر إلى موسى بن بفا وبابكباك ومحمد بن بفا ومفلح وياجور
وبكالبا وغيرهم من القواد كتابا ذكروا فيه :
• أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنین بما كتبوا ، وأن أمير المؤمنین لا يمنعهم
ما سألوا إلا أن يعترضوا عليه ، وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوهم لم يوافقوهم على شيء ،
وأن أمير المؤمنین إن شا كتته شوكة أو أخذ من رأسه شعرة ، أخذوا رؤوسهم
جميعا ، وأنهم ليس بمنعهم إلا أن يظهر صالح بن وصيف حتى يجمع بينه وبين موسى

(۱) من قولهم • من أصلح جوانبه أصلح الله برانيه ، أي من أصلح سربرته أصلح الله علانيته ،
أخذ من الجو والبر ، والجو : كل بطن غامض ، والبر : المن الظاهر ، فهاتان الكلمتان هي النسبة إليهما
بالألف والنون ، وأصل البراني من قولهم خرج فلان برا إذا خرج إلى البر والصجراه ، ونيس من قديم
الكلام ونصيبه .

(۲) التّلاجی : جمع تلجئة ، وهي الإكراه تفعله من الإلجاء .

(۳) سفر بينهم كضرب ونصر : أصاح .

ابن بفا حتى ينظر أين موضع الأموال ، فإن صالحا قد كان وعدم قبل استناره أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر .

ثم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى .

۱۹۷ - كتاب المهتدى إليهم

فأمر المهتدى سليمان بن وهب^(۱) بإنشاء الكتب على ما سألوا في خمسة رِقاع ، فأنفذها المهتدى في دَرَج كتاب مَفه بخطه ، ودفعه إلى أخيه أبي القاسم ، وكتب القواد إليهم جواب كتابهم ، ودفعوه إلى صاحب موسى ، فصار إليهم أبو القاسم وقرأ عليهم كتاب المهتدى فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : وَفَقْنَا الله وَإِيَاكُمْ لَطَاعَتَهُ وَمَا يُرْضِيهِ ، فَهَمَّتْ كِتَابَكُمْ - حَاطَكُمْ اللهُ - وَقَدْ أَنْفَذْتُ إِلَيْكُمْ التَّوْقِيعَاتِ الْخَمْسَ عَلَى مَا سَأَلْتُمْ ، فَوَكَّلُوا مِنْ يَتَنَجَّزُهَا مِنَ الدَّوَابِّ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَأَمَا مَا سَأَلْتُمْ مِنْ تَصْيِيرِ أَمْرِكُمْ إِلَى أَحَدٍ إِخْوَتِي لِيُوصَلَ إِلَيْكُمْ أَخْبَارَكُمْ ، وَيُؤَدِّيَ إِلَيَّ حَوَائِجَكُمْ ، فَوَاللهِ إِنِّي لِأَحَبُّ أَنْ أَتَفَقَدَ ذَلِكَ بِنَفْسِي ، وَأَنْ أَطَّلِعَ عَلَى كُلِّ أَمْرِكُمْ وَمَا فِيهِ مَصْلَحَتِكُمْ ، وَأَنَا مُخْتَارٌ لَكُمْ الرَّجُلَ الَّذِي سَأَلْتُمْ مِنْ إِخْوَتِي أَوْ غَيْرِهِمْ إِنْ شَاءَ اللهُ ، فَاصْبِرُوا إِلَيَّ بِحَوَائِجِكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ فِيهِ صَلَاحَكُمْ ، فَإِنِّي صَائرٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا تُحِبُّونَ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَفَقْنَا اللهُ وَإِيَاكُمْ لَطَاعَتَهُ وَمَا يُرْضِيهِ . »

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۱۹۸)

۱۹۸ - كتاب القواد إليهم

وأوصل إليهم رسول موسى كتاب موسى وأصحابه فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أَبْقَاكُمْ اللهُ وَحَفِظَكُمْ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ، فَهَمْنَا

(۱) وزير للمهتدى بالله ، ثم من بعده للمعتمد على الله ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۲۱۶ ، والفخرى ص ۲۲۳ والأغانى ۲۰ : ۶۷ .

کتابکم ، وإنما أتم إخواننا وبنو عمنا ، ونحن صائرون إلى ما تحبون ، وقد أمر أمر أمير المؤمنين - أعزه الله - في كل ما سألتم بما تحبون ، وأنفذ التوقيعات به إليكم ، وأما ما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين وتغيرنا له ، فهو الأخ وابن العم ، وما أردنا من ذلك ما تكرهون ، فإن وعدكم أن يعطيكم أرزاق ستة أشهر فقد رفعنا إلى أمير المؤمنين رِقاعاً نسأله مثل الذي سألتم ، وأما ما قلتم من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض الأمر إليه ، فنحن سامعون مطيعون لأمر المؤمنين ، والأمور مفوضة إلى الله ، وهو مولانا ونحن عبده ، وما نعترض عليه في شيء من الأمور أصلاً ، وأما ما ذكرتم أنا نريد بأمر المؤمنين سوءاً ، فمن أراد ذلك فجعل الله دائرة السوء عليه ، وأخزاه في دنياه وآخرته ، أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم . (تاريخ الطبری ۱۱ : ۱۹۸)

۱۹۹ - کتاب علی بن یحییٰ بن سلیمان بن وهب

ونالت علی بن یحییٰ جَفْوَةً من سلیمان بن وهب ، فکتب إليه :

جَفَانِي أَبُو أَيُّوبَ ، نَفْسِي فِدَاؤُهُ فَعَاتَبْتُهُ كَمَا يَرِيحُ وَيُعْتَبَا (۱)
فَوَاللَّهِ لَوْلَا الظَّنُّ مِنِّي بُوْدُهُ لَكَانَ سُهَيْلٌ مِنْ عَتَابِيهِ أَقْرَبَا (۲)

۲۰۰ - رد ابن وهب عليه

فکتب إليه سلیمان :

ذَكَرْتَ جَفَانِي وَهُوَ مِنْ غَيْرِ شِيْمَتِي وَإِنِّي لَدَانٍ مِنْ بَعِيدٍ تَقْرُبَا
فَكَيْفَ بَجَلٌ لِي أَضِنُ بُوْدُهُ وَأَصْفِيهِ وَدَا ظَاهِرًا وَمُعْتَبَا (۳)

(۱) داع يربيع : رجع ، وأعتبه : أعطاه العتي بالضم وهي الرضا .
(۲) سهيل : نجم .
(۳) أصفته الود : أخلت .

هل بن يحيى لا عدمت إخاءه فما زال في كل الخصال مهذباً
ولكن أشغلاً عدت وتوانرت فلما رأيت الشغل عاق وأتعباً
ركنت إلى عذر الأخلاء لهم كرام وإن كان التواصل أوجباً
فإن يطلب منى عتابك أوبةً بيري تجدي بالإنابة معتباً^(۱)
(الأغاني ۲۰ : ۷۰)

۲۰۱ - كتاب ابن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر

وأهدى سليمان بن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر ميلال رطب من ضيعة،
وكتب إليه :

أذن الأمير بفضله وبجوده وبنياله
لويله في بره بجناه مكر نخله
فبعثت منه بسلة تحكي حلاوة عدله

(الأغاني ۲۰ : ۷۱)

۲۰۲ - كتاب رجل إلى سليمان بن وهب

وكتب رجل إلى سليمان بن وهب وهو يتولى شيئاً من أعمال الضياع :

أطال الله إسماعداً في الآجل والماجل
أما ترعى لمن أمّل فضلاً حرمة الآمل؟
وعندي عاجل من رشوة يتبعها آجل
وأنت العالم الشاهد أني كاتب عامل
قول الكافل الباذل دون العاجز الباخل
فا أفشي لك السر فقال الأخرق الجاهل

(۱) في الأصل « بالأمانة » وهو تحريف .

۲۰۳ - رده عليه

فضحك وكتب في رقعة :

أين لي ما الذي تخطبُ شرحاً أيها الباذل ؟
وما تُعطي إذا وُلّيتَ تعجلاً وما الآجيل ؟
أفي الإسلافِ تنقيصُ أم الوزنُ له كامل ؟
وفي الموقوفِ تضمينُ أم الوعدُ به حاصل ؟
وهل ميثاقه الغلّةُ في العامِ أو القابل ؟
أين لي ذلك ، واردة رُفعتي يا كاتباً عاملاً
فلما قرأها الرجل قطع ما بينه ، ورد الرقعة عليه ، وولاه سليمان ما التمس .

(الأغانى ۲۰ : ۷۱)

۲۰۴ - كتاب اعتذار لسليمان بن وهب

« أنا مُقرٌّ معترف ، فما تُراك صانعا بمن أعلقتك زمامه ، وأمكنك من قياده ،
وحكمتك في أمره ، معاقباً له أو متفضلاً عليه بالعفو عنه ؟ لكنني أرجو أن أستقبلَ
طاعةً لا تمتنعُ من شكرها ، واعتفار كل تقصيرٍ خلا في جنبها ، قالأبام بما
تحبُّ أمامك » .

(اختيار النظم والمنتور ۱۳ : ۳۸۵)

۲۰۵ - كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر إسماعيل بن بلبل

ولما ولي أبو الصقر إسماعيل^(۱) بن بلبل الوزارة للمعتد^(۲) على الله ، خير
أبا العيناء فيما يجهه حتى يفعله به ، فقال : أريد أن تكتب إلى أحمد بن محمد الطائي

(۱) انظر خبره في الفخرى ص ۲۲۹ .

(۲) هو أبو العباس أحمد بن المتوكل . ولي الخلافة سنة ۲۵۶ ومات سنة ۲۷۹ ، وكان مستضعفاً ، وكان أخوه الموفق طلحة هو الغالب على أمره .

تعرّفه مكاني ، وتلزمه قضاء حقّ مثلي من خدمه ، فكتب إليه كتابا بخطه ، فوصله إلى الطائي ، فسَيَّب^(۱) له في مدة شهر مقدار ألف دينار وعشرة أنجل ، فانصرف بجميع ما يحبه ، وكتب إلى أبي الصقر كتابا مضمّنه :

« أنا - أعزك الله - طليقتك من الفقر ، ونقيذك^(۲) من البؤس ، أخذت بيدي عند عثرة الدهر ، وكنوة الكبر ، وعلى أية حال حين فقدت الأولياء^(۳) والأشكال ، والإخوان والأمثال ، الذين يفهمون في غير تعب ، وهم الناس الذين كانوا غيائنا للناس ، فخللت عقلة الخلة^(۴) ، ورددت إلى بعد النفور النعمة ، وكتبت لي كتابا إلى الطائي ، فإنما كان منك إليك أثبتته^(۵) ، وقد استصعبت^(۶) على الأمور ، وأحاطت بي النوائب ، فكثرت من بشره ، وبذل من يسره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومن برّه أحكمه ، مكرما لي مدة ما أقت ، ومثقلالي من فوائده لما ودّعت ، حكمتني في ماله ، فتحكمت ، وأنت تعرف جورى إذا تمكنت ، وزاد في طوله^(۷) فشكرت ، فأحسن الله جزاك ، وأعظم حياك ، وقدمني أمامك ، وأعادني من فقدك وحياك ، فقد أنفقت على مما ملكك الله ، وأنفقت من الشكر ما يسره الله لي ، والله عز وجل يقول : « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ » فالحمد لله الذي جعل لك اليد العالمة ، والرؤية الشريفة ، لأزال الله عن هذه الأمة ما بسطَ فيها من عدلك ، وبثَّ فيها من رِفْدك^(۸) .

(زهر الآداب ۳ : ۹۵)

(۱) السبب : العطاء ، وسبب هنا معناه : إعطاء .

(۲) النقيذ : المنقذ (ينتج ، انقاف) .

(۳) الأولياء : جمع ولي ، وهو النصير ، والأشكال : جمع شكل ، وهو المثل .

(۴) الخلة : الفقر والحاجة ، وفي المثل « الخلة تدعو إلى السلة » والسلة بالفتح : السرقة .

(۵) أثابته : رجمه وورده .

(۶) استصعب الأمر : صار صعبا كصعب وأصعب (واستصعبه : وجده صعبا ، فهو لازم متعد) .

(۷) الطول والتطول : التفضل والامتنان .

(۸) الرِفْد : العطاء والعلة .

۲۰۶ - کتاب أبي العیناء إلى بعض الرؤساء

وكتب أبو العیناء إلى بعض الرؤساء - وقد وعده بشيء فلم يُنجزه : -
« نَقَى بِكَ تَمَعْنَى مِنْ اسْتَبْطَائِكَ ، وَعَلِمِي بِشُغْلِكَ يَدْعُونِي إِلَى إِذْكَارِكَ ، وَلَسْتُ
آمَنُ - مَعَ اسْتِخْكَامِ نَقَى بِطَوَّلِكَ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِعُلُوِّ هَمَّتِكَ - اخْتِرَامِ الْأَجْلِ ، فَإِنَّ
الْأَجَالَ آفَاتُ الْأَمَالِ ، فَسَحَّ اللَّهُ فِي أَجْلِكَ ، وَبَلَّغَكَ مِنْتَهَى أَمَلِكَ ، وَالسَّلَامُ » .
(وفيات الأعيان ۱ : ۵۰۵)

۲۰۷ - کتاب أبي العباس بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل

وكتب أبو العباس^(۱) أحمد بن محمد بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل حين صاهرَ
الناصرَ لدين الله الموفق بالله :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، بَلْفَنِي ، لِلْوَزِيرِ - أَيْدِيَهُ اللَّهُ - نِعْمَةٌ زَادَ شُكْرَهَا
عَلَى مَقَادِيرِ الشُّكْرِ ، كَمَا أَرَبَنِي مَقْدَارَهَا عَلَى مَقَادِيرِ النِّعْمَةِ ، فَكَانَ مَنَلَهَا قَوْلَ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :

بَنُوكَ غَدَاوَا آلَ النَّبِيِّ وَوَارِثُوا السُّلْخَانَ وَالْحَاوُونَ كِثْرِي وَهَاشِمَا
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا مَوْهَبَةً تَرْتَبِطُ مَاقْبَلَهَا ، وَتَنْتَظِمُ مَا بَعْدَهَا ، وَتَصِلُ
جَلَالَ الشَّرَفِ ، حَتَّى يَكُونَ الْوَزِيرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - عَلَى سَادَةِ الْوُزَرَاءِ مُوَفِّيَا ، وَجَمِيلَ
الْعَادَةِ مُسْتَحَقًّا ، وَلِحَمُودِ الْعَاقِبَةِ مُسْتَوْجِبًا ، وَأَنْ يُنَدِّسَ خَدَمَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ مِنْ هَذِهِ الْخُلَلِ
الْغَالِيَةِ مَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرًا بَاقِيًا وَشَرَفًا مُخْلَدًا » .
(معجم الأدباء ۴ : ۱۵۷)

(۱) انظر هامش ص ۲۴۷ .

۲۰۸ - كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إلى عبيد الله بن سليمان

ولما وليَ عبيد الله^(۱) بن سليمان بن وهب الوزارة للمعتد ، كتب إليه عبيدُ الله

ابن عبد الله بن طاهر كتابا ، وفيه شعر له :

أبى دهرُنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن محبٌ ونعظمُ

فقلتُ له : نِعْمَاكَ فِيهِمْ أُمَّتَهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنِ الْمُهَمُّ الْمَقْدَمُ

فلما قرأ عبيد الله هذا الشعر قال : ما أحسنَ ما احتمال في شكوى حاله بين أضعاف

حدده ، وأمر بإيصال رِقَاعِهِ إِلَيْهِ ، وقضى كل حاجة كانت له .

(أدب الكتاب ص ۲۳۴ ، ووفيات الأعيان ۱ : ۲۱۷ ، وزهر الآداب ۲ : ۱۹۸)

۲۰۹ - كتاب سعيد بن عبد الملك

إلى عبيد الله بن سليمان

وحُجِبَ سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان .

فكتب إليه :

« سِرْتُ إِلَى بَابِكَ - أَعْرَكَ اللَّهُ - عِنْدَ مَا حَدَّثْتَ مِنْ أَمْرِكَ ، فَلَمْ يُقْضَ لِقَاؤُكَ ،

وَعَلِمْتُ أَنَّ نَفْسَكَ بِمَا عِنْدِي قَدْ مَثَلَتْ لَكَ حَالِي مِنَ الْمُرُورِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ ،

وَأَرْتَكُ مَوْضِعِي مِنَ الْإِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ وَوَصَلَ إِلَيْكَ ، فَوَكَّلْتُ الْعَذْرَ

إِلَى ذَلِكَ .

ثم إننا فأتيتك مُتَيَّمِنِينَ بِطَلْعَتِكَ ، مُشْتَاقِينَ إِلَى رُؤْيَيْكَ ، فَيُحِبُّبُنَا عَفْكَ مَلَاظِمًا ،

(۱) انظر خبره في الفخرى ص ۲۳۱ ، وفي زهر الآداب : « ولما ولي سليمان بن وهب

الوزارة »

وهو - كما علمت - كين^(۱) الصنيفة ، ائيم^(۲) الطبيعة ، يحجب عنك الكرام ، وبأذن^(۳) عليك للثام ، كلما نجمت^(۴) له يد^(۵) بيضاء ، أتبعها يداً سوداء ، فإن رأيت^(۶) - أعزك الله - أن تصرفه عن باب مكارمك فعت إن شاء الله .

(زهر الآداب ۲ : ۱۲۱)

۲۱۰ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو العيناء إلى عبيد^(۳) الله بن سليمان بن وهب وزير المعتمد :
« أنا - أعزك الله تعالى - وولدي وعيالي زرّع من زرعك ، إن أسقيته راع^(۴) وزكا ،
وإن جفوته ذبل وذوى^(۵) ، وقد مسني منك جفاً بعد بر ، وإغفال بعد تعاهد ، حتى
تسكلم عدو ، وشمت حاسد ، ولعبت بي ظنون رجال كنت بهم لاعباً ، ولهم
مخرسا ، والله درّ أبي الأسود في قوله :

لأتهني بعد إذ أكرمتني وشديد عادة منزعاه

(زهر الآداب ۱ : ۲۹۱ ، وعيون الأخبار ۸ : ۱۹۵)

۲۱۱ - رد عبيد الله عليه

فوقع في رقعة :

« أنا - أسعدك الله - على الحال التي عهدت ، وميلى إليك كما علمت ، وليس
من أنسيناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ، واقتسامه زماننا ،
وكان من حقت علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرك ، وقد وقعت لك برزق
شهرين ، لتزيج علفك ، وتعرفني مبلغ استحقاقك ، لإطلاق لك باقى أرزاقك ،
إن شاء الله ، والسلام » .

(زهر الآداب ۱ : ۲۹۱)

(۱) كن الشيء : سزه .

(۲) أى طهرت .

(۳) وفى عيون الأخبار « إلى أبي القاسم بن عبيد الله بن سليمان » والصواب « إلى أبي القاسم

عبيد الله بن سليمان » .

(۴) راع يربع : نما وزاد ، وزكا يزكو : نما أيضا .

(۵) أى ذبل .

۲۱۲ - کتاب أبي العیناء إلى عبید الله بن سلیمان

وكتب أبو العیناء إلى عبید الله بن سلیمان ، وقد نكبه وأباه المعتد^(۱) ، وها
بطالبان بمال بیعان له ما یملکانه من عقارٍ وأثاثٍ وعبیدٍ وأمةٍ ، وقد أعطیَ بخادم
أسود لعبيد الله خمسون ديناراً :

« قد علمت - أصلحك الله - أن الکريم المنکوبَ أجدی علی الأحرار من
اللثیم الموفور ؛ لأن اللثیم یزید مع النعمة لثوماً ، والکريم لا یزید مع المحنة إلا کرمًا ،
هذا متکيل علی رازقه ، وهذا یسئ الظن بخالقه ، وعبدک إلى ملک « کافور »
فقیرٌ ، وثمنه - علی ما اتصل بی - یسر ، لأنه یخدمته السلطان ، يعرفنی الرؤساء
والإخوان ، ولست بواجدٍ ذلک فی غیره من العلمان ، فإن سمحتَ به فتک عادتک ،
وإن أمرت بأخذ ثمنه فالثک مادتی ، أدام الله دولتک ، واستقبل بالعمه
نکبتک » .

(زهر الآداب ۱ : ۲۹۱)

فأمر له به .

۲۱۳ - جواب لأحمد بن سلیمان بن وهب

وقال الحسين بن إسحق : کنت عند أحمد^(۲) بن سلیمان بن وهب ، ونحن علی
شراب ، فوافته رُقعةٌ فیها أبياتٌ مدح ، فکتب الجواب :
« وصَلَّتْ رُقعتُک - أعزک الله - فكانت کوصل بعد هجر ، وغنى بعد فقر ،

(۱) قدمنا أن الموفق طلحة . کان هو الغالب علی أمر أخيه المعتد ، وجاء فی الأغاني (ج ۲۰

ص ۷۲) « أن الموفق لأنما استکتب سلیمان بن وهب وابنه عبید الله ليقف منهما علی ذخائر موسى بن یفا ووداعه

فلما استقصی ذلک نكبهما لکثرة ما لهما » وجاء فی تاریخ الطبری (ج ۱۱ : ص ۲۵۱) « وفي سنة

۲۶۴ خرج سلیمان بن وهب من بغداد إلى سامرا ، ومعه الحسن بن وهب ، فلما صار بدارا غضب علیه

المعتد وحبسه وقبده وانتهب داره ودارى ابنیه وهب وإبراهيم

(۲) انظر ترجمته فی معجم الأدباء ۳ : ۵۴ .

وظَفَرَ بعد صَبْرٍ ، أَلْفَاظُهَا دُرٌّ مَشُوفٌ (۱) ، وَمَعَانِيهَا جَوْهَرٌ مَرْصُوفٌ ، وَقَدْ اصْطَحَبَا أَحْسَنَ صُحْبَةٍ ، وَتَأَلَّفَا أَقْرَبَ أَلْفَةٍ ، لِاتِّمُجُّهَا الْآذَانُ ، وَلَا تَتَعَبُ بِهَا الْأَذْهَانُ ، وَقَرَأْتُ فِي آخِرِهَا مِنَ الشَّعْرِ مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي أَنْ كَتَبْتُ - لِجَلَالَتِهِ عِنْدِي ، وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ مِنْ نَفْسِي - بِمَا لَا أَفُومُ بِهِ ، مَعَ تَحْيِيفٍ (۲) الصَّهْبَاءِ لُبِّي ، وَشُرْبِهَا مِنْ عَقْلِي بِمِقْدَارِ شُرْبِي ، وَلَكِنِّي وَاتَّقِ مِنْكَ بَطْلِي سَيْئَتِي ، وَنَشْرِي حَسَنَتِي :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ وَاقِي كِتَابُكَ بَعْدَ طَوْلِ الْيَاسِ
وَاقِي ، وَكُنْتُ بِوَحْشَتِي مَتَفَرِّدًا فَأَصَارُنِي لِالْجَمْعِ وَالْإِنْفَاسِ
وَقَرَأْتُ شَعْرَكَ فَاسْتَطَلْتُ لِحْسِنَهُ نَحْرًا عَلَى الْخُلَطَاءِ وَالْجَلَّاسِ (۳)
عَايَنْتُ مِنْهُ عَيُونََ وَشِي سُدَّيْتِ بِيَدَائِعٍ فِي جَانِبِ الْقِرْطَاسِ (۴)
فَاقَتْ دِقَائِقُهُ وَجَلَّ لِحْسِنُهُ عَنِ أَنْ يُحَدِّدَ بِقِطْنَةٍ وَقِيَاسِ
شِعْرٌ كَجَرَى الْمَاءِ يَخْرُجُ لَفْظُهُ مِنْ حُسْنِ طَبْعِكَ تَخْرُجُ الْأَنْفَاسِ
لَوْ كَانَ شِعْرُ الْفَنَاءِ جِنًّا لَمْ يَكُنْ لِكَلَامِهِ إِلَّا مَكَانَ الرَّاسِ

(معجم الأدباء ۳ : ۵۶)

۲۱۴ - كتابه إلى ابن أبي الأصبغ

وكتب أحمد بن سليمان بن وهب إلى ابن أبي الأصبغ (۵) :
« لو أطعتُ الشوقَ إليك ، والنزاعَ (۶) نحوك ، لكثرتُ قُصْدِي لَكَ وَغَشِيَانِي (۷) »

- (۱) مشوف : مجلوه ، من شافه يشوفه شوقا : أي جلاه .
(۲) تحييفه : تنقصه من حيفه ، والحيف كغيب : جمع حيفة بالكسر ، وهي الناحية .
(۳) الخلطاء : جمع خليط ، وهو الخالط ، وفي الأصل « على الخلفاء » وأراه محرفا .
(۴) الوشي : نقش الثوب ، سدبت بيدائع : أي جعلت البدائع سدى لها ، والسدى بالفتح : الخيوط التي تمد طولاً في النسيج (واللحمة بالضم والفتح : ما يندسج عرضاً) .
(۵) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبغ ، انظر القهرست لابن النديم ص ۱۸۴ ، وفي الأصل « ابن أبي الإصبغ » .
(۶) نزع إلى أهله كضرب نزعاً بالفتح ، ونزاعاً بالكسر ، ونزوعاً بالضم : اشتاق .
(۷) غشيه غشيانا : جاءه .

إياك ، مع العلة القاطعة عن الحركة ، الحائلة بيني وبين الركوب ، فالعلة إن تخلفت
مخلفتى ، وإيثار التخفيف يؤخر مكانتي : فأما مودة القلب ، وخصوص النية ، ونقاء
الضمير ، والاعتداد بما يجده الله لك من نعمة ، ويرفعك إليه من درجة ، ويبلغك
إياه من رتبة ، فعلى ما يكون عليه الأخ الشقيق ، وذو المودة الشفيق ، وأرجو أن
يكون شاهدي على ذلك من قلبك أعدل الشهود ، ووافدي بإعلامك إياه أصدق
الوفود ، ويحسب ذلك انبساطي إليك في الحاجة تعرض قبلك ، ويعنى بالنجاح منها
عندك ، وعرضت حاجة ليس تمنعني قاتها من كثير الشكر عليها ، والاعتداد
بما يكون من قضائك إياها ، وقد حمدتها يحيي لسمعها منه ، وتتقدم بما أحب
فيها ، جارياً على كرم سحيتك ، وعادة تفضلك إن شاء الله .

(معجم الأدباء ۳ : ۶۰)

۲۱۵ - كتابه إلى أخيه عبيد الله بن سليمان

وكتب إلى أخيه الوزير عبيد الله بن سليمان - وقد سافر ولم يودعه - :

« أطال الله بقاء الوزير ، مضعباً له السلامة الشاملة ، والغبطة المتكاملة ،
والنعم المتظاهرة ، والواهب المتواترة ، في ظعنه ومقامه ، وحله وترحاله ، وحركته
وسكونه ، وليله ونهاره ، وعجل إلينا أوبته ، وأقر عيوننا برجمته ، وتمعنا
بالنظر إليه .

كان شخوص الوزير - أعزه الله - في هذه الامة بفتة أعجل عن توديعه ،
فزاد ذلك في ولهي ، وإضرار لوعتي ، واشتدت له وحشتي ، وذكرت قول
كثير :

كنتم تزيفون البلاد ففارقت (عشيّة ينتم) زينها وجمالها

فقد جعل الراضون إذ أنتم لها بخصب البلاد يشكون وبالها
والوزير - أعزه الله - يعلم ما قيل في يحيى بن خالد :

ينسى صنائعه ويذكر وعده ويبيت في أمثاله يتفكر «

(معجم الأدباء ۳ : ۶۱)

۲۱۶ - كتابه إلى صديق له

وكتب إلى صديق له :

« ليس عن الصديق الخليص ، والأخ المشارك في الأحوال كلها مذهب ، ولا
وراءه للوائق به مطلب ، والشاعر يقول :

وإذا يصيبك (والحوادث جمة) حدثت حداك إلى أخيك الأوثق^(۱)

وأنت الأخ الأوثق ، والولي المشفق ، والصديق الوصول ، والمشارك في المكروه
والمحبوب ، قد عرفني الله من صدق صفائك ، وكرم وفائك ، على الأحوال المتصرفة ،
والأزمة المتقلبة ، ما يستفرق الشكر ، ويستعبد الحزن ، وما من يوم يأتي على
إلا وثقتي بك تزداد استحكاماً ، واعتمادى عليك يرداد نأ كدماً والتثاماً ، أنيسط
في حوائجي ، وأثقت بنجح مسألتي ، والله أسأل لك طول البقاء في أدوم النعمة
وأستغنيها^(۱) ، وأكمل العوافي وأتمها ، وألا يسلب الدنيا نضرتيها^(۲) بك ، وبهجتها
بقائك ، فما أعرف بهذا الدهر المتفكر في حالاته ، حسنة سواك ، ولا حيلة غيرك ،
فأعيزك بالله من العيون الطامحة ، والألسنة القارحة ، وأسأله أن يجعلك في حرزه الذي
لا يرَام ، وكنته الذي لا يُضام ، وأن يحرسك بعينه التي لا تنام ، إنه ذو المن والإعانة .

(معجم الأدباء ۳ : ۶۲)

(۲) أي بهجتها ورواؤها .

(۱) أي وآتها .

۲۱۷ - كتاب أبي العباس بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

ومن فصل لأبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان :
« لم يوت الوزير من عدم فضيلة ، ولم أوت من عدم وسيلة ، وغلة الصادي^(۱)
تأني له انتظار الوارد ، وتعجل عن تأمل ما بين الغدير والوادي ، ولم أزل أترقب أن
يخطرني به ، ترقب الصائم لظظه ، وأنتظره انتظار الساري لنجره ، إلى أن برح
الخفاء^(۲) ، وكشف الغطاء ، وشمت الأعداء ، وإن في تخلفي وتقدم المقصرين ،
لآية للمتوسمين ، والحمد لله رب العالمين » .

(معجم الأدباء ۴ : ۱۴۷)

۲۱۸ - كتاب له

ومن كلام أبي العباس :
« من حق المكاتبة أن يسميها أنس ، وينعقد قبلها وُد ، ولكن الحاجة
أعجبت عن ذلك ، فكتبت كتاب من يحسن الظن إلى من يحققه » .

(معجم الأدباء ۴ : ۱۷۴)

۲۱۹ - كتاب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر إليه من تركه مكاتبته
بالتفدية^(۳) :

« الله يعلم - وكفى به عابداً - لقد أردت مكاتبتك بالتفدية ، فرأيت عيباً أن
أفديك بنفس لا يبد لها من الفناء ، ولا سبيل لها إلى البقاء ، ومن أظهر لك شيئاً

(۱) الفلة : حرارة العطش ، والصادي : العطشان .

(۲) أي انكشف الأمر ووضح ، أخذه من قول حسان :

ألا أبلغ أبا سفيان عن مظلعة فقد برح الخفاء .

(۳) في زهر الآداب « في التعزية » .

بُضِيرٍ خِلَافَهُ فَقَدْ غَشَّ ، وَالْأَمْرُ إِذَا كَانَتْ الضَّرُورَةُ تَوَجُّبُهُ ، وَتُحَقِّقُ أَنَّهُ مَلِكٌ لَا يَتَحَقَّقُ ، وَعَطَاءٌ لَا يَتَحَصَّلُ ، لَمْ يَحْزُنْ أَنْ يَخَاطَبَ بِهِ مِثْلَكَ (۱) ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ قَوْمٍ نِهَآيَةً مِنْ نِهَآيَاتِ التَّعْظِيمِ ، وَدَلِيلًا مِنْ دَلَالَاتِ الْاجْتِهَادِ ، وَطَرِيقًا مِنْ طُرُقِ التَّقَرُّبِ .
(أدب الكتاب ص ۱۵۵ ، وزهر الآداب ۳ : ۱۶)

۲۲۰ - جواب عن تعزية لابن ثوابه

« وصل كتابك بالتعزية عن أخي وفهمة ، وقد جلت مصيبتى به وعظمت ، فنكأت (۲) القلب ، وهدت الركن ، وأذهبت القوة ، ونقضت العيش ، وأزرت بالأمل ، فعند الله أحسبه ، وإياه أسأل تفضلاً عليه ، وصفتحاً عنه ، ونعمداً (۳) لذنوبه ، وصبراً على حادث قضائه ، واستعداداً للموت وتأديباً له ، فإنه مصرع لا بد منه ، ومورد لا يحيص عنه .

وقد كنت استجفيت كتابك ، وأنكرت تأخر تعزيتك وعددت ذلك من هفوات الإخوان الذين يقع التقصير منهم ، وتصيح نياتهم وغماثرهم ، فرددت الزلل من فعلك ، إلى موثوق به من نيتك وضميرك ، وأسأل الله ألا يعد منك على أحوالك كلها ، ويمتعا بمواهبه فيك » .

(اختيار المنظوم والنتور ۱۳ : ۳۱۳)

۲۲۱ - تعزية له إلى ابني عمر

« أنا استهجن ووصف مشاركتكما عند كل حادث من نازلة بكما ، اكتفاء بالحال ، ومتأكداً الوصل والأسباب ، وحدثت هذه المصيبة ، فإله يعلم ما أثرت بقلبي ،

(۱) في زهر الآداب « والأمر إذا كانت الضرورة توجب أنه ملك لا يحقق إعطاء ، ولا يتحصل لم يجب أن يخاطب به مثلك » وفي أدب الكتاب « فقد غش ، وألم ، إذ كانت الضرورة توجب ، وتحقق أنه ملق لا يتحقق ، وعطاء لا يتحصل ، وإن كان عند قوم . . . » وكلاهما محرف .

(۲) من نكأ الفرحة كنع : فسرهما قبل أن تبرأ فندبت .

(۳) أي سترنا وغفرانا لها .

وهدت من قوتي ، ومثلت من قرب المنية لي ، فإن المصائب نواب ، ومن رأى حلولها بغيره علم أنها حالة في نفسه ومن يتصل به ، ولقد اشتد جزعي لذلك ووحشتي منه ، ومن خلوا منازلكما من الأم البرة ، والأخت الطاهرة ، مع قصر أيام ، وقرب مدة ، وعدم سلوة ، رضى الله عنكما ، ولا نقص لكما عددا .

وعزيرت على أن أتخاف عن حقكما ، أو أمر يأنزمني فيه ما يلزم كافة أهليكما ، لكني في حال قد عرفتكما^(١) ، فإن اتسع لي العذر مع ما نازعني فيه من أحوالكما ، وإلا فإن في تفضلكما موضع احتمال الهفوة ، وتفقد الزلة ، وإقالة العثرة ، والرجوع إلى نية قد صححت ، وطوبىة قد خلصت واستحكمت .

(اختيار النظم والمشور ١٣ : ٣١٣)

٢٢٢ - عهد من الموفق إلى أحد الولاة

كتبه ابن ثوابه

« هذا^(٢) ما عهد به أبو أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين ، إلى فلان ، حين ولاه الصلاة بأهل كورة الرى ودنباوند^(٣) وبواحيها والحرب والأحداث فيهما . أمره بتقوى الله وطاعته ، وخشيته ومراقبته ، في سيره وعلايقته ، وظاهر أمره وباطنه ، والعمل بما أمر الله به ، والانتها عما نهى عنه فيما وافقه وخالفه ، وأرضاه وأسخطه ، فإنه من يتقى الله يقيه ، ومن يمتصم به يهديه ، ومن يطعه يقوله ويكفيه ، « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

وأمره أن يشعر قلبه خيفة الله وهيبته والتفويض إليه ، والاعتماد عليه ، وأن يجعل كتاب الله عز وجل له إماما ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مثالا ، فإن فيهما دلالة وتبديانا ، وضياء ونورا وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة المؤمنين .

(١) في الأصل « قد عرفتكما » وربما كان الصواب « قد عرفتكما إياها » .

(٢) تأثر فيه عهد المهدي السابق واقتبس منه - انظر ص ١٣٢ من الجزء الثالث .

(٣) جبل من نواحي الرى .

وأمره أن يكون أول ما يُنتهى به ويقدمه ، ويراعيه ويؤثره ، إقامة الصلاة لمواقعها ، بإتمام ركوعها وسجودها ، وأداء فرض الله فيها ؛ إذ كانت عماد الدين ، وأفضل ما تقرب به المؤمنون ، وكان من أضعافها وقعر في واجبها ، أشدّ تضييعاً لما سواها من حقوق الله عز وجل وفرائضه ودينه وشرائعه « وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ » .
وأمره أن يُلهم نفسه في كل حال من حالاته ، وصغير وكبير من أمره ، ذكر الله جل ثناؤه ، وقدرته عليه ، وألا يمضي أمراً إلا بعد استئخارة الله عز وجل فيه ، واستقضائه في ذلك بالذي هو له أرضى ، وعنده أركى ، فإن العاقبة للتقوى ، وإن أفضل الأمور خيرها عاقبة ، وأحمدها مغبّة ، وما التوفيق إلا بالله ، عليه يتوكل المتوكلون :

وأمره أن يُحسّن الولاية لأهل عمله . واليسرة لمن استترعى أمره ، ويكثر الجلوس لهم ، والنظر في أمورهم ، ويُبيض العدل والنصّة فيهم ، ويكف العدو الظالم عنهم ، ويسوى الحق بين كافتهم ، ولا يميل إلى شريف في شرفه ، ولا على خامل لسقوط منزلته ، وأن يختار لولاية أعماله حاضرها ونائبها ، وقريبها وبعيدها ، ذوى العفاف والشهامة والكفاية ، ويوعز إليهم في الرفق بأهلها ، والقائف لمن حسنت طاعته ، واستقامت طريقته ، والشدة على من خالف الحق مذهبهُ ، ولا يكون لأحد عنده إغضاء عن ريبة يشتمل عليها ، وسبيل غير محمود يسلكها ، فإن في إقامة الحق صلاحاً وخيراً كثيراً ، وفي التفريط ضرراً وخلاً عظيماً .

وأمره أن يتفقد من معه من موالى أمير المؤمنين وأوليائه ، ويحسّن محبتهم وعشرتهم ويتفقد أمورهم ومصالحهم ، ويراعى أحوالهم في طاعتهم ومناصحتهم ومذاهبهم فيما بصرّ فهم فيه ، ويُرهب^(۱) بهم إليه ، ويُنزِلهم منازلهم على حسب ما يحمد ويدّم منهم ، ليزداد محبتهم في إحسانه ، وينزع مقصّرهم عن تقصيره .

(۱) أهاب به : دعاه .

وأمره أن يقدم أهل الفضل والصلاح والمشايعه والمؤالاة والنصيحة للسلطان
ويؤدنيهم ويقربهم ، ويسمع منهم ، ويعرف لهم ما سادوا ، ويظهر من نصائحهم ،
ويحمد من حالاتهم ، حتى يدعو من فعله بهم غيرهم إلى سلوك مناهجهم ، والافتداء
بهم ، واللزوم لهدْيهم ، وأن يتخذ أهل العفة والرأى والسُنُّ والورع جلساءه وبطانته
ويشاورهم في أمره ، ويستعين بأرائهم فيما هو مُضدِّره ، حتى يكون ما يُمضى ويُنفذ
منه بحسب ما يجتمعون عليه ، ويرَوْنه موافقا للحق والعدل ، ومجانبا للظلم والجور .

وأمره أن تكون أحكامه فيما ينفرد بالنظر فيه ، وإقامته من الحدود وما أشبهها ،
بما يجب لله عليه في ذلك ، من اتباع مُحْكَمٍ تنزيل ، أو ماثورِ سُنَّةٍ ، أو رأى يتفق
عليه نبيل^(۱) مُحْسِنٌ ومن يليه من الفقهاء وذوى المعرفة ، وألاَّ يُقدِّم على سَفَكِ دم ،
ولا تخلية سبيل محبوس ، ولا قطع مستحقٍ للقطع ، حتى يكتب إليه باسم من وجب
ذلك عليه ، واسم أبيه وقصته ، في إقرار إن كان منه ، أو يئنه إن قامت عليه ،
وأسماء تلك البيعة ، وما تُعرف به في أنسابها ومواضعها ، وما شهدت به ، وعدلها
فيمين هي منه ، لياتيه الأمر فيه يتمثله ، فإن هذين الجدَّين من أجل الأحكام منزلة ،
وأعظما تَبِمةً ، وأولاها بالحظر ، إلى أن يوقف على حقيقة ما يجب فيها ، ويأمر
السلطان — أعزه الله — بما يوقفه الله في إقامتها إن شاء الله .

وأمره ألاَّ يأخذ أحداً من الرعية بقرينة^(۲) ولا إحنة ، ولا يعرض لأحد من
أهل البراءة والسلامة والاستقامة ، ولا يلحق بهم جرائم أهل النطف^(۳) والرَّيبة ، وأن
يُشرف على أهل الدَّعارة والفساد في عمله . ويقمعهم ويردعهم ، فيشرِّد بهم ، ويعاقب
من استحق العقوبة منهم بقدر جرمه ، وبحسب ما حدَّ في مثله ، من غير أن يبلغ
بأحدٍ ممن لا يجب عليه الحدُّ حداً ، فإن لكل شيء قدرا ، ولن يستطيع الرأى فيمن

(۱) في الأصل « سبيل » وأراه محرقا ، والنبيل : الذكي النجيب ، والواو في « ومن » للعبية .

(۲) قرنه بسوء : رماه به واتهمه ، والقرنة بالكسر : التهمة ، والإحنة : المقد .

(۳) نطف كفرح وعنى نطفًا بالتحريك ونطافة ونطوفة : آتهم بريية وتلطخ بيب وفند .

أشکل علیہ مقدارُ تأدیبہ ، ومن لا یُصلِحہ إلا المبالغۃُ فی عقوبتہ ، ویکتب بحالہ وشرح جریمتہ ، لیأتیہ الرأیُ فیہ بما یعمل بہ إن شاء اللہ .

وأمرہ أن یرف عنایتہ إلى النواحی التي تصاقب^(۱) عملہ ، من نواحی الأعداء المكتنفۃ لہ ، ویرتب یزائمہا من یسُدُّ خَلَلِها ، ویرتق فتقہا ، ویراعیہم بإشرافہ وتفقده ، ویماعل من یحتاج إلى معالجته من نجم^(۲) وینجم بہا ، ویخاف عادیتہ وشریتہ ، وینادضہ بنفسہ وبکافۃ الأولیاء الذین معہ ، ویستعمل فی أمرہ ما یدفع اللہ بہ مکروہة ومعرّتہ ، مؤثرًا فی ذلك الیقظة علی الغفلة ، والجدّ علی الفتور ، فإن مراعاة أولئک الأعداء وكفّ عادیتہم ، من أهم الأمور التي یتقلدها ، ویؤمل عنده الکفایة لها ، وأن یتقدّم إلى من قبلہ من التجار وغيرہم ألاّ یجاوزوا شیئًا من عملہ إلى شیء من تلك النواحی بالمیر^(۳) والأسلحة ، ولا یحملوا تلك المیر إليها ، ویظہر النداء فیہم ، فمن تجاوز أمرہ وتعداه تقدّم فی حبسہ وکتب باسمہ وامم أبیہ وإحصاء ما وُجد معہ من أصناف المیر وغيرها ، لیأتیہ الأمر بما یمثله إن شاء اللہ .

وأمرہ أن یتفقّد طرف عملہ ومسألحہ^(۴) بالضبط لها ، وبذرقۃ^(۵) السابله المختلفة فیہا ، ویبلغ فی ذلك المبلغ الذي یرجو معہ بإذن اللہ أمنہا وصلامتہا ، ویرتب فیہا الثقات من أصحابہ ، وأهل الجلد من جنده وأعوانہ ، ویأمرهم بمراعاة ما یوکلمهم بہ منها ، ورفع متوناتهم عن یجتاز بہا ، حتی لا یأزیمہم جنایة بسبب نار ولا غیرہ ، وألاّ یحمل أحدا منهم کافۃ ولا نائبة^(۶) ، فإن فی ذلك رفقا بہم ، وصلاحا لهم ،

(۱) صاقب : قاربه .

(۲) أي نار ، من نجم النبات : إذا ظهر وطلع .

(۳) جم ميرة بالكسر : وهي الطعام .

(۴) السالغ جم سلعة بالفتح : وهي الثغر ، والقوم ذوو صلاح .

(۵) البذرقۃ : الحفارة ، فارسیة معربة ، والبذرق : الحفیر .

(۶) فی الأصل ویاسہ ، والنائبة : ما ینوب الإنسان أي ینزل بہ من اللہمات والحوادث .

وعمارة لطرقهم ، ودُرُوراً لتجاراتهم ، ووصولاً للنفع إلى البلدان التي يقصدونها
للتجارات ، وأمناً من انقطاعها عنها بإذن الله .

وأمره أن يُحسِنَ مَعُونَةَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، المقلِّد لأعمال الخراج والضِّياعِ قَبْلَهُ ، على
ما استعان به عليه ، مما فيه زَجَاةٌ (١) الخراج ، ودُرُورٌ جبايته ، وبُزِيحٌ عِلَّتُهُ (٢) فيمن يحتاج
إلى إشتغاله اليوم (٣) من الممتنعين والمدافعين بما يجبُ عليهم ، وفي سائر ما يلتمسُ
منه المَعُونَةَ عليه ، وأن يضمَّ إليه من الأعوان العِدَّةَ التي لم تزل تُضمَّ إلى المقولَى لما
قلَّده ، ويعمل على أن ذلك من أُولَى ما قدَّمه وآثره ، واستفرغ فيه وسعته ، للصلاح
العائد به ، والحظُّ الراجع فيه إن شاء الله .

وأمره أن يتفقَّدَ مَنْ فِي الْحَبْسِ قَبْلَهُ ، وَيُكثِرُ عَرَضَهُمُ وَالنظَرَ فِي أُمُورِهِمْ ،
وَالْأَسْبَابَ الَّتِي حُبِسُوا بِهَا ، وَلَا يَقْصِدُ لِإِطَالَةِ حَبْسٍ مِنْ لَا يَجِبُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَلَا
لِإِطْلَاقِ مَا يُوْجِبُ الْحَقُّ تَخْلِيدَهُ ، وَيَعْمَلُ فِي أُمُورِهِمْ وَمَشَاوِرَةِ أَهْلِ الْفِقْهِ فِيهِمْ ، وَإِقَامَةَ
التَّأْدِيبِ وَالْحُدُودِ عَلَيْهِمْ ، بِمَا حُدِّثَ فِي أَمْثَالِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وأمره أَلَّا يَقْسِمَ عَلَى أَهْلِ عَمَلِهِ قِسْمَةً بِسَبَبِ نَزْلِ (٤) وَلَا غَيْرِهِ ، مِمَّا كَانَ شِرَارُ
الْعُمَّالِ يوظفونه ويقسمونه على أهل أعمالهم ، ويتجنب الطَّعْمَ (٥) الشائنة ، والمكاسبَ
الرديئة ، ويحذر أن يعرض لشيء منها ، أو يُطلقَ لأحدٍ من كُفَاتِهِ ، فَيَرِدَ عَلَيْهِ مِنَ
النَّكِيرِ مَا هُوَ حَرِيٌّ بِتَوَقُّيهِ وَالتَّصَوُّنِ عَنْهُ .

وأمره أن يتقدَّم في تعريف ما يوجد من الضَّوَالِ (٦) فِي عَمَلِهِ وَالْإِشَادَةِ بِذِكْرِهَا ،
فَإِنْ عَرَفَ أَحَدَ ضَالَّةً مِنْهَا ، وَأَوْضَحَ مِلْكَهُ إِيَّاهَا بِمَا يَوْضَعُ بِهِ مِثْلَهُ ، سَأَلَتْ إِلَيْهِ ،

(١) زجا الخراج يزجو زجاء : تيسرت جبايته .

(٢) في لأصل « ويرتج عليه » وهو تصحيف .

(٣) كذا في الأصل ، والأظهر أنه « إلينا » .

(٤) النزل كعنى وقفل : ماهي للضيف أن ينزل عليه .

(٥) الطعم جمع طعمة بالضم : وهي وجه المكسب .

(٦) الضوال جمع ضالة : وهي الحيوان الضائع لا يعرف له رب ، ولد تطلق الضالة على العاني .

وأشهد بها عليه ، وإن لم يحضر لها طالب ، وأشفقَ من ضياعها ، باعها في أسواق المسلمين بأقصى أثمانها ، وأحوطَ ما يُعقل به في أمرها ، وسلمَ ثمنها إلى عامل الخراج قبلة ، ليجعله عزلاً^(١) في بيت المال ، فإن استحقَّه مستحقٌّ بعد ذلك دفعه إليه إن شاء الله .

وأمره أن يحبسَ مَنْ ظفِرَ به من أبق^(٢) أرقاء المسلمين والمعاهدين ويستوثق منهم ، ويسأل عن أسمائهم وأسماء مواليتهم ومواضعهم ، ويكتب بذلك إلى العمال الذين هم في أعمالهم ، ويدفع كل عبد منهم أو أمة إلى مولاه ، إذا قامت البينة العادلة على أنه رِقٌّ له ، أبق منه ، ويشهد بذلك عليه إن شاء الله .

وأمره أن يتخيرَ للحسبة على أهل الأسواق وسائر أصحاب الصناعات والبياعات^(٣) في عمله ، مَنْ يُعرف بالقصد في مذهبه ، والسنن في نفسه ، والعفاف في طعمته ، واستيفاء الحق فيما يُقلده ويستكفي القيام به ، ويتقدم إليه في أخذ كل طبقة من أهل الطبقات التي يقع في الحسبة فيها ، بتصحيح المعاملة ، ورفع الغش ، وتجنب كل ما عاد بمضرة على المسلمين وتحيف^(٤) لهم ، وتعمير^(٥) المكاييل والموازين في سائر عمله ، وإقامتها على الوفاء والعدل ، وختمها بالرصاص ، وتخل المبتاعين فيها وغيرهم عليها ، والإشراف على ما يرأسه ويتقدم بامثاله في سائر وجوه الحسبة ، حتى لا يخالف شيء منه إلى غيره ، ومعاينة مَنْ عسى أن يقدم على مخالفته فيه ، يردعه ويعظ مَنْ سواه ، فإن الله عز

(١) العزل : ما يورد بيت المال مقدمة غير موزون ولا منتقد .

(٢) جمع أبق : وهو الهارب .

(٣) البياعات جمع بياعة بالكسر وهي السلعة ، وفي الأصل « الساعات » وهو تحريف .

(٤) تحيفه : تنقصه من حيفه ، والحيف كمنب : النواحي جمع حيفة بالكسر .

(٥) قال في اللسان : « عبرت الدنانير : وهو أن تلقى ديناراً ديناراً ، فتوازن به ديناراً ديناراً ، وكذلك عبرت تعبيراً إذا وزنت واحداً واحداً ، يقال هذا في الكيل والوزن ، قال الأزهري : فرق الليث بن ثابت وهير ، فجعل هيرت في المكيال وعبرت في الميزان »

وجل بقول : « أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطِ
الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ » .

وأمره : إن كان فيما يؤدي إلى صلاح ما ولاء واستقامته ووقوع الاحتياط فيه ،
مواقفة أمر لم يعمد إليه فيه ، واحتجاج إلى استناره في ذلك ، أن يتوقف عن إحداث
حدث في شيء منه ، ويكتب إليه به ، لياتية الأمر في ذلك بما يعمل به ويقتصر عليه ،
وإن كان مما سبيله أن يُنهي فيه رأيه ، عمل فيه بما يؤقنه الله له ، ممثلاً ذلك عدل
السير وأقصدَها إن شاء الله .

وأمره أن يقرأ عهده على أهل عمله ، ويؤندهم رأيه فيه ، وعنايته بما فيه صلاحهم ،
والإحسان إليهم ، والعدل عليهم ، والتقرب إلى الله بذلك في أمرهم ، لِيَبْسُطَ آمَالَهُمْ ،
وَيُحْسِنَ ظَنُونَهُمْ ، وَيُحَمِّدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْصَمَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
هذا عهدى إليك ، وأمرى إياك فيما قلدتك وأسندت إليك ، فامتثلْه واعملْ به
ولا تُجاوزه ، واستعين بالله فيما غلبك منه بيقك ، والله أسأل أن يصلي على محمد عبده
ورسوله ، وأن يوفقك ويحسن كفايتك ، والسلام » .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۹۶)

۲۲۳ - كتاب جعفر بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان :
« قد فتحت للمظلوم بابك ، ورفعت عنه حجابك ، فأنا أحاكم الأيام إلى
عدلك ، وأشكو صروفها^(۱) إلى عطفك ، وأستجير من لؤم غابتها بكرم قدرتك ،
فإنها توخرني إذا قدّمت ، وتخرمني إذا قسّمت ، فإن أعطت أعطت يسيراً ، وإن
الرتجت ارتجت كثيراً ، ولم أشكها إلى أحد قبلك ، ولا أعددت لإنصافها إلا

(۱) صرف الدهر : نوابه .

فضلك ، ودفع زمام^(۱) للمسألة وحق الظلامه حق التأميل وقدم صدق الموالاته والمحبة ، والذي يملأ بدي من النصفه ، ويسبغ العدل على ، حتى تكون إلى محسنا ، وأكون بك للأيام معديا ، أن تخلطني بخواص خدمك ، الذين نقلتهم من حال الفراغ إلى الشغل ، ومن الخمول إلى النباهة والذكر ، فإن رأيت أن تعديني^(۲) فقد استهديت ، وتجيرني فقد عدت بك ، وتوسع على كنفك فقد أويت إليه ، وتشملني بإحسانك فقد عولت عليه ، وتستعمل بدني ولساني فيما يصلحان لخدمتك فيه ، فقد درست كتب أسلافك ، وهم الأئمة في البيان ، واستضأت برأيهم ، واقتفيت آثارهم افتناء جعلني بين وحشي كلام وأنيسه ، ووقفني منه على جادة متوسطة ، يرجع إليها العالي ، ويسمو نحوها المقصر ، فعلت إن شاء الله تعالى .

(معجم الأدباء ۷ : ۱۸۸)

۲۲۴ - كتاب أحمد بن أبي طاهر إلى علي بن يحيى

وكتب أحمد^(۳) بن أبي طاهر يشكر على^(۴) بن يحيى :

« وصل إلى - وصل الله نعمتك بالزيد - ما ابتدأت به من برك المتتابع ، وفضلك الواسع ، فصادفنا على حال من الخلة^(۵) قد دعتنا ضرورة الحاجة بها إلى ذل المسألة ، فرم^(۶) ما نلناه الدهر من مروتنا ، وسد ما كشفه من خلقتنا ، وكفانا مشونة الامتعان للإخوان في مودتنا ، وسر وجوهنا بالصيانة عن المسألة ، وأبقى جاهنا

(۱) القمام : الحق والحرمة .

(۲) أعداء : نصره وأعاناه وقواه ، واستعداه : استعاناه واستنصره .

(۳) هو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، صاحب كتاب المنظوم والنثور ، ولد ببغداد سنة

۲۰۴ وتوفي سنة ۲۸۰ - انظر ترجمته في الفهرست ص ۲۰۹ ومعجم الأدباء ۳ : ۸۷ .

(۴) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، وكان من خاصة ندماء التبركل ، وخسر به

وعين بعده من الخلفاء إلى أيام المعتضد ، وكان مقدا عندهم ، يفضون إليه بأسرارهم ، ويأمنونه على أخبارهم ، وكان راوية للأشعار والأخبار شاعرا محسنا ، وتوفي سنة ۲۷۵ - انظر الفهرست ص ۲۰۵ .

(۵) الخلة : الحاجة والقر .

(۶) رمه : أسلعه .

عند أهل المودة ، فما ظنك بمعروفٍ صادفَ حاجةً ، وصنيعه كان إليها بلا ذلٍّ ولا بذلةٍ (۱) ، ومعونته جاءت بلا متونة ، وغيث جاء بلا عارضٍ ولا مُخيلةٍ (۲) ، وأملٍ أدرك بلا تعب ، وحقٍّ أوجب بلا حرمة ولا سبب ؟ ما كان إلا كالقطر ، في الأرض القفر ، أغفلها الزمان ، وجفأها العمران ، وكلُّ معروفٍ وإن كثُرَ فأكثرُ منه فضلك ، وكلُّ صنيعه وإن كبرتُ فأكبرُ منها الأملُ فيك ، وكلُّ شكرٍ بلغ غابةً محودةً فأقلُّ كرمك يستغرقه ، وكبيره يقصُرُ عن تطوُّلك به ، فت والله المادح المطنّب ، وقصّرَ عنك لسانُ الشاكرِ المعترف ، والحامدِ المجتهد ، وأنفدَ فضلك المحاسنَ ، واستوفى أقلك جميعَ الفضائل ، وكَلَّ دونك لسانُ الخطيبِ والشاعر ، وتزيت بك الأيامُ ، وازدحت عليك الآمانُ ، وامتلأ مكارمك الكرامُ ، وقصّرَ عنك الجيادُ والأجوادُ ، فإلى الذي زيننا بإخائك ، نرغب في بقائك ، ونسأله أن يهبك لِفائقنا إليك ، واتكأنا بعمده عليك .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۸۲)

۲۲۵ - كتابه إلى علي بن يحيى

وله إلى علي بن يحيى :

« إن أحقَّ معروفٍ بأن يشكرَ ، ويدَّ بارةً لا تُكفرَ ، وأحقَّ واجبٍ بأن يُؤدِّي ، وإحسانٍ وبرٍّ بأن يُجأزى ، معروفك - أعزك الله - عندي ، وبدك قبلي ، وحقك عليّ ، وإحسانك إليّ ، لأن المعروف يحسن عند الأحرار موقعه ، ويجب عليهم شكره ونشره والإشادة بذكره ، تتطوَّع مبقدنا ، وتشفع ما تقدّم مُعقبا ، وتُحسِّن ربَّ ما أسديته متفضلاً ، لا أخلاك الله من برِّ وإحسان ، ولا أخلانا منك في حال .»

(المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸)

(۱) البذلة : اسم من الابتذال : وهو امتهان النفس وعدم صيانتها .

(۲) العارض : السحاب المتعرض في الأفق ، والحابة الخيلة (ياء مشددة مكسورة) والخيلة (بكسر

الحاء) : التي تحسبها ماطرة .

۲۲۶ - كتابه في ذم ابن ثوابه

ولأحمد بن أبي طاهر في ذم ابن ثوابه حين ولي طساسبج^(۱) الكوفة :
« أما بعد ، فإن فلانا قدم علينا شامخاً بأنفه ، عاقدا لعنقه ، ذاهبا بنفسه ، يرى
أن الجنة خلقت لمن أطاعه ، والنار لمن عصاه ، وأن الملائكة المقرّبين لم تنزل على من
نزلت عليه من الأنبياء إلا بتوكيد ذلك له ، فلا يعذب الله العباد إلا على معصيته ،
ولا يُنذِبهم إلا على طاعته ، ولا أن الصبيحة أخذت قوم ثمود إلا لاعتراض كان
منهم على أولية أجداده ، ولم يرسل الله الريح العقيم على قوم عاد إلا عن خلاف كان
منهم لأبائه ، وأن الواجب على هذه الأمة ، والفرض المحتوم الذي لا يُقبل منهم غيره ،
طاعته وقلة الخلاف عليه ، بالاستحتماق منه لذلك في نفسه ، وللوراثه عن آبائه وأجداده ،
كأنه قدار^(۲) عاقِرُ ناقه ثمود في خلقته ، وفرعون ذو الأوتاد في جبريته ، يحسبُ
الجود ذُلاً ، والبخل عزا ، والجور عدلا ، وأن ما نهى الله عنه من قبيح فهو الجميل
الذي أمره به ، وما أمر به من جميل فهو القبيح الذي نهاه عنه ، لا يستكثر الخلافة
فيحدث بها نفسه تيبها ، ولا النبوة يتمناها على ربه عجباً ، وإذا قعد على فرشه وأخذ
مجلسه ، ورَمَى بطرفه في منازله ، دخلته العزّة ، وعدّاه الأبهة ، وغلب عليه الكبر ،
حتى يخيل إليه أن بيت الله الحرام بعض داره ، وأن ضحونها هو الصرح الممرّد^(۳) الذي
ذكره الله في كتابه ، وأن مهبط الملائكة على ظهر كفيسته ، وبئر زمزم من بعض
آباره ، وما بين الصفا والمروة مرآة لدوابه ، يضع من قدر نفسه ، ويرفع من قدر

(۱) طساسبج جمع طسوج (بفتح الطاء وضم السين المشددة) : وهو الناحية ، وجاء في ترجمة ابن
ثوابه في معجم الأدباء « وكان عبده الله بن سليمان الوزير قد صرف أحمد بن محمد بن ثوابه عن طساسبج
كان يتقلدها »

(۲) هو قدار بن سالف .

(۳) الصرح : التصرف وكل بناء عال ، والمرد : الملس ، يشير إلى قوله تعالى :

« قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ » .

طعامه، فيرى أن مائدته هي التي ذكر الله في كتابه (۱)، فن أكل منها كان رِقَاله بأكلته، تجرى عليه أحكامه، وينفذ فيه أمره، ضيفه أشد الناس شبيهاً باللائكة: طعامه التسبيح، وشعاره الصبر، وكل حشمه طائفة من الجن، مُبْرَحُونَ (۲) بالشَّم دون الأكل، وبالصبر دون الشرب، ولولا ما كفى الله من غربه (۳)، بالغرب (۴) الذي به لَضَجَّت الأرضُ إلى الله من تيبه، ولتعبدت الأئمة لله بالابتهاال إليه من تجبُّره، يرى أن قارون (۵) كان من بعض أكرته، والخضر (۶) صلوات الله عليه من بعض فيوجه، ولولا ما تقدم من حقه، وما سبق من مودته، والذي أنا عليه من الميل إلى ناحيته، والنصرة لمذاهبه، والحيلة من ورائه، والذب عنه، وأنى لا أرى أن أصفه إلا بأحسن ما فيه، ولا أستحل ذلك منه، لأنطلق لسانى من وصف عجائبه، ولطيف بدائعه، بما لم يخطر على قلب بشر .

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۴۱۹)

(۱) يشير إلى قوله تعالى: « قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

(۲) برح به الأمر تبريحاً : جهده واشتد عليه . (۳) الغرب : الهدية .

(۴) بينه غرب : إذا كانت تسيل فلا تنقطع دموعها .

(۵) قال تعالى: « إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ . وَأَتَيْنَاهُ

مِنَ السَّمَاءِ مَائِدَةً مِمَّا يَنْزَلُونَ بِالْمُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ » كان ابن عم موسى وابن خاله ، والأكار بالشديد الحرات ، جمع أكرة ، كأنه جمع آكر في التقدير .

(۶) هو النبي الذي لقيه موسى عليه السلام، وفتاه يوشع بن نون، في طريقهما، وفي ذلك يقول تعالى:

« فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا » .

والفيوج جمع فيج بالفتح : وهو رسول السلطان الذي يسمى بالكاتب .

۲۲۷ - کتاب ابن ابی طاهر إلى ابی علی البصیر

وكتب أحمد بن أبي طاهر إلى أبي علي البصير يعاتبه على مؤاخاة ابن مكرم ،
معددا سيئاته ومثالبه :

« وفر الله يا أخى من كل خير حظك ، وأجزَلَ منه قسَمك ، وبلغك غاية
هممك ، ونهاية طلبتك ، ومتع إخوانك بما منحهم منك ، وأعاذهم من الغير فيك ،
إذ به يقال - جعلني الله فداك - : أخوك من صدقك ، وعدوك من نفاقك ، وعليك
لأخيك مثل الذى عليه لك ، والعتابُ أمانة الإشفاق ، ودليل الضن من الإخوان ،
ومن جادل نفسه فى هواه ، عرّف صوابه وخطأه ، وعلى النصفه ثبات المودة ، ومع
المشاكلة تكون الموافقة^(۱) ، ولولا رجائى يا أخى أن تستميلك المعاتبة ، وترجمك^(۲)
للمراقبة ، وعلى أن فيما أعدد عليك ، وأذكرك به ، وأتقدم فيه إليك ، ما ينسبى
أخلاقك ، إلى ما يشبه أعرافك^(۳) ، وأنى قد بلغت بك فى النظرة^(۴) الموضع الذى
يتعذر تخرج العذر عليك منه ، إلا أن تعود بالإقرار ، بمقامك على الجفاء والإصرار ،
وما أرحس إليه من الثقة بك ، وإخلاص المحبة والمقة لك ، وما أعرّفه من صحة ودك ،
وكرام عهدك ، وحن اختيارك وتميزك ، ما عتبت عليك ولا استعنتك ، وتخلّيتك
وما اخترت ، ولم أنبهك على ما أضعت ، ولما وصلت ما قطعت ، حتى بثوب إليك
حازم من رأيك ، وعاطف من ودك وإخائك ، ولكنى ما أمسكت عن المعاتبة ،
وتأنيتك^(۵) بالمراقبة ، ورأيتك قد رضيت بالمهنة^(۶) التى تلتزمك فى المهجنة ، وكنت

(۱) وربما كان « الموافقة » .

(۲) فى الأصل « وتوجمك » وهو تحريف .

(۳) أى أصلك وفى الأصل « إلى ما لا يشبه » .

(۴) أى الإهمال والتأخير .

(۵) تأناه : انتظره .

(۶) المهنة : الخدمة ، وامتنه : ابتذله واحتقره ، والمهجنة : ما يبب .

إلى لين استعطافك ، وحسن إنصافك ، أحوج مني إلى قطع أَسبابك ، والمقام على ترك عتابك ، وكنت مستعداً لاحتمال ما يضيئني منك ، ويتناهى إلى عنك ، ليلى النفس بالرغبة إليك ، وإقبالها - وإن أدبرت عنها - عليك ، لأن العُدْوَانَ في المعاملة ، من شأن من يُحْظَرُ عليه في المواصلَة ، سبباً من قد أحاقَّ عندك إخاؤه ، ورث في نفسك وفاؤه ، ودعاك طول عهده إلى مَلَالَة وده ، لم أجد بُدّاً من ردِّك ، باستعتابك إلى ما هو أولى بك ، ردِّك الله إلى أجل العادة ، وما هو أولى بك فيما من النصفة .

الأخي - أقبل الله بك إلى الواجب - أنا الخليل الذي لا يُزِيلُه عن ودك وقدير عهدك سَكْرٌ (١) ، ولا يُغَيِّرُ من قد بلاك وبلوته (٢) ، وامتنحك فاخترتك واخترتك ، أولئك عنده حميد ، وآخرك (٣) عنده جديد ، مودته لك غير مدخولة ، وعشرته غير مملولة ، لم تنب (٤) عنك خلائقه ، ولم تنسب عنك طرائقه ، بغض من نفسه ليرفك ، وبصرها ليرفعك ، فحين نطقت بلسانك فيما ضررتني ، وتقدمت لك فيما أخرجني ، وأخدمت (٥) مودتك نفسي وعرضي ، وهتكت لك أدبي ومروءتي ، فوددتُ بودك ، وصددتُ بصدك ، ووقفتُ بك حيث وقفت نفسك ، وانقذتُ لك حيث سلكتُ بي محبتك ، ولم أجشمك الوقوف عند هواي ، ولم أئتمك الانصراف إلى رضاي ، إلا في أمر تسلّم عاقبته ، ولا نسوءك مَغَبَّتُه ، أو ترُ على محبتي ماسرك ، وأقدم على أمرى أمرك ، لا أوازنك المعاملة ، ولا أقارضك المشاغلة ، ماتحِبُّ فمضمون لك عندي ، وماتكره فمصرف عنك مني ، أحجلُ عنك الثقيل ، وأتوعرُ ليسهل لك السبيل ، أوسعُ لك في الذنب المنهج ، إذا ضاق عليك من العذر

(١) في الأصل : شكر ، وهو تحريف ، والسكر بالتحريك : الغضب والغيظ ، وربما كان الأصل : شكوى .
 (٢) بلاه : اختبره .
 (٣) في الأصل : وأجرك .
 (٤) أي لم تضق .
 (٥) أخدمت فلانا : أعطيته خادماً يخدّمه ، أي جعلت نفسي وعرضي خادمين لودتك .

الخرج ، أظلمك على مكنون سري ، وأظهيرك على باطن أمري ، لا أقول هذا تمنناً ، ولا أعتدُّ به تبجُّحاً^(۱) ، ولا أقتضيكَ عليه شكراً ، إذ كنتُ أرى أني أودى به فرضاً واجباً ، وأقضي به حقاً لازماً ، ولكني أذكرُك ما نسيتَ ، وأنبِّهك على ما أضعتَ ، وأحتجُّ عليك إذ قصرتَ ، وقدّمتَ عليّ في إخوانك من ليس من أ كفائي ولا أ كفائك ، العقالى المذمّم ، المميين « ابن مكرم » ، العاق لأبيه ، والمنتفى من أخيه ، والقاذف لأمه ، والقاطع لرحمه ، المهتوك الحرمة ، الوضع الهمة ، الضيق الصدر ، القريب القعر ، السريع إلى الصديق ، البطيء عن الحقوق ، المشهور بالزنا^(۲) ، المعروف بالبفاء^(۳) ، العا كف على ذنبه ،^(۴) الصادف^(۵) عن ربه ، الوضع في خلائفه ، العاتى^(۶) على خالقه ، الدائم البطنة ، النظيف^(۷) اللدين والجبب ، الدنيس العرض والثوب ، عدوّه آمنٌ من غائلته ، وصديقه خائفٌ من بائنته ، جهله جهلُ الصبيان ، وضعفه ضعفُ النسوان ، سهك^(۸) الریح ، ثقيل الرُوح ، خفيف العقل والوزن ، خبيث الفرج والبطن ، جليسه بين نزن وأذى ، وقذر وبذى^(۹) ، من استخفَّ به أكرمه ، ومن وصله صرّمه ، غث الخلقه ، رث الهيئة ، وسرخ الروءه ، يحلف ليخفث ، ويعهد لينكث ، وبعد ليخلف ، ويحدث ليكذب ، إن تكلم ملأ الأسماع عيباً ، والأنف نننا ، وإن سكت قرى^(۱۰) العيون قبحاً ، والقلوب ممتناً .

(۱) تبجج به : نخر .

(۲) في الأصل « المشهور إليه » هكذا . والزنا والزنا بالقصر والمد .

(۳) حذفنا فقرتين هنا لما فيهما من البذاءة .

(۴) في الأصل « على ذنبه » وهو تصحيف .

(۵) أى المرض .

(۶) عتا : استكبر وجاوز الحد .

(۷) نظف كفرح وعنى : نلطح بعب واتهم بريية .

(۸) السهك عمركة : ربيع كريمة ممن عرق ، سهك كفرح فهو سهك .

(۹) البذاءة : السفه والإفحاش في المنطق ، وقد قصره من مد .

(۱۰) أى قدم إليها ، من قرى الضيف يقربه إذا أحسن إليه - وهو تهكم .

إسناده عن المخنثين ، وبلاغته في ذم الصالحين ، وطرفه قذف المُحصَنَاتِ (١) ، وسعيه في كتب السيئات وخلوته لاقتراف السيئات وتمتني الشهوات ، أحسنُ عنده من مدحه الأفراط في ذمه ، كما أنه أجملُ من وصله النقام على صرمة (٢) .

هذا قليل من كثير ما عرف عنه ، ويسير في (جذب ما (٣)) بوصف منه ، فإني يا أخي اخترته؟ ولأى شيء على أثره؟ (٤) وأي أمور استلقت؟ أتنديدَه بالإخوان (٥) ، أم محافظته على الخوان (٦) ، أم أنه بالخيانة ، أم شتمه الصحابة ، أم مؤاكلته الكلاب ، أم مقامه على الاغتياب ، أم تثن رأخته ، أم سوء معاشرته ، أم ماله وضجره ، أو وضره وبخره (٧) ؟ أم وصلته حين قطعه ، واخترته حين اطرحته ؟ .

وإن مما حقق ظني بك فيه ، أنك لم تسكن له زواراً فواظبت عليه ، وكنت عنه متثاقلاً فأسرعت إليه ، وله ذاماً فلسانك رطب بمدحه ، حتى كأنك إلى غاية مكروهي أجريت في أمره ، وإلا فكيف أنت بالجانب الوحشي من الثقة ، وأوحشت الجانب العمور لك بالأنس والمقة ، وقد تظاهرت عليه بما قلت الشهادة ، وهتفت به الألسن من كل ناحية ، وتحماه كل ذي دين ومروءة ، فأعطيت المودة غير أهلها ، ومنحت الجفوة غير مستحقتها ، ووصلت من قطعك ، وقطعت من وصلك .

(١) المحصنة : العفيفة أو المتزوجة ، قال نعلب : كل امرأة عفيفة فهي حصنة بفتح الصاد وكسرهما وكل امرأة متزوجة فهي حصنة بالفتح لا غير .

(٢) أي قطعه .

(٣) ما بين القوسين بياض بالأصل ، وقد تمت به الجملة .

(٤) بياض بالأصل .

(٥) ندده به : صرح ببيوبه وشهره وسمع به ، وفي الأصل « أتنديداً على الإخوان » والذي في كتب

اللغة تعديية هذا الفعل بالباه .

(٦) الخوان : كغراب وكتاب : ما يؤكل عليه الطعام ، والمراد به الطعام .

(٧) وضره : أي وصغه وقذره ، وأصل الوضر : وسخ الدم والابن ، والبخر : تثن النقم .

فبادِرْ يا أخى فى يومك منه بترك ما لا ينفَعُكَ فى غدٍ معرفتُه ، وتوقعُ هجاءه (۱)
لك عن قليل ، ونُبوء (۲) أخلاقه عنك عن قريب « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » . (اختيار المنظوم والمتنور ۱۳ : ۱۲۳)

۲۲۸ - كتاب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب عبد الله بن المعتز (۳) إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب فى يوم عيد :
« أَخَرْتَنِي الْعِلَّةَ عَنِ الْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فَحَضَرْتُ بِالْإِدْعَاءِ فِي كِتَابِي لِيَنْوِبَ عَنِّي ،
وَيَعْمُرَ مَا أَخْلَقْتَهُ الْعَوَائِقُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ أَكْبَرُ الْأَعْيَادِ
السَّالِفَةِ بِرَكَّةٍ عَلَى الْوَزِيرِ ، وَدُونَ الْأَعْيَادِ الْمُسْتَقْبَلَةِ فِيمَا يُحِبُّ وَيُحِبُّ لَهُ ، وَيَقْبَلُ مَا تَوَسَّلَ
بِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، وَيَضَاعِفُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ ، وَيَمْتَنِعَهُ بِصُحْبَةِ النِّعْمَةِ
وَلِبَاسِ الْعَافِيَةِ ، وَلَا يُرِيهِ فِي مَسْرَّةٍ نَقْصًا ، وَلَا يَقْطَعُ عَنْهُ مَزِيدًا ، وَيَجْعَلُنِي مِنْ كُلِّ
سَوْءٍ فِدَاءَهُ ، وَيَصْرِفَ عَيُونَ الْغَيْرِ (۴) عَنْهُ وَعَنْ حَظِي مِنْهُ » .
(زهر الآداب ۱ : ۲۰۷)

(۱) فى الأصل « هجاءه » وأرى أنه محرف .

(۲) من نبا الطبع عن الشيء : أى نفر ولم يقبله ، ونبأ الشيء عنى : تجافى وتباعد ، ونبأ فلان
عن فلان : لم ينقله ، وفى الأصل « ونبو أخلاقه عليك » وربما كان : « وتبوا خلانك عليك » أى
محالته لك .

(۳) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن الموكل العباسى ، كان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً سهل
اللفظ حسن الإبداع للمعاني ، وفى خلافة المتندر (الذى ولى الخلافة من سنة ۲۹۵ إلى سنة ۳۲۰) اتفق
مع ابن المعتز جماعة من رؤساء الأجناد ووجوه الكتاب ، فخلعوا المتندر سنة ۲۹۶ وبايعوا ابن المعتز ،
ثم إن أصحاب المتندر تحزبوا وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتموه ، وأعادوا المتندر لى الخلافة ،
واختفى ابن المعتز ثم أخذ وقتل ، وأقام فى الخلافة يوماً وليلاً - انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ۱ : ۲۰۸
ونزهة الألباس ۲۹۹ وكتب التاريخ .

(۴) الغير : حوادث الدهر المنيرة .

۲۲۹ - كتابه إلى عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدمه

وكتب عبد الله بن المعتز إلى الوزير عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدمه :

« الحمد لله على ما امتن به على الوزير - أعزه الله - من جميل السلامة ، وحسن الإياب^(۱) ، حمدا مستمداً من مزبده^(۲) ، وإخلاصاً مستدعياً لتجوله ، وبارك الله له في قدومه ومسيره ، وفي جميع أموره ، وجعل له منة وافية على نعمه ، وأبقاه لملك بحرته ، ومؤمل ينعمه ، وعائز يرفعه ، وحفظ له ما خوله^(۳) ، كما حفظ له ما استرعاه ، ووفقه فيما طوَّقه ، وزاده كما زاد منه . »

(الأوراق للصولي ۲ : ۲۸۸)

۲۳۰ - كتابه إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه

وكتب إليه يعزيه عن ابنه أبي محمد :

« علم الوزير - أيده الله - بذخائر الأجر يُغنى عن زعته فيه ، وسبَّقه إلى الصبر بكفيتي تذكيرةً به ، لكن لوليِّ الوزير - أيده الله - موضعٌ إن أخلاه دخل في جمة المضيئين لحقته ، اللاهين عما عناه ، وقد كان من قضاء الله في أبي محمد - رضى الله عنه - ما خصت به المصيبة مواقعَ نعم الوزير ، وآثارَ إحسانه ، حاش لله إقراراً بالحق ، وتنجزاً للوعد منه ، وعظم الله أيها الوزير أجرَكَ ، ووفرَ دُحرَكَ ، وعمرَ بقيتِكَ ، وكثرَ عددَكَ ، وسركَ ولا ساءَكَ ، وزادَكَ ولا نقصَكَ ، ووصلَ بسلام الزمانِ نعمتَكَ ، ووليكَ بما تحبُّ فيما خولَكَ ، وكلُّ مصيبةٍ وإن عظمتُ صغيرةٌ في ثواب الله عليها ، ضئيلةٌ بين نعم الله قبلها وبعدها ، وما زال أولياءُ الله يعرضون على المحنِّ ، فيستقبلونها بالصبر ، ويتبعونها بالشكر ، وتنفذُ بصائرهم

(۱) في الأصل « وحسن الإيابة » والذي في كتب اللغة : الأوب ، والإياب ، والأوبة ، والأيبة ، والتأويب والتأيب والتأوب ، أي : الرجوع ، وليس فيها الإيابة .
(۲) في الأصل « حمداً يستمد أمر مزبده » وأراه محرفاً .
(۳) أي ملكه .

مذموم أوائلها إلى محمود عواقبها ، ويعدونها مراقي إلى شرف الآخرة ، ومراتب لأهل السعادة ، في دار لا تلجها الموم ، ولا يزول فيها النعيم .
وإذا تأمل الوزير ما تجاوزت هذه الحادثة عنده من النعم ، في ولده أبي الحسين ، الذي قد نهض بما حمّله ، ووفى آماله ، وأقر عينه ، وغاز حاسده ، واكتسب لباس كرامته ، وقام للخلافة بخلافته ، علم أنه رابع على الدهر ، حقيق بتجاوز الصبر إلى الشكر ، فجعل الله الخلف للوزير من الملقى ، طول عمر الباقي ، وحرصه من المكارم كلها ، وكفاه وكفاها فيه .

(الأوراق للصولي ۲ : ۲۸۸)

۲۳۱ - وله فصل من تعزية بولد

« إن حريم الأجر برك ، لقد كفي الإثم بعقوقك ، وأئن فوجئت بفقده ، لقد أمّنت الفينة به . »
(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۰)

۲۳۲ - وله تعزية

« عارية مترك الله بدتها ، وآثرك بثوابها ، وأثابك عن ارتجاعها ، فأبشر بما جلي من صنعه ، وآجل من جزائه ومثوبته .
عظم الله أجرك ، وجعل الثواب عويضك ، ووفّقك لنيل مرضاته عنك ، وإنا لله ، قولاً بما علم ، نتنجز به ما وعد . »
(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۴)

۲۳۳ - وله تعزية أخرى

« الخلود في الدنيا لا يؤمل ، والفناء لا يؤمن ، ولا سُخط على حكم الله ، ولا وحشة مع خلافته والأنس بطاعته ، فأد ما استرد صابرا ، وأصبع لما استرجع مسلما ، فإن من علم أن النعمة تفضل من واهبها ، شكرها مقبلة ، وصبر عنها مؤلّية ،

جعلك الله محتملاً للنعمة ، مؤدياً للشكر ، صابراً عند المحنة ، محفوظاً موفوراً أجرها ،
والفوز بالصبر عليها . (الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٤)

٣٢٤ - وله تهنئة بمولود

« اتصل بى خبر مولودك ، فسرتنى لك ما سرك ، وأنا أسأل الله أن يتبع النعمة
به عليك ببقائه لك ، وأن يعمرّك حتى ترى زيادةً إليه منه ، كما رأيتها به .
(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٣)

٢٣٥ - وله فصل فى قبول عذر

« كيف أردت عذراً من لا تهتدى إليه الموجدة (١) ، ولا تتسأط عليه للتهمّة ،
ووالله ما عرضت لك وحرّكت منك إلا بخلاً بما ذخرتّه من مودتك ، واعتمدت
عليه من إخلاصك ، نلوفى مع ذلك أن تصد غفلاتك تغافلاً ، وزلتك تعمداً ، وهذا
ملا أحبه لك ، وإن كنت أحتمله منك ، وما أعتذر من مطالبتك بما جعلك أهلاً
للمعرفة به ، وجعلنى بودك مستحقاً له . (الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٠)

٢٣٦ - وله فصل فى حاجة

« موصل كتابى فلان ، وقد جعلت الثقة بك مطيةً إليك ، فلا تنفضها (٢)
بمطلّك ، وأسرع ردها بسابق إنجازك ، وتصديق الأمل فىك والظن بك .
(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٠)

(١) الموجدة : الغضب .

(٢) أنضاهما : هزلها .

۲۳۷ - وله فصل

« قَدِمْتُ إِلَيْكَ فَاأَعْتَدِلْ ، وَنَزَلْتُ بِكَ فَاأَرْتَحِلْ ، وَوَقَفْتُ عَلَيْكَ فَمَا أُنْقِلْ » .

(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۱)

۲۳۸ - وله فصل

« لَوْلَا أَنْ الْإِطْنَابَ فِي وَصْفِ مَطِيَّةٍ لِلْمُتَخَرِّصِ^(۱) ، وَتُهْمَةً لِلْمُخْلِصِ^(۲) ، لَأَطَلْتُ بِهِ كِتَابِي ، وَكُنِيَ بِمِقَاسَةِ ذِي النِّقْصِ مُذَكَّرًا بِأَهْلِ التَّمَامِ ، وَقَدْ لَبِثْتُ بِعَدِكَ بَقَلْبٍ يَبُودُ لَوْ كَانَ عَيْنَا لِيْرَاكَ ، وَعَيْنٍ تَوَدُّ لَوْ كَانَتْ قَلْبًا فَلَا تَمْلُؤُ مِنْ ذِكْرَاكَ » .

(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۱)

۲۳۹ - وله فصل

« كَيْفَ يَنْقَطِعُ ذِكْرِي لَكَ بِغَيْرِ خَلْفٍ مِنْكَ ، وَيَنْصَرِفُ قَلْبِي عَنْكَ وَالتَّجَارِبُ تَزْوِي^(۳) إِلَيْكَ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ خِيَالَكَ شَمْسُ نَفْسِي إِذَا نَمْتُ ، وَذِكْرُكَ مِرَاجُهُ إِذَا انْقَبَهْتُ ، وَإِنْ ذَلِكَ لِأَقْلُ حَقُوقِكَ ، وَلَا ظَلَمْتُ غَيْرَكَ بِكَ ، وَلَا مَاتُ عَلَيْهِ لَكَ » .

(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۱)

۲۴۰ - وله فصل

ذَكَرْتَ حَاجَةَ فُلَانٍ ، لَا فَصَّاهَا اللَّهُ بِالنِّجَاحِ ، وَلَا يَسَّرُ بَابَهَا بِالْإِنْفِتَاحِ ، وَوَصَفْتَ عُدْرًا لَهُ نَصَحَ بِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ، وَمَا نَصَحَ عَنْهَا ، وَلَكِنَّهُ نَصَحَ عَلَيْهَا ، وَأَنَا وَاللَّهُ أَصُونُكَ عَنْهُ ، وَأَنْصَحُ لَكَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ خَبِيثُ النِّيَّةِ ، فَاسِدُ الطَّوِيَّةِ ، جَائِرُ الْمَعَاتِبِ ، طَالِبُ الْمَعَايِبِ ،

(۱) تخرس عليه : افتري .

(۲) في الأصل « للمخلص » وأراه محرفا .

(۳) زواه : نجاه ، أي تصرفني إليك ، وتوجهني نحوك .

مقلَّب لسانه بالملق ، سائرٌ بالتخلق وجه الخلق ، موجود عند الرجاء . مفقود مع البلاء ،
فاتعب عقلك باختياره ، ولا توحش نعمتك باصطناعه .

(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۲)

۲۴۱ - وله فصل في الشوق

« إني لآسف على كل يومٍ فارغٍ منك ، وكل لحظةٍ لا تؤنسها رؤيتك ،
وسقيماً لدهرٍ كان موسوماً بالاجتماع معك ، معموراً ببقائك ، جمع الله شملَ سروري
بك ، وعمرَ بقائي بالنظر إليك . »

(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۲)

۲۴۲ - وله شفاعة في شغل

« من عظمت النعمةُ عليه ، كثرت الرغبةُ إليه ، فاستجلبُ بالإنعام منك
إنعامَ الله عليك ، واستزِدُ بما تهبُ^(۱) منك ما يهبُ لك ، واجعل حظي من ولايتك
قبولَ اختياري لك هذا الرجل ، واخبطه بأوليائك القائلين^(۲) في ظلك ، فقد أفردك
برغبته ، وصرف إليك وجهَ رجائه ، وليس فيه فضل للانتظار ، ولا بقية للإذكار ،
فعجل إن نويت جوداً ، وبادر إن نويت صنعا ، ولا تكن ممن ولايته وعدُّ ، وصرفه
اعتذار . »

(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۳)

۲۴۳ - وله فصل في فراق

« كأنَّ الدهرَ أبخلٌ من أن يُمليني^(۳) بك ، وأنكدُ من أن يُسرِّغني^(۴) قرْبَكَ ،
وإني له لصابرٌ إلا على فقدك ، وراضٍ إلا بيمدك . »

(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۳)

(۱) في الأصل « واستزد ما تهب منك » وهو تحريف .

(۲) قال يقييل : نام في القائلة ، وهي نصف النهار .

(۳) ملاه الله حبيبه : متعه به وأعاشه معه طويلاً .

(۴) سرَّغه إياه : تركه له خالصاً .

۲۴۴ - وله فصل

« تولى الله عنى مكافأتك ، وأعان على فعل الخير نيتك ، وأصحب بقائك
عزاً يبسطُ يدك لوليِّك ، وعلى أعدائك ، وكِلاءةً (۱) تذبُّ عن ودائعِ مننه عندك ،
وزاد في نعمك وإن عظمتُ ، وبلغك آمالك وإن انفتحتُ . »

(الأوراق للصوى ۲ : ۲۹۴)

۲۴۵ - وله فصل

« لا أزال الله عنا ظِلَّك ، وأعلى في شرفِ المنازلِ مُرتقاك ، ولا أعدمتنا فيك
إحساناً باقياً ، ومزیداً متصلاً ، ويوما محموداً ، وغداً مأمولاً ، وعزاً يـمـكـن قبضتـك ،
ويهدُّ بسطتـك . »

(الأوراق للصوى ۲ : ۲۹۴)

۲۴۶ - وله فصل

« لن تكسب - أعزك الله - المحامدَ ، وتستوجب الشرفَ ، إلا بالحل على
النفس والحال ، والنهوضِ بحملِ الأثقالِ ، وبذلِ الجاهِ والمالِ ، ولو كانت المكارم
تُنال بغيرِ مؤنة ، لاشترك فيها السفلُ والأحرارُ ، وتسامها الوُضعا من
ذوى الأخطارِ ، ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها ، تخفف عليهم
جملها ، وسوَّغهم فضلها ، وحظَّرها على السفلة لِصغرِ أقدارهم عنها ، وبُعدِ طباعهم
منها ، ونفورها عنهم ، واقشعرَّ أروها منهم . »

(زهر الآداب ۳ : ۳۱۳)

(۱) كلاءة كناية بالكسر : حرسه .

۲۴۷ - وله في وصف البيان

« البيان ترجمان القلوب ، وصَيقلُ العقول ، ومُجَلَّى الشُّبُهَة ، ومُوجِبُ الحجَّة ،
والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرِّق بين الشك واليقين ، وهو من سلطان الرُّمُلِ
الذي انقاد به للستصيب ، واستقام الأصدُّ (۱) ، وبُهِتَ الكافر ، وحلِّمَ المتنبيح ،
حتى أشبَّ (۲) الحقُّ بأنصاره ، وخلا رُبْعُ الباطل من عمَّاره .
وخيرُ البيان ما كان مصرِّحاً عن المعنى ، ليُسْرِعَ إلى الفهم تلقَّيه ، وموجزاً
ليخفِّعَ على اللفظ تعاطيه ، وفضلُ القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ،
وظاهرٌ غيرٌ خفيٌّ ، يشهد بذلك عجزُ المتعاطين ، ووهنُ المتكلفين ، وتحيرُ الكذابين
وهو المبلغ الذي لا يَمَلُّ ، والجديد الذي لا يَمَلُّقُ ، والحق الصادع ، والنور الساطع ،
والمأجى لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافي للكذب ، ونذيرٌ قدَّمته الرحمة قبل
الملاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المحلَّدة ، ومفتاحُ الخيرة ، ودليل الجنة ،
إن أوجزَ كان كافياً ، وإن أكثرَ كان مذكراً ، وإن أوماً كان مُقنِعاً ، وإن
أطال كان مُفهِماً ، وإن أمرَ فناصِحاً ، وإن حَكَمَ فعادِلاً ، وإن أخبر فصادقاً ، وإن
بيَّن فشافياً ، سهلٌ على الفهم ، صعبٌ على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد المرَّام ، سراجٌ
تتضيء به القلوب ، حلوٌ إذا تذوَّقته للعقول ، بحر العلوم ، وديوان الحكم ، وجوهر
الكلم . ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الرُّوحُ الأمين ، على محمد
خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، فخصمَ الباطلَ ، وضدَّع بالحق ،
وتألف من النفرة ، وأنقذ من الهدكة ، فوصلَ الله له النصر ، وأضرَعَ (۳) به
خدَّ الكفر » .

(زهر الآداب ۱ : ۱۱۴)

(۱) الأصد : المائل للعنق .

(۲) من أشب الشجر كفرح : أى التفت .

(۳) أى أذل .

۲۴۸ - وله في وصف الكتاب والقلم

« الكتابُ وَايُّجُ الأبواب ، جَرَىءٌ حَلِي الحُجَّاب ، مُفهِمٌ لَا يَفْهَم ، وَنَاطِقٌ لَا يَتَكَلَّم ، بِهِ يَشْخَصُ المَشْتَاق ، إِذَا أَعْدَهُ الفِرَاق ^(۱) .

وَالقَلَمُ مَجْهَزٌ لِجِيُوشِ الكَلَام ، يَخْدِمُ الإرَادَةَ ، وَلَا يَمَلُّ الاستِزَادَةَ ، يَسْكُتُ وَاقْفَا ، وَبِنَطْقِ سَائِرَا ^(۲) ، عَلَى أَرْضٍ بِيَاضُهَا مُظْلِمٌ ، وَسَوَادُهَا مُضِيءٌ ، وَكَأَنَّهُ يَقْبَلُ بِسَاطِ سُلْطَانٍ ، أَوْ يَفْتَتِحُ نُورَا بَسْتَان ^(۳) .

(زهر الآداب ۲ : ۳۲ ، والعقد المرید ۲ : ۱۸۱ ، والأوراق للصولي ۲ : ۲۹۲)

۲۴۹ - كتاب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب - وقد نال رتبةً فتمنَّصَ إخوانه في الدعاء - :

« الكَبِيرُ - أَعَزَّكَ اللهُ - مَعْرُضٌ يَسْتَوِي فِيهِ النَبِيَّةُ ذِكْرًا ، وَالخَامِلُ قَدْرًا ، لَيْسَ أَمَامَهُ حِجَابٌ يَمْنَعُهُ ، وَلَا حَاجِزٌ يَحْظُرُهُ ، وَالنَّاسُ أَشَدُّ تَحْفَظًا عَلَي الرِّيسِ المَحْظُوظِ ، وَأَكْثَرُ اجْتِلَاءً لِأَفْعَالِهِ ، وَتَتَبُّعًا لِمَعَايِبِهِ : وَتَصَفُّحًا لِأَخْلَاقِهِ ، وَتَنْقِيرًا ^(۴) عَن خِصَالِهِ ، مِنْهُمْ ، عَن خَامِلٍ لَا يُعْمَبُ بِهِ ، وَصَادِقٍ لَا يُكْتَرَثُ لَهُ فَيَسِيرُ عَيْبِ الجَلِيلِ بِقَدْحٍ فِيهِ ، وَصَغِيرُ الذَّنْبِ يَكْبُرُ مِنْهُ ، وَقَلِيلُ الذَّمِّ يُسْرِعُ إِلَيْهِ .

وَالْحَالُ الَّتِي جَدَّدَهَا اللهُ لَكَ - وَإِنْ كُنْتَ أَرَاهَا دُونَ حَقِّكَ ، وَنَاقِصَةً عَن هِمَّتِكَ ، وَأَرْضًا عِنْدَ سَمَائِكَ - حَالٌ : الحَاسِدُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ ، وَأَمَالُ المُنَافِسِينَ إِلَيْهَا

(۱) وفي كتاب الأوراق للصولي « ومنه يداوى الفرق » .

(۲) وفي العقد « يسكت واكفا ، وينطق ساكتا » .

(۳) النوار : الزهر أو الأبيض منه .

(۴) نقر الشيء وعنه : بحث عنه ، وفي الأصل « وتنقيرا » بالفاء ، وهو تصحيف .

تَسِيرُ ، وَالْمُودَّةُ تَقْتَضِي النُّصِيحَةَ ، وَالْمَقَّةُ (۱) تَدْعُو إِلَى صِدْقِ الْمَشُورَةِ ، وَوَلَيْسَ يَحْرُسُ
 النِّعْمَةَ وَيَحْوَطُهَا ، وَبِحَيْمِ الْأَطْمَاعِ وَيَبْصُرِ فِيهَا ، وَيَسْتَجِيبُ الْقُلُوبَ النَّافِرَةَ وَيُطْلِقُهَا ،
 إِلَّا تَرَكَ مَا أَرَاكَ تَسْتَعْمَلُهُ فِي تَرْتِيبِ الْمَكَاتِبَةِ ، وَتَمَيِّزِ الْمَخَاطِبَةِ وَالْمُحَاصَّةِ (۲) فِي الْأَفَاطِ
 الدِّعَاءِ ، وَالْبُخْلِ بِسِيرِ الثَّنَاءِ ، وَتَطْبِيقِ (۳) إِخْوَانِكَ وَمَعَامَلِكَ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى صَارَ
 عِنْدَكَ كَمَا نَهَى نَسَبُ لَاتِمْدَادِهِ ، وَنَعْتٌ لَهُمْ لَا تَخْطِئُهُ ، فَأَمَّا إِخْوَانُكَ فَلَيْسَ مِنْ حَقِّكَ
 أَنْ تَحُطِّبَهُمْ حَالَ رَفْعَتِكَ ، وَأَنْ تَنْقُصَهُمْ دَوْلَةَ زَادَتِكَ ، كَمَا لَيْسَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْهِمْ أَنْ
 يُغَالِطُوكَ ، فَيَمْسِكُوا عَن خَطَابِكَ ، وَيَتَحَامَمُوا عَن عِقَابِكَ .
 (أدب الكتاب ص ۱۰۵)

۲۵۰ - كتاب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له

وَكُتِبَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ نَقَصَهُ فِي دَعَائِهِ ، وَوَلَّحَنَ فِي كِتَابِهِ :
 « وَمَا أَنَا وَالْكِتَابُ إِلَى صَدِيقٍ أَدِينُ مِنَ الْوَفَاءِ بِغَيْرِ دِينِهِ ؟
 أَعْظَمَهُ وَيَحْقِرُنِي ، وَأَدْعُو لِي بِدُونِهِ !
 وَبِنَقْصِي وَلَمْ أَنْقُصْهُ حَقًّا
 فِقَامَ كِتَابِهِ بِالرَّدِّ عَنِّي
 لَهُ بِاللَّفْظِ يَدْعُو لِي بِدُونِهِ !
 وَيَحْسُنُ لَفْظُهُ مِنْ بَعْدِ لِينِهِ !
 لِكَثْرَةِ مَا تَضَمَّنَ مِنَ الْحَوْنِ »
 (أدب الكتاب ص ۱۶۱)

۲۵۱ - كتاب أحمد بن يحيى الأسدي إلى الحسين بن سعد

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْأَسَدِيُّ : كُتِبَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ سَعْدٍ ، فَتَقَصَّنِي فِي الدِّعَاءِ ،
 فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

(۱) المقة : المحبة .

(۲) يقال . تحاصوا ، وحصوا : أي اقتصموا حصصا ، وفي الأصل « والمخاضة » وهو تصحيف .

(۳) أي تميم وتسوية .

« قد علمت - أعزك الله - أن السبب في العداوة بين محمد بن عبد الملك الزيات وإبراهيم بن العباس الصّولي ، أنه لما وليّ وزارة المعتضد^(۱) نقص إبراهيم عما يستحقه من الدعاء ، فلم تحمّل ذلك نفسه ورياسته وموضعه من الصّناعة والدولة ، فعاتبه في ذلك فلم يُعقبه ، فألهب له نار هجاء لا يُطْفئها الدهر ، وعلامة ذلك قوله في كلام منشور قد ذكره : « وليّ هذا الأمر فما ظنّ أن الرياضة تنجذب إليه ، ولا أن العزّ يتحصّل له ، إلاّ بحطّ إخوانه عن منزلاتهم ، ونقصهم عن مرتبتهم ، وبخسني^(۲) في المكاتبه ، وساءني في المعاملة » في كلام له طويل ، ثمّ نظم ذلك في شعر فقال :

مَنْ رَأَى فِي الْأَنْامِ مِثْلَ أُخْرِي ؟ كَانَ عَوْنِي عَلَى الزَّمَانِ وَخِي
رَفَعْتَهُ حَالٌ ، فَحَاوَلَ حَطِّي وَأَبَى أَنْ يَبْرَزَ إِلَّا بِذُلِّي

وكان هذا الخطاب في أول الأمر ، ثمّ أنحى عليه بالهجاء ، فانتقد - أعزك الله - إنصاف إخوانك ، وتجنّب ظلمهم ، يصف لك غديرٌ ودّهم .

(أدب الكتاب ص ۱۵۹)

۲۵۲ - كتاب أحمد بن علي المازراني إلى ابن بشر المرثدي

وروى الصّولي أيضا في أدب الكتاب قال :

لما وليّ ابنُ بشر المرثديّ كتابة الموفق بالله ، نقص أحمد بن علي المازراني في الدعاء حين كاتبه ، فكتب إليه :

كَلِمَاتُ مَنْ أُخْلِفَ مَنْ كَانَتْ أُمَامِي خَلَفْتُ عَنْ وَرَائِي^(۳)
أَنْقَضْتَ الدَّعَاءَ لِي مِنْكَ لَمَّا زَادَكَ اللهُ رِفْعَةً فِي دَعَائِي ؟

(۱) هكذا في الأصل ، وهو خطأ ، فإن ابن الزيات إنما وُزر للمعصم والوائقي والمتوكل ، ثم نكبه المتوكل وقتله سنة ۲۳۳ ، وأما المعتضد فإنه ولي الخلافة سنة ۲۷۹ وتوفى سنة ۲۸۹ ، والصواب أنه « الوائقي » .

(۲) أي نقصي .

(۳) يقال : خلفه وراءه أي جعله وراءه فتخلف عنه : أي تأخر عنه ، ويقال أيضا : خلف عن أصحابه : أي تخلف .

فَلَنْ تَمَّ مَا أَرَاهُ وَأَصْبَحْتُ وَزِيْرًا لَتَطْعَمَنَّ جَزَائِي (۱)

فاعتذر إليه وزاده في الدعاء .

وكان هذا في كلام منشور لمن كان قبل المازرائي : « وكنت آملُ لك الرفعة ، ولم أدرِ أنها تُكسبني الضَّعةَ ، وأرجو لك الثروة ولم أدرِ أنها تؤدبني إلى الإضافة ، فكان المني طرد العناء ، والدعاء سبب الثراء » . (أدب الكتاب ص ۱۶۰)

۲۵۳ - فصل لعبد الله بن أحمد في الشكر

« إن من حقِّ النعمة أن تُذكر وتُنشر ، ومن كفرها أن تُنسى وتُستر ، وما أحبُّ أن أتزيّن بدمعتك وأكون عطلاً (۲) من شكرك ، ولا أن تكون مِننك مؤفّرةً عندي وأنا ناقصُ الحظ من رعاية ما أوليتني ، لنعيمٍ إذن ما أنيت إليّ ، إذ صرفتَ أفضلَ نظرك نحوي ، وكبّئت ما اخترتَ لنفسي ، إذ حرمتها فضلَ الشكرين أنعم عليّ فجعلتُ حظي في قضاء حقِّ النعمة ، وما في الشكر من استيجابِ الزيادة » . (اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۰)

۲۵۴ - كتاب ابن عبد كان عن أحمد بن طولون إلى ابنه العباس

وكتب ابن عبد كان (۳) عن أحمد بن طولون إلى ابنه العباس حين عصى عليه بالإسكندرية (۴) ، مُنذراً له ومُوبخاً له على فعله .

(۱) لتطعمن : أي لتذوقن ، وفي الأصل « لتطعمني » وهو تحريف .

(۲) من قولهم : امرأة عاطل وعطل : إذا لم يكن عليها حل .

(۳) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان ، كان على المكاتبات والرسائل في عهد الدولة العاولونية ، وكان بليغاً مترسلاً فصيحاً - انظر الفهرست لابن النديم ص ۱۹۷ ومعجم الأدباء ۶ : ۸۵ .

(۴) كان الخليفة المعز قدولى بابكباك مصر ، فولى عليها بابكباك من قبله أحمد بن طولون سنة ۲۵۴ =

« من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين^(۱) ، إلى الظالم لنفسه ، العاصى لربه ، الملمّ بذنبه ، المُفسد لكاتبه ، العادى^(۲) لطورِه ، الجاهل لِقَدْرِهِ ، الناكص على عقبه ، لاركوس^(۳) في فِتنته ، المبعوض من حظّ دنياهُ وآخرته .

سلام على كل مُنيب مستجيب ، تائب من قريب ، قبل الأخذ بالكفّام^(۴) ، وحلولِ القوتِ والندم .

وأحمدُ الله الذى لا إله إلا هو حمدَ معترفٍ له بالبلاء الجميل ، والطّولِ الجليل ، وأسأله مسألة مُخلصٍ في رجائه ، مجتهدٍ في دُعائه ، أن يصلى على محمد المصطفى ، وأمينه المرتضى ، ورسوله المجتبي ، صلى الله عليه وسلم .

ثم استقل ابن طولون بمصر سنة ۲۵۷ في عهد الخليفة المعتمد ، ثم أراد أن يوسع نطاق ملكه فأغار على الشام ۲۶۵ ، وفي أثناء غيابه بها عصى عليه ابنه العباس ، وجاء في تاريخ الكامل لابن الأثير في هذا الصدد (ج ۷ : ص ۱۰۷) : « كان أحمد بن طولون قد خرج إلى الشام واستخلف ابنه العباس على مصر ، فلما أبعد عن مصر حسن للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال والانسراح إلى برقة ، ففعل ذلك ، وأتى برقة في ربيع الأول سنة ۲۶۵ ، وبلغ الخبر أباه فعاد إلى مصر ، وأسل إلى ابنه ولاحظه واستعطفه ، فلم يرجع إليه ، وخاف من معه فأشاروا عليه بقصد إفريقية ، فسار إليها وكاتب وجوه البربر ، فأتاه بعضهم ، وامتنع بعضهم ، وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يقول : إن أمير المؤمنين قد قلدى أمر إفريقية وأعمالها ، ورحل حتى أتى حصن « ليدة » فقتعه أهله له ، فمأملهم أسوأ معاملة ونهبهم ، فضى أهل الحصن إلى إلياس بن منصور رئيس الإباضية هناك ، فاستعانوا به ، فنضب لذلك وسار إلى العباس ليقاتله ، وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل طرابلس جيشاً وأمره بقتال العباس ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، قاتل العباس فيه بيده ، فلما كان بالقد وفاقم إلياس بن منصور الإباضى في اتى مشرأناً من الإباضية ، فاجتمع هو وعامل طرابلس على قتال العباس فقتل من أصحابه خلق كثير ، وانهمز أقبح هزيمة ، وكاد يؤسر فخلصه مولى له ، ونهبوا سواده وأكثر ماحله من مصر وعاد إلى برقة أقبح عود ، وشاع بمصر أن العباس انهزم فاغتم والده حتى ظهر عليه ، وسير إليه العساكر لما علم سلامته ، فقاتلوه قتالاً صبر فيه الفريقان ، فانهزم العباس ومن معه ، وكثر القتل في أصحابه ، وأخذ العباس أسيراً وحمل إلى أبيه فحبسه في حجرة في داره ، إلى أن قدم باقي الأسرى من أصحابه ، فلما قدموا أحضرهم أحمد عنده والعباس معهم ، فأمره أبوه أن يقطع أيدي أعيانهم وأرجلهم ففعل ، فلما فرغ منه وبخه أبوه وذمه ، ثم أمر به فضرب مائة مفرقة ، ودموعه تجري على خده رقة لولده ، ثم رده إلى الهجرة واعتقله وذلك سنة ۲۶۸ . ومات ابن طولون سنة ۲۷۰ .

(۱) يعنى المعتمد على الله .

(۲) عدا الأمر وعنه : جاوزه ، والطور : القدر .

(۳) الركب : قلب أول الشيء على آخره .

(۴) الكفّام : مخرج النفس .

أما بعد ، فإن مَثَلَك مَثَلُ البقرة تُشِيرُ المذبة بقرَنيها ، والنملة يكون حَتَمُها في جناحيها ، وسمتعلم - هَبِلْتَك (۱) الهَوَابِلُ ! أيها الأحمق الجاهل ، الذي كَفَى عَلَى العَيِّ عِظْفَه ، واغترَّ بِضِجَاجِ المَوَاكِبِ خَلْفَه - أي مَوْرِدَةَ هَلَاكِهِ بِإِذْنِ الله تَوَرَّدَتْ ، إِذْ عَلَى الله جَل وَعِزٌّ تَمَرَّدَتْ وَشَرَّدَتْ ، فإنه تبارك وتعالى قد ضرب لك في كتابه مثلا : « قَرْيَةٌ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِأَيْتِيهَا رِزْقًا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .

وَإِنَّا كُنَّا نَمُرُّ بِكَ إِيْنَا ، وَنَنْسِبُكَ إِلَى بِيوتِنَا ، طَمَعًا فِي إِيَابَتِكَ ، وَتَأْمِيلًا لِنَيْبَتِكَ (۲) ، فَلَمَّا طَالَ فِي العَيِّ أَنَّهُمَا كَيْفَ ، وَفِي عَمْرَةِ الجَهْلِ ارْتِيَا كَيْفَ ، وَلَمْ نَرَ المَوْعِظَةَ تُلِينُ كَيْدَكَ ، وَلَا التَذَكِيرَ يُقِيمُ أَوْدَكَ (۳) ، لَمْ تَكُنْ لِهَذِهِ النِّسْبَةِ أَهْلًا ، وَلَا لِإِضَافَتِكَ إِيْنَا مَوْضِعًا وَمَحَلًّا ، بَلْ لَا نُكْنِي بِأَبِي العَبَّاسِ إِلَّا تَكْرُّهَا ، وَطَمَعًا بِأَنْ يَهَبَ اللهُ مِنْكَ خَلْقًا نُقَلِّدُهُ اسْمَكَ ، وَنُكْنِي بِهِ دُونَكَ ، وَنَعُدُّكَ كَمَنْتِ نِسْبًا مَذْسِيًا (۴) ، وَلَمْ تَكْ شَيْئًا مَقْضِيًا ، فَانظُرْ - وَلَا نَظَرَ بِكَ - إِلَى عَارِ نِسْبَتِهِ تَمَلَّدَتْ ، وَسَخَطِ مِنْ قَبْلِنَا تَمَرَّضَتْ ، وَاعْلَمْ أَنَّ البَلَاءَ بِإِذْنِ الله قَدْ أَظْلَكَ ، وَالمَكْرُوهَ إِنْ شَاءَ اللهُ قَدْ أَحَاطَ بِكَ ، وَالعَسَاكَرَ بِحَمْدِ اللهِ قَدْ أَتَتْكَ كَالنَّيْلِ فِي اللَّيْلِ ، تُؤْذِنُكَ بِحَرْبٍ وَبِوَيْلٍ ، فَإِنَّا نُقَسِمُ - وَنَزْجُو أَنْ لَا نَجُورَ وَنَظْلِمُ - أَلَا نَنْدِي بِعَنْكَ عِنَانًا ، وَلَا نُؤَيِّرُ عَلَى شَانِكَ شَانًا ، وَلَا تَتَوَقَّلُ (۵) ذِرْوَةَ جَبَلٍ ، وَلَا تَلِجَ بَطْنَ وَادٍ ، إِلَّا تَبِعْنَاكَ (۶) بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ فِيهِمَا ، وَطَلَبْنَاكَ حَيْثُ أَمَمْتَ مِنْهُمَا ، مُتَفَقِينَ فِيكَ كُلِّ مَالٍ خَطِيرٍ ، وَمُسْتَصْغِرِينَ بِسَبَبِكَ كُلِّ خَطْبٍ جَلِيلٍ ، حَتَّى تَسْتَمِرَّ مِنْ طَعْمِ العَيْشِ مَا اسْتَحْلَيْتَ ، وَتَسْتَدْفِعَ مِنَ البَلَايَا مَا اسْتَدْعَيْتَ ، حِينَ لَا دَافِعَ بِحَوْلِ اللهِ عَنْكَ ، وَلَا مُرَحِّزَ لَنَا

(۱) هبلته أمه كفرح : نكلته ، وامرأة هابل وهبول .

(۲) الفيفة : الرجوع . (۳) الأود : الأعوجاج .

(۴) الذسى : مانسى . (۵) وقل في الجبل كوعد وترقل : صعد .

(۶) في الأصل « جعلناك » والظاهر أنه محرف ، وصوابه « تبعناك » كما ذكره . صحح صبح الأعشى .

عن صاحبك ، وتعرف من قدر الرخاء ما حبهلت ، وتود أنك هببت ولم تكن بالمعصية
عجلت ، ولا رأى من أضلك من غواتك قببت ، فحينئذ يتفرى (۱) لك الليل عن
صبحه ، ويسفر لك الحق عن تحضه ، فتنظر بعينين لا غشاوة عليهما ، وتسمع بأذنين
لا وقر (۲) فيهما ، وتعلم أنك كنت متمسكا بحبال غرور ، متادياً في مفايح أمور ،
من عقوق لا ينم طالبه ، وبغى لا ينجو هاربه ، وغدر لا ينتعش صريعُه ، وكفران
لا يودى (۳) قتيله ، وتقف على سوء رويتك ، وعظم جريرتك ، في تركك قبول
الأمان ، إذ هو لك مبدول ، وأنت عليه محمول ، وإذ السيف عنك مغمود ، وباب
التوبة إليك مفتوح ، وتلهف والتلهف غير نافعك ، إلا أن تكون أجبت إليه
مُسرعاً ، وانقذت إليه منتصِحاً .

وإن مما زاد في ذنوبك عندي ما ورد به كتابك على بعد نفوذى على الفسطاط
من التوبيهات والأعالي (۴) ، والعدات بالأباطيل ، من مصيرك — بزعمك — إلى
إصلاح ما ذكرت أنه فسد على ، حتى ملت إلى الاسكندرية فأقت بها طول هذه
المدة ، واستظهاراً عليك بالحجة ، وقطعاً لمن عسى أن يتعلق به معذرة علم بأن الأناة
غير صادرة ، ولا أنه خالجنى شك ولا عارضنى ريب فى أنك إنما أردت النزوح (۵)
والاحتيال لله رب والنزوح إلى بعض المواضع التى لعل قصدك إياها يوديك (۶) ،
ولعل مصيرك إليها يكفينيك ، ويبلغ إلى أكثر من الإرادة فيك ، لأنك إن شاء الله

(۱) تفرى : انشق ، وهو المعنى هنا ينكشف ، وصفر الصبح كضرب وأسفر : أضاء وأشرق .

(۲) الوقر : الصمم . (۳) ودى القنيل كوعى : أعطى ديته .

(۴) أخذها من قول الإمام على كرم الله وجهه فى بعض خطبه : « أعالي بأضاليل » وفى كتب اللغة
« العلاة بالضم والتعلة كتحية والعلة بالفتح : ما ينطل به » ولم أجد فيها كلمة أعالي ولا فردها ، ولا بد
أن تكون جمع أهولة بالضم ، كأعاجيب والأعيب . . . الخ . والأباطيل : جمع أبطولة بالضم أو إبطالة
بالكسر أو باطل على غير قياس .

(۵) النزوح : البعد .

(۶) الذى كتب فى اللغة « أودى الرجل : ملك ، وأودى به الموت : أهلكه » .

لَا تَقْصِدُ مَوْضِعًا إِلَّا تَلَوْتُكَ ، وَلَا تَأْتِي بِلَدًا إِلَّا قَفَوْتُكَ ، وَلَا تُلَوِّذُ بَعْضُهُمْ تَنْظُنُّ أَنَّهَا
تُنْجِيكَ إِلَّا اسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَدِّ حَبْلِهَا ، وَقَصْمٍ ^(۱) عُرْوَتِهَا ، فَإِنَّ أَحَدًا
لَا يُؤْوِي مِثْلَكَ وَلَا يَنْصُرُهُ إِلَّا لِأَحَدٍ مِنْ دِينٍ أَوْ دُنْيَا ، فَأَمَّا الدِّينُ فَأَنْتَ خَارِجٌ
مِنْ جِلَّتِهِ ، لِقَامِكَ عَلَى الْعُقُوقِ ، وَمُخَالَفَةِ رَبِّكَ وَإِسْخَاطِهِ ، وَأَمَّا الدُّنْيَا فَمَا أَرَاهُ بَقِيَ
مَعَكَ مِنَ الْحَطَامِ الَّذِي سَرَقْتَهُ وَحَمَلْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْإِيثَارِ بِهِ ، مَا يَتَّهَمُكَ مَكَاتِرُنَا
بِمِثْلِهِ ، مَعَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَنَا مِنْ جَزِيلِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَسْتُوذِعُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاهَا ، وَنَرْغَبُ
إِلَيْهِ فِي إِعْمَارِهَا ، إِلَى مَا أَنْتَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ مِنَ الْبِنَى الَّذِي هُوَ صَارِعُكَ ، وَالْعُقُوقِ الَّذِي
هُوَ طَالِبُكَ .

وَأَمَّا مَا مَنَيْتَنَاهُ مِنْ مَصِيرِكَ إِلَيْنَا فِي حُشُودِكَ وَجُمُوعِكَ وَمَنْ دَخَلَ فِي طَاعَتِكَ ،
لِإِصْلَاحِ عَمَلِنَا ، وَمُكَافَأَةِ أَعْدَائِنَا ، بِأَمْرِ أَظْهَرَ وَافِيهِ الشَّمَاتَةُ بِنَا ، فَمَا كَانَ إِلَّا بِسَبَبِكَ ،
فَأَصْدَحَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ الْأَخْرَقُ أَمْرَ نَفْسِكَ قَبْلَ إِصْلَاحِكَ عَمَلِنَا ، وَاحْزَمُ فِي أَمْرِكَ قِيلَ
اسْتَعْمَالِكَ الْحَزْمَ لَنَا ، فَمَا أَحْوَجَنَا اللَّهُ - وَهُوَ الْحَمْدُ - إِلَى نُصْرَتِكَ وَمُؤَاوَزَتِكَ ،
وَلَا اضْطَرَّرْنَا إِلَى التَّكْثُرِ بِكَ عَلَى شِقَاقِكَ وَمَعْصِيَتِكَ « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذًا
الْمُضِلِّينَ عَضُدًا » .

وليت شعري على من تهوّل بالجفود ، ومُتَخَرِّقٍ ^(۲) بذكر الجيوش ؟ ومن هؤلاء
المسخرّون لك ، الباذلون دماءهم وأموالهم وأديانهم دونك ، دون رزقٍ ترزقهم إياه ،
ولا عطاء تُدرّهُ عليهم ؟ فقد علمت - إن كان لك تمييز ، أو عندك تحصيل - كيف
كانت حالك في الواقعة التي كانت بناحية أطرابلس ^(۳) ، وكيف خذلك أولياؤك
والمرتزقة معك حتى هزمت ، فكيف تغترّ بمن معك من الجنود الذين لا اسم لهم

(۱) الجد : الفطم . والفصم : الفطم والكسر أيضاً .

(۲) المتخرقة : التمويه ، والمتخرق : المموه .

(۳) يقال فيها : طرابلس وأطرابلس كما جاء في معجم ياقوت .

ممكن ، ولا رزق يجرى لهم على يدك ؟ فإن كان يدعوهم إلى نصرتك هيبتك والمداراة لك ، والخوف من سلطانك ، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منا ، ووجودهم من البذل الكثير والعطاء الجزيل عندنا مالا يجِدونه عندك ، وإنهم لأحرى بخذلك ، والميل إلينا دونك ، ولو كانوا جميعا معك ، ومقيمين على نصرتك ، لرجونا أن يُمكن الله منك ومنهم ، ويجعل دائرة السوء عليك وعليهم ، ويجربنا من عادته في النصر وإعزاز الأمر على ما لم ينزل بتفضل علينا بأمثاله ، ويتطول بأشباهه ، فما دعاني إلى الإرجاء لك ، والتسهيل من خفاقتك^(۱) ، والإطالة من عنانك ، طول هذه المدة إلا أمران : أغلبهما كان على احتقار أمرك واستصغارته وقلة الاحتفال والاكتراث به ، وأنى اقتصرت من عقوبتك على ما أحلته^(۲) بنفسك من الإباق إلى أقاصى بلاد المغرب ، شريداً عن منزلك وبلدك ، فريدا من أهلك وولدك ، والآخر أنى علمت أن الوحشة دعوتك إلى الانحياز إلى حيث انحزت إليه ، فأردت التسكين من نفارك ، والطمانينة من جأشك^(۳) ، وعميت على أنك تحن إلينا حنين الولد ، وتثوق إلى قربنا توثقان ذى الرحيم والنسب ، فإن فى رفقنا بك ما يعطفك إلينا ، وفى تأخينا إياك ما يردك علينا ، ولم يسمع منا سامع فى خلاد ولا ملاء^(۴) انتقاصاً بك ، ولا غضاً منك ، ولا قدحاً فيك ، رقة عليك ، واستتماماً لليد عندك ، وتأميلاً لأن تكون الراجع من تلقاء نفسك ، والموفق بذلك لرشدك وحظك ، فأمّا الآن مع اضطرارك إياى إلى ما اضطررتنى إليه من الانزعاج نحوك ، وحبسك رضى النافذين بعهد كثير إلى ما قبلك ، واستعمالك المواربة والخداع فيما يجرى عليه تدبيرك ، فما أنت بموضع للصيانة ، ولا أهل للإبقاء والحفاظة ، بل اللعنة عليك حالة ، والذمة منك بريئة ، والله طائبك ومؤاخذك بما استعملت من العقوق والقطيعة ، والإضاعة

(۱) الخناق : الجبل يخنق به .

(۲) فى الأصل : ما أخلته ، وأراه محرفاً ، والصواب ما ذكرته ، والإباق : الهرب .

(۳) الجأش : رواج القلب إذا اضطرب عند الفزع .

(۴) الملاء : الجماعة .

لِرَحِمِ الْاَبُوَّةِ ، فَعَلَيْكَ مِنْ وَدِّ عَاقٍ مُشَاقٍ^(۱) لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ وَالْمَلَايِكَةَ
وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ ، وَلَا قَبِيلَ اللَّهِ صَرَفًا وَلَا عَدْلًا^(۲) ، وَلَا تَرَكَ لَكَ مُنْقَلَبًا تَرْجِعُ
إِلَيْهِ ، وَحَذَلَّكَ خِذْلَانٌ مِنَ الْاَبُوَّةِ^(۳) لَهُ ، وَأَثَكَاكَ وَلَا أُمَمَّاكَ ، وَلَا حَاطَكَ وَلَا
حَفْظَكَ ، فَوَاللَّهِ لَأَسْتَعْمِلَنَّ كَعْنَكَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ، وَالِدَعَاءِ عَلَيْكَ فِي آثَانِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ ، وَالغُدُوِّ وَالْأَصَالِ ، وَلَا أَكْتُبَنَّ إِلَى مِصْرَ وَأَجْنَادِ الشَّامَاتِ وَالشُّغُورِ
وَقِنَسْرِينَ وَالْعَوَاصِمِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْحِجَازِ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، كُتُبًا تُقْرَأُ عَلَى مَنَابِرِهَا فَيْكَ ،
بِاللَّعْنِ لَكَ ، وَالْبِرَاءَةِ مِنْكَ ، وَاللَّذَلَّةِ عَلَى عَقُوبَتِكَ وَقَطِيعَتِكَ ، بِتَنَاقُلِهَا آخِرٌ عَنْ أَوَّلِ ،
وَيَأْتِرُهَا^(۴) ظَاهِرٌ عَنْ مَاضٍ ، وَتُخَلَّدُ فِي بَطُونِ الصَّحَائِفِ ، وَتَحْمِلُهَا الرُّكْبَانُ ،
وَيَتَحَدَّثُ بِهَا فِي الْآفَاقِ ، وَتُلْعَقُ بِكَ وَبِأَعْقَابِكَ عَارًا ، مَا طَرَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ،
وَاخْتَلَفَ الظَّلَامُ وَالْأَنْوَارُ .

فَمِنْ ثَمَّ تَعَلَّمَ أَيُّهَا الْخَالَفُ أَمْرَ أَبِيهِ ، الْقَاطِعُ رَحِمَهُ ، الْعَاصِي رَبَّهُ ، أَيُّ جَنَابَةِ عَلَى
نَفْسِكَ جَنِيَّتَ ، وَأَيُّ كَبِيرَةٍ اقْتَرَفْتَ وَاجْتَنَيْتَ ؟ وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَتْ فَيْكَ مُسْكَةً^(۵) ،
أَوْ فَيْكَ فَضْلُ إِنْسَانِيَّةٍ ، أَنْتَ لَمْ تَسْكُنْ وَادَّتْ ، وَلَا فِي الْخَلْقِ عُرِفْتَ ، إِلَّا أَنْ تُرَاجِعَ
مَنْ طَاعَتْنَا ، وَالْإِسْرَاعَ إِلَى مَا قَبَلْنَا ، خَاضِعًا ذَلِيلًا كَمَا يَلْزِمُكَ ، فَتُقِيمَ الْاِسْتِغْفَارَ
مُقَامَ اللَّعْنَةِ ، وَالرَّقَّةَ مَقَامَ الْغِلَظَةِ ، وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ سَمِعَ الْمَوْعِظَةَ فَوَعَاهَا ،
وَذَكَرَ اللَّهَ فَاتَّقَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(صَبْحُ الْأَعْمَى ۷ : ۵)

۲۵۵ - كِتَابُ بِمِزْهَبِ الْقِرَامِطَةِ

قَالَ الطَّبْرِيُّ :

وَفِي سَنَةِ ۴۷۸ هـ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ بِحَرَكَةِ قَوْمٍ يُعْرَفُونَ بِالْقِرَامِطَةِ بِسَوَادِ

(۱) أَيُّ خَالَفَ ، وَفِي الْأَمَلِ « شَاقٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(۲) الصَّرْفُ : التَّوْبَةُ ، الْعَمَلُ : الْفِدْيَةُ .

(۳) أَيُّ لَا يَحْتَفِلُ بِهِ لِحَقَارَتِهِ .

(۴) أَيُّ يَنْقُلُهَا وَيُرْوِيهَا . (۵) الْمَسْكَةُ : مَا يَتَمَسَّكُ بِهِ .

الکوفة (۱) ، وكان فيما حکوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاءوا بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الفرّج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة : إنه داعية إلى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد ابن الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصوّر له في جسم إنسان ، وقال له : إنك الداعية ، وإنك الحجّة ، و الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك روح القدس ، وإنك يحيى بن زكرياء ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول : الله أكبر

(۱) قال الطبري: فكان ابتداء أمرهم قدم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة، ومقامه بوضع منه يقال له النهرين ، يظهر الزهد والتشف ، ويبغ الحوص ، ويأكل من كسبه ، ويكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة ، فكان إذا قدم إليه إنسان داكره أمر الدين ، وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، حتى فشا ذلك عنه بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك يقعد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما يعلق بقلوبهم ، وكان يقعد إلى يقال في القرية إلى أن قال : « ثم من مرض فكث مطروحا على الطريق وكان في القرية رجل يحمل على أنوار له ، أمر العينين شديدة حرهما ، وكان أهل القرية يسمونه « كرميته » لحرارة عينيه ، وهو بالنبطية « أمر العينين » ، فسكلم البقال كرميته هذا في أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، ويوصي أهله بالإشواف عايه والعتاية به ، ففعل وأقام عنده حتى برى ، ثم كان يأوى إلى منزله ، ودعا أهل القرية إلى أمره ووصف لهم مذهبه ، فأجابته أهل تلك الناحية وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً ، ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام ، فكث بذلك يدعو أهل تلك القرى فيجيبونه ، وأخذ منهم اثني عشر نقيبا أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينهم ، وقال لهم : أنتم كهواري عيسى بن مريم ، فاشتغل أكره تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الحسين صلاة ، التي ذكر أنها مفترضة عليهم ، وكان للهيمم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير أكرته في العبارة ، فسأل عن ذلك فأخبر أن إنسانا طرأ عليهم فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أن الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة ، فقد شغلوا بها عن أعمالهم ، فوجه في طلبه فأخذ وجيء به إليه ، فسأله عن أمره ، فأخبره بقصته ، فخلف أن يقتله ، فأمر به حبس في بيت وأقفل عايه الباب ووضع المفتاح تحت وسادته وتشاغل بالعرب ، وسمع بعض من في داره من الجوارى بقصته فرقت له ، فلما نام الهيمم أخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب وأخرجته ، وأقفلت الباب وردت المفتاح إلى موضعه ، فلما أصبح الهيمم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجد ، وشاع بذلك الخبر ، ففتن به أهل تلك الناحية ، وقالوا : رفع ، ثم ظهر في موضع آخر ، وافق جماعة من أصحابه وغيرهم ، فسألوه عن قصته فقال : ليس يمكن أحداً أن يبدأني بسوء ، ولا يقدر على ذلك مني ، فظلم في أعينهم ، ثم خاف على نفسه فخرج إلى ناحية الشام فلم يعرف له خبر ، وسمى باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الأنوار كرميته ، ثم خفت فقالوا قرمط .

الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحا رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ، وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ، وهي من المنزّل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقِبلة إلى بيت المقدس ، والحجّ إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، والسورة الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه ، قل إن الأديلة موافقت للناس ، ظاهرها يُعلم عدد السنين والحساب والأشهر والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي اتقون يا أولي الألباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي ، وأمتحن خَلْقِي ، فمن صَبَرَ على بلائي ومِحْنَتِي واختباري ألقته في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري وكذب رُسُلِي ، أخلدته مُمَآناً في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسنة رُسُلِي ، وأنا الذي لم يعلُ عليّ جبارٌ إلا وضعته ، ولا عزيزٌ إلا أذلّته ، وليس الذي أصرّ على أمره ، وداوم على جهالته ، وقالوا لن نبرح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين ، أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربّي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلى الله أعلى ، الله أعظم الله أعظم .

ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة ، وهما المِهْرَجَان والنَّوْرُوز ، وأن النبيذ حرام ، والخمر حلال^(۱) ، ولا غُسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن من حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية ، ولا يؤكل^(۲) كل ذى ناب ، ولا كل ذى مخدّب [ويشترك في المرأة جماعة من الرجال^(۳)] .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۳۹ ، وغرر الحقائق الواضحة ص ۲۱۳)

(۱) وفي غرر الحقائق « وأن النبيذ والخمر غير حرام » .

(۲) وفيه « ويؤكل » .

(۳) ما بين القوسين وورد في غرر الحقائق .

۲۵۶ - من كتاب عن المعتضد إلى خمارويه بن أحمد ابن طولون

ولما حلت قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون إلى المعتضد (۱) ، كتب معها أبوها يذكره بخدمة سلفها (۲) ، ويذكر ما ترد عليه من أبهة الخلافة ، وجمالة الخليفة ، وسأل إيناسها وبسطها ، فبلغت من قلب المعتضد لما زفت إليه مبلغا عظيما ، وسر بها غاية السرور ، وأمر الوزير أبا القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب ، فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو الحسين بن ثوابة أن يؤثره بذلك ففعل وغاب أياما ، وأتى بنسخة يقول في فصل منها :

« وأما الوديعه فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك ، عناية بها ، وحياطة عليها ، ورعاية لمودتك فيها . »

ثم أقبل على عبيد الله يعجب من حسن ما وقع له من هذا ، وقال : تسميتي لها بالوديعه نصف البلاغه ، فقال عبيد الله : ما أقبح هذا اتفألت لامرأة زفت إلى صاحبها بالوديعه ، والوديعه مستزده ، وقولك : من يمينك إلى شمالك أقبح ، لأنك جعلت أباها اليمين ، وأمير المؤمنين الشمال ، ولو قلت على حال :

« وأما الهدية فقد حسن موقعها منا ، وجل خطرها عندنا ، وهي - وإن بعدت عنك - بمنزلة ما قرب منك ، لتفقدنا لها ، وأنسنا بها ، ولسرورها بما وردت عليه ، واعتباطها بما صارت إليه لكان أحسن ، فنقد الكتاب . »

(زهر الآداب ۲ : ۲۸۹)

(۱) هو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ، ولي الخلافة سنة ۲۷۹ ، ونوفى سنة ۲۸۹ وولي خمارويه ملك مصر بعد وفاة أبيه سنة ۳۷۰ وقتل سنة ۳۸۲ .

(۲) كان جدها طولون مملوكا للأمون ، وأصله من بخارى من قبائل التركستان ، أهداه إلى الأمون عامله ابن أسد العمامي في جملة من أرسلهم إليه سنة ۲۰۰ هـ وقد أعجب به الأمون فألحقه بمحاشيته ، وما زال يرفقه حتى جعله رئيس حرسه ، ولقبه بأمر السر - وهو منصب لم يكن يناله إلا من كان للخليفة ثقة خاصة بأمانته وإخلاصه ، ليكون محافظا على حياته الشخصية - وكان في عهد المنعم رئيس بطانته من المماليك .

۲۵۷ - کتاب عن المعتضد بلعن معاوية بن أبي سفيان

وروی الطبری قال :

وفي سنة ۲۸۴ هـ عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرأ على الناس .

وذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان للأُمون أمر بإنشائه بلعن معاوية ، فأخرج له من الديوان ، فأخذ من جوامع نسخة هذا الكتاب ، وكانت نسخة الكتاب الذي أنشأه المعتضد بالله :

« بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله العلي العظيم ، الحليم الحكيم ، العزيز الرحيم ، المنفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته ، الذي يعلم سوابق الصدور وضمائر القلوب ، لا يخفى عليه خافية ، ولا يعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى ، قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، وضرب لكل شيء أمداً ، وهو العليم الخبير ، والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفة ، على سابق عهده في طاعة وطيعهم ، وماضى أمره في عصيان عاصيهم ، فبين لهم ما ياتون وما يتقون ، ونهَج لهم سُبُلَ النجاة ، وحذّرهم مسالك الهلكة ، وظاهر عليهم الحجّة ، وقدم إليهم المذرة ، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبّله والتمسّكين بعزوته أوليائه وأهل طاعته ، والعائدين^(۱) عنه والخالفين له أعداءه وأهل معصيته : « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بِيئَتِهِ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بِيئَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله من جميع برّيته ، واختاره لرسالته ، وابتعثه بالهدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ، وتأذّن له بالنصر والتمكين ، وأيده بالعزيز والبرهان المتين ، فاهتدى به من اهتدى ، واستنقذ به من

(۱) أي المائلين .

استجاب له من العمى ، وأضلَّ مَنْ أدبرَ وتولَّى ، حتى أظهر الله أمره ، وأعز نصره ، وقهر من خالفه ، وأنجز له وعده ، وختم به رُسُلَه ، وقبضه مؤدِّباً لأمره ، مبلغاً لرسالته ، صاحماً لأُمَّته ، مرضياً مُهتدياً إلى أكرم مآب المنقَلِبين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين ، وعباده الفائزين ، فصلى الله عليه أفضل صلاةٍ وأتمَّها ، وأجنتها وأعظمها ، وأزكاها وأطهرها ، وعلى آله الطيبين ، والحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين وسلفه الراشدين المهتدين ، ورثة خاتم النبیین ، وسيد المرسلين ، والقائمين بالدين ، والمقومين لعباده المؤمنين ، والمستحفظين ودائع الحكمة وموارث النبوة ، والمستخلفين فى الأمة ، والمنصورين بالعزيز والمنعم ، والتأييد والغلبة ، حتى يُظهر الله دينه على الدين كُله ولو كره المشركون .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة ، من شبهة قد دخلتهم فى أديانهم ، وفسادٍ قد لحقهم فى معتقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم ، ونطقت بها ألسنتهم ، على غير معرفة ولا روية ، وقلدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة ، قال الله عز وجل : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » خروجاً عن الجماعة ، ومسارةً إلى الفتنة ، وإيثاراً للفرقة ، وتشتيتاً للكلمة ، وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ، وبتر منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن صغَّر الله حقه ، وأوهن أمره ، وأضعف رُكنه ، من بنى أمية الشجرة الملعونة ، ومخالفة لمن استنمذم الله به من الهلكة ، وأسبغ عليهم به النعمة ، من أهل بيت البركة والرحمة ، قال الله عز وجل : « يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ، ورأى فى ترك إنكاره رجاءاً عليه فى الدين ، وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين ، وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين ، وتبصير الجاهلين ، وإقامة الحججة على الشاكين ، وبسط اليد على العادين .

وأمره أن يصدع بأمره ، بدأ بأهله وعشيرته ، فدعاهم إلى ربه وأنذرهم وبشرهم ، ونصح لهم وأرشدهم ، فكان من استجاب له وصدق قوائمه واتبع أمره نَفَرٌ يسير من بنى أبيه ، من بين مؤمن بما أتى به من ربه ، وبين ناصر له وإن لم يتبع دينه ، إعزازاً له وإشفاقاً عليه ، لماضى علم الله فيمن اختار منهم ، ونفذت مشيئته فيما يستودعه إياه من خلافة وإرث نبية ، فمؤمهم مجاهد ببصيرته ، وكافرهم مجاهد بنصرته وحميته ، يدفعون من نابذته ، ويقهرون من عارته^(۱) وعانده ، ويتوثقون له من كائفه وعاضده ، ويبايعون له من سمح بنصرته^(۲) ، ويتجسسون له أخبار أعدائه^(۳) ويكيدون له بظاهر الغيب كما يكيدون له برأى العين ، حتى بلغ المدى ، وحان وقت الاهتداء ، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به ، بأثبت بصيرة ،

(۱) عاره معارة وعرارا : قاله وآذاه ، وفي شرح ابن أبي الحديد « هازمه » بالزاي ، يقال : عازني فمززته أي غالبني فغلبته ، وكائفه : عاونه وساعده .

(۲) يعني بذلك جده العباس بن عبد المطلب ، وما كان منه في بيعة العقبة الثانية ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قبل هجرته من مكة) كان قد تواعد مع أنصاره من أهل المدينة الذين استجابوا لدعوته (في موسم الحج) أن يجتمع بهم عند العقبة اليلخفية من قريش ، ووافاهم هناك ومعه عمه العباس ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول من تكلم العباس ، فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج - خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزمنا قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أتى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوه إليه ، وما نعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم ملعون وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده . . . الخ - انظر تاريخ الطبري ۲ : ۲۳۸ ، وسيرة ابن هشام ۱ : ۲۶۶ .

(۳) يعني ما كان من العباس في غزوة أحد ، وذلك أن جيش المشركين كان قد خرج من مكة لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتقاماً لما أصابهم يوم بدر - حتى نزلوا مقابل المدينة ، وبلغ الخبر رسول الله من كتاب بعث به إليه عمه العباس مع رجل استأجره لذلك ولم يخرج معهم في هذه الحرب ، محتجاً بما أصابه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء (وقد قدمنا في ص ۸۷ من الجزء الثالث أنه كان خرج مع المشركين يوم بدر وأسر وأخذ رسول الله منه الفدية) وكان بمكة يكتب إلى رسول الله بأخبار المشركين ، وقيل : لأنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يكتب لإسلامه - انظر أسد الغابة ۳ : ۲۱۰ والسيرة الحلبية ۲ : ۲۳۰ .

وأحسن هُدًى ورغبةً ، فجعلهم الله أهلَ بيت الرحمة ، وأهل بيت الدين ،
أذهب عنهم الرجس^(۱) وطهرهم تطهيراً ، ومعدن الحكمة ، وورثة النبوة ، وموضع
الخلافة ، وأوجب لهم الفضيلة ، وأزم العباد لهم الطاعة .

وكان ممن عانده ونايذه وكذبه وحرابه من عشيرته العدد الأكبر ، والسواد
الأعظم ، يتلقونه بالتكذيب والتثريب^(۲) ، ويقصدونه بالأذية والتخويف ، وبارزون
بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ، ويصدون عنه من قصده ، وينالون بالتعذيب من
اتبعه ، وكان أشدهم في ذلك عداوة ، وأعظمهم له مخالفة ، أولهم في كل حرب
ومناصبة ، ورأسهم في كل إجلاب^(۳) وفتنة ، لا يُرفع على الإسلام راية إلا كان
صاحبها وقائدها ورئيسها في كل مواطن الحرب ، من بدرٍ وأحدٍ والخندق والفتح ،
أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله ، ثم الملعونين على
لسان رسول الله في عدة مواطن وعدة مواضع ، لسابق علم الله فيهم ، وماضي حكمه
في أمرهم وكفرهم ونفاقهم ، فام يزل - أئنه الله - يُحارب مجاهداً ، ويدافع مُكابداً ،
ويجلبُ مُنابذاً ، حتى قهره السيفُ ، وعلا أمرُ الله وهم كارهون ، فتقول^(۴) بالإسلام
غيرَ منظورٍ عليه ، وأسرَّ الكفرَ غيرَ مُقلعٍ عنه ، فعرفه بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون ، وقبيله وقبيل ولده على علمٍ منه بحاله وحالهم ، وميزله
للؤفة قلوبهم^(۵) .

(۱) الرجس : كل ما استنذر من العمل .

(۲) التثريب : اللوم .

(۳) الجلبة بالتحريك : اختلاط الأصوات وفعله كضرب ونصر ، وقد أجلبوا وجلبوا .

(۴) وفي شرح ابن أبي الحديد « فتعود » .

(۵) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتصر على هوازان وتقيف وجوعهم بحنين سنة

٨ هـ (وحنين بصيغة التصغير : واد بين مكة والطائف) غنم منهم سبياً وغنائم كثيرة ، فأعطى المؤانفة
قلوبهم (وهم من أسلم من أهل مكة) وكانوا أشرفاً من أشرف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ،
فكان أولهم أبو سفيان بن حرب ، أعطاه أربعين أوقية من الفضة ومائة من الإبل ، قال : وابن يزيد ،
فأعطاه كذلك قال : وابن معاوية ، فأعطاه كذلك ، فأخذ أبو سفيان ثلاثمائة من الإبل ومائة =

فَمَا لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِهٖ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْزَلَ بِهٖ كِتَابًا قَوْلَهُ « وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا » وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ أَحَدٍ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَادَ بِهَا بَنِي أُمِيَّةَ ^(۱) ، وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي السُّنَّةِ ، وَرَوَاهُ ثِقَاتُ الْأُمَّةِ ، قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ ، وَقَدَرَاهُ مَقْبِلًا عَلَى حِمَارٍ ، وَمَعَاوِيَةَ يَقُودُ بِهٖ ، وَيَزِيدُ ابْنَهُ يَسُوقُ بِهٖ : لَعَنَ اللَّهُ الرَّكَّابَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ ^(۲) .

== وعشرين أوقية من الفضة ، وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لأنك كريم في الحرب وفي السلم - انظر السيرة الحلبية ۳ : ۱۳۷ ، وتاريخ الطبري ۳ : ۱۳۶ ، وسيرة ابن هشام ۲ : ۳۲۰ وميزله : أى لأجله : وميز الشيء : فصل بعضه من بعض ، والمعنى انه أفرد المؤلفات قلوبهم بفضل من العطاء امتازوا به على من سواهم .

(۱) لا . بل قد اختلفوا في هذه الشجرة ، فالأكثر قالوا : إنها شجرة الزقوم المذكورة في القرآن في قوله : « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ . طَعَامُ الْأَيْمِ » وقوله : « أذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا قَائِلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ » والمراد بلعنها لعن طاعنها على الإسناد المجازي ، وكار أبو جهل لما سمع يذكرها قال : يزعم محمد أن نار جهنم تحرق الحجارة حيث قال « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » ثم يقول بأن النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، فكيف يولد فيها ! . وقال ابن عباس : الشجرة بنو أمية ، يعنى الحكم بن أبي العاص قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أن ولد الحكم يتناولون منه (وسبرد ذكر هذه الرؤيا في تلك الرسالة بعد) فقص رؤياه على أبي بكر وعمر وقد خلا في بيته ، فلما تفرقا سمع رسول الله الحكم يخبر برؤيا رسول الله ، فاشتد ذلك عليه ، واتهم عمر بإفشاء سره ، ثم ظهر أن الحكم كان يتسم إليهم ، فثناه رسول الله ولعنه ، قال الواحدى : هذه القصة كانت بالمدينة ، والسورة مكية ، فيبعد هذا التفسير ، إلا أن يقال : هذه الآية مدنية ، ولم يقل به أحد ، ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضى الله عنها مروان بن الحكم : أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه ، فأنت فضل من لعنة الله (وفضل كجبل : أى قطعة) وروى عن عائشة أيضا قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبيك وجدك : لعنكم الشجرة الملعونة في القرآن - انظر تفسير الفخر الرازى ، مفاتيح الغيب ۵ : ۶۰۹ وروح المعاني للآلوسى ۴ : ۵۴۶ وغيرهما من التفاسير .

(۲) وجاء في مخصوصة بين الحسن بن علي رضى الله عنه وبين معاوية أن الحسن قال له : « وأنتك الله يا معاوية ، أتذكر يوم جاء أبوك على جبل آجر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : اللهم لعن الراكب والقائد والسائق » - انظر شرح ابن أبي الحديد ۲ م : ۱۰۱ .

ومنه ما روتہ الرواة عنه من قوله يوم بيعة عثمان : « يا بني عبد مناف تلقفوها تلقفك الكفرة ، فاهناك جنة ولا نار » وهذا كفر صراح يندفعه به اللعنة من الله ، كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . ومنه ما يروون من وقوفه على نبيّة أُحدٍ بعد ذهاب بصره (۱) وقوله لقائده : هاهنا رمينا (۲) محمداً وقتلنا أصحابه . (ومنه الكلمة التي قالها للعباس قبل الفتح ، وقد عرضت عليه الجنود : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً ! فقال له العباس : ويحك ! إنه ليس بملك ، إنها النبوة . ومنه قوله يوم الفتح ، وقد رأى بلالاً على ظهر الكعبة يؤذن ويقول : أشهد أن محمداً رسول الله : لقد أسعد الله عبته (۳) بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد (۴) ، ومنه الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم فوجم (۵) لها . فما رُئي ضاحكاً بعدها ، فأنزل الله : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » فذكروا أنه رأى نمرأ من بني أمية ينزون (۶) على منبره . ومنه طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبي العاص لحا كاته إياه في مشيته ، وألقاه الله - بدعوة رسوله - آفةً باقية ، حين التفت إليه فرآه يتخلج بحكيه ، فقال له : كن كما أنت ، فبقي على ذلك سائر عمره (۷) ، هذا إلى ما كان من مروان ابنه

(۱) الثانية : الطريق في الجبل ، وكان أبو سفيان قد فقت عينه يوم الطائف ، وفقت عينه الأخرى يوم اليرموك - وقد شهد اليرموك ، وكان هو القاسم في جيش المسلمين يجرضهم ويحثهم على القتال - ونا عمى كان يقوده مولى له - انظر أسد الغابة ۳ : ۱۲ وصبح الأعشى ۱ : ۴۴۸ .

(۲) وفي تاريخ الطبري « ذبينا محمداً » .

(۳) هو حو أبو سفيان ، وجد معاوية لأمه هند .

(۴) ما بين القوسين وارد في رواية ابن أبي الحديد ، ساقط من طبعة الطبري التي بأيدينا .

(۵) وجم كوعد : سكت على غيظ .

(۶) نزايئرو : وثب ، جاء في كتب التفسير : روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى قوماً من بني أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو الفردة ، فقال : هذا حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم .

(۷) كان الحكم يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته وبعض حرركاته ، وكان صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيته (فالتفت يوماً فرآه وهو يتخلج في مشيته (أي يضطرب) فقال : كن كذلك ، فلم يزل يرتعش في مشيته من يومئذ ، وطرده رسول الله ولمنه وأخرجه إلى الطائف وقال له : لاتساكني في بلد أبداً ، وصار مشهوراً بأنه طريد رسول الله ، ولم يزل مغبياً حياة النبي ، فلما ولي أبو بكر =

في افتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام^(۱) ، واحتقابه^(۲) لكل دم حرام سَفِكَ فيها ، أو أريق بعدها ، وما أنزل الله منه على نبيه في سورة القدر « آيَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » قالوا : مُلِكَ بِنِي أُمِيَّة^(۳) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا معاوية ليكتب بين يديه ، فدافع بأمره واعتلَّ بطعامه ، فقال النبي : « لا أشبع الله بطنه^(۴) » فبقي لا يشبع ، وهو يقول : والله ما أتركُ الطعام شَبَعاً ، ولكن إعياء^(۵) ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يطلعُ من هذا الفج^(۶) رجل من أمتي

= الخليفة قبل له في الحكم ليرده إلى المدينة فقال : ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله ، وكذلك عمر ، فلما ولي عثمان الخلافة - والحكم عمه - رده وقال : كنت قد شفعت فيه إلى رسول الله فوعدني برده - انظر أسد الغابة ۲ : ۳۴ .

(۱) هي الفتنة التي نجمت في أواخر خلافة عثمان ، وأفضت إلى قتله ، ثم إلى انشقاق عصا المسلمين ، وكان مروان غالباً على أمر عثمان ، وقد طلب الثوار إليه أن يسلم إليهم مروان ، إذ اتهموه بأنه افتعل . عليه كتاباً إلى عامل مصر ، وبعثه مع غلام عثمان ، يأمره فيه بقتل المصريين منهم ، فأبى عثمان أن يسلمه والقصة مشهورة .

(۲) احتجب الراكب الحقيية : شدها من خلف ، ثم توسعوا في اللفظ حتى قالوا : احتجب فلان الإثم : إذا اكتسبه ، كأنه شيء محسوس جمعه واحتقبه من خلفه .

(۳) مما ذكره المفسرون في تفسيرها ، ماجاء في تفسير الفخر الرازي (۸ : ۶۳۰) قال : مروى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال : قلت للحسن بن علي عليه السلام : يا مسود وجود المؤمنين ، عمدت إلى هذا الرجل فبايعت له ! - يعني معاوية - فقال : إن رسول الله رأى في منامه بني أمية يطؤون أمبره واحداً بعد واحد ، وفي رواية : يترجون على منبره نزو الفردة ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله تعالى :

« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » إلى قوله « خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » يعني ملك بني أمية . قال القاسم : حسبنا ملك بني أمية فإذا هو ألف شهر ، اه ، وذكر ذلك أيضاً الألوسي في روح المعاني (۹ : ۴۲۲) وأرى أن الخبر موضوع ، وأن ذلك التأويل لا ينهض عليه دليل ، على أن ملك بني أمية ليس ألف شهر لا يزيد يوم ، ولا ينقص يوم ، كما يقول القاسم بن فضل ، فقد قامت الدولة الأموية سنة ۴۱ هـ وسقطت سنة ۱۳۲ هـ ، فولايتها أكثر من ألف شهر .

(۴) روى ابن الأثير في أسد الغابة (ج ۴ : ص ۳۸۶) قال : « عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت ألعب مع الصبيان ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال : نجاء خطاني حطاة (والخطو : تحريك الشيء مزعزها) وقال : اذهب فادع لي معاوية ، فجئت فقلت : هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لي معاوية ، فجئت فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ، أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية . »

(۵) أعياء إعياء : كل .

(۶) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .

يُحْتَرُّ هَلِي غَيْرِ مَلْتِي « فَطَلَعَ مَعَاوِيَةَ ^(۱) ، وَمِنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 « إِذَا رَأَيْتُمْ مَعَاوِيَةَ عَلَى مَنبَرِي فَاقْتُلُوهُ » وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ الْمَشْهُورُ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ
 مَعَاوِيَةَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنْ جَهَنَّمَ يَنَادِي : يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ ، فَيُقَالُ
 لَهُ : « آلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ! » وَمِنْهُ انْبِرَاؤُهُ بِالْمَحَارِبَةِ
 لِأَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِسْلَامِ مَكَانًا ، وَأَقْدَمِهِمْ إِلَيْهِ سَبْقًا ، وَأَحْسَنِهِمْ فِيهِ أَثْرًا وَذِكْرًا :
 عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، يُنَازِعُهُ حَقَّهُ بِيَاظِلِهِ ، وَيُجَاهِدُ أَنْصَاوَهُ بِضُلَالِهِ وَغُوَاتِهِ ، وَيُحَاوِلُ
 مَا لَمْ يَزَلْ هُوَ وَأَبُوهُ يُحَاوِلَانِهِ مِنْ إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ وَجُجُودِ دِينِهِ « وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ
 يُتِمَّ نُورَهُ وَتَوَكَّرَ الْمَشْرِكُونَ » وَيَسْتَهْوِي أَهْلَ الْغِبَاوَةِ ، وَيُؤَوُّ عَلَى أَهْلِ الْجَهَالَةِ ،
 بِمَكْرِهِ وَبَقِيَّةِ الَّذِينَ قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ عَنْهُمَا ، فَقَالَ لِعِمَّارٍ ^(۲)
 ابْنِ يَاسِرٍ : « تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ ، تَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَكَ إِلَى النَّارِ ^(۳) » مُؤَثِّرًا

(۱) أرى أن هذا الحديث والحديثين بعده موضوعة .

(۲) هو عمار بن ياسر رضي الله عنه . أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المشركون في بدء الدعوة الإسلامية فاحتمل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ، فربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صبرا آل ياسر فوعدهم الجنة ، اللهم اغفر لآل ياسر .

(۳) روت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما بي رسول الله مسجده بالمدينة أمر بالابن أن يضرب وما يحتاج إليه ، ثم قام فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرويتهم كيئتهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك إذن لعمل مظل

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا متظفا ، فكان يحمل اللبنة ويجافي بها عن ثوبه فإذا وضعها نفث كفيه ، ونظر إلى ثوبه . فإذا أصابه شيء من التراب نفثه ، فنظر إليه على رضي الله عنه فأنشد :

لا يتوى من يعمر المساجدا يدأب فيها را كما وساجدا
 وقائما طورا وطورا قاعدا ومن برى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر ، فحمل يرتجزها وهو لا يدري من يعنى ، فسمعه عثمان فقال : يا ابن سمية (وسمية أمية) ما أعرفني بمن تعرض وسمعه جريدة ، فقال : لتكفن أو لأعرضن بها وجهك ، لسمعته النبي وهو جالس في ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأني ، فن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني » وأشار بيده فوضعا بين عينيه ، فكف الناس عن ذلك وقالوا لعمار : إن رسول قد غضب فيك ، ونخاف أن ينزل فينا قرآن ، فقال : أنا أرضيه كما غضب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مالي ولأسبابك ؟ قال : مالك ولهم ؟ قال : يريدون قتلى ، يحملون ابنة ويحملون على لبنتين ، فأخذ به وطاف به في المسجد ، وجعل مسح وجهه من التراب ويقول : « يا ابن سمية ، لا يقتلك أعابي ، ولكن تقتلك الفئة الباغية » فلما قتل =

للعاجلة ، كافرًا بالآجلة ، خارجا من رِبْقَةِ الإسلام ، مستجِلاً للدم الحرام ، حتى سُفِكَ
 في فتنه ، وعلَى سبيل غَوَايَتِهِ وِضَلَاتِهِ ، مالا يُحْصَى عدده من خيار المسلمين الذَّابِّين عن
 دين الله ، والناصرين لحقه ، مجاهدًا في عداوة الله ، مجتهدًا في أن يُفْصَى اللهُ فلا يُطاع ،
 وتَبْطُل أحكامه فلا تُقام ، ويخالف دينه فلا يُدان^(۱) ، وأن تلوَى كلمة الضلالة ، وترتفع
 دعوة الباطل « وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا » ودينه المنصور ، وحُكْمُهُ النازِد ، وأمره
 الغالب ، وكَيْدُهُ من عاداه وحادَه^(۲) المقلوبُ الداحِضُ ، حتى احتمل أوزار تلك الحروب
 وما تبعها ، وتطوّق تلك الدماء وما سُفِكَ بعدها ، وسَنَّ سُنَنَ الفساد التي عليه إثمها
 وإثم مَنْ عَمِلَ بها إلى يوم القيامة ، وأباح المحارِمَ لمن ارتكبها ، ومنَعَ الحقوق أهلها ،
 واغترَّه الإملاء^(۳) ، واستدرجَه الإمهال ، والله له بالمرصاد .

ثم مما أوجب الله له به اللعنة ، قَتْلُهُ مَنْ قَتَلَ صَبْرًا^(۴) مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ
 والتابعين ، وأهل الفضل والدين ، مثل عمرو بن الحَمِقِ الخَزَاعِيِّ ، وحُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ
 الكِنْدِيِّ^(۵) فيمن قتل من أمثالهم ، في أن تكون لهم العزة والملك والغلبة ، والله
 العزة والملك والقدرة ، والله عز وجل يقول « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ
 جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ومما استحق به
 اللعنة من الله ورسوله ادِّعَاؤُهُ زِيَادَ بْنِ سُمَيَّةَ أَخَاهُ ، ونسبته إياه إلى أبيه جُرْأَةً عَلَى اللَّهِ ،
 والله يقول « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ، هُوَ أَقْسَطُ^(۶) عِنْدَ اللَّهِ » ورسولُ الله صلى الله عليه

= بصفين - وكان من أصحاب علي - وروى هذا الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم
 قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال : ونحن قتلنا أيضا حمزة لانا أخرجناه ؟ - انظر
 العقد الفريد ۲ : ۲۳۷ .

(۱) أي فلا يدان به .

(۲) حاده : غاضبه وعاداه وخالفه ، داحض : أي باطل .

(۳) أملى له الله : أمهله ، وفي ابن أبي الحديد « وغرته الآمال » .

(۴) صبر الإنسان على القتل : أن يجيس ويرمى حتى يموت .

(۵) انظر خبرها فيما قدمنا في الجزء الثاني (ص ۴۵ و ص ۶۰) .

(۶) أي أهمل .

وسلم بقول « ملعونٌ مَنْ ادَّعى إلى غير أبيه ، أو اتعَى إلى غير موالیه » ويقول : « الولد للفراش وللعاهر الحجر »^(۱) ، فنخالف حُكْمَ الله عز وجل وسفّة نبيه صلى الله عليه وسلم جهارا ، وجعل الولد اغیر الفراش ، والحجر لغیر العاهر^(۲) ، فأحلّ بهذه الدّعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حَبِيبَةَ^(۳) زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وفي غيرها من سُفُور وجوه ما قد حرّمه الله ، وأثبت بها قُرْبَى قد باعدّها الله ، وأباح بها ما قد حَظَره الله ، مما لم يدخل على الإسلام خَلَلٌ مِثْلُهُ ، ولم ينل الدينَ تبديلٌ شِبْهُهُ ، ومنه إبتارُه لخِلافة الله على عباده أبْنَه يزيدَ السَّكْبَرِ الخُمَيْرِ ، صاحب الديوك والفهود والقروود ، وأخذُه البيعة له على خيار المسلمين بالقمهر والسطورة والتوعّد والإخافة والتهذّر والرهبية ، وهو يعلم سفّهه ، ويطلع على خُبْئِهِ ورَهَقِهِ^(۴) ، ويعاين سَكْرَانَهُ^(۵) وفجورَه وكفره ، لما تمكن - قاتله الله - فيما مكّنه منه ، ووطأه له ، وعصى الله ورسوله فيه ، طلبَ بئارات المشركين وطوائِلِهِمْ^(۶) عند المسلمين ، فأوقع بأهل المدينة في وقعة الحرّة^(۷) الواقعة التي لم يكن في الإسلام أشنعُ منها ، ولا أخصَّ مما ارتكب من الصالحين فيها ، وشفى بذلك عبْدًا^(۸) نفسه وغلياله ، وظن أنه قد انتقم من أولياء الله ، وبلغ النوى^(۹) لأعداء الله ، فقال مجاهراً بكفره ، ومُظْهِراً لِشِرْكَه :

ليت أشياخي بيدٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا مئيل بدرٍ فاعتدل^(۱۰)

(۱) انظر ص ۳۷ من الجز الثاني .

(۲) وفي الطبري « والعاهر لا يضربه غيره » .

(۳) هي بنت أبي سفيان ، وسفرت المرأة كضرب سفورا : كشفت عن وجهها .

(۴) الرهق : السفه والحق والمفة وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم .

(۵) أي سكره . (۶) الطوائل ! جمع طائلة ، وهي النار .

(۷) انظر الجزء الثاني ص ۸۹ . (۸) العبد : الفضب .

(۹) انوى . الحاجة والوجه الذي تنويه وتفصده ، وفي ابن أبي الحديد « وبلغ النار » .

(۱۰) القرم : السيد .

لَأَهْلُوا واسْتَمَلُوا فَرَحًا ثم قالوا يا يزيد لا تسئل^(۱)
 لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(۲)
 لعنت هاشم الملك ، فلا خبر جاء ولا وحى نزل^(۳)

هذا هو المروق من الدين ، وقول من لا يرجع إلى الله ، ولا إلى دينه ، ولا إلى
 كتابه ، ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله ، ثم من أغلظ
 ما انتهك ، وأعظم ما اجترم ، سفكه دم الحسين بن علي ، وابن فاطمة بنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، مع موقعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ، ومنزله
 من الدين والفضل ، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولأخيه بسيادة شباب
 أهل الجنة ، اجترأ على الله ، وكفرا بدينه ، وعداوة لرسوله ، ومجاهدة لعترته ،
 واستهانة بمحرمة ، فكأنما يقتل منه ومن أهل بيته قوما من كفار أهل الترك
 والديلم ، لا يخاف من الله نعمة ، ولا يرقب منه سطوبة ، فبتر^(۴) الله عمره ، واجتث أصله
 وفرعه ، وسلبه ماتحت يده^(۵) ، وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله
 بمعصيته .

هذا إلى ما كان من بني مروان : من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه ،
 واتخاذ مال الله دولا^(۶) بينهم ، وهدم بيته ، واستحلال حرامه ، ونصبهم المجانيق

(۱) هذا البيت والبيتان بعده من قول يزيد .

(۲) خندف: هي أم مدركة وطابخة وقعة (كرقبة) أبناء إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

(۳) افس كفرح : حفظ بالمعجزة ، وفي الأصل « تاريخ الطبري » لعنت هاشم بالملك « وهو تحريف
 وقد أصلحته كما ترى ، وربما كان « ولعت هاشم بالملك » بدون حرف « .

(۴) بنره : قطعه ، والمعنى أماته حدثا في شرح شبابه ، فقد مات وهو ابن بضع وثلاثين سنة ،

وفي ابن أبي الحديد « فبتر » والتبشير : الكسر والإهلاك ، واجتثه : قطعه .

(۵) فقد انتقلت الخلافة بعده إلى ابنه معاوية الثاني الذي لم يلبث في الخلافة إلا أربعين يوما ثم مات

وانتقلت الخلافة إلى البيت الرواني .

(۶) جمع : دولة بالضم ، أي متداولا بينهم دون سائر المسلمين .

عليه ، وَرَمَيْهِمْ إِبَاهُ بِالنِيرَانِ ، لَا يَأْلُونَ^(۱) لَهُ إِحْرَاقًا وَإِخْرَابًا ، وَلِمَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْهُ اسْتِبَاحَةً وَاتِّهَاكًا ، وَإِنْ لَجَأَ إِلَيْهِ قِتْلًا وَتَنْكِيلًا ، وَإِنْ أَمَّنَهُ اللَّهُ بِهِ إِخَافَةً وَتَشْرِيدًا ، حَتَّى إِذَا حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ، وَاسْتَحَقُّوا مِنْ اللَّهِ الْإِنْتِقَامَ ، وَمَلَأُوا الْأَرْضَ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ ، وَتَعَمَّوْا عِبَادَ اللَّهِ بِالظُّلْمِ وَالْإِقْتِسَارِ^(۲) ، وَحَلَّتْ عَلَيْهِمُ السَّخَطَةُ ، وَنَزَلَتْ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ السُّطُورَةُ ، أُنَاحَ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ عِتْرَةِ نَبِيِّهِ وَأَهْلِ وَرَائِهِ مَنْ اسْتَخَاصَهُمْ مِنْهُمْ لِمُخْلَافَتِهِ ، مِثْلَ مَا أُنَاحَ اللَّهُ مِنْ أَسْلَافِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبَائِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ لِأَوَائِلِهِمُ الْكَافِرِينَ ، فَسَفَكَ اللَّهُ بِهِمْ دِمَاءَهُمْ مَرْتَدِّينَ ، كَمَا سَفَكَ بِأَبَائِهِمْ دِمَاءَ آبَاءِ الْكُفْرَةِ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَطَعَ اللَّهُ دَابِرَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَالْحَدُّ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَكَّنَ اللَّهُ الْمُسْتَضْعِفِينَ ، وَرَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِ الْمُسْتَحَقِّينَ ، كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » .

واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل إنما أمر ليُطَاعَ ، وَمِثْلَ لِيَتَمَثَّلَ ، وَحَاكَمَ لِيُقْبَلَ ، وَأَلْزَمَ الْأَخْذَ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَتَّبَعَ ، وَأَنْ كَثِيرًا مِنْ ضَلَّ فَالْتَوَى وَانْتَقَلَ مِنْ أَهْلِ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَاهِ ، مِمَّنْ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ » وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَمِيرًا » وَقَالَ : « أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ » فَاتَّبَعُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ عَمَّا يُسَخِطُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَرَاجِعُوا مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ ، وَارْضَوْا مِنْ اللَّهِ بِمَا اخْتَارَ لَكُمْ ، وَالزَّمُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَجَانِبُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَاتَّبِعُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَالْحُجَّةَ الْبَيِّنَةَ ، وَالسُّبُلَ الْوَاضِحَةَ ، وَأَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ الَّذِينَ هَدَاكُمْ اللَّهُ بِهِمْ بَدِيئًا^(۳) ، وَاسْتَمَدَّكُمْ بِهِمْ مِنَ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ أَخِيرًا ، وَأَصَارَكُمْ إِلَى الْخَلْقِ وَالْأَمْنِ وَالْعَزِّ بِدَوْلَتِهِمْ ، وَشَمِّدَكُمْ الصَّلَاحُ فِي أَدْيَانِكُمْ وَمَعَايِشِكُمْ فِي أَيَّامِهِمْ ، وَالْعَنُوا مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَفَارِقُوا مَنْ لَا تَنَالُونَ الْقُرْبَةَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بِفَارِقَتِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنِ أَبَا سَفِيَانَ

(۱) لَا يَأْلُونَ : أَي لَا يَنْصَرُونَ . (۲) الْإِقْتِسَارُ : الْقَهْرُ . (۳) أَي أَوَّلًا .

(۲۲ - جَهْرَةٌ رِسَالَتِ الْعَرَبِ - رَابِعٌ)

ابن حرب ومعاوية ابنه ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده وولد ولده ،
 اللهم المن أئمة الكفر ، وقادة الضلالة ، وأعداء الدين ، ومجاهدى الرسول ، ومغفري
 الأحكام ، ومبدلي الكتاب ، وسفكي الدم الحرام ، اللهم إنا نتبرأ إليك من موالاته
 أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك كما قلت : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » بأيها الناس ، اعرفوا الحق تعرفوا
 أهله ، وتأملوا سبيل الضلالة تعرفوا سابلها ، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالهم ،
 ويُلجِئهم بالضلال والصلاح آباؤهم ، فلا يأخذكم في الله لومة لائم . ولا يميلن بكم
 عن دين الله استهوا من يستهويكم ، وكيد من يكيدكم ، وطاعة من تُخرجكم طاعته
 إلى معصية ربكم . أيها الناس ، بنا هذاكم الله ، ونحن المستحفظون فيكم أمر الله ،
 ونحن ورثة رسول الله ، والقائمون بدين الله ، فقفوا عند ما نطقكم عليه ، وأنفذوا
 لما أمركم به ، فإنكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمة الهدى ، على سبيل الإيمان والتقوى ،
 وأمير المؤمنين يستعصم الله لكم ، ويسأله توفيقكم ، ويرغب إلى الله في هدايتكم
 لرشدكم ، وفي حفظ دينكم عليكم ، حتى تلقوه مستحقين طاعته ، مستحقين^(۱) رحمته ،
 والله حسب أمير المؤمنين فيكم ، وعليه توكله ، وبالله على ما قلده من أموركم استعانته ،
 ولا حول لأمر المؤمنين ولا قوة إلا بالله ، والسلام عليكم .

وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة ۲۸۴ (۲) .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۵۵ ، وشرح ابن أبي الحديد ۳ : ص ۴۴۲)

(۱) أي حاملين .

(۲) قال الطبري : « فخوفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة . وأنه لا يأمن أن تكون
 فتنة ، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله . وقال : « وذكر أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب
 القاضي وأمره أن يعمل الخيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد ، فضى يوسف بن يعقوب فكلم المعتضد في
 ذلك ، وقال له : يا أمير المؤمنين إنى أخاف أن تضرب العامة ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب
 حركة ، فقال : لا ، تحركت العامة أو نطقت وضعت سيفي فيها . فقال : يا أمير المؤمنين ، فإتصنع
 بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون ويميل إليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول وما تروم ، وفي
 هذا الكتاب إطراؤهم ، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل ، وكانوا هم أبسط السنة وأثبت حجة منهم
 اليوم ، فأملك المعتضد فلم يرد عليه جوابا ، ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء . »

۲۵۸ - كتاب أم الشريف إلى ابن أخيها محمد

ابن أحمد بن عيسى

وفي سنة ۲۸۶ هـ أناخ المعتضد بجنده على « آمد^(۱) » ، وقد تحصن بها محمد بن أحمد ابن عيسى ، فبث المعتضد جيوشه حولها وحاصرها ، ووجه شُعلة بن شهاب اليشكري إليه ، ليأخذ بالحجة عليه ، فسار إليه ، واتصل الخبر بأم الشريف عمه محمد ابن أحمد ، فتحدثت إليه في أمر ابن أخيها ، ثم كتبت معه إليه كتاباً لطيفاً حسناً ، أجزلت فيه الموعدة ، وأخلصت فيه النصيحة .

وكتبت في آخره هذه الأبيات :

اقبل نصيحة أم قلبها وجع
واستعمل الفكر في قولي ، فإنك إن
ولا تثق برجال في قلوبهم
مثل النعاج خول في بيوتهم
وداؤ ذلك والأدواء ممكنة
أعط الخليفة ما يرضيه منك ، ولا
وارد أخا يشكر رداً يكون له

عليك خوفاً وإشفاقاً وقل سداً^(۲)
فكرت ألفت في قولي لك الرشد
ضغائن تبث الشنان والحسد^(۳)
حتى إذا أمنوا ألفتهم أسداً
وإذ طيبك قد ألقى إليك يدا
تمنعه مالا ولا أهلاً ولا ولدا
ردءاً من سوء ، لا تسمت به أحدا

فأخذ شعلة الكتاب وسار به إلى محمد بن أحمد ، فلما نظر فيه رمى به إليه ، ثم قال : يا أخا يشكر ، ما بآراء النساء تُسام الدول ، ولا يعقولن بساس الملك ، ارجع إلى صاحبك ، فرجع إلى المعتضد وأخبره الخبر وأراه كتاب أم الشريف فأعجبه شعرها وعقلها .

(مروج الذهب ۲ : ۴۶۸)

(۱) آمد : مدينة من مدن ديار بكر . (۲) السدد والسداد : الاستقامة .

(۳) الشنان يسكون النون وفتحها : البض .

۲۵۹ - کتاب أم الشریف إلى المعتضد

فلما عضتته الحربُ وجّههُ إلى المعتضد بطلب الأمان فأجابه إليه ، ثم وجه المعتضد
شُعلة بن شهاب في طلب أم الشریف ، فلما رآته بكت وضربت يديها على الأخرى
وقالت : يا شهاب ، كأي والله كنت أرى ما أرى ، فإننا لله وإنا إليه راجعون !
فقال لها : إن أمير المؤمنين قد وجهني إليك ، وما ذاك إلا لحسن رأيٍ منه فيك ،
فقلت له : فهل لك أن توصل إليه كتابي هذا بما قلت فيه ؟ قال : نعم ، فكتبت
إليه بهذه الأبيات :

قل للخليفة والإمام المرتضى رأس الخلائق من قریش الأبطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها بعد الفساد وظالمًا لم تصلح^(۱)
وتزحزحت بك قبّة العز التي لولاك بعد الله لم تتزحزح
وأراك ربك ما تحب ، فلا ترى ما لا تحب ، فجد بعفوك وأصفح
يا بهجة الدنيا وبدّر ملوكها هب ظالمين ومفسدين لمصلح

فسار بالكتاب إلى المعتضد فأعجبه الأبيات ، وأمر أن يحمل إليها نخوت^(۲)
من الثياب وجملة من المال ، وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك ، وشفعها في كثير
من أهلها ، ممن عظم جرمه ، واستعق العقوبة عليه (مروج الذهب ۲ : ۱۴۶۹)

۲۶۰ - كتاب صاحب الشامة إلى بعض عماله

ومن كتاب صاحب الشامة الحسين بن زكرويه القرمطي^(۳) إلى بعض
عماله :

(۱) أي من قریش التي تسكن أبطح مكة ، وهو مسيل وادبها .

(۲) النخوت : جم تحت بالفتح ، وهو وعاء تصان فيه الثياب .

(۳) كان داعية قرمط رجلا يسمى زكرويه بن مهرويه ، فلما تابع من المعتضد توجيه الجيوش إلى
من بسواد الكوفة من القرامطة ، وألح في طلبهم ، وأثنى فيهم القتل ، ورأى زكرويه أنه لا مدفع عن

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أحمد بن عبد الله المهديّ للنصور بالله
الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الحاكم بحكم الله ، الداعي إلى كتاب الله ، القادح
عن حرّم الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، ومُذِلّ
المنافقين ، خليفة الله على العالمين ، وحاصِدِ الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومُبيدِ المُلجِدِينَ ،
وقاتِلِ القاسِطِينَ^(۱) ، ومُهْلِكِ المفسدين ، ومِراجِ المُبصرين ، وضياءِ المستضيئين ،
ومُسْتَدْتِ الخالفين ، والقِيَمِ بسُنَّةِ سيد المرسلين ، وولدِ خير الوصِيِّين ، صلى الله عليه
وعلى أهل بيته الطَّيِّبين ، وسلم كثيراً ، إلى جعفر بن حَمِيدِ الكُرْدِيِّ :

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على
جَدِّي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بعدُ : فقد أَنهَيْتَ إلينا ما حدث قبلك
من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك ، وأظهروه من الظلم والمعِيثِ^(۲)
والفساد في الأرض ، فأعظَمْنَا ذلك ، ورأينا أن نُنفِذَ إلى ما هناك من جيوشنا مَنْ
يَنْتَقِمُ الله به من أعدائه الظالمين ، الذين يسعون في الأرض فساداً ، وأنفِذْنَا « عَطَايِرًا »
دَاعِيَتْنَا وجماعةً من المؤمنين إلى مدينةِ حِمْصِ ، وأمددناهم بالمساكر ، ونحن في إثرهم ،

== أقسم عند أهل السواد ولاغناء ، سمي في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب أسدوطني ، وتيم
وغيرهم من قبائل الأعراب ، ودعاهم إلى رأيه ، وزعم لهم أن من بالسواد من القرامطة يطالبونهم على أمره
إن استجابوا له ، فلم يستجيبوا له .

وكانت جماعة من « كلب » تخفر الطريق على البر بالسماوة ، فيما بين الكوفة ودمشق على طريق
تدمر وغيرها ، وتحمل الرسل وأمتعة التجار على لابلها ، فأرسل زكرويه وأولاده إليهم ، فبايعوه وخالطوهم
وانتموا إلى علي بن أبي طالب ، وإلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وذكروا أنهم خائفون من السلطان ،
وأنهم ملجئون إليهم ، فقبلوهم على ذلك ، ثم دبوا فيهم بالدعاء إلى رأى القرامطة فلم يقبل ذلك أحد من
إلا الفخذ المروقة بيني العليس بن ضمضم بن عدي بن جناب وهوالهم خاصة ، فبايعوا
في آخر سنة ۲۸۹ بناحية السماوة ابن زكرويه المسمى بيجي ، ثم قتل في بعض الوقعات ، فنصبوا أخاه الحسين
ابن زكرويه ، وزعم لهم أنه أحمد بن عداقة بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأظهر شامة ووجهه
ذكر أنها آيته ، فعرف بصاحب الشامة : وظهر على جند حمص وغيرها من أرض الشام ، وتسمى بإمرة
المؤمنين على منابرهما ، وكان ذلك سنة ۲۸۹ وسنة ۲۹۰ - انظر تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۷۷ .

(۱) أي الجائرين .

(۲) العيث : الإفساد .

وقد أوعزنا إليهم في المصير إلى ناحيتك ، لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يجزيها الله فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم ، فينبغي أن تشد قلبك وقلوب من معك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودنا في كل من مرق عن الطاعة ، وانحرف عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الفاحية وما يتجدد فيها ، ولا تخف عنا شيئا من أمرها إن شاء الله ، سبحانك اللهم وتحييتهم فيها سلام ، وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين ، ، وصلى الله على جددي محمد رسول الله وعلى أهل بيته وسلم كثيرا .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۸۴)

۲۶۱ - كتاب بعض عماله إليه

وهذه نسخة كتاب عامل له إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله أحمد الإمام المهدي المنصور بالله (ثم الصدر كله على مثال صدر كتابه السابق إلى قوله : وعلى أهل بيته الطيبين وسلم كثيرا) ثم بعد ذلك :

من عامر بن عيسى العنقائي .

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده ، ونصره وسلامته ، وكرامته ونعمته وسعادته ، وأسبغ نعمة عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وفضله لديه .

فقد كان وصل كتاب سيدي أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - يعلمني فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد من قواده إلى ناحيتنا ، لمجاهدة أعداء الله بنى الفصيص ، والخائن ابن دحيم ، وطلبهم حيث كانوا ، والإيقاع بهم وضياعهم ، ويأمرني - أدام الله عزه - عند نظري في كتابه ، بالهوض في كل من قد رمت عليه من أصحابي وعشائري ، لإفائهم ومكانة الجيش ومعاضدتهم ، والمسير

بسرهم ، والعمد إلى كل ما يؤثرون إليه وبأمرهم به ، وفهنته ، ولم يصل إلى هذا الكتاب — أهدى الله أمير المؤمنين — حتى وافى الجيوش المنصورة ، فالت طرفاً من ناحية ابن دحيم ، وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسرور بن أحمد الداعية ، ليلقوه بمدينة « أفامية ^(۱) » ثم ورد على كتاب مسرور بن أحمد في درج ^(۲) الكتاب الذي اقتضت ما فيه في صدر كتابي هذا ، بأمرني فيه بجمع من تهيأ من أصحابي وعشیرتی ، والنهوض إلى ما قبله ، ويحذرنى التخلف عنه ، وكان ورود كتابه على وقت صح عتدنا نزول المارق سبك عبد مفلح مدينة « عرقة ^(۳) » في زهاء ألف رجل ، ما بين فارس وراجل ، وقد شارف بلدنا ، وأطال على ناحيتنا ، وقد وجه أحمد ابن الوليد عبد أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — إلى جميع أصحابه ، ووجهت إلى جميع أصحابي ، فجمعناهم إلينا ، ووجهنا الميرون إلى ناحية « عرقة » لنعرف أخبار هذا الخائن ، وأين يريد ؟ فيكون قصدنا ذلك الوجه ، ونرجو أن يظفر الله به ، ويمكن منه ، بمنه وقدرته ، ولولا هذا الحادث ، ونزول هذا المارق في هذه الناحية ، وإشرافه على بلدنا ، لما تأخرت في جماعة أصحابي عن النهوض إلى مدينة « أفامية » لتكون يدي مع أيدي القواد المقيمين بها ، لمجاهدة من بقلك الناحية ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، وأعلمت سيدى أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — السبب في تخلفي عن مسرور بن أحمد ، ليكون على علم منه ، ثم إن أمرنى — أدام الله عزه — بالنزول إلى « أفامية » ، كان نفوذى برأيه ، وامثلت ما بأمرنى به إن شاء الله ، أتم الله على أمير المؤمنين نعمه ، وأدام عزه وسلامته ، وهنأه كرامته ، وألبسه عفوّه

(۱) أفامية : مدينة من سواحل الشام و كورة من كور حمص .

(۲) درج الكتاب : طيه وداخله ، يقال في درج الكتاب كذا و كذا .

(۳) عرقة : بلدة في شرقي طرابلس الشام ، بينهما أربعة فراسخ وهي آخر عمل دمشق ، في

سفع جبل .

وعافيته والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، والحمد لله رب العالمين ،
وصلی الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار .

(تاريخ الطبری ۱۱ : ۳۸۴)

۳۶۲ - كتاب محمد بن سليمان الكاتب إلى القاسم بن عبيد الله

وفي سنة ۲۹۱ هـ وجّه القاسم^(۱) بن عبيد الله وزير المكتفي بالله^(۲) محمد بن سليمان
الكاتب - وكان إليه ديوان الجيش - وضمّ جميع القواد إليه لمناهضة ذي الشامة
وأصحابه ، فالتقوا به قرب « حماة » ، وهُزِم أصحاب القرمطى وقتلوا ، وأسر من
رجالهم بشر كثير ، وتفرق الباقون في البوادي .

وكتب محمد بن سليمان إلى الوزير بالفتح :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قد تقدمت كتبتي إلى الوزير - أعزه الله -
في خبر القرمطى اللعين وأشياعه ، بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله .

(تاريخ الطبری ۱۱ : ۳۸۶)

۳۶۳ - كتاب ابن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله

وكتب عبد الله بن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله يعتذر .

« ترفع - أعزك الله - عن ظلمي إن كنتُ بريئاً ، وتفضل بالعبء عني إن
كنتُ مسيئاً ، فوالله إني لأطلبُ غفر ذنبٍ لم أجنيه ، وأتمس الإقالة بما لا أعرفه ،
لتزداد تطوّلاً ، وأزدادَ تدلُّلاً ، وأنا أعيدُ حالي عنده بكرمك من واثٍ بكيدها ،

(۱) استوزره المعتضد بعد وفاة أبيه عبيد الله بن سليمان بن وهب سنة ۲۸۸ ، انظر خبره في الفخرى

ص ۲۳۲ ، ومروج الذهب .

(۲) هو أبو محمد علي بن المعتضد ، ولي الخلافة بعد موت أبيه سنة ۲۸۹ ، وتوفي سنة ۲۹۵ .

وأحرُسُها بوفائِكَ من باغِرٍ يَحاولُ إفسادَها ، وأسألُ اللهَ تعالى أنْ يجعلَ حظِّي منك بقدرِ ودِّي لك ، ومحلِّي من رجائِكَ بحيثُ أستحقُّ منك .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٨ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٢)

٢٦٤ - كتاب ابن المعتز إلى القاسم

وله إليه :

« لو كان في الصمت موضع يسع حالي ، خلفت عن سماع الوزير ونظره ، ولم أشغل وجهها من فكره ، وما زالت الشكوى تُعرب عن لسان البلوى ، ومن اختلت حالته ، كان في الصمت هلكته ، وقد كان الصبر ينصرني على ستر أمري حتى خذلني .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٨)

٢٦٥ - كتابه إلى بعض الرؤساء

وله إلى بعض الرساء :

« لا تشن حُسنَ الظفر بقبح الانتقام ، وتجاوز عن مُذنبٍ لم يسلك بإقرارٍ طريقاً ، حتى اتخذ من رجاء عفوِكَ رفيقاً .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٢٦٦ - كتابه إلى عليل

وكتب إلى عليل :

« أذن الله في شفائِكَ ، وتلقى داءك بدوائِكَ ، ومسح بيد العافية عليك ، ووجه وافد السلامة إليك ، وجعل علتك ماحيةً لذنوبك ، مضاعفةً لثوابك .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

۳۶۷ - کتاب ابن المعتز إلى بعض الوزراء

وكتب إلى بعض الوزراء :

« ما زال الحاسد لنا عليك أيها الوزير ينصب البائيل ، ويطلب الفوائل ، حتى انتهز فرصته ، وأبلغك شيئاً زخرفه ، وكذباً زوره ، وكيف الاحتراسُ ممن أخضر وَيَغيب ؟ ويقول وأُمِّك ؟ مُرْتَصِدٌ لَا يَفْعَلُ ، وما كَرُّ لَا يَفْتُرُ ، وربما استنصَحَ الفاشئ ، وصدق الكاذب ، والحظوةُ لا تُدْرِكُ بالحيلة ، ولا يجرى أكثرها على حسب السبب والوسيلة . »

۳۶۸ - رده عليه

فأجابه :

« حصولُ الثقة بك - أعزك الله - يُغني عن حضورك ، وصدقُ حالك يمتجُّ عنك ، وما تقرَّر عندنا من نيتك وطويتك يُغني عن اعتذارك . »
(زهر الآداب ۳ : ۲۰۴)

۳۶۹ - كتاب قينة إلى ابن المعتز

قال أبو العباس بن المعتز : كان لنا مجلس حظاً ، أرسلتُ بسببه خادمةً إلى قينة (۱) ، فأجابت ، فلما مرت في الطريق وجدت فيه حارساً حرامياً (۲) ، فرجعت ، فأرسلتُ أعاقبها . فكتبتُ إلى :

« لم أخلف عن المسير إلى سيدي في عشيتي أمس ، لأرى وجهه المبارك ، وأجيب دعاه ، إلا لعلَّ قد عرقتُها فلاته ، ثم خفتُ أن يسبق إلى قلبه الطاهر أني قد تخلفتُ

(۱) القينة : الجارية المغنية أو أعم .

(۲) نسبة إلى حرام : وهي قبيلة من بني سليم ، وقبيلة من بني سعد بن بكر .

بغير عذر ، فأحبيتُ أن تقرأ عذري بخيالي ، ووالله ما أقدرُ على الحركة ، ولا شيء ،
أسرُّ إلى من رؤيتك والجلوس بين يديك ، وأنت يا مولاي جاهي وسندي ، لافقدت
سندي ، ورأيتك في بسطِ العذرِ مؤقَّما ، وكتبت في أسفل الكتاب .

أليس من الحرمان حظُّ سُلَيْبَتِهِ وأحوجني فيه البلاه إلى العذر ؟
فصبرا ، فما هذا بأوّلِ حادثٍ رمّنتني به الأقدار من حيث لا أدري

۲۷۰ - رده عليها

فأجبتُها :

« كيف أردتُ عذرا من لا تتسلط التهمة عليه ، ولا تهتدي الموجدة (۱) إليه ،
وكيف أعلمه قبول المعاذير ، ولا آمنُ بعضَ جواهره إلى يسيرٍ إلى انتهاز فرصةٍ
فيما عاد إلى الفرطة (۲) ، فإن سلّمتُ من ذلك ، فمن يجبرني من تواكله على تقديم
العذر ، ووقوعه موقعَ التصديق في كل وقت ، فتتصل أيام الشغل والعلة ، وتنقضي
أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة الغيبة ، وتدرس آثار الودعة » ، وكتبت
آخر الرقعة .

إذا غبتِ لم تعرف مكاني لذةٌ ولم يلق نفسي لها وسرورها
وبدلت سما واهيا غير نمسك لقول ، وعينا لا يراني ضميرها
(زهر الآداب ۳ : ۲۰۳)

(۱) الموجدة : الغضب .

(۲) الفرطة : اسم للخروج والتقدم ومجاوزة الحد .

۲۷۱ - کتاب ابن المعتز إلى بعض إخوانه يصف سر من رأى

وكتب عبد الله بن المعتز إلى بعض إخوانه يصف سر من رأى، ويذكر خرابها، ويذم بغداد وأهلها، ويفضل سامرا^(١) :

« كتبت إليك من بلدة قد أنهض^(٢) الدهر مكانها، وأقعد جدرانها، فشهد اليأس فيها ينطق، وحبيل الرجاء فيها يقصر، فكان عمرانها بطوى، وكان خرابها ينشر، وقد وكت إلى الهجر نواحيها، واستحيت باقيا إلى فانيها، وقد تمزقت بأهلها الديار، فما يجب فيها حق جوار، فالظاعن^(٣) منها تمحو الأثر، والمقيم بها على طرف سقر، نهاره إزجاف^(٤)، وسروره أحلام، ليس له زاد فيرحل، ولا مرعى فيرتع، فحالها تصيف للعيون الشكوى، وتشير إلى ذم الدنيا، بعد ما كانت بالمرأى القريب جنة الأرض، وقرار الملك، تفيض بالجنود أقطارها، عليهم أودية السيوف، وغلائل^(٥) الحديد كأن رماحهم قرون الوعول، ودروعهم زبد السيول، على خيل تأكل الأرض بحوافرها، وتمد بالنقع^(٦) سرادقها، قد نشرت في وجوها غرر^(٧) كأنها صحائف البرق، وأمسكها تحجيل^(٨) كأنه أسورة اللجين، وقرطت^(٨) عذرا كالشنوف، في جيش يتلقف الأعداء أوائله، ولم تنهض أواخره،

- (١) لغة في سر من رأى، وقد قدمنا كلمة هنا في ص ١٣٤ .
 (٢) أي أنهضهم للرحيل .
 (٣) أي المسافر الراحل .
 (٤) أرجفوا : خاضوا في أخبار الفتن ونحوها .
 (٥) الغلائل جمع غلالة بالكسر : وهي الشعار الذي يلبس تحت الثياب مما يلي الجسد ، والوعول جمع وعل كشمس وكتف : وهو تيس الجبل .
 (٦) النقع : الغبار .
 (٧) الفر جمع غرة بالضم : وهي بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم ، والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، واللجين : الفضة .
 (٨) العذرجع عذار ككتاب : وهو من العجم . أصل على خد الفرس : وقرط الجارية : ألبسها القرط ، والشنوف جمع شنف بالفتح : وهو القرط الأعلى .

وقد صبَّ عليه وقارُ الصبر ، وهبَّت له روائحُ النصر ، بصرفه مَلِكٌ يملأُ العيونَ
جَمالاً والقلوبَ جلالاً ، لا تُخَلِّفُ تخيلته (۱) ، ولا تُنْقِضُ مَريرته ، ولا يُخْطِئُ بسهم
الرأى غَرَضَ الصواب ، ولا يَقْطَعُ بِمطايا اللهُو سَفَرَ الشَّبَاب ، قابضاً بيد السيادة على
قِطَار (۲) مُلْك لا ينتشر خَبْلُهُ ، ولا تَشْطِئُ عصاه ، ولا تُطْفَأُ جَهرته ، في مِينَ شَبَابٍ
لم يَجْنِ مَأْتَمًا ، وشَيْبٍ لم يَراهِق (۳) هَرَمًا ، قد فَرَشَ مِهَادَ عدله ، وخَفَضَ جَنَاح
رحمته ، راجِعًا بالعواقب الظنونَ ، لا يطيش ، عن قلب فاضل الحزم ، بعيد العزم ،
ساعياً على الحق بعمل به ، عارفاً بالله يقصد إليه ، مُقِرّاً للحلم ويَبْذُلُهُ ، قادراً على العقاب
ويعدل فيه ، إذ الناس في دهر غافل ، قد اطمأنت بهم سيرة (۴) لَيْنَةِ الحواشي ، خَشِنَةَ
المَرَام ، تطير بها أجنحة السرور ، ويَهْبُ فيها نسيم الحبور (۵) ، فالأطراف على مسررة
والنظرة إلى مَبْرَةٍ ، قبل أن تَحْب (۶) مَطايا الغَيْرِ ، وتَسْفِرَ وجوهَ الخَدَرِ ، وما زال
الدهر مليئاً بالنواب ، طارقاً بالمعائب ، يُؤمِّنُ يومه ، وبَعْدِرِ غَدُهُ .

على أنها - وإن جُفِيت - مَعشوقَةُ الشُّكْنَى ، حَبِيبَةُ المَثْوَى (۳) ، كوكبها
بِقِطَانُ ، وجَوْها عُرْيَان (۸) ، وَحَصَاؤُها جَوْهر ، ونسيمها مُعْطَرٌ ، وترابها مِسْكٌ
أذْفَر (۹) ، ويومها غَدَاة ، وليلها سَحَر ، وطعامها هَنِيءٌ ، وشرابها مَرِيءٌ ، وتاجرها
مَالِكٌ ، وفقيرها فَاذِك (۱۰) ، لا كِبْفَدَادِ كِ المَوْسِخَةِ السماء ، الوَمِدَةُ (۱۱) الهَوَاء ، جوها

(۱) الهبة : الظن ، والمريرة : العزيمة .

(۲) القطار في الأصل : أن تَطْرُقَ الإبل ببعضها إلى بعض على نسق واحد ، وتشظى العود : تطاير
شظايا جمع شظية كغنية : وهي الفلقة (بالكسر) من العصا ونحوها .

(۳) أي ولم يقارب الهرم والشيوخه ، يقال : دخل مكة راهقاً : أي مقارباً لآخر الوقت حتى كاد
يفوته التعريف ، وراهق الغلام : قارب الحلم .

(۴) السيرة بالكسر : اسم من السير أي الذهاب . (۵) الحبور : السرور .

(۶) الحب بالتحريك : ضرب من العدو وبابه رد ، وسفرت المرأة كضرب : كشفت عن وجهها .

(۷) المثوى : المنزل . (۸) أي صحو خلو من الفيوم .

(۹) مسك أذفر وذفر كفرح : جيد إلى الغاية ، من الذفر بالتحريك : وهو شدة ذكاه الربيع ، والغداة :
البكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

(۱۰) فذك بالمكان كعصر : أقام به ، أي أنه ، لا يرحل عنها إلى سواها ، إذ يجذبها ما يسد عوزها .

(۱۱) الومد بالتحريك : أن تسكن الربيع مع شدة الحر .

نار ، وأرضها خبار^(۱) ، وماؤها حميم ، وترابها سرجين ، وحيطانها نُزُور^(۲) ،
 وتشرينها تموز ، فكم من شمسها من محترق ، وفي ظلِّها من غرق ، ضيقة الديار ،
 قاسية الجوار ، ساطعة الدخان ، قليلة الصيفان ، أهلها ذئاب ، وكلامهم سباب ،
 وسائلهم محروم ، ومالهم مكتوم ، لا يجوز إنفاقه ، ولا يحلُّ خنائقه^(۳) ، حشوشهم
 مسایل ، طرقهم مزايل ، وحيطانهم أخصاص ، وبيوتهم أقفاص ، ولكل مكروه
 أجل ، وللبقاع دُول ، والدهر يسير بالقيم ، ويمزج البؤس بالنعيم ، وبعد اللجاجة
 انتهاء : والهم إلى فرجة ، ولكل سائلة قرار ، وبالله أستعين . وهو الحمود على
 كل حال .

غَدَتْ سُرًّا مَنْ رَا فِي الْعَفَاءِ ،

« قِفَا نَيْكُ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ (۴) »

وأصبح أهلها شبيهاً بحالها ، لما نسجتُها من جنوب وشمال^(۵) «
 إذا ما امرؤ منهم شكاً سوء حاله » يقولون لانهلك أسى وتجمل
 (معجم البلدان ۵ : ۱۸ و ۲ : ۲۴۱ وزهر الآداب ۱ : ۲۰۷)

- (۱) الخبار : ملان من الأرض واسترخى ، والحميم : الماء الحار ، وفي رواية « وماؤها طين »
 والسرجين والسرقين بكسرهما ، الزبل .
 (۲) النز بالفتح وبكسر : ما يتقلب من الأرض من الماء ، وتشرين وتموز : شهران من الشهور
 الرومية ، وتشرين من أشهر البرد (يبتدى تشرين الثاني من ۱۴ نوفمبر) وتموز من أشهر الحر (يبتدى
 من ۱۴ يوليو) .
 (۳) الخناق : الجبل يخفق به ، والحشوش جمع حش مثل الماء : وهو الكنيف وموضع
 قضاء الحاجة .
 (۴) الأشرطة الثانية في الأبيات الثلاثة مقتبسة من معلقة امرئ القيس المشهورة ، والعفاء :
 الدروس والاحياء .
 (۵) الشمال : ربح الشمال .

۲۷۲ - کتاب ابن المعتز إلى أحمد بن سعيد الدمشقي

وكتب ابن المعتز إلى أحمد^(۱) بن سعيد الدمشقي جوابا عن كتاب استزاده فيه :

« قَيْدُ نَعْمَتِي عِنْدَكَ بِمِثْلِ مَا كُنْتَ اسْتَدْعَيْتَهَا بِهِ ، وَذُبُّ عَنْهَا أَسْبَابَ سُوءِ الظَّنِّ . وَاسْتَدِمُّ مَا تَحِبُّ مِنِّي بِمَا أَحِبُّ مِنْكَ » .

(معجم الأدباء ۳ : ۴۹ وزهر الآداب ۲ : ۱۸۱)

۲۷۳ - کتاب آخر إليه

وكتب إليه جوابا عن اعتذار كان من الدمشقي ، في شيء بلغ ابن المعتز عنه :
« وَاللَّهِ لَا قَابِلَ إِحْسَانِكَ مِنِّي كُفْرًا ، وَلَا تَبِيعَ إِحْسَانِي إِلَيْكَ مَنًّا ، فَلَا عِنْدِي يَدٌ لَا أَقْبِضُهَا عَنْ نَفْعِكَ ، وَأُخْرَى لَا أَبْسُطُهَا إِلَى ظُلْمِكَ ، فَتَجَنَّبَ مَا يُسْخِطُنِي ، فَإِنِّي أَصُونٌ وَجْهَكَ عَنْ ذُلِّ الْعِذَارِ » .

(معجم الأدباء ۳ : ۴۹ وزهر الآداب ۲ : ۱۸۱)

۲۷۴ - کتاب إلى عبد الله بن شبيب من صديق له

وحدث عبد الله بن شبيب قال : كتب إلى بعض إخواني من البصرة - وقد تأخر كتابي عنه - كتابا أوجز فيه ، وملح :

« أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ كَمَا أَطَالَ جَفَاءَكَ ، وَجَعَلَنِي فِدَاءَكَ إِنْ كَانَتْ فِي فِدَاؤِكَ .

كُتِبْتُ وَلَوْ قَدَّرْتُ هَوَىٰ وَشَوْقًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الْكِتَابِ (۲) »

(أدب الكتاب ص ۱۵۳)

(۱) كان مؤدب ولد المعتز ، واختص بعبد الله بن المعتز ، مات سنة ۳۰۶ ، انظر ترجمته في معجم الأدباء ۳ : ۴۶ ، وفي زهر الآداب « أحمد بن محمد » وهو تحريف .

(۲) البيت لأبي تمام .

۲۷۵ - كتابه إلى محمد بن طيفور من بعض إخوانه

وورد على محمد بن طيفور ، وهو عامل على أصفهان كتاب من بعض إخوانه
في شأن رجل استماحه له في منزله :

« أنت - أعزك الله تعالى - أجل من أن يُتوسَّلَ بفيرك إليك ، وأن يستماحَ
جودك إلا بك ، غيرَ أني أذكرك بكتابي في أمرٍ حامِله ما شرَّعَ كرمك ، وزرَّعَ
إحسانك ، من الأجرِ قِبَلِ الصادرين والواردين ، فهَنَّأكَ اللهُ تعالى ذلك ، ولا زالت
يدُ اللهُ يجمِّلُ إحسانه ونعمته متواترةً عليك » .

فقال محمد للرجل : احْتَمِكْ لَكَ وَلَهُ ، فَأَخَذَ مِنْهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَلَمْ يَكْتُبْ إِلَيْهِ فِيهَا مِثْلَهَا .
(زهر الآداب ۳ : ۲۹۶)

۲۷۶ - كتاب إلى محمد بن طيفور من بعض خاصته

وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بمال كثير وصَّله به ، فكتب
الرجل إليه :

« قد استغرقتُ نعمتُك وجوه الشكر لك ، وغرَّرتُ الحمد فيما سَلَفَ ، ولولا فرطُ
عجزٍ مَن عَجَزَ عن كُفِّهِ ما يجب لك من الحمد ، لَقَبِلْتُ ما أَنْفَذْتَهُ » .

۲۷۷ - رده عليه

فكتب إليه محمد :

« قد صَفَّرَ شُكْرَكَ لَنَا ما أَسْلَفْنَاهُ إِلَيْكَ ، نَفَّذَ ما أَنْفَذْنَاهُ ثَوَابًا عن معرفتِكَ
بشكر ما أسديناه ، وإلا سَمَحَ شُكْرَكَ بِما رأيناكَ له أهلاً ، إلى أن يسع قبولُ مثلك
ما يستحقُّ به جميل الدعاء ، وجزيل الثناء ، إن شاء اللهُ تعالى » .

(زهر الآداب ۳ : ۲۹۷)

۲۷۸ - کتاب صاحب البرید بالدينور

قال الطبري : وفي سنة ۳۰۰ هـ ورد كتاب صاحب البريد بالدينور^(۱) يذكر أن بغلة هناك وضعت فلووة^(۲) ، ونسخة كتابه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الموقظ بعبره قلوب الغافلين ، والمرشد بآياته ألباب العارفين ، الخالق لما يشاء بلا مثال ، ذلك الله الباري المصور في الأرحام ما يشاء ، وإن الموكل بخبر التطواف بقرماسين رفع يذكر أن بغلة لرجل يعرف بأبي برودة من أصحاب أحمد بن علي المرئي وضعت فلووة ، ويصف اجتماع الناس لذلك ، وتعجبهم لما عاينوا منه ، فوجهت من أخصرني البغلة والفلووة ، فوجدت البغلة كمتاء^(۳) خلوقية ، والفلووة سوية الخلق^(۴) ، تامة الأعضاء ، مُسدلة الذنب ، سبحان الملك القدوس ، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب . »

(تاريخ الطبري ۱۲ : ۲۱)

۲۷۹ - كتاب علي بن الفرات عن المقتدر في المواريث

وفي سنة ۳۱۶ مات أحمد بن محمد بن خالد الكاتب - وكان من مشايخ الكتاب ورؤسائهم - وخلف ورثة أجدانا ، فأنهى^(۵) كثرة ما خلف من المال إلى المقتدر^(۶) ،

(۱) دينور : مدينة من أعمال الجبل بفارس ، بقرب قرماسين .

(۲) الفلو بالكسر وكعدو وسمو : الهر .

(۳) الكتة بالضم : لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل والإبل وغيرها ، والكيت من الخيل كزبير يستوى فيه الذكر والمؤنث ، قال في اللسان : والجمع كت بالضم كسروه على مكبره التوهم وإن لم يلفظ به ، لأن اللونة يظن عليها هذا البناء الأحمر والأشقر ، قال طفيل :

وكنا سدماة كأن متونها جرى فوقها واستشمرت لون مذهب

والخلوقية : نسبة إلى الخلق كصبور : طيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتظب عليه الحمرة والصفرة ، والمعنى : تشبه الخلق في لونه .

(۴) أي متوية الخلق ومدانته . (۵) أنهى الشيء : أبلغه .

(۶) ولي أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد الخلافة سنة ۲۹۵ وقتل سنة ۳۲۰ .

(۲۳ - جبهة رسائل العرب - وابع)

فأمر بالتوكيل بِخِزَانَتِهِ وداره ، فسار بعضُ الورثة إلى المحسن بن علي بن القرات ،
 وضمينوا له مالا ، على إزالة التوكيل وحلِّ الاعتقال ، فكلم المحسن أباه في ذلك
 (وكان أبوه وزيراً^(۱) المقتدر فركب إلى المقتدر) فقال له : إن المعتضد والمكثف قد كانا قطعاً
 الدخول على الناس في الموارث ، وأنا أرى لمولاي أن يحیی رسومتها ، وأن يأمر بإثبات
 عهد ألا يُتعرض لأحد في ميراث ، فأجابه المقتدر إلى ذلك ، إذ ظن أنها نصيحة منه ،
 فسلمت الذار إلى ورثة السكاتب ، وأنشأ ابن القرات كتاباً عن المقتدر ، نسخته :
 « بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين المقتدر بالله يؤثر في الأمور
 كلها ما قرَّبه من الله عز وجل ، واجتلب له جزيل مَثُوبته ، وواسع رحمة ، وحنَّته ،
 العائدة على كافر عيته ، كما جعل الله في طبعه ، وأولج في بيته ، من التعطف عليها ،
 وإبصال المنافع إليها ، وإبطال رسوم الجور التي كانت تُعاملُ بها ، جارياً مع أحكام
 الكتاب والسنة ، عاملاً بالآثار عن الأفاضل من الأئمة ، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين ،
 وإليه بفوض ، وبه يستعين . »
 (تاريخ الطبری ۱۲ : ۶۰)

۲۸۰ - كتاب الوزير بن مقله إلى القواد والعمال

ومن حوادث سنة ۳۱۸ الإيقاع بمجد الرِّجَالِ المَصَافِيَّةِ^(۲) ببغداد ، وقد كتب
 الوزير محمد بن علي بن مقله فيهم بعد قهرهم نسخة أنفذت إلى القواد والعمال ، وهي :
 « بسم الله الرحمن الرحيم ، قد جرى - أعزك الله - من أمر الرِّجَالِ المَصَافِيَّةِ

(۱) وزير أبو الحسن علي بن القرات للمقتدر ثلاث مرات وقتل سنة ۳۱۲ - انظر ترجمته في الفخرى

ص ۲۳۹ وتاريخ الطبری ۱۲ : ۲۰ .

(۲) نسبة إلى المصاف جمع مصف : وهو الموقف في الحرب الذي يكون فيه الصفوف ، وقد كان
 هؤلاء الرِّجَالِ في صفوف جرس الخلافة ، وتبدلوا وادهم على الخليفة وعلى الوزير حتى كان لا يقدر أن يحتجب
 عن واحد منهم في أي وقت جاء من ليل أو نهار ، ولا يرد عن حاجة كائنة ما كانت ، وتحكموا على
 القضاة ، وطالبوهم بحل المباسات وإخراج الوقوف من أيديهم ، واكتفوا الجناة ، وعطلوا الأحكام ،
 واستطالوا على المسلمين .

بالحضرة ما قد اتصل بك ، وعرفت جملة وتفصيلا ، وجهته وسبيله ، وقد خار الله عز وجل سيدنا أمير المؤمنين وللناس بعده ، بما تهيأ من قمعهم وردعهم ، خيرة ظاهرة متصلة بالكفاية الشاملة التامة ، بمن الله وفضله ، ولم ير سيدنا - أيده الله - استصلاح أحد من هذه العصابة إلا السودان ، فإنهم كانوا أخف جناية ، وأيسر جريمة ، فرأى - أعلى الله رايه - إقرارهم على أرزاقهم القديمة ، وتصفيتهم بالمرض على المحنة ، لعله أن العساكر لا بد لها من رجالة ، وأمر - أعلى الله أمره - أن يستخدم بحضرة من تؤمن بائقته ، وتخيف مؤنته ، وترجى استقامته ، وبالله ثقة أمير المؤمنين وتوفيقه ، وقبلك وقبيل مثلك رجالة أنت أعلم بمن مرصت طاعته منهم ومن يعود إلى صحة وصلاح ، فإن قنع من ترصاه منهم بأصل الجارى عليه ، فتمسك به ، وأقره على جاريه ، ومن رأيت الاستبدال به فأمره إليك ، والله المستعان .

(تاريخ الطبرى ۱۲ : ۷۷)

۲۸۱ - كتاب أحمد بن الضحاک إلى صديق له

يصف شعب بوان

وكتب أحمد بن الضحاک^(۱) الفلكى إلى صديق له يصف شعب بوان^(۲) :
 « بسم الله الرحمن الرحيم : كتبت إليك من شعب بوان ، وله عندى ير بيضاء مذكورة ، ومينة غراء مشهورة ، بما أولانيه من منظر أعدى^(۳) على الأحران ،

(۱) جاء في تاريخ بغداد ج ۴ : ص ۲۱۱ : « حدثنا أبو عبد الله أحمد بن الضحاک الواسطى ببغداد سنة ۳۱۱ ... الح » وربما كان هو صاحب هذا الكتاب .

(۲) شعب بوان : بأرض فارس بين أرجان والتوبندجان ، وهو أحد متزهات الدنيا ، موصوف بالحن وكثرة الأشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الطيور ، وقد وصفه انثى في قصيدته التى مطلعها :
 مغاني الشعب طيبا في المغاني
 بمنزلة الربيع من الزمان

(انظر ديوان المتنى ص ۴۶۳ ، ومعجم البلدان ۷ : ۲۹۸) .

(۳) أعداه عليه : نصره وأعانته وقواه .

وأقال من صُروف الزمان ، وسرَّح طَرْفِي في جداولٍ تَطَرَّدُ بِماءِ مَعِينٍ^(۱) مُنْسَكِبٍ ،
أرقَّ من دموع العُشاق ، مَرَّرتُها لَوْعَةُ الفِراق ، وأبردَ من تُغورِ الأحاب ، عند
الالتئام والاكْتئاب ، كأنها - حين جَرَى آذِيهَا^(۲) بِتَرَقُّقٍ ، وتَدافَعِ تيارُها بِقدْفِ ،
وارْتَجَّ جَبابُها بِتَكسَّر ، في خِلالِ زَهرِ وِرياضِ ترنو^(۳) بِمِخْدَقِ مُوَلِّهِ - قُضِبُ^(۴)
لَجِينِ في صَفائِحِ عَقِيانٍ ، وَسُموطُ دُرِّ بَيْنِ زَبَرَجَدٍ وَمَرَّجانٍ ، أَثَرٌ على حِكْمَةِ صانِهِ
شَهِيدٌ ، وَعَلِمَ على لُطفِ خالِقِهِ دَليلاً ، إلى ظِلِّ سَجَسَجِ أَحوى ، وَخَضِلِ أَلْمَى^(۵) ،
قَد غَنَّتْ عليه أَغصانُ فَيَناةٍ ، وَقُضِبُ غَيَدانَةٍ^(۶) ، تَشوَرَّتْ لها القُدودُ المُرَّهفَةُ خَجَلًا
وتَقِيلَتُها^(۷) الخُصُورُ المُرَّهفَةُ تَشبُّهاً ، بِسَتَقِيدِها النَسِيمُ فَتَنقادُ ، وَيَعَدِلُ بِها فَتَعَدِلُ ،
فَمِنَ مَتورِدٍ يَروقُ مَنظَرُهُ ، وَمُرْتَجِّجٍ يَتَهَدَّلُ مُشِيرُهُ ، مُشترَكَ فيهِ حُمرةُ نُضجِ التَّمارِ
بِنَفْجَةِ^(۸) نَسِيمِ النُّوارِ .

وقد أقتُ به يومًا وأنا خِليالك مُسامِرٌ ، ولشوقك منادِمٌ ، وشربت لك

(۱) تطرد : تجرى ، والمعين : الماء الجاري على وجه الأرض ، من معن الماء ككرم ومنع : أى جرى ، أو من عان الماء يعين : أى جرى أيضا .
(۲) الآدى : الموج ، وحباب الماء : الفقاقيم التى تطفو فوقه كأنها القوارير .
(۳) رنا : أدام النظر ، والمولة : الذهاب العقل وفى الأصل « تولد » .
(۴) فى الأصل « قصب » وهو تصحيف ، واللجين : الفضة ، والعقيان : الذهب ، وسموط جمع سبط بالكسر : وهو القلادة .

(۵) أرض سجسج : ايسر بصلبة ولا سهلة ، ويوم سجسج : لاجر مؤذ ولاقر ، وكل هواء معتدل طيب : سجسج ، وأحوى : وصف من الحموة بالضم : وهى سواد إلى الحضرة ، أو حمرة إلى السواد ، والخضل : كل شىء ند يتشرف نداء ، وألمى : وصف من اللعى ، واللعى مثلثة اللام : سرة فى الشفة .

(۶) امرأة فيناة : كثرة الشعر طويته ، والفيد بالحريك : النعومة ولين الأعطاف ، والوصف منه على أفعل أفعلاء ، فالأغيد من النبات : الناعم المتنى ، والفيداء : المرأة المتئنة من اللبن ، وقسباء بالوصف منه هنا على فعلانة ، ولم أجده فى كتب اللغة .

(۷) تشورت : خجلت . يقال شورت الرجل وبالرجل فتشور . إذا خجلته فنجعل ، وجازية : يهفهفه أى ضامرة البطن دقيقة الحصر ، وتقبيله : أشبهه ، والمرهفة الرقيقة اللطيفة .
(۸) فى الأصل « ينفجه » .

تذكارًا ، وإذا تفضل الله بإتمام السلامة إلى أن أوافي شيراز ، كتبت إليك من خبري بما تقف عليه إن شاء الله تعالى .
(معجم البلدان ۲ : ۲۹۹)

۲۸۲ - كتاب عن الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم

وكتب الإخشيد^(۱) محمد بن طنج صاحب الديار المصرية ، وما معها من البلاد الشامية ، والأعمال الحجازية ، إلى أرمانوس ملك الروم ، وقد أرسل أرمانوس إليه كتابا يذكر من جملته بأنه كاتبه وإن لم تكن عاداته أن يكتب إلا الخليفة ، فأمر بكتابة جوابه ، فكتب له الكتاب عدة أجوبة ، ورفعوا نسخها إليه ، فلم يرتض منها إلا ما كتبه إبراهيم بن عبد الله النجيري^(۲) - وكان عالما بوجوه الكتابة - ونسخته :

« من محمد بن طنج مولى أمير المؤمنين إلى أرمانوس عظيم الروم ومن يلبه :
سلام بقدر ما أنتم له مستحقون ، فإننا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ، ونسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .
أما بعد ، فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا وإسحاق رسوليك ، فوجدناه مفتتحًا بذكر فضيلة الرحمة ، وما نبي^(۳) عنا إليك ، وصحح من شيمنا فيها لديك ، وبما نحن عليه من العدلة وحسن السيرة في رعايانا ، وما وصلت به هذا القول من ذكر الفداء ، والتوصل إلى تخلص الأسرى ، إلى غير ذلك مما اشتمل عليه وتقهّمناه .

(۱) ولي حكم مصر سنة ۳۲۳ في خلافة الرازي بالله أحمد بن المنذر (الذي ولي الخلافة سنة ۳۲۲ ومات سنة ۳۲۹) وتوفى الإخشيد سنة ۳۳۵ (وقد استولى بنو بويه على بغداد سنة ۳۳۴ في خلافة المستكن بن المكتن بن المعتضد) .

(۲) نسبة إلى نجيرم ، وقال ياقوت في معجم البلدان : « بفتح أوله وثانيه وباء ساكنة وراء مفتوحة ، ويروى بكسر الجيم . بليدة مما يلي البصرة على جبل هناك على ساحل البحر ، وقد نسب إليها قوم من أهل الأدب والحديث ، منهم إبراهيم بن عبد الله النجيري . . . » .
(۳) نعت الحديث : رفته .

فَأَمَّا مَا أَطْنَبْتَ فِيهِ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّحْمَةِ ، فَمِنْ سَدِيدِ الْقَوْلِ الَّذِي يَلِيْقُ بِذَوِي الْفَضْلِ وَالنُّبْلِ ، وَنَحْنُ — بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمِهِ عَلَيْنَا — بِذَلِكَ عَارِفُونَ ، وَإِلَيْهِ رَاغِبُونَ ، وَعَالِيهِ بَاعِثُونَ ، وَفِيهِ — بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إِيَّانَا — مُجْتَهِدُونَ ، وَبِهِ مُتَوَاصُونَ وَعَامِلُونَ ، وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ التَّوْفِيقَ لِمَرَّاشِدِ الْأُمُورِ ، وَجَوَامِعِ الْمَصَالِحِ ، بِمَنَّةٍ وَقُدْرَتِهِ .

وَأَمَّا مَا نَسَبْتَهُ إِلَى أَخْلَاقِنَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْمَعْدَلَةِ ، فَإِنَّا نَرْغِبُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، الَّذِي تَفَرَّدَ بِكُلِّ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ ، وَوَهَبَهَا لِأَوْلِيَائِهِ ، ثُمَّ أَثَابَهُمْ عَلَيْهَا ، أَنْ يُؤَفَّقَنَا لَهَا ، وَيَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا ، وَيُيَسِّرَنَا لِلْاجْتِهَادِ فِيهَا ، وَالِاعْتِصَامِ مِنْ زَيْغِ الْهَوَى عَنِهَا ، وَعُرَّةِ^(۱) الْقَسْوَةِ بِهَا ، وَيَجْعَلَ مَا أودِعَ قُلُوبَنَا مِنْ ذَلِكَ مَوْقُوفًا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَمَوْجِبَاتِ مَرْضَاتِهِ ، حَتَّى نَكُونَ أَهْلًا لِمَا وَصَفْتَنَا بِهِ ، وَأَحَقَّ حَقًّا بِمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ ، وَمِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الزُّلْفَى مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّا فَقَرَاءٌ إِلَى رَحْمَتِهِ ، وَحَقٌّ لِمَنْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِحَيْثُ أَنْزَلَنَا ، وَحَمَلَهُ مِنْ جَسِيمِ الْأَمْرِ مَا حَمَلْنَا ، وَجَمَعَ لَهُ مِنْ سَمَةِ الْمَالِكِ مَا جَمَعَ لَنَا بِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ — أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ — أَنْ يَبْتَهِلَ^(۲) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي مَعُونَتِهِ لَدُنْكَ وَتَوْفِيقِهِ وَإِرْشَادِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ « وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ » .

وَأَمَّا مَا وَصَفْتَهُ مِنْ ارْتِفَاعِ مَحَلِّكَ عَنْ مَرْتَبَةٍ مَن هُوَ دُونَ الْخَلِيفَةِ فِي الْمَكَاتِبَةِ ، لِمَا يَقْتَضِيهِ عِظَمُ مَلِكِكُمْ ، وَأَنَّهُ الْمَلِكُ الْقَدِيمُ الْمَوْهُوبُ مِنَ اللَّهِ ، الْبَاقِي عَلَى الدَّهْرِ ، وَأَنَّكَ إِنَّمَا خَصَّصْتَنَا بِالْمَكَاتِبَةِ لِمَا تَحَقَّقَتْهُ مِنْ حَالِنَا عِنْدَكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ حَقًّا ، وَكَانَتْ مَنزَلَتُنَا — كَمَا ذَكَرْتَهُ — تَقْصُرُ عَنْ مَنزَلَةِ مَنْ تُسَكِّتُهُ ، وَكَانَ لَكَ فِي تَرْكِ مَكَاتِبَتِنَا عُنْمٌ وَرُشْدٌ ، لَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ الْبَيِّنِ أَنْ أَحْظَى وَأَرْشَدَ وَأَوْلى بِنَحْلِ مَحَلِّكَ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا فِيهِ صَلَاحُ رَعِيَّتِهِ ، وَلَا يَرَاهُ وَصْمَةً وَلَا نَقِيصَةً وَلَا عَيْبًا ، وَلَا يَقَعُ فِي مَعَانَا صَغِيرَةٍ مِنَ الْأُمُورِ تَعْقُبُهَا كَبِيرَةٌ ، فَإِنَّ السَّائِسَ الْفَاضِلَ قَدْ يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ ، وَيَخْضُ

(۱) العرة بالفتح : المرة والحالة القبيحة ، وبالضم : القدر ، وتستعار المساوى والمعائب .

(۲) الابتهاال : الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه .

النِّمَارَ ، وَيُمرُّهُنَّ مُهْجَتَهُ فِيمَا يَنْفَعُ رَعِيَّتَهُ ، وَالَّذِي تَجَشَّمْتَهُ مِنْ مَكَاتِبِنَا إِنْ كَانَ كَمَا وَصَفْتَهُ ، فَهُوَ أَمْرٌ سَهْلٌ يَسِيرٌ ، لِأَمْرِ عَظِيمٍ خَطِيرٍ ، وَجُلُّ نَفْعِهِ وَصَلَاحِهِ وَعَائِدَتِهِ ^(۱) تَخَصُّكُمْ ، لِأَنَّ مَذْهَبَنَا أَنْتِظَارُ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ فَهُوَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، وَعَزِيمَةٌ صَادِقَةٌ مِنْ أَمْرِهِ ، وَبَصِيرَةٌ فِيمَا هُوَ بِسَبِيلِهِ ، وَإِنْ فِي الْأَسَارَى مَنْ يُؤْتِرُ مَكَانَهُ مِنْ ضَنْكِ الْأَمْرِ ، وَشِدَّةِ الْبَأْسَاءِ ، عَلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا وَخَيْرِهَا ، لِحُسْنِ مَنْقَلَبِهِ ، وَحَمِيدِ عَاقِبَتِهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعَادَهُ مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُ ، وَلَمْ يُعْذِهِ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَهُ ، هَذَا إِلَى أَوْامِرِ الْإِنْجِيلِ الَّتِي هِيَ إِمَامُكُمْ ، وَمَا تُوجِبُهُ عَلَيْكُمْ عِزَائِمُ سِيَاسَتِكُمْ ، وَالْتِوَصُلُ إِلَى اسْتِغَاذَةِ أَسْرَائِكُمْ ، وَلَوْلَا أَنْ يُضَاحِ الْقَوْلِ فِي الصَّوَابِ ، أَوْلَى بِنَا مِنْ الْمَسَاحَةِ فِي الْجَوَابِ ، لِأَضْرَابِنَا عَنْ ذَلِكَ صَفْحًا ، إِذْ رَأَيْنَا أَنَّ نَفْسَ السَّبَبِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سَأَلْنَا إِلَى مَكَاتِبِ الْخُلَفَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ كَاتِبِهِمْ ، أَوْعَدْنَا عَنْهُمْ إِلَى مَنْ حَلَّ مَحَلَّنَا فِي دَوْلَتِهِمْ بَلْ إِلَى مَنْ نَزَلَ عَنْ مَرْتَبَتِنَا ، هُوَ أَنَّهُ لَمْ يَثِقْ مِنْ مَنَعِهِ ، وَرَدَّ مُلْتَمَسَهُ مِنْ جَاوِرِهِ ، فَرَأَى أَنْ يَقْصِدَ بِهِ الْخُلَفَاءَ الَّذِينَ الشَّرَفُ كُلُّهُ فِي إِجَابَتِهِمْ ، وَلَا عَارَ عَلَى أَحَدٍ وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهُ فِي رَدِّهِمْ ، وَمَنْ وَثِقَ فِي نَفْسِهِ مِنْ جَاوِرِهِ ، وَجَدَّ قَصْدَهُ أَمَهْلَ السَّبِيلَيْنِ عَلَيْهِ ، وَأَدْنَاهُمَا إِلَى إِرَادَتِهِ ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ لَهَا مِنْ تَقَدُّمٍ ، وَكَذَلِكَ كَاتِبَ مَنْ حَلَّ مَحَلَّكَ مَنْ قَصَرَ عَنْ مَحَلَّنَا ، وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْ مَنَزَلَتِنَا ، فَمَا لِكُنَّا عِدَّةً ، كَانَ يَتَقَلَّدُ فِي سَائِفِ الدَّهْرِ كُلِّ مَمْلُوكَةٍ مِنْهَا مَلِكٌ عَظِيمُ الشَّانِ .

فَمِنْهَا مَلِكٌ مِعْرَ الَّذِي أُطْفِئَ فِرْعَوْنُ ، عَلَى خَطَرِ أَمْرِهِ ، حَتَّى ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ ، وَافْتَخَرَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى بِذَلِكَ .

وَمِنْهَا مَمْلُوكَةُ الْيَمَنِ الَّتِي كَانَتْ لِلتَّبَاعِيَّةِ ، وَالْأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ ^(۲) ، مَلُوكِ خَيْبَرَ ، عَلَى عِظَمِ شَأْنِهِمْ ، وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ .

(۱) العائدة . المنفعة .

(۲) العباهلة : الذين أقرروا على ملكهم فلم يزالوا عنه (بالبناء للمجهول) انظر الجزء الأول ص ۶۰

ومنها أجناد الشام ، التي :

منها جند حمص ، وكانت دارهم ودار هرقل عظيم الروم ومن قبله من عظمائها .

ومنها جند دمشق على جلالته في القديم والحديث ، واختيار الملوك المتقدمين له .

ومنها جند الأردن على جلاله قدره ، وأنداد المسيح صلى الله عليه وسلم وغيره .

من الأنبياء والحواريين .

ومنها جند فلسطين ، وهي الأرض المقدسة ، وبها المسجد الأقصى ، وكرسي

النصرانية ، ومعتقد غيرها ، ومحج النصارى واليهود طرا . ومقر داود وسليمان

ومسجدهما ، وبها مسجد إبراهيم وقبره ، وقبر إسحق ويعقوب ويوسف وإخوته

وأزواجهم عليهم السلام ، وبها مولد المسيح وأمه وقبرها .

هذا إلى ما نتقلده من أمر مكة المحفوظة بالآيات الباهرة ، والدلالات الظاهرة ،

فإنا لو لم نتقلد غيرها ، لكانت بشرفها ، وعظم قدرها ، وما حوت من الفضل ، توفي

على كل مملكة ، لأنها محج آدم ، ومحج إبراهيم وارثه ومهاجره ، ومحج سائر

الأنبياء ، وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام ، وداره وقبره ^(۱) ومنبت ولده ، ومحج

العرب على مر الحقب ^(۲) ، ومحل أشرافها وذوى أخطارها ، على عظم شأنهم ،

وفخامة أمرهم ، وهو البيت العميق المحرم الحجوج إليه من كل فج عميق ، الذي

يعترف بفضله وقدمه أهل الشرف ، من ماضي ومن خلف ، وهو البيت المعمور ، وله

الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المقدسة بتزبته ، وأنها منبسط الوحي ،

وبَيضة هذا الدين المستقيم الذي امتد ظله على البر والبحر ، والسهّل والوهر ، والشرق

(۱) كذا في صبح الأعشى ، وقد جاء في هامشه : « كذا في المغرب في أخبار المغرب أيضا وهو

الذي نقل عنه التفتازاني هذا الكتاب - ويظهر أنه مقدم على ما بعده - أي ونبت ولده ويكون الضمير

فيه عائدا على سيدنا إسماعيل ، فإن مكة كانت داره ومنبته » .

(۲) الحقب : جمع حقة بالكسر ، وهي مدة من الدهر لا وقت لها ، والسنة .

والغرب ، وصحارى العرب على بُعد أطرافها ، وتنازح^(۱) أقطارها ، وكثرة سكانها فى حاضرتها وباديتها ، وعظمتها فى وفودها وشدتها ، وصدق بأسها ونجدتها ، وكبر أحلامها^(۲) وبُعد مرامها ، وانعقاد النصر من عند الله براياتها ، وأن الله تعالى أباد خضراء^(۳) كيمرى ، وشرّد قيصراً عن داره ومحل عزه ومجده بطائفة منها .

هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا ، وتمت أمرنا ونهينا ثلاثة كرامى من أعظم كراميتكم : بيت المقدس ، وأنطاكية ، والإسكندرية ، مع ما إلينا من البحر وجزائره ، واستظهارنا بآتم العتاد^(۴) ، وإذا وفيت النظر حقه ، علمت أن الله تعالى قد أصفانا^(۵) بجُل المالك التى ينتفع الأنام بها ، وبشرف الأرض المخصوصة بالشرف كله دُنياً وآخرة ، وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك فوق كل منزلة ، والحمد لله ولى كل نعمة .

وسياستنا هذه المالك قريبا وبعيدها ، على عظيمها وسعتها ، بفضل الله علينا ، وإحسانه إلينا ، ومعاونته لنا ، وتوفيقه إيانا كما كتبت إلينا ، وصح عندك من حُسن السيرة ، وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية ، ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ، ويوسعها الأمن والدعة فى المعيشة ، ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً ، على نعمة التى تفوت عندنا عدد العادين ، وإحصاء المجتهدين ، ونشر الناشرين ، وقول القائلين ، وشكر الشاكرين ، ونسأله أن يجعلنا ممن تحدث بنعمه عليه شكراً لها ، ونشراً لما منحه الله منها ، ومن

(۱) أى يباعد ، وهو تفاعل من نرحت الدار كنم وضرب : أى بعدت .

(۲) الأحلام . العقول ، جمع حلم بالكسر .

(۳) الخضراء : سواد القوم ومفظهم ، ولى حديث الفتح : أيديت خضراء قريش ، أى دهماؤهم وسوادهم .

(۴) استظهر به : استعان ، والعتاد : العدة .

(۵) أصفاه بكذا : آثره به .

رضی اجتہادہ فی شکرہا ، ومن أراد الآخرة وسمی لها سَمِيها وكان سعيه مشكورا
إنه حميد مجيد .

وما كنتُ أحبُّ أن أباهيك بشيء من أمر الدنيا ، ولا أتجاوز الاستيفاءَ
لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذي كرمه وأظهره ، ووعَدنا في عواقبه الغلبةَ
الظاهرةَ ، والقدرةَ القاهرةَ ، ثم الفوزَ الأكبرَ يومَ الدين ، لكنك سلكتَ مسلكاً
لم يحسنُ أن نعدّلَ عنه ، وقلتَ قولاً لم يسعنا التقصيرُ في جوابه ، ومع هذا فإننا لم نقصدِ
بما وصفناه من أمرنا مكائرتك ، ولا اعتمدنا تعيين فضلنا نعوذ به ، إذ نحن
نكفرُم عن ذلك ، ونرى أن نكرمك عند محلك ومنزلتك ، وما يتصل بها من
حسن سياستك ومذهبك في الخير ومحبتك لأهله ، وإحسانك لمن في يدك من أسرى
المسلمين ، وعطفك عليهم ، وتجاوزك في الإحسان إليهم جميعاً من تقدمك من سلفك ،
ومن كان محموداً في أمره رغب في محبته ، لأن الخير أهلٌ أن يحبَّ حيثُ كان ، فإن
كنت إنما تؤهل لمكاتبتك ومماثلتك ، من اتسعت مملكته ، وعظمت دولته ،
وحسنت سيرته ، فهذه ممالكٌ عظيمة ، واسعة جمة ، وهي أجلُّ الممالك التي ينتفع بها
الأنام ، وسيرُّ الأرض المخصوصة بالشرف ، فإن الله قد جمع لنا الشرفَ كله ، والولاءَ
الذي جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - مخصوصين بذلك ، إلى مالنا
بقديمتنا وحدثنا وموقعينا ، والحمد لله رب العالمين الذي جمع لنا ذلك بمنه وإحسانه ،
ومنه نرجو حسن السعي فيما يرضيه بلطفه ، ولم ينطو عنك أمرنا فيما اعتمدناه . وإن
كنت تجرِّي في المكاتبية على رسم من تقدمك ، فإنك لو رجعت إلى ديوان بلدك ،
وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحلَّ محلنا ، ولا أغنى غناءنا^(۱)
ولا ساس في الأمور سياستنا ، ولا قلده مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
ما قلدنا ، ولا فوض إليه ما فوض إلينا ، وقد كُوتب أبو الجيش خنارويه

(۱) أغنى غناه : كفى كفايته .

ابن أحمد بن طولون ، وأخيراً من كُتِبَ تَسْكِينِ مَوْلَى أمير المؤمنين ، ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها .

ونحن بحمد الله كثيراً أولاً وآخراً ، على نعمه التي يفوت عندنا عددها عدد العاديين ، ونشر الناشرين ولم نرد بما ذكرناه المفاخرة ، ولكننا قصدنا بما عددنا من ذلك حالات : أوّلها التحدثُ بنعمة الله علينا ، ثم الجوابُ عما تضمنته كتابك من ذكر المحل والمنزلة في المكاتبة ، ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا في هذه المسالك ، وعندنا قوة تامّة على الكفاة على جميل فعلك بالأسارى ، وشكرٌ وافٍ لما تولى بهم وتوخاه من مسرتهم ، إن شاء الله تعالى وبه الثقة ، وفكك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة ، والتوفيق للسداد في الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذي يحبه ويرضاه ويثبت عليه ، ويرفع في الدنيا والآخرة أهله ، بمنه ورحمته .

وأما الملك الذي ذكرت أنه باق على الدهر ، لأنه موهوب لكم من الله خاصة ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، وإن الملك كله لله ، يوتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وإليه المصير ، وهو على كل شيء قدير ، وإن الله عز وجل نسخ ملك الملوك ، وجبرية الجبارين ، بذبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين ، وشفع نبوته بالإمامة ، وحازها إلى العترة الطاهرة من المنصور الذي منه أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - والشجرة التي منها غصنُه ، وجعلها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر ، ويُلقيها ماضٍ إلى غابر ، حتى تجز أمرُ الله ووعده ، وبهر نصره وكلمته ، وأظهر حجته ، وأضاء عمود الدين بالأئمة المهتدين ، وقطع دابر الكافرين ، ليُحقّ الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون .

وإن أحقّ ملكٍ - أن يكون من عند الله ، وأولاده وأخلاقه أن يكفّه (۱) الله

(۱) كفه كنصره : صانه وحفظه .

بحر استه وحياطته ، ويحفه بعزه وأيده^(۱) ، ويجلله بهاء السكينة في بهجة الكرامة ، ويجمّله بالبقاء والنجاه^(۲) ، ملاح فجر^(۳) وكر^(۴) دهر^(۵) - مُلكُ إمامة عادلة ، خلفت نبوة فجرت على رميمها وسننها ، وارتسمت أمرها ، وأقامت شرائعها ، ودعت إلى سبيلها ، مستنصرةً بأيدها ، منتجزةً لوعدها ، وإن يوماً واحداً من إمامة عادلة خيرٌ عند الله من عُمر الدنيا تملكاً وجبريةً .

ونحن نسال الله تعالى أن يُديم نعمه علينا ، وإحسانه إلينا ، بشرف الولاية ، ثم يُحسِن العاقبة بما وفرّ علينا نخره وعلاه ، وتجدّه وإحسانه ، إن شاء الله ، وبه الثقة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وأما الفداء ورأيتك في تخلص الأسرى ، فإننا وإن كنا واثقين لمن في أيديكم بإحدى الحسنيين ، وعلى بينة لهم من أمرهم ، وثبات من حسن العاقبة وعظم المثوبة ، عالمين بما لهم ، فإن فيهم من يُؤثر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء ، على نعيم الدنيا ولذتها ، سُكوناً إلى ما يتحققه من حسن المنقلب ، وجزيل الثواب ، ويعلم أن الله قد أعاده من أن يفقنه ، ولم يُعذه من أن يتلّيه^(۳) ، وقد تبيننا مع ذلك في هذا الباب ما شرّعه لنا الأئمة الماضون ، والسلف الصالحون ، فوجدنا ذلك موافقاً لما التمسناه ، وغير خارج عما أحببته ، فسُررنا بما تبسّر منه ، وبعثنا الكتب والرسائل إلى عمّالنا في سائر أعمالنا ، وعزّمنا عليهم في جمع كل من قبلهم وأتباعهم بما وفرّ الإيمان في إنقاذهم ، وبذلنا في ذلك كلّ ما يمكن ، وأخّرنا إجابتك عن كتابك ، ليتقدم فعلنا قولنا ، وإيجازنا وعدنا ، وبوشيك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن الموقع منك إن شاء الله .

وأما ما ابتدأتنا به من المواصلة ، واستشمرته لنا من المودة والمحبة ، فإن عندنا في مقابلة ذلك ما توجبه السياسة التي تجمّعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذي يؤلّفنا على تباين الفحل ، فإن ذلك من الأسباب التي تخصنا وإياك ،

(۱) الأيد : القوة . (۲) النجاه : المجاة . (۳) مكرر مع ما سبق .

ورأينا من تحقيق جميل ظنك بنا إيناسَ رُسُلِكَ وبتَّطَهُم ، والاستماعَ منهم ، والإصغاءَ إليهم ، والإقبالَ عليهم ، وتلقينا انبساطك إلينا ، وإطافتك (۱) إيانا ، بالقبول الذي يحقُّ علينا ، ليقع ذلك موقعه ، وزدنا في توكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك في هذا الوقت - على استقلالنا إياه - من طرائفِ بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بعدله وحكمته أودع كل قرية صنفا ، ليتشرف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سببا لعمارة الدنيا ومعايش أهلها ، ونحن نُفردك بما سلمناه إلى رسولاك لتقفَ عليه إن شاء الله .

وأما ما أنفذته للتجارة ، فقد أمكننا أصحابك منه ، وأذننا لهم في البيع ، وفي ابتياع ما أرادوه واختاروه ، لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دينٌ ولا سياسة ، وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة ما بدأنا به ورعايته ، وَرَبٌّ (۲) ما غرسته أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك ، والله يعين على ما نتوبه من جميل ، ونعتقه من خير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتدأ بجميل لزمه الجري عليه والزيادة ، ولا سيما إذا كان من أهله وخليقا به ، وقد ابتدأنا بالمواساة والبساطة ، وأنت حقيقٌ بعمارة ما بيننا ، وباعتمادنا بحوائجك وعوارضك قبلنا فأبشر بتيشير ذلك إن شاء الله .

والحمد لله أحق ما ابتدئ به ، وختم بذكره ، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة ، وصلى آله وسلم تسليما .
(صبح الأعشى ۷ : ۱۰)

۲۸۳ - كتاب أبي الطيب المتني إلى أحد إخوانه

وكتب أبو الطيب المتني بعد أن أبل (۳) من مرض إلى أحد إخوانه :
« وصلتني - أعزك الله - مُعتلا ، وقطعتني مُبلا ، فإن رأيت ألا تكدر الصحة علي ، ونحجب العيلة إلى ، فعلت » .
(مفتاح الأفكار ۳۷۳)

(۱) أظنه بكذا: آمنه وبره به .

(۲) رب النمة كنصر : حفظها وراعها ورباها كما يرب الرجل ولده .

(۳) أبل من مرضه : صبح .

۲۸۴ - کتاب الراضی إلى المتقی

وكتب الراضی إلى أخیه المتقی^(۱) - وكان قد جرى بينهما كلام بحضرة المؤدّب ، وكان المتقی قد اعتدى على الراضی - :

« أنا معترف لك بالعبودية فرضاً ، وأنت معترف لي بالأخوة فضلاً ، والعبودية يذنب ، والمولى يعفو ويغفر ، وقد قال الشاعر :

ياذا الذى يفضبُ فى غيرِ شئٍ أعتبُ فعتبُك حبيبٌ إلى^(۲)
أنت (على أنك لى ظالمٌ) أعزُّ خلقِ الله طرّاً على

فضى إليه المتقی راضياً ، وأكبّ عليه باكياً . (غرر المصائص الواضحة ص ۳۸۳)

(۱) هو أبو إسحق إبراهيم بن المقنن ، ولّى الخلافة بعد أخیه الراضی من سنة ۳۲۹ إلى سنة ۳۳۳ .
(۲) أعتبه : أعطاه العتبى ، وهى الرضا .

التوقيعات

في العصر العباسي الأول

السفاح

كتب إلى السفّاح جماعة من أهل الأنبار^(۱) يذكرون أن منازلهم أخذت منهم ، وأدخِلت في البناء الذي أمر به ، ولم يُعطوا أمانها ، فوقع :
« هذا بناء أسس على غير تقوى » .

ثم أمر بدفع قيم منازلهم إليهم .
ووقع في كتاب أبي جعفر ، وهو يحارب ابن هُبَيْرَة بواسط^(۲) :
« إن جلدك أفسد علمك ، وتراخيتك أثر في طاعتك ، فخذ لي منك ، ولك من نفسك » .

ووقع إليه في ابن هُبَيْرَة بعد أن راجعه فيه غير مرّة : « استُ منك ولست مني إن لم تقتله^(۳) » .

وجاء كتاب من أبي مُسْلِم يستأذنه في الحج وفي زيارته ، فوقع إليه :
« لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام وخليفته ، وإذنتك لك » .
ووقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم :
« من صبر في الشدة ، شورك في النعمة » .
ثم أمر بأرزاقهم .

(۱) الأنبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد ، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ذوالأكتاف ملك الفرس ، ثم جدها أبو العباس السفّاح ، وبني بها قصورا ، وأقام بها إلى أن مات .

(۲) انظر ص ۱۰ من الجزء الثالث .

(۳) انظر ص ۱۳ من الجزء الثالث .

ووقع إلى عامل تظلم منه : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا » .

وفي قوم شكوا غرق^(۱) ضياعهم في ناحية الكوفة :

« وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

ووقع إلى أبي سلمة الخلال^(۲) ، وقد كتب إليه يستأذنه في تولية قوم من

الحاشية والشيعة :

« يَا أَبَا سَلَمَةَ ، مَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ نَكُونَ لَنَا الدُّنْيَا ، وَأَوْلِيَاؤُنَا خَالُونَ مِنْ

حَسَنِ آثَارِنَا ! »

ووقع إلى سابع : « تَقَرَّبْتَ إِلَيْنَا بِمَا بَاعَدَكَ عَنْ اللَّهِ ، وَلَا ثَوَابَ لِمَنْ خَالَفَ اللَّهَ » .

ووقع إلى أخيه في بعض الجناة : « إِذَا كَانَ الْحِلْمُ مَفْسُدَةً ، كَانَ الْعَفْوُ مَعْجَزَةً » .

المنصور

ووقع المنصور في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه^(۳) :

« لَا تَجْمَلُ لِلْأَيَّامِ فِيَّ وَفِيكَ نَصِيبًا مِنْ حَوَادِثِهَا » .

ووقع إليه أيضا :

« إِذْفَعِ بِالسِّتِيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

لِحَكِيمٍ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » فاجعل الحظَّ

ملك دوني ، يكن لك كله » .

(۱) في الأصل « حرق » وأراه محرفا .

(۲) هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال ، أول وزير وزر لأول خليفة عباسي ، وقد فوض السفاح إليه الأمور ، وسلم إليه الدواوين ، وكان يقال له وزير آل محمد (كما كان يقال لأبي مسلم أمين آل محمد) ثم اتهم بانحرافه عن بني العباس ، فتنكر له السفاح ، وكتب مع أخيه المنصور إلى أبي مسلم بخراسان ، بعلمه بتاعزم عليه أبو سلمة من نقل الدولة عنهم ، وما يتخوف منه ، فبعث أبو مسلم قوما من أهل خراسان

قتلوه وقالوا قتله الخوارج - انظر تاريخ الطبري ۹ : ۱۴۰ والفخرى ص ۱۳۶ .

(۳) انظر ص ۱۸ من الجزء الثالث .

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان :

« شكوت فأشكيتك (۱) ، وعتبت فأعقبتناك (۲) ، ثم خرجت عن العامة ،

فتأهب لفراق السلامة .

ووقع إلى أهل الكوفة - وشكوا عاملهم - :

« كما تكونوا يؤمر عليكم (۳) .

وإلى قوم تظلموا من عاملهم : « لا ينال عهدى الظالمين » .

وفي قصة رجل شكى عيلة (۴) : « سأل الله من رزقه » .

وفي قصة رجل سأله أن يبني بقربة مسجدًا : « فإن الصلاة على بُعد ذلك ،

أعظم لثوابك » .

وفي رواية أخرى :

ورفع رجل من العامة إليه رُقعةً في بناء مسجد في محلته ، فوقع :

(۱) أشكاه : أزال شكايته (وأشكاه أيضا : زاده أذى وشكايه ، ضد) .

(۲) أعتبه : أراضاه .

(۳) أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم : « عمالكم كأعمالكم ، وكما تكونوا يولى عليكم » - انظر نهاية الأرب ۳ : ۳ - ذكروا أن بعض النحويين أعمل ما المصدرية حملا على أن المصدرية ، وخرج عليه هذا الحديث ، وقيل : لا حاجة إلى جعل « ما » هنا ناصبة ، بل الفعل بعدها مرفوع ، ونون الرفع محذوفة للتخفيف ، وقد سمح حذفها نثرا ونظما ، جاء في الحديث : « والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » وقال الشاعر :

أبيت أسرى وتبتي تدلكي وجهك بالعدو المالك الذكي

وقيل : الكاف مختصرة من كي ، فهي الناصبة ومازائدة .

(انظر حاشية الصبان ۳ : ۱۸۷ باب إعراب الفعل ، وحاشية الحضري على ابن عقيل ۷ : ۱۰۰)
وجاء في حاشية بس على التصريح ۲ : ۲۳۲ : « في فتاوى الجلال السيوطي : مسألة : هل ورد في الحديث « كما تكونون يولى عليكم » ؟ الجواب : نعم ، رواه ابن جميع في مجمع من حديث الحسن ابن أبي بكرة ، وفيها بعد ذلك : أنه سئل عن لفظ حديث « كما تكونوا يولى عليكم » حذفت النون من تكونوا دون ناصب وجازم ، فأجاب : بأن هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ كما تكونوا بلانون ، وقد خرج على ثلاثة أوجه : أحدها أنه على لغة من يحذف النون دون ناصب وجازم ، الثاني : وهو رأى الكوفيين والمبرد أنه منصوب أو رده شاهد على مذهبه أن « ما » تنصب ، الثالث : أنه من تغييرات الرواة .

(۴) العيلة : الفقر ،

(۲۴ - جملة رسائل العرب - رابع)

« إن من أشراط^(۱) الساعة أن تكثر المساجد ، فزِدْ في خُطَاكَ يُزِدْ في أجرِكَ » .

وفي قصة رجل قُطِعَتْ عنه أرزاقه :

« مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا تُنْسِكْ لَهَا ، وَمَا يُنْسِكُ فَلَا مُرْسِيلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وفي قصة رجل شكَا الدَّيْنَ :

« إن كان دينك في مَرَضَةِ اللهِ قِضَاءً » .

وإلى صَرُورِ^(۲) سألَهُ أن يَحُجَّ :

« وَاللهِ قَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

وإلى صاحب مصرَ حين كتب يذكر نقصان النيل :

« طَهَّرْ عَسْكَرَكَ مِنَ الْفَسَادِ ، يُعْطِكَ النِّيلُ الْقِيَادَ » .

وإلى عامِلِهِ على جَمْعٍ — وجاء منه كتاب فيه خطأ — :

« اسْتَبْدِلْ بِكَانِبِكَ ، وَإِلَّا اسْتَبْدِلَ بِكَ » .

وإلى صاحب أَرْمِينِيَّةِ :

« إن لي في قفَاكَ عَيْنًا ، وبين عَيْنَيْكَ عَيْنًا ، ولهما أربعُ آذَانٍ » .

وإلى رجل استوصله^(۳) : « لا مانعَ لِمَا أَعْطَاهُ اللهُ » .

وفي كتاب أتاه من صاحب الهند ، يخبره أن الجند شَغِبُوا^(۴) عليه ، وكسروا

أَقْصَالَ بَيْتِ الْمَالِ ، فَأَخَذُوا أَرْزَاقَهُمْ مِنْهُ :

(۱) أشراط : جمع شرط كسب ، وهو العلامة ، والساعة : القيامة ، ورواية الطبري : « من أشراط الساعة كثرة المساجد ، فزِدْ في خُطَاكَ تَزِدُّكَ مِنَ الثَّوَابِ » .

(۲) رجل ضرور وضرورة : أي لم يحج .

(۳) أي طلب صلته .

(۴) شغِبهم وبهم وعليهم كنع وفرح : هيج الشر عليهم .

« لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم ينتهبوا » .

وشكا إليه رجل من بعض عماله ، فوقع في قصته إلى العامل :

« ا كفي أمره ، وإلا كفيته أمرك » .

وكتب سوار^(۱) بن عبد الله القاضي إليه : « إن عندنا رجلا شديد الترفُّض^(۲) »

يُدعى السيد الحميري^(۳) » فوقع في كتابه :

« إنا بعثناك قاضياً لا ماعياً » ؛

ووقع في كتاب بليغ استباحه^(۴) :

« إن البلاغة والغنى إذا اجتمعا في رجل أطفياهُ وقد رزقت إحداهما ، فكتف بها ،

واقصر عليها » .

وكتب إليه عبد الله بن زياد بن الحارث رقعة بليغة يستمنحه فيها ، فكتب عليها :

« إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا في بلد أبطراه ، وأمير المؤمنين مشفق عليك ،

فاكتف بالبلاغة^(۵) » .

(۱) ولاء النصور قضاء البصرة منذ سنة ۱۳۸ وتوفي سنة ۱۵۷ - انظر تاريخ الطبري ج ۹ :

۱۷۱ حوادث سنة ۱۳۸ وما بعدها .

(۲) أي القول بالرفض ، والرافضة : فرقة من الشيعة ، وكان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة

عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن

عبد الملك على العراقيين ، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف ، قالوا له : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن

تجربنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك على بن أبي طالب . فقال زيد : لاني لا أقول فيهما إلا خيراً

وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيراً ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين ، وأغاروا على

على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار . ففارقوه عند ذلك ، حتى قال لهم :

رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة - انظر الفرق بين الفرق ص ۲۵ ، ومقدمة ابن خلدون ص ۲۱۹ .

(۳) كان السيد الحميري من شيعة محمد بن الحنفية ، وكان يعتقد أن ابن الحنفية لم يموت ، وأنه في

جبل رضوى (جبل بالحجاز) بين أسد وأمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، ويعود

بعد الغيبة فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، انظر الملل والنحل ۱ : ۱۵۵ .

(۴) استباحه : سأه الطاء .

(۵) كان النصور يرمى بالبخل ، وكان يلقب أبا الدوانق (والدوانق بكسر النون وفتحها والداناق :

سدس الدرهم) لقب بذلك لأنه لما بنى بغداد كان ينظر في العمارة بنفسه ، فيحاسب الصناع والأجراء ،

فيقول لهذا : أنت نمت الفائلة ، ولهذا : أنت لم تبكر إلى مملك ، ولهذا : أنت انصرفت لم تكمل اليوم .

ورفع رجل إليه يشكو عامله أنه أخذ حَداً من ضَيْعته ، فأضافه إلى ماله ، فوقع
إلى عامله في رُقعة المتظلم :

« إن آثرتَ العدلَ صَحِبَتِكَ السلامةُ ، فأُنصِفِ هذا المتظلمَ من هذه
الظَّلامة . »

وتظلم رجل من أهل السواد من بعض العمال في رقعة رفعها إليه ، فوقع فيها :

« إن كنتَ صادقاً فجيءَ به ملتبساً^(۱) ، فقد أذِنَّا لك في ذلك . »

المهدى

ووقع المهدى في قصة متظلمين شكوا بعض عماله :

« لو كان عيسى عاملكم قد ناه إلى الحق ، كما يُقاد الجمل المَخشوش^(۱) . »
يريد عيسى ولده .

ووقع إلى صاحب أرمينية - وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه - :

« خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . »

وإلى صاحب خراسان في أمر جاءه : « أنا ساهرٌ وأنت نائمٌ » .
وفي قصة قوم أصابهم قَحْطٌ :

« يقدِّر لهم قوتُ سنَةِ القَحْطِ والسَّنَةِ التي تليها . »

وإلى شاعر^(۲) : « أسرفتَ في مديحك ، فقصرنا في حِبائِكَ^(۳) . »

(۱) لب الرجل : جعل ثيابه في عنقه وصدرة في المصومة ثم قبضه وجره ، ويقال أيضاً . أخذ بتليبه وتلايبه : إذا جمع عليه توبه الذي هو لابس عند نجره وصدرة وقبض عليه يجره .
فيعطى كل واحد منهم بحسب ما عمل في يومه ، فلا يكاد يعطى أجره يوم كامل - اقرأ حكايات بنخله في غرر الحقائق الواضحة ص ۲۹۲ .

(۲) الحشاش ككتاب : ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد ، وخششت البعير : جلت في أنفه الحشاش .

(۳) قال صاحب العقد الفريد : « أظنه . روان بن أبي حفصة وهو شاعر عباسي مشهور . »

(۴) الحباء : العطاء .

وفي قصة رجل من الغارمين^(۱) :

« خذ من بيت مال المسلمين ما يُقضى به دينك ، وتقرَّ به عينك » .

وفي قصة رجل شكوا الحاجة :

« أتاك الغوثُ » .

وإلى رجل من بطانته استوصلَ :

« ليت إسرائعنا إليك يقومُ بإبطائنا عنك^(۲) » .

وفي قصة قوم تظلموا من عاملهم ، وسألوا إسخاصه إلى بابه :

« قد أنصف القارةَ من راماهما^(۳) » .

« وفي قصة رجل حُبِسَ في دمٍ :

« وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ^(۴) » .

وإلى صاحب خراسان - وكتب إليه يُخبره بفلاء الأسعار - :

« خذم بالعدل في المكيال والميزان » .

وإلى يوسف الرومي حين ظفِر^(۵) به بخراسان :

« لك أمانِي ، وموؤ كدُ أيمانِي » .

(۱) الغارمون : هم المدينون في غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء ، وهم ممن تصرف لهم الزكاة كما جاء في القرآن الكريم .

(۲) ويروى أن هذا القول قاله عتبة بن أبي سفیان لأعرابي استأخذه في موسم الحج سنة ۴۱ - انظر جمهرة خطب العرب ۲ : ۲۱۱ .

(۳) هو مثل ، والقارة : قبيلة ، وهم قوم رماة ، ويزعمون أن رجلين التقيا ، أحدهما قاري ، فقال القاري : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال الآخر : قد اخترت المراماة ، فقال القاري : قد أنصفتني ، وأنشأ يقول :

قد أنصف القارة من راماهما إذا ما شئت نلقاهما

* نرد أولاهما على أخراهما *

ثم انتزع له بسهم فشك به فؤاده .

(۴) وفي خاص الخاس أن هذا التوقيع ليعبي بن خالد البرمكي .

(۵) في الأصل « حين ظفر بخراسان » وأراه محرراً كما يدل عليه معنى التوقيع .

وكتب إليه سلم^(۱) بن قتيبة يسأله أن يُشرفه بالإذن له في قبيل يده ،
فوقع إليه :

« يا أبا قتيبة ، إنا نصونك عنها ، ونصونها عن غيرك » .

المهادي

وكتب موسى المهادي إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجعه فيه :

« قد أنكرتناك منذُ لزمّتَ أبا حنيفة ، كفاناه الله » .

وإلى صاحب إفريقية في أمر فرط منه :

« يا بن الأحناء^(۲) أني تمرس ؟ » .

هرون الرشيد

ووقع هرون الرشيد إلى صاحب خراسان :

« دأو جرحك لا يتسع » .

وإلى عامله على مصر :

« احذر أن تُخربَ خزانتى^(۳) وخزانة أخى يوسف ، فيأتيك منه مالا قبل لك

به ، ومن الله أكثرُ منه » .

ووقع في قصة البرامكة :

« أنبتهم الطاعة ، وحصدتهم المعصية » .

(۱) هو سلم بن قتيبة الباهلي ، وكان والي البصرة في عهد المنصور - انظر تاريخ الطبري ۹ :

۲۶۰ حوادث سنة ۱۴۰ .

(۲) اللحن بالتحريك : قبح ربح الفرج ، وامرأة لحناء ويقال اللحناء : التي لم تحن ، وهي من

شم العرب ، كأنهم يقولون : يادني الأصل ، أو يالئم الأم ، وتمرس بالشيء : احتك به .

(۳) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام حين قال للملك مصر :

« قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » .

وإلى عامله على فارس :

« كتن منى على مثل ليلة البيات^(۱) » .

وإلى عامل خراسان :

« إن الملوك يؤثّر منها الحظُّ » .

وإلى خزيمة بن خازم^(۲) إذ كتب إليه أنه وَضَعَ السيف حين دخل أرض

أرمينية :

« لا أمّ لك^(۳) ، تقتلُ بالذنب من لا ذنب له ؟ » .

وفي قصة محبوس : « من لجأ إلى الله نجا » .

وفي قصة متظلم : « لا يُجاوِز بك العدلُ ، ولا يُقصر بك دون الإنصاف » .

وإلى صاحب السُّنْد إذ ظهرت العصبية^(۴) :

« كل من دعا إلى الجاهلية ، تعجّل إلى المنية » .

وفي رواية أخرى : وكتب إليه صاحب السُّنْد بظهور العصبية ، فوقع :

« من أظهر العصبية فعاجله بالمنية » .

وإلى عامله على خراسان :

« كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه » .

وفي رقعة متظلم من عامله على الأهواز - وكان بالمتظلم عارفاً - :

« قد ولّيناك موضِعَه . فتنكبَّ^(۵) سيرته » .

(۱) بيت العدو : أوقع بهم لبلاء ، والاسم البيات .

(۲) وله خبر في فتنة الأمين - انظر تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۹۲ .

(۳) لا أم لك : شتم وصب ، معناه . ليس لك أم حرة - وذلك أن بني الإمام عند العرب مذمومون ليسوا بمرضيين ولا لاحقين ببني المرائر - وقيل معناه : أنت لقيط لا تعرف لك أم ، ولا يقول الرجل لصاحبه لا أم لك إلا في غضبه عليه مقصرا به شامخا له (وربما وضع موضع المدح ، بمعنى التعجب منه)

(۴) في الأصل « العصبية » وهو تحريف - انظر ما بعده .

(۵) أي اعدل منها .

وفي كتاب بَكَارِ الزُّبَيْرِي إليه يخبره بسرّ من أسرار الطالبين :
« جزي الله الفضل^(۱) خيرا الجزاء في اختياره إليك ، وقد أثابك أمير المؤمنين
مائة ألف بحسن نيتك » .

وإلى محفوظ صاحب خراج مصر :

« يا محفوظ ، اجعل فرع^(۲) مهر فرعا واحدا وأنت أنت » .

وإلى صاحب المدينة :

« ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن^(۳) ، فإنهم قد أطلوا ليلي بالشهاد ،
وَنَفَوْا عن عيني لذيذ الرُقَاد » .

ووقع إلى السُّنْدِي^(۴) بن شاهك :

« خَفِ الله وإمامك ، فهما نجانك » .

وإلى سليمان بن أبي جعفر في كتابٍ وَرَدَ عليه منه يَذْكُرُ وُثُوبَ أهل
دمشق :

« استَحَيْتُ لشيخِ وَلَدِهِ المنصورُ أن يَهْرُبَ عَمَّنْ وَلَدِهِ كِنْدَةَ وَطَيْيُ ، فهَلَا
نابِلَهُم بوجهك ، وأبديتَ لهم صَفْحَتَكَ^(۵) ، وبذلتَ لهم مِئْتَتَكَ ، وكنت
كروان^(۶) ابن عمِّك ؟ إذ خرج مُضِلِّتَنَا^(۷) لسيفه ، متمِّلا بيت الحِجَّافِ
ابن حكيم :

(۱) يعني الفضل بن يحيى البرمكي .

(۲) في الأصل العقد الفريد « اجعل فرح مصر فرحا واحدا » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه
« اجعل فرع مصر فرعا واحدا » والفرع : المال الطائل المند ، أو صوابه « اجعل خراج مصر خراجا
واحدا » والمعنى - اجعل خراج مصر دفعة واحدة ، وأنت قارئ في مكانك دون أن تحضر برفقته .

(۳) البطن من الأرض : المطنن .

(۴) كان صاحب الحرس ، وله خبر في فتنة الأبين أيضا - انظر تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۹۷ .

(۵) أبدى لهم صفحته : جاهرهم بالعداوة .

(۶) يعني مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية .

(۷) أصلت السيف . سله وجرده .

متقلدین صَفَانِمًا هِنْدِيَّةً يَتَرَكْنَ مَن ضُرِبُوا كَن لَمْ يُولَدِ (۱)
 فِجَالِدَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ ، إِمَّا بِدَعَا ، وَإِمَّا خَلَّةً ، أَشَدَّ هِرَاشًا (۲) ، وَأَخْشَنَ مِيرَاسًا ،
 وَلَوْلَا أَن يُقَالَ . . . لَقُلْتُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، اللَّهُ أُمَّ تَنَدُّ بِهِ ، وَأَبُّ أَنَهَضَهُ أ .
 وَكُتِبَ مَتَمَلِّكَ الرُّومَ إِلَى هُرُونِ الرَّشِيدِ : « إِنْ مَتَّوَجَّهَ نَحْوَكَ بِكُلِّ صَلِيبٍ
 فِي مَمْلَكَتِي ، وَكُلِّ بَطَالٍ فِي جَنْدِي » فَوْقَ فِي كِتَابِهِ :
 « سَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُنُقِي الدَّارِ (۳) » .
 وَكُتِبَ إِلَيْهِ تَقْفُورُ مَلِكِ الرُّومِ يَتَهَدَّدُهُ ، فَوْقَ فِي كِتَابِهِ : « الْجَوَابُ مَا تَرَاهُ
 لَا مَا تَقْرُوهُ (۴) » .

وَوَقَعَ إِلَى صَاحِبِ النِّصْرَانِيَّةِ بِالرُّومِ : إِنَّا بِالْأَثَرِ ، وَعَلَى اللَّهِ الظَّفَرُ .
 وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِحَبِي بِنِ خَالِدٍ مِنَ الْحَبَسِ حِينَ أَحْسَ بِالْمَوْتِ : « قَدْ تَقَدَّمَ الْخَضْمُ
 إِلَى مَوْقِفِ الْفَضْلِ ، وَأَنْتَ بِالْأَثَرِ ، وَاللَّهُ الْحَكَمَ الْعَدْلَ ، وَسَتَقَدَّمَ فَتَعْلَمَ » .
 فَوْقَ فِيهِ الرَّشِيدُ :
 « الْحَكَمُ الَّذِي رَضِيْتَهُ فِي الْآخِرَةِ هُوَ أَعْدَى الْخُصُومِ عَلَيْكَ ، وَهُوَ مِنْ لَا يُرَدُّ
 حُكْمُهُ ، وَلَا يُصْرَفُ قِضَاؤُهُ (۵) » .
 وَوَقَعَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى بْنِ هَامَانَ ، وَقَدْ كُتِبَ إِلَيْهِ بِقَتْلِ الْعَمْرِ كِي (۶) :
 « بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

(۱) الصفائح : السيوف العريضة ، والهندية : المطبوعة بالهند .
 (۲) الخلة . الخصلة ، وهراشا : أي تقاتلا .
 (۳) انظر ص ۲۷۶ من الجزء الثالث .
 (۴) انظر ص ۲۷۶ من الجزء الثالث .
 (۵) انظر ص ۱۹۴ من الجزء الثالث .
 (۶) نسبة إلى عمروك منعوتنا من عمر ككر (كما قالوا حضرمي في النسب إلى حضرموت) وككر
 كجفر : كورة واسعة كانت نصبتها واسط التي بين البصرة والكوفة ، والعمر بالضم : المدير لنصارى ،
 وهذا العمرف شرق واسط ، يحيط به باتين نخيل بينه وبين دجلة .

المأمون

ووقع المأمون في قصة متظلم من علي^(۱) بن هشام :

« يا أبا الحسين ، الشريف^(۲) من يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ، فانظر

أى الرجلين أنت ؟ » .

وإلى هشام : « لا أدنيك ولك يبأى خصم » .

وإلى الرستمى وقد تظلم منه غريم^(۳) له :

« ليس من المروءة أن تكون أوانيك من الذهب والفضة ، وجارك طاو^(۴) ،

وغريمك عاو » .

وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة :

« يا عمرو ، عمر نعمتك بالعدل ، فإن الجور يهدمها » .

وفي قصة متظلم من أبي عباد :

« يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة » .

وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه :

« فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ » .

وفي قصة متظلم من حميد الطوسي :

« يا أبا غنم ، لا تغتر بموضعك من إمامك ، فإنك وأخس عبيده

في الحق سيان » .

وفي رواية أخرى : « يا أبا حامد ، لا تتكىل على حسن رأيي فيك ، فإنك وأحد

رعيتي عندي في الحق سواء » .

(۱) انظر ص ۴۴۴ من الجزء الثالث .

(۲) وفي رواية القند : « من علامة الشريف أن يظلم . . . » .

(۳) الغريم : الدائن .

(۴) أى جائع ، من الطوى : وهو الجوع ، وفي رواية القند : « وغريمك خاو » .

وإلى طاهر (۱) صاحب خراسان :

« إِحْمَدُ ، أبا الطَّيِّبِ ، إِذَا أَحَلَّكَ خَلِيفَةُ مَحَلِّ نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، فَمَا لَكَ مَوْضِعٌ تَسْمُو إِلَيْهِ نَفْسُكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَوْقَهُ عِنْدَهُ . »

وفي كتاب بشر بن داود (۲) :

« هَذَا أَمَانٌ عَاقَدْتُ اللَّهَ فِي مَنَاجَاتِي إِيَّاهُ . »

وفي كتاب قثم بن جعفر في فدك حين أمره بردها (۳) :

« قَدْ أَرْضَيْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي فِدَاكَ ، كَمَا أَرْضَى اللَّهُ خَلِيفَتَهُ فِيهَا . »

وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي :

« قَدْ احْتَمَلْنَا بَدَاءَكَ (۴) وَشَكَاسَةَ خُلُقِكَ ، فَأَمَّا ظُلْمُكَ لِلرَّعِيَةِ فَإِنَّا لَا نَحْتَمِلُهُ . »

ووقع إلى بعض عماله :

« طَالِعٌ كُلُّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِيكَ ، وَقَاصِيَةٌ مِنْ أَقَاصِيكَ ، بِمَا فِيهِ امْتِصْلَاحُهَا . »

وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : « إِنْ غَفَّرْتَ فَبِفَضْلِكَ ، وَإِنْ أَخَذْتَ فَبِحَقِّكَ » فوق في كتابه :

« الْقُدْرَةُ تُذْهِبُ الْحَفِيظَةَ (۵) ، وَالنَّدَمُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَبَيْنَهُمَا عَفْوُ اللَّهِ . »

ووقع في رُقعة مَوْتِي طَلَبَ كِسْوَةَ :

« لَوْ أَرَدْتَ الْكِسْوَةَ ، لَلَزِمْتَ الْخِدْمَةَ ، وَلَكِنَّكَ آثَرْتَ الرِّقَادَ ، فَحُظُّكَ الرُّؤْيَا . »

(۱) هو طاهر بن الحسين ، وكنيته أبو الطيب .
 (۲) انظر تاريخ الطبري ۱۰ : ۲۸۱ .
 (۳) انظر ص ۴۲۶ من الجزء الثالث وفي الأصل « إبراهيم بن جعفر » وصوابه « قثم بن جعفر » .
 (۴) البذاء والبذاءة : السفه والفحش في المنطق ، وقد بذؤ وبثؤ وبثؤ بهوبذى ، وشكس ككرم فهو شكس كصعب وكتف ورجل (يفتح فضم) أى صعب الخلق .
 (۵) الحفيظة : النضب ، ويروى أن قول ابن المهدي ورد المؤمن عليه كان مشافهة لا مكاتبة - انظر جبهة خطب العرب ۳ : ۱۲۶ .

ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه - وقد وافته الأموال - :

« يُؤمَّر له بخمسمائة ألفٍ لطولِ هِمَّتِه ، ولتُمامَةِ بنِ أشْرَسِ بثلاثمائة ألفٍ لتركه مالا يعنيه ولأبي محمد اليزيدي يؤمر له بخمسمائة ألفٍ لكِبَرِهِ ، وللمُعَلِّيِّ بخمسمائة لصحيحِ سُنَّتِهِ^(۱) ، ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألفٍ لصدقِ لهجته ، وللعباس بخمسمائة ألفٍ لفصاحةِ منطِقِهِ ، ولأحمد^(۲) بن أبي خالد بألف ألفٍ لمخالفته شهوتَهُ ، ولإبراهيم ابن بُويهِ كذلك لسرعةِ دَمَعَتِهِ ، وللمرِّيِّ بثلاثمائة ألفٍ لإسباغِ وضوئِهِ^(۳) ، ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسنِ وجهِهِ . »

ووقع إلى الواقدي وقد كتب يذكر ديننا عليه ويستمنح :

« فيك خصلتان : سَخَاءٌ وَحَيَاءٌ أَمَا السَخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ يَدَكَ فِيهَا مَلَكَتَ ، وَأَمَا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ ذَكَرْتَ بَعْضَ دَيْنِكَ دُونَ كُلِّهِ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِضِمْفٍ مَا كَتَبْتَ ، فَرِزْ فِي بَسْطِ يَدِكَ ، فَإِنْ خَزَائِنَ اللَّهِ مَفْتُوحَةٌ ، وَيَدَهُ بِالْخَيْرِ مَبْسُوطَةٌ . »

ووقع إلى عامل شكاه أهل عمله :

« إِنْ آثَرْتَ الْعَدْلَ حَصَلَتْ عَلَى السَّلَامَةِ ، فَأَنْصِفْ رَعِيَّتَكَ مِنْ هَذِهِ الظُّلَامَةِ . »

ووقع إلى نصر بن سيار^(۴) :

(۱) في الأصل « سنه » وأراه محرفاً .
 (۲) أحد وزراء المأمون - انظر خبره في الفخرى ص ۲۰۵ .
 (۳) أسبغ الوضوء : أبلغه مواضعه ووفى كل عضو حقه .
 (۴) كذا جاء في خاص الحماص ، وهو خطأ ، فإن نصر بن سيار مات في ساوة بالقرب من همدان سنة ۱۳۱ - انظر وفيات الأعيان ۱ : ۲۸۲ في خلال ترجمة أبي مسلم ، وتاريخ الطبري ۹ : ۱۱۲ - وقد قدمنا لك في ص ۲۸۲ من الجزء الثالث أن رافع بن خيثم بن نصر بن سيار خرج على الرشيد بسمرقند وخلصه سنة ۱۹۰ ، فالظاهر أن الذي كتب إليه المأمون هذا التوقيع هو ابن رافع هذا .

« يا ابا رافع ، انى رافِعَكَ اِلىَّ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا (۱) » .
ورفع إليه أهل السواد قصة في إتيان الجراد على غلاتهم ، فوقع فيها :
« نحن أولى بضيافة الجراد ، من أهل السواد ، فليحط عنهم نصفُ
الخراج » .

وكتب إليه عبد الله بن طاهر يشكو إليه بعهده عن حضرتته ، وبأله الإذن له
في الإلمام (۲) بها ، فوقع في كتابه :

« قُرْبِكَ يَا ابا العباس اِلىَّ حَبِيْبٌ ، وَأَنْتَ مِنْ قَلْبِي حَيْثُ كُنْتُ قَرِيْبٌ ، وَإِنَّمَا
بَعَدْتُ دَارَكَ ، نَظَرًا بِكَ ، وَرَغْبَةً اِىْلَيْكَ ، مَعَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

« رَأَيْتُ دُنُوَّ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَا بَيْنَ الْقُلُوْبِ بَعِيْدٌ »
ولما مات عمرو بن مسعدة رُفِعَتْ اِلى المأمون رُقْعَةٌ أَنَّهُ خَلَّفَ ثَمَانِيْنَ اَلْفَ اَلْفِ دِرْهَمٍ ،
فوقع في ظهرها :

« هَذَا قَلِيْلٌ لِمَنْ اِتَّصَلَ بِنَا ، وَطَالَتْ خِدْمَتُهُ لَنَا ، فَبَارِكْ اللهُ لَوْلَاهُ فِيمَا خَلَّفَ ،
وَأَحْسَنَ لَهُمُ النَّظَرَ فِيمَا تَرَكَ » .

الوائق

وكتب محمد بن حماد يعرض في حاجة له بييتي شعر إلى الواثق يقول :
جذبتُ دواعى النَّفْسِ عَنْ طَلْبِ الْمَنَى وَقَلْتُ لَهَا كُنْفِيَّ عَنْ الطَّلْبِ الْمُرْزِي
فإن أمير المؤمنين بكفه مدارُ رَحَى بِالرِّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرِي
فوقع تحتها : « جَذِبْتُ نَفْسَكَ عَنْ اِمْتِنَانِهَا بِالسَّأَلِ دَعَانِي اِىْلِ صَوْنِكَ بِسَعَةِ فَضْلِي
عَلَيْكَ ، نَحْذُ مَا طَلَبْتَ هَنِيَا » .

(۱) اتبته من الآية الكريمة : « إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى اِبْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِيَّ اِلَيْكَ وَرَافِعَكَ اِىْلَىَّ
وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا » .
(۲) ألم به : نزل .

أبو مسلم الخراساني

ووقع أبو مسلم الخراساني في كتاب سليمان^(۱) بن كَثِير الخَزَاعِي :
« لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » .
وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة :
« قَلَّ طَرِيقٌ سَهْلٌ تُلَقَى فِيهِ الْحِجَارَةُ إِلَّا عَادَ وَنَعْرًا ، وَاللهُ لَا يَصْنَعُ طَرِيقَ فِيهِ
ابنُ هُبَيْرَة أبدأ^(۲) » .

وإلى محمد بن سُول - وكتب إليه بسلامة أطرافه - :
« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »
وإلى عامله بِبَلْخ : « لَا تُؤَخِّرْ عَمَلِ يَوْمٍ لِفَدٍ » .
وإلى أبي سَلَمَةَ الخَلَّلِ حين أنكر نيته :
« وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا
إِنَّا مَعَكُمْ » .

عمرو بن عبيد

وكتب أبو جعفر المنصور إلى عمرو^(۳) بن عُبَيْد .
« أبا عثمان ، أَعِنِّي بِأَصْحَابِكَ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ ، وَأَصْحَابُ الصِّدْقِ ، وَالْمُؤْتَرُونَ لَهُ »
فوقع في كتابه : « اِرْفَعْ عِلْمَ الْحَقِّ يَتَّبِعَكَ أَهْلُهُ » .

(۱) أحد دعاة العباسيين - انظر الجزء الثاني وبعده أن تم الأمر لسفاح أتهم أبو مسلم سليمان بن كثير
فقتله - انظر تاريخ الطبري ۹ : ۱۴۲ .
(۲) انظر ص ۳ من الجزء الثالث .
(۳) هو أحد أئمة المعتزلة ، وكانت أخته زوجة واصل بن عطاء ، توفي سنة ۱۴۴ ، انظر ترجمته
في وفيات الأعيان ۱ : ۳۸۴ والنية والأمل ص ۲۲ .

أبو عبيد الله

وكتب إلى أبي عبيد الله كاتب المهدي رجل يعتذر ولا يُحسِن ، فوقع في كتابه :

« ما رأيتُ عُذْرًا أشبهَ باستغْنافِ ذنْبٍ من هذا » .

الفيض بن أبي صالح

ووقع الفيض^(۱) بن أبي صالح في رُقعة معتذر تائب :
« التوبة المذنب كالدواء للمريض ، فإن نصحت^(۲) توبته ، أتمَّ الله شفاءه ،
وإن تكن الأخرى أدام الله داءه » .

يحيى بن خالد البرمكي

ووقع يحيى بن خالد البرمكي في جواب رُقعة لابنه الفضل « ما أهونَ التدبيرَ
بالوصف » .

وفي رُقعة متظلمٍ ليعرض التوقيع على من شكاه : « أنصِفْ مَنْ وَلِيْتَ أَمْرَهُ ،
وإلا أنصفه منك مَنْ بَلِيَ أَمْرَكَ^(۳) » .

وإلى رجل استبطأه واستزاره : « أجنحُ إليك بغالبِ الفضل ، وأعتذرُ إليك
بصادقِ النية » .

(۱) وزير للمهدي ، وتوفي سنة ۱۷۳ - انظر ترجمته في الفخرى ص ۱۶۹ .

(۲) أي خلصت .

(۳) ويعزى هذا التوقيع إلى ابنه جعفر .

جعفر بن يحيى البرمكى

ووقع جعفر بن يحيى البرمكى في قصة محبوبوس التمس الإطلاق : « لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » (۱) .

ووقع في مثله : « العدلُ أوقعه ، والتوبة تُطلقه » .

وفي قصة مُتَنَصِّح (۱) : « بعضُ الصدق قبيح » .

وأكثرَ الناسُ شِكِيَّةَ عاملٍ فوقع إليه في قصتهم :

« يا هذا ، قد أكثرَ شاكوكَ ، وقلَّ شاكروكَ ، فإِذَا اعتذرتَ ، وإِذَا

اعتزَلتَ » (۲) .

وفي قصة رجلٍ شكَا بعضَ خَدَمِهِ :

« خذ بأذنيه ورأسه ، فهو مالك »

وإلى عاملٍ فارسٍ في رَجَلٍ كتب إليه بالوصاية :

« كن له كأبيه ولو كان مكانك »

وإلى عاملٍ مصرٍ في رجلٍ من بطانته يوصيه :

« إنه رَغِبَ إلى شِعْبِكَ (۳) ، فأرغب في اصطناعه »

وفي قصة متظلمٍ من بعض عماله : « إني ظلمتُك دونَه » .

وفي قصة محبوبوس : « الجناية حبسته ، والتوبة تُطلقه » .

(۱) وفي خامس الحماص أن هذا التوقيع لأبيه يحيى بن خالد .

(۲) تنصح : تشبه بالناصح .

(۳) وفي رواية الكامل للبرد : « وقل حامدوك ، فإِذَا عدلت . . . » وفي نهاية الأرب : « وكتب محمد إلى يحيى بن هرمة - وكان عامله على أصفهان - وقد نظلم منه أهلها : « يا يحيى . . . » ولا ندرى من محمد المذكور ، إذ لم يرد بعده ما يبينه » وجاء في شرح نهاية الأرب عن يحيى بن هرمة : (كذا في الأصل ، ولم تقف على هذا الاسم فيمن تولى عمل أصفهان ، وامل صوابه « هرمة ») .

(۴) الشعب بالكسر : ما انفرج بين جباين ، يعنى به وادى النيل .

- وإلى قوم : « عين الخليفة تكلوكم^(۱) ، ونظره بكمكم » .
 وفي رقعة ضرورية استأذنه في الحج : « من سافر إلى الله أنجح^(۲) »
 وفي قصة رجل شكاً عزبة^(۳) : « الصوم لك وجاء^(۴) » .
 وفي رقعة رجل سأل ولاية : « لا أولى بعض الظالمين بعضاً » .
 وفي قصة رجل سأل أن يُقفل^(۵) ابنه ، فقد طالت غيبته عنه :
 « غيبة يوسف صلى الله عليه وسلم كانت أطول » .
 وفي قصة رجل تظلم من أحد عماله : « إن^(۶) ليلته حتى ينصفك » .
 وفي قصة قوم شكروا سوء جوار بعض قرابته : « يرحل عنكم » .
 وفي قصة مستمنع كان قد وصله مراراً :

« دَعِ الضَّرْعَ يَدِرُّ لغيرك كما درَّ لك^(۷) »

- وإلى الفضل بن الربيع ، وجاء منه كتاب غمه وأكربته :
 « كثرة ملاحاة^(۸) الرجال ، ربما أراقت الدماء »
 وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : « لم تزرعك لنحصدك » .
 وإلى بعض عماله : « اجعل وسيلتك إلينا ما يزيدك عندنا » .
 وكتب إليه رجل يستبطئه ، فوقع في ظاهر كتابه :

(۱) أي تحرمكم .

(۲) أنجح : صار ذا نجح .

(۳) العزبة : العزوبة .

(۴) أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه

أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » والباءة النكاح ، ووجأ التيس وجثا ووجاء : إذا دق عروق خصبته بين حجرين من غير أن يخرجهما ، أي أن الصوم يقطع الشهوة للنكاح كما يقطعها الوجاء ، إذ أن الموجوء لا يضرب .

(۵) أقل الجند : ردم من الغزوات ووطنهم .

(۶) أي بث شكواك وتوجع ، أمر من أن يئن : أي تأوه من الوجع .

(۷) وفي خاص الحامس أن هذا التوقيع لأبيه يحيى .

(۸) الملاحاة : المنازعة ، وفي العقد ملاحاة الدماء وأراه محرفاً .

« أحتج عليك بغالب القضاء ، وأعتذرُ إليك بصادق النية » (۱) .

وإلى بعض ندمائه : لا تُبعد من ضمك .

ووقع إلى متصل من ذنب : « حُكْمُ الْفَلَتَاتِ خِلَافُ حَكْمِ الْإِصْرَارِ » .

وكتب إليه أن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الأموال فوقع : « هذا

رجل منقطع عن السلطان ، وبين ذؤبان^(۲) العرب ، بحيث العداد والعدّة ،

والقلوب القاسية ، والأنوف الحميّة ، فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ،

ليدفع به عدوه ، فإن نفقات الحروب يستظهر لها ، ولا يستظهر عليها » .

ووقع في رقعة معتذر من ذنب :

« قد تقدّمت طاعتك ، وسبقت^(۳) نصيحتك ، فإن بدّرت منك هتوة فلن

تغلب سيئة حسنّتين » .

ووقع - وقد قرأ كتابا فاستحسن خطّه - :

« الخلطُ خيطُ الحكمة ، ينظم فيه منشورها ، ويفصل فيه شدورها^(۴) » .

ووقع : « الخراج عمودُ الملك ، وما استعزّر^(۵) بمثل العدل ، وما استنزّر

بمثل الجور » .

وكتب عمرو بن مسعدة إلى خُمرة الحروري^(۶) كتابا ، فنظر فيه جعفر بن

يحيى فوقع في ظهره :

(۱) انظر ص ۳۸۳ .

(۲) ذؤبان العرب : لصومهم وصعاليكهم .

(۳) وفي زهر الآداب « وظهرت » .

(۴) الشذر (بالفتح) : قلم من الذهب ، خرز يفصل بها النظم ، أو هو الأوّل الصغار ، واحده

شذرة .

(۵) استعزّر : كثر ، واستنزّر : قل .

(۶) كان الخوارج يسمون « الحرورية » نسبة إلى حروراء ، وهي قرية بظاهر الكوفة نزلوها

حين اعتزلوا عليا بعد رجوعه من صفين .

« إذا كان الإكثار أبلغَ كان الإيجاز مقصراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً » .

ويروى أن جعفر بن يحيى قال لكتابه : « إن قدّرتُم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعاتٍ فافعلوا (۱) » .

وقال ابن خلدون في مقدمته (۲) : « وقد كان جعفر بن يحيى يوقّع في القصص بين يدي الرشيد ، ويرى بالقصة إلى صاحبها ، فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها ، للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها ، حتى قيل إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار » .

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان (۳) : « ويقال إن جعفر بن يحيى وقّع ليلةً بحضرة هرون الرشيد زيادةً على ألف توقيع ، ولم يخرج في شيء منها عن موجب الفقه » .

وقال الجاحظ في البيان والتبيين (۴) : « وخبرني جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال : ذكرت لعمر بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى قال : قد قرأت لأم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها ، فوجدتها أجود اختصاراً ، وأجمع للمعاني » .

الفضل بن يحيى

ووقع أخوه الفضل : « بثس الزادُ إلى المعاد ، القعدى على العباد » .

(۱) انظر الكامل للمبرد ۱ : ۱۴۴ وأدب الكتاب ص ۱۳۴ وص ۲۲۸ والصناعتين ص ۱۶۶ وجاء في الصناعتين أيضاً (ص ۱۸۱) لأنه مع إعجابه بالإيجاز قال : « متى كان الإيجاز أبلغَ كان الإكثار عيباً ، ومتى كانت الكتابة في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيراً » .

(۲) انظر باب ديوان الرسائل والكتابة ص ۲۴۰ .

(۳) انظر ج ۱ : ص ۱۰۱ .

(۴) انظر ج ۱ : ص ۶۱ .

الفضل بن سهل

وكتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن :

« أَحْمَدُ اللَّهِ يَا أَخِي ، فَأَيَّبَيْتُ خَلِيفَةَ اللَّهِ إِلَّا عَلَى ذِكْرِكَ » .

وإلى طاهر بن الحسين : « تَخَيَّرْتُ مَا اصْطَنَعْتَ » .

وإليه أيضا : « لِشَرِّ مَا سَمَوْتَ » .

وإلى هَرَمَةَ - وأشار عليه برأى - « لَا يُحَلُّ مَا عَقَدْتَ » .

وفي قصة متظلم : « كَفَى بِاللَّهِ لِلْمَظْلُومِ نَاصِرًا » .

وفي قصة مَنْ نَقَبَ بَيْتَ الْمَالِ : « يُدْرَأُ^(۱) عَنْهُ الْحَدُّ إِنْ كَانَ لَهُ فِيهِ سَهْمٌ » .

ووقع إلى حاجبه : « تَمَهَّلْ وَتَسَهَّلْ » .

وإلى صاحب الشرطة : « تَرَفَّقْ تُوَفَّقْ »

وفي قصة متظلم : « طِبُّ نَفْسًا ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمَظْلُومِ » .

وإلى رجل شكَا غَلْبَةَ الدِّينِ :

« قَدْ أَمَرْنَاكَ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَسَنَشْفَعُهَا بِمِثْلِهَا ، لِيَرْغَبَ الْمُفْتَصِّحُونَ »^(۲) .

وإلى رجل شكَا إليه الدِّينِ :

« الدِّينُ سَوْءٌ يَهْيِضُ^(۳) الْأَعْنَاقَ ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِقَضَائِهِ » .

وفي قصة قوم قطعوا الطريق :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَرُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .

(۲) اتصع : قبل النصح .

(۱) يدنع .

(۳) هاض العظام يهيضه : كسره بعد الجبور .

وفي امرئ قاتلٍ شهيدٍ عليه المدولُ فشَفِيعَ فيه : « كتابُ الله أحقُّ أن يُتَّبَعَ » .

وفي قصة رجلٍ شهيدٍ عليه أنه شتمَ أبا بكرٍ وعمرَ : « يُضْرَبُ دونَ الخلدِ وَيُشَهَّرُ^(۱) ضربه » .

وفي رقعة سابع :

« نحن نرى قبولَ السَّعَايةِ شراً منها ، لأنَّ السَّعَايةَ دلالةٌ ، والقبولَ إجازةٌ ، وليس من دلٍّ على شيءٍ وأخبر به كمن قبَّلهُ وأجازَهُ ، فاتقوا السَّعَايَةَ فإنه لو كان في سَعَايَتِهِ صادقاً ، لكان في صدقِهِ آئماً ، إذ لم يحفظِ الحُرْمَةَ ، ويستترِ العَوْرَةَ ، والشَّيءُ يُقْرَنُ مع جنسه » .

ووقع إلى تميم بن خزيمة^(۲) :

« الأمور بتامها ، والأعمالُ بنحواتها ، والصنائعُ باستدامتها ، وإلى الغايةِ يجري الجوادُ ، فهناك كَشَفَتِ الخبيرةُ قِنَاعَ الشكِّ ، فحَمِدَ السابقُ ، وذُمَّ الساقطُ » .

الحسن بن سهل

ووقع الحسن بن سهل في قصة متظلم :

« يُنظَرُ فيما رَفَعَ ، فإن الحقَّ مَتَّبَعٌ ، وإلا فشانُ السَّليمِ دواءُ السَّقِيمِ » .

وفي قصة قومٍ تظلموا من واليهم :

« الحقُّ أولى بنا ، والعدلُ بُغْيَتُنَا ، وإن صَحَّ ما ادَّعَيْتُمْ عليه صَرََفْنَاهِ وعاقبناهُ » .

وفي قصة امرأةٍ حبس زوجها : « الحقُّ يَجِبُهِ والإِنصافُ يُطَلِّقُهُ » .

(۱) شهره كنعه ، وشهره . أظهره في شنة .

(۲) ولي كتاب بغداد لابن طيفور والمقد الفرید : ووقع طاهر بن الحسين إلى خزيمة بن خازم :

« الأعمالُ بنحواتها ، والصنعةُ باستدامتها ، وإلى الغايةِ ماجرى الجوادُ ، فحمد السابقُ ، وذم الساقطُ » .

وكتب إلى رجل من الشعراء يقول له :

رأيتُ في النوم أني راكبُ فرساً ولى وصيفٌ وفي كفي دنانيرٌ^(۱)
فقال قوم لهم فهمٌ ومعرفةٌ : رأيتَ خيراً وللأحلامِ تعبيرُ
رؤياك فسّرْ غداً عند الأميرِ تجدُ في الحلمِ دراً وفي النومِ التبشيرُ
فوقع في أسفل كتابه : « أضغاثُ أحلامٍ^(۲) وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ
بِعَالِمِينَ ، وَالْحَقُّ لَهُ مَا التَّمَسَّهُ^(۳) » .

وكتب إليه رجل يتوسل بسالف إحسانه ، فوقع :

« مرحباً بمن توسلَ إلينا بنا » وأمر له بصلته .

طاهر بن الحسين

ووقع طاهر بن الحسين في رقعة مُتَنَصِّحٍ : « سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ
مِنَ الْكَاذِبِينَ » .

وفي رقعة مستبطنٍ إياه في الجواب : « تَرَكَ الْجَوَابَ جَوَابٌ » .

ورَفَعَ إليه مستمنحٌ وكذَّب في عدد عياله - وكان طاهر يعرفهم - فوقع :

« لَا جَوَابَ لِكَذَّابٍ » ثم عاود وصدق في عددهم ، فوقع : « الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ »

وأمر له بصلته .

ووقع في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شبث^(۴) :

(۱) الوصيف : الخادم والمخادمة .

(۲) أضغاث أحلام : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها .

(۳) وفي رواية أخرى لصاحب العقد : « عن البطين الشاعر قال : قدمت على بن يحيى الأرمي ،

فكُتِبَ إليه . . . » والبيت الثالث :

رؤياك فسّر غداً عند الأمير تجد
تعبير ذلك وفي الفال التبشير

جئت مستبشراً مستشعراً فرحاً
وهند مثلك لي بالفعل تبشيراً

(۴) في العقد « نصر بن شبث » وهو تحريف ، وقد تقدم .

« طلبت الحق في دار الباطل » .

ووقع في قصة قهرمان^(۱) له شكاً سوءاً معاملة :

« اسمحُ بِسَمَحٍ لَكَ » .

ووقع في قصة رجل طلب قبالة^(۲) بعض عماله :

« القبالةُ مفتاح الفساد ، ولو كانت صلاحاً ما كنت لها موضعاً » .

وإلى السفدي بن شاهك — وجاءه منه كتاب يسأله الأمان — :

« عيش ما لم أرك » .

وإلى العباس بن موسى الهادي — واستبطأه في خراج الكوفة — :

وليس أخو الحاجات من بات نائماً ولكن أخوها من يبديت على وجل

ووقع في قصة رجل شكاً أن بعض قواده نزل في دار له وفيها حرمة^(۳) :

« إذا رأيت في ناحية دارك فقد حل لك قتله » .

ووقع في قصة رجل ذكر أن أخاه قُتل في طاعة المأمون :

« سالك طاعة الله : والله ولي جزائه » .

ووقع في قصة رجل ذكر أنه قتل في يوم واحد عشرة من أصحاب الخلع

« الأمان » .

« لو كنت كما وصفت لم يخف علينا ما ذكرت » .

ووقع في قصة رجل ذكر أن منزله أُحرق بالنار :

« أخطأك من قصدك » .

ودخل على طاهر كاتب العباس بن موسى — وكان ركباً — فقال : أخيك

(۱) هو كالموازن والوكيل المحافظ لا تحت يده ، والقائم بأمر الرجل بلغة الفرس ، معرب .

(۲) القبالة : الكفالة ، قبل به كنصر وسمع وضرب فهو قبيل : أي ضامن وكفيل .

(۳) حرم الرجل : نأؤه وما يحمي .

ابنُ موسى يُقرِّئك السلام ، قال : وما تَلي مِن أمرِهِ ؟ قال : أنا كاتبه الذي أُطعمُهُ الخبزَ ، فوقع :

« يُعزَل العباسُ ، بسوء اختياره للكِفَاء^(۱) » .

وفي قصة محموس : « يُخرَج ولا يُحوَج » .

ووقع في قصة آخر : « يُطلق ويُعتق » .

ووقع في قصة مستمنح : « يُبلُّ حاله^(۲) » .

ووقع في رقعة متوصل : « يُقامُ أودُه^(۳) » .

ووقع في قصة مستجير : « أنا جارُه » .

ووقع في قصة مستامن : « يؤمِّن سِرْبُه^(۴) » .

ووقع في قصة قاتل : « لا يؤخر قتله » .

ووقع في قصة شاعر : « يعجلُ نوابه » .

ووقع في قصة لص : « ينفذُ حُكمُ الله فيه » .

ووقع في قصة ساج : « لا يلتفتُ إليه » .

ووقع في قصة قوم شغبوا على عاملهم :

« الشَّعبُ للفرقة سبب ، فاقمَّحَ أسماؤهم ، وتُحسِّن آدابهم ، وتُقَطِّعَ

بالنفي آثارهم » .

(۱) الكفاء والأكفاء جمع كفاء ، وربما كان الأصل « الكفافة » بضم الكاف ، جمع كاف (۲) بله كنعصره : نداء ، وبل رحمه : وصلها ، استماروا البل بمعنى الوصل كما استماروا اليبس بمعنى القطيعة ، وفي الحديث « بلوا أرحامكم ولو بالسلام » أي نديروها بالصلة ، وربما كان الأصل « يبلى حاله » من بلاه بلوه إذا اختبره .

(۳) الأود : الاموجاج .

(۴) السرب : النفس والقلب .

عبد الله بن طاهر

وَأَدَّبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ بَعْضَ قَوَادِمِهِ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ أَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : إِنَّهُ قَتَلَهُ ، فَوَقَعَ : « إِنَّمَا أَدَّبْنَا فَوَافِقُ الْأَدَبِ الْأَجَلِ » .

وَأَهْدَى نَصْرَ بْنَ شَبَّثٍ^(۱) إِلَيْهِ هَدَايَا كَثِيرَةً ، فَرَدَّهَا ، فَزَادَ فِيهَا وَبَعَثَهَا إِيْلًا مَعَ رُقْعَةٍ فِي مَعْنَاهَا ، فَرَدَّهَا وَوَقَعَ فِي الرُقْعَةِ :

« لَوْ قَبِلْتُ الْهَدِيَّةَ لَيْلًا لَقَبِلْتُهَا نَهَارًا ، وَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِنَّمَا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ^(۲) » .

وَوَقَعَ إِلَى عَمَّالٍ لَهُ شَكَاةٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ :

« قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ الْإِعْذَارَ ، وَاحْتَجَجْتُ إِلَيْكُمْ بِالْإِنْذَارِ ، وَلَيْتَ الْعِتَابَ بِالْفِعْلِ مَا أُرِدْتُ ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِأَنْ أَجْعَلَ مَعَاوِدَتِي لَكُمْ مَعَاوِيَةً ، فَانْتَبَهُوا مِنْ سِنْدَةِكُمْ^(۳) ، وَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، وَأَحْسِنُوا بِالْأَكْرَةِ^(۴) ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ أَيْدِيَهُمْ لَنَا طَعَامًا ، وَالسِّنْتَهُمْ سَلَامًا ، وَظَلَمَهُمْ حَرَامًا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ » .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضَ قَوَادِمِهِ بِسْأَلِهِ حَظَّ خَرَاغِهِ وَالزِّيَادَةَ فِي أَرْزَاقِهِ ، فَوَقَعَ فِي كِتَابِهِ :

« أَفِي النَّوْمِ أَبْصَرْتَ ذَاكَ ؟ نَجِيحًا رَأَيْتَ ، وَخَيْرًا يَكُونُ ! »

(۱) فِي خَاصِ الْخَاصِ « نَصْرُ بْنُ شَبَّابٍ » أَيْضًا ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(۲) فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ تِلْكَ الْقِصَّةَ كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ مَعَ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ السَّرِيِّ بِعَصْرِ - انظُرْ مَقْدِمَتَاهُ فِي ص ٤٢٢ مِنْ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ .

(۳) السَّنَةُ : النَّعَاسُ .

(۴) الْأَكْرَةُ : الْمِرَاثُ ، وَجَمُّهُ أَكْرَةٌ ، كَأَنَّهُ جَمُّ آكْرٍ فِي التَّقْدِيرِ .

يوسف بن القاسم

ووقع يوسف^(۱) بن القاسم - والد أحمد بن يوسف - إلى عامل :

« إن كنت مُنصِفاً من نفسك فلمَ تظلمُ لغيرك؟ وإن ظلمتَ لغيرك فكيف
تنتصف من نفسك؟ » .

ووقع في رقعة رجل استأخه :

« قد أمرنا لك بشيء هو دونَ قدرك على الاجتهاد ، وفوق كفايتك مع
الاقتصاد^(۲) » .

ولما ولى الرشيد على بن عيسى بن ماهان خراسان ، سأل الرشيدَ أشياءً ثقلت
عليه ، فقال ليوسف ، عرفه مقدارَ ما فعلتُ به ، فأبى أظنه جهله ، فوقع إليه :

« قد كفيناك بما وليناك ، وخراسانُ تسمعُ ما وَسِعَكَ عُمرٌ » .

ووقع إلى بعض ولده :

« إذا لم يكن معروفك إلا عند من تعرفُ ، لم يجرُ معروفك رِواق بيتك » .

ووقع : « من جور الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق ، إماماً أن تزيد وإماماً
أن تنقصه » .

ووقع إلى بعض ولده :

« إياك وصحبة فلان ، وإن كان قريبَ النسب منك ، فإنه بعيد الشبه بك ،
فقد يفسد على الإنسان بعضُ جسده فيقطعه وهو أولى به وأقرب » .

ووقع : « إن إساءة المحسن أن يكفَّ عنك إحسانه ، وإحسان المسميء أن يكفَّ
عنك إساءته ، وأبعد ما بينهما ! » .

(۱) روى الصولي في كتاب الأوراق ۱ : ۱۵۶ أن يوسف بن القاسم كان يخلف يحيى بن خالد على
التوقيع في داره ودار أمير المؤمنين .

(۲) ورده في العقد الفريد أن الحسن بن سهل كتب هذا التوايم في قصة رائد ، وفيه « في الاستحقاق »
عمل قوله « على الاجتهاد » .

ووقع إلى رجل كذبه في شيء :

« لو صُوِّرَ الصدقُ لكانَ أسدًا ، ولو صُوِّرَ الكذبُ لكانَ ثعلبًا ، وما صاحبها
جبهيدَيْنِ من هاتين الصورتين . »

أحمد بن يوسف

ووقع أحمد بن يوسف إلى عامل ظالم :

« الحقُّ واضحٌ إن طلبه ، تمّذبه كحجّته ، ولا تُخافُ عثرته ، وتؤمن
في السرِّ مغبّته ، فلا تفتقلنَّ منه ، ولا تعدلنَّ عنه ، فقد بالفتُّ في مفاصحتك ،
فلا تُخوِجني إلى معاودتك ، فليس بعد التقدّمة إليك ، إلا سَطوةُ الإنكار عليك . »

* * *

ووقع في كتاب رجل يحذّره على استتمام صنائعه عنده :

« مستتمُّ الصنّيعه من صابرها ، فعَدَلْ زيفها ، وأقام أودها ، صيانةً لمروفه ،
ونصرةً لرأيه ، فإنَّ أولَ المروفِ مستخفّ ، وآخره مستثقل ، تكاد أوائله
تكون للهوى ، وأواخره تكون للرأى ، ولذلك قيل : ^(١) رَبُّ الصنّيعَةِ أَشَدُّ مِنْ
ابتدائها . »

* * *

ووقع في عناية بإنسان إلى بعض العمال :

« أنا بفلان تامُّ العناية ، وله شديد الرعاية ، وكنت أحبُّ أن يكون ما أروعته
طرفك من أمره في كتابي ، مستودعًا سمعك من خطابي ، فلا تعدلنَّ بعنايتك
إلى غيره ، ولا تمنحنَّ تفقدك سواه ، حتى تُفيله إرادته ، وتتجاوز به أمينته ،
إن شاء الله . »

* * *

(١) رب الصنّيعه كنصر: ناعما وزادها وآعها وأصلعها، وفي زهر الآداب «تتم الصنّيعه...» .

ووقع إلى رجل غصب رجلا على ضيعة وكان غائبا فاستغلها سنين ، وقدم الرجل فطالبه فقال : الضيعة لى وفى يدي ، فوقع إليه أحمد بن يوسف :

« الحق لا تخلق^(۱) جدته ، وإن تناولت بالباطل مدته ، فإن أنطقت حجتك بإفصاح ، وأزات مشكلها بإيضاح - غير « لى وفى يدي » فكثيراً ما أراها ذريعة الغاصب ، وحجة المغالب - وفقر حقتك عليك ، وسيق بلا كد إليك ، وإن ركنت من البيان إليها ، ووقفت من الاحتجاج عليها ، كانت حجتته بالبينه أعلى ، وكان بما يدعيه أولى ، إن شاء الله . »

* * *

ومن توقيعاته :

« ما عند هذا فائدة ولا عائدة^(۲) ، ولا له عقل أصيل ، ولا فعل جميل »

* * *

ووقع إلى عامل قد أخرج حمل مال :

« قد استبطاك الإغفال ، وأبترك الإهمال ، فما تصحيب قولك فعلا ، ولا تتبع وعدك إنجازا ، وقد دافعت بمال نجم^(۳) كزيمك حمله ، حتى وجب عليك مثله ، فأحمل مال ثلاثة أنجم ، ليكون ما يتعجل منك أداء ما أخرج عنك إن شاء الله . »

* * *

ووقع إلى رجل استباحه :

« وددت لو ملكت بغيته ، لبغتهك أميته ، ولكنى فى عمل قصدت فيه »

(۱) خلق الثوب كنصر وكرم وسم : بلى .

(۲) العائد : المنفعة والمعروف .

(۳) النجم والقسط : الحصة ، وكانت العرب تؤقت بطلوع النجوم ، لأنهم ما كانوا يعرفون الحساب ، وإنما يحفظون أوقات السنة بالأقواء ، وكانوا يسمون الوقت الذى يحمل فيه الأداء نجما تجوزا لأن الأداء لا يعرف إلا بالنجم ، ثم توسعوا حتى سمو ما يؤدى نجما لوقوعه فى الأصل فى الوقت الذى يطلع فيه النجم ، واشتقوا منه فقالوا : نجمت الدين تنجما إذا جعلته نجوما .

اتخاذ الحامد، وعدتُ عن اقتناء الفوائد، نَحَسٌ^(۱) نصيبى من الوفر، ووفّر حظى من الشكر، وقد أمرتُ لك بما يجليُّ عنه قدرك، غير مختارٍ له، بل مضطراً إليه، فليكن منك عُذْرٌ فيه، وشكرٌ عليه، إن شاء الله .

عمرو بن مسعدة

وقال عمرو بن مسعدة: كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي، فرفع إليهِ غلمانهُ ورقةً يستزيدونه في روايتهم، فرمى بها إليّ، وقال: أجِبْ عنها، فكتبت: « قليلٌ دائمٌ خيرٌ من كثيرٍ منقطعٍ » فضرب بيده على ظهرى وقال: « أى وزيرٍ في جِدِّك^(۲) ! » .

محمد بن يزداد

ومن توقيعات محمد بن يزداد^(۳):

« أبوابُ الملوكِ معادِنُ الحاجاتِ^(۴)، ومواطنُ الطلِبَاتِ، وليس لاستنجاحها واستنجازها كالصبرِ والملازمة، والمُعَادَاةِ والمراوِحَةِ .
ومنها: « ما استحالت لى فيك نيةٌ، ولا تغيّرت عقيدةٌ، فكيف أخلفٌ وعدك، وأحلُّ عقدك، وأنقضُ عهدك، وأنسى رِفْدك^(۵)؟ » .

(۱) فى الأصل « نَحَسٌ » وأرى أنه محرف وصوابه نَحَسٌ وهو ما يقتضيه المقام، والوفر: الغنى .
(۲) وفى خامس الخامس: « ورفع إلى يحيى بن خالد قوم من حشمه يستزيدونه فى أرزاقهم، فأمر أنس بن أبى شيخ بالتوقيع فى قصتهم، فوقع بين يديه « قليل دائم خير من كثير منقطع » فأعجب به يحيى فقال: قد فاحت منك راحة الوزارة .

(۳) هو أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد آخر وزراء المأمون - انظر خبره فى الفخرى ص ۲۰۸ .

(۴) قدمنا لك فى ص ۳۶۴ من الجزء الثالث أن المأمون وقع فى كتاب لأحمد بن يوسف: « الخبر حنبح، وأبواب الملوك معان لطالبي الحاجات . . . » وفيه روايتان أخريان، انظرهما هناك .
(۵) الرِفْد: العطاء والصلة .

عبد الله بن محمد بن يزيد

ووقع عبد الله بن محمد بن يزيد إلى بعض أصحابه :

« يا أبا العباس ، ليس عليك بأس ، ما لم يكن منك بأس » .

ووقع إلى عامل اغتر^(۱) بكفايته وزاد :

« يا هذا : أسرفت ، وما أنصفت ، وأوجفت^(۲) حتى أعجفت ، وأذلت حتى

أمّلت ، فاستصغر ما فعلت تبلغ ما أمّلت » .

إبراهيم بن العباس

وورد كتاب بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بمدح رجل وذم آخر ،

فوقع في كتابه :

« إذا كان للحسن من الجزاء ما يقنعه ، وللئسي من النكال ما يقنعه^(۳) ،

بذل الحسن الواجب على رغبته ، وانقاد الئسي للحق رهبة » .

فوثب الناس يقبلون يده .

ووقع لرجل ممت^(۴) إليه بحرمة :

« قد ممت بحرمة مألوفة ، ووسيلة معروفة ، أقوم بواجبها ، وأرعاها من

جميع جوانبها » .

(۱) في الأصل « خاس الخاس » « اعتذر » وأرى أنه محرف ، وأن صوابه « اغتر » أو « اعتز »

أو « اعتد » .

(۲) وجف الفرس والبعر كوعد وجيفا : عدا ، وأوجفه : أعداه ، وعجفت لادابة كتب :

هزلت ، وعجفها كنصر وضرب وأعجفها : هزلها ، وأدل عليه وتدل : انبسط ووثق بحجته فأفرط عليه .

(۳) قنعه كقنعه : قهره وذله .

(۴) أي توسلت .

محمد بن عبد الله بن طاهر

ووقع محمد بن عبد الله بن طاهر إلى الكتاب ، وقد ضاقت بهم الكواغد^(۱) في أيام فتنة المستعين والمعز .

« دَقُّوا الأَقْلَامَ ، وَأَوْجَزُوا الكَلَامَ ، فَإِنَّ القِرَاطِيسَ لَا تُرَامُ ، وَالسَّلَامُ » .

واعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه ، فرأى خطه قبيحا فوقع في رقعة :
« أَرَدْنَا قَبُولَ عُدْرِكَ ، فَاقْتَطَعْنَا عَنْهُ مَا قَابَلَنَا مِنْ قَبِيحِ خَطِكَ ، وَلَوْ كُنْتَ صَادِقًا فِي اعْتِدَارِكَ ، لَسَاعَدَتَكَ حَرَكَةُ يَدِكَ ، أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ حَسْنَ الخَطِّ يَنَاضِلُ عَنْ صَاحِبِهِ بِوَضُوحِ الحِجَّةِ ، وَيَمَكِّنُ لَهُ دَرَكَ البُغْيَةِ ؟ » .

عبيد الله بن سليمان بن وهب

ورَفَعَ إلى عُبَيْدِ اللهِ بن وهب عامل من عماله : « إِنْ فِي بَيْتِ النَّارِ كَانُونًا مِنْ آثَارِ الأَكَاسِرَةِ ، وَفِيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِي رطلِ فضةٍ ، وَفِي فَضْتِهِ تَوْفِيرٌ لِبَيْتِ المَالِ » فوقع :

« حِرْصُكَ عَلَى تَقْفِيَةِ آثَارِ الأَوَائِلِ ، يَدُلُّ عَلَى لَوْمِ أَصْلَاحِكَ ، فَبَعْدًا وَسُحْقًا^(۲) لَكَ » .

ووقع في كتاب متنجز إياه وعدا : « الشَّرْطُ أَمْلَاقُ ، وَالوَعْدُ كَأَخْذِ البَيْدِ ، وَالوَفَاءُ مِنْ سَجَايَا الكِرَامِ » .

وفي كتاب مثله : ليس كل من أنسيناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع

(۱) الكواغد جمع كاغد بالفتح : وهو القرطاس ، معرب .

(۲) السحق بالضم وبضمين : البعد .

الشغل إيانا ، واقتسامه زماننا^(١) .

ووقع في شأن عامل : « أنا قادر على إخراج هذه النعرة^(٢) من رأسه ،
والوَحْرَةَ^(٣) من صدره ، والنخوة^(٤) من نفسه » .
ووقع إلى ابن طولون : « اتق الله في الأرصاد ، فإن الله بالمرصاد » .

عبد الله بن المعتز

وكتب إلى عبد الله بن المعتز قهرمانه^(٥) يَنْسِبُ وكيله إلى الخيانة والسرقة ،
ويستأمره في الاستدلال به ، فوقع في رقعته :
« أُغْنِ مَنْ وَايَّتَهُ عَنِ السَّرِقَةِ ، فَلَيْسَ بِكَفِيكَ مَنْ لَمْ تَكْفِهِ » .
وكتب إليه بعض مواليه يذكر جِدَّه في خدمته وتوقعه زيادة نظره له ، فوقع :
« مَنْ نَصَحَ الخِدْمَةَ نَصَحْتَهُ المَجَازَةَ » .

علي بن عيسى

وكتب إلى علي بن عيسى^(٦) بعض العمال في ذكر أموال متخيرة ،
وتفاسيح في كتابه :

- (١) انظر ما قدمناه في ص ٢٨٣ .
(٢) النعرة بضم ففتح وكرقية : الحيلة والكبر ، يقال : إن في رأسه نعرة : أي كبراً ، والأصل فيه أن الحمار إذا نمر (كفرح) ركب رأسه ، فيقال لكل من ركب رأسه : فيه نعرة ، وفي خاص الحمار « النعرة » وهو تصحيف .
(٣) الوحرة في الأصل : وزغة تكون في الصغارى أصفر من العظاءة (بكسر العين) وهي على شكل سام أبرص ، وقيل : ضرب من العظاءة ، وهي صغيرة حمراء تعدو في الجبابين ، لها ذنب دقيق تنصح به إذا عدت ، وهي أخبت العظاءة ، لانطأ طعاما ولا شرابا إلا سمته ، ولا يأكله أحد إلا أخذه فيء ، وربما هلك آكله ، والوحر بالتحريك أيضا ، غش الصدر وبلابله والفيض والحقد ، قالوا : وأصل هذا من تلك الدويبة التي يقال لها الوحرة ، شبهوا العداوة ولزوقها بالصدر بالتزاق الوحرة بالأرض ، وفي خاص الحمار « الوغرة » وهو تحريف .
(٤) النخوة : الكبر والعظمة ، وفي زهر الآداب « والنخرة » وهو تحريف .
(٥) القهرمان : هو كالحازن والوكيل المحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس .
(٦) هو علي بن عيسى بن الجراح ، ولي الوزارة للمقتدر مرارا ، وكان هو وعلي بن الفرات يتناوبان الوزارة - انظر خبره في الفخرى ص ٢٤١ .

« دعنى من تشديبك وتغييرك ، وتفاصح على نظيرك ، فخير الكلام ما قل ودل »
ولم يُبَلِّغ .

وكتب إليه ابن الفرات يستشهد به على زور فوقع في رقعة :
« لا تلغى على نكوصى عن الشهادة لك بالزور ، فإنه لا بقاء لاتفاق على نفاق ،
ولا وفاء لذي مئين^(١) واختلاق^(٢) ، وأحرى بمن تعدى الحق في موافقتك إذا
رضى ، أن يتخطى إلى الباطل في مخالفتك إذا سخط ، وبمن كذب لك ، أن
يكذب عليك » .

(العقد الفريد ١ : ٨٣ ، ٢ : ١٦٥ ، ١٨٧ - ١٩١ وزهر الآداب ١ : ٢٣٠ ، ٣٠٥ ،
٣٠٦ ، ٣٣٤ و ٢ : ٤٣ و ٣ : ١٩٩ ، ٣٥٤ وخامس الخاس للتعالي ص ٦٨ - ٧٢ ووفيات
الأعيان ١ : ١٠٥ ، ٣٩٠ والسكامل للمبرد ١ : ١٤٣ ونهاية الأرب ٧ : ٢٦١ ومقدمة
ابن خلدون ص ٢٧٤ وعيون الأخبار م ٣ : ص ١٠٠ وتاريخ الطبرى ٩ : ٣١٥ وكتاب الاوراق
لأبي بكر الصولى ١ : ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ومعجم الأدباء ٦ : ٩٠
(طبع هندية) وأدب الكتاب ص ٥٣ وغرر الحقائق الواضحة ص ٣٥ ، ص ٢٩٥ وكتاب بغداد
لابن طيفور ٦ : ١٢٧ - ١٢٩) .

(١) اللين : الكذب .

(٢) فى الأصل : واختلاف ، وهو تصحيف .

استدراك

فاتنما أن نورد هذه الرسالة في موضعها من الجزء الثالث، وما هي ذي:

رسالة الإمام مالك

في

السُّننِ والمواعظ والآداب

كتبها

إلى أمير المؤمنين
هارون الرشيد
ووزيره يحيى بن
عقيل البرمكي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رُشداً ، ولم أذكر فيه نصحا ، تحميداً لله ، وأدبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدبره بعقلك ، وردد فيهِ بصبرك ، وأرعه سمعك ، ثم اعقله بقلبك ، وأحضره فهمك ، ولا تُغيبن عنه ذهنك ، فإن فيه الفضل في الدنيا ، وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة .

أذكر نفسك غمرات الموت وكربته ، وما هو نازل بك منه ، وما أنت موقوف عليه بعد الموت ، من العرض على الله سبحانه ، ثم الحساب ، ثم الخلود بعد الحساب ، وأعد الله عز وجل ما يسئل به عاينك أهوال تلك المشاهد وكربها ، فإنك لو رأيت أهل سُخطِ الله تعالى ، وما صاروا إليه من ألوان العذاب ، وشدة نِقْمته عليهم ، وسمعت زفيرهم في النار وشبهتهم ، مع كلوج^(١) وجوههم ، وطول غمهم وتقلبهم في دركاتهما على وجوههم ، لا يسمعون ولا يبصرون ، ويدعون بالويل والثبور^(٢) — وأعظم من ذلك حسرة إعراض الله تعالى عنهم ، وانقطاع رجائهم ، وإجابته إياهم بعد طول النعم بقوله : « آخَسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » — لم يتعاطمك^(٣) شيء من الدنيا إن أردت النجاة من ذلك ، ولا أمّتك من هوله ، ولو قدّمت في طلب النجاة منه جميع ما مَلَكَ أهل الدنيا ، كان في معانتك ذلك صغيراً ، ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلاتهم مع قُرْبهم من الله عز وجل ، ونصرة وجوههم ،

(١) كلج كنع و كلوما وكلاما : تكسر في عبوس .

(٢) الثبور : الهلاك . (٣) تعاطمه : عظم عليه .

ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ، والنظر إليه ، والمكانة منه ، لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به صغير ما عند الله ، ولصغر في عينك جسيم ما طلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على نفسك حذرا غير تفرير ، وبادر بنفسك قبل أن تسبق إليها ، وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل ، وأنت تقدر بإذن الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجّة عنها ، قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها .

واجعل من نفسك لنفسك نصيبا بالليل والنهار ، وصل من النهار اثنتي عشرة ركعة ، واقرأ فيهن ما أحببت ، إن شئت فصلهن جميعا ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة بنى الله بيته في الجنة » ، وصل من الليل ثمانى ركعات بجزء من القرآن ، وأعط كل ركعة حقها والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلهن مثنى مثنى ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي من الليل ثمانى ركعات ، والوتر ثلاث ركعات ، سوى ذلك ، يسم من كل اثنتين ، وصم ثلاثة أيام من كل شهر : الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ذلك صيام الدهر » . وأعط زكاة مالك طيبة بها نفسك ، حين يحول عليها الحول ، ولا تؤخرها بعد حلها^(١) ، وضعها فيمن أمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا في أهل ملتك من المسلمين ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى لم يرض من الصدقة بحكم نبي ولا غيره حتى حدّها هو على ثمانية أجزاء » ، قال عز وجل : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ » واحجج حجة الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى

(١) حل الحق حلا وحلولا : وجب .

لا يقبل إلا طيبًا ، وبلغني أن قوله تعالى : « فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ » غفرد (١) له .

مُر بطاعة الله ، وحبب عليها ، وأنه عن معاصي الله تعالى ، وأبغض عليها ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَرْكِهِمْ تَهْتِكُهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَلَمْ يَنْهَوْا عَنْهَا الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ (٢) ، مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، مَنْ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ بِكُمْ ، فَإِنِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، لَا يُقَدِّمُ أَجْلاً ، وَلَا يَقْطَعُ رِزْقًا .

أَحْسِنَ إِلَى مَنْ خَوَّلَكَ (٣) اللهُ تعالى ، واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم « أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فَاَنْصَرَفَ وَقَالَ : أَطَّتْ (٤) السَّمَاءُ ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ جَبَّةٌ مُلْكٍ سَاجِدٌ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ خَوْلٌ (٥) فَلْيُحْسِنِ إِلَيْهِ ، وَمَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ ، وَلَا تَعَدُّبُوا خَلْقَ اللَّهِ . أَلْزِمَ الْأَدَبَ مَنْ وَارَثَ أَمْرَهُ وَأَدَبَهُ ، وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْكَ النَّظَرُ فِي أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ قَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ : « لَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ ، وَأَخْفِهِمْ فِي اللَّهِ ، لَا تَسْتَلِمِ إِلَى النَّاسِ ، وَاسْتَجْرِمِ (٦) فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، لَا تَغْمَصِ (٧) النَّاسَ ، وَأَخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَلَا أَحَدَّثْتُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحٍ ابْنِهِ ، قَالَ : آمُرُكَ بِأَتْنِينَ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ أَتْنِينَ : آمُرُكَ بِقَوْلِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَالسَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي كِفَّةٍ ، وَزَنْتَهَا ، وَلَوْ وَضَعْتَهَا عَلَى

(١) الغفر : الغفران .

(٢) الرباني : منسوب إلى الرب أي الله تعالى كقولهم لهُي : هو انتأله العارف بالله ، والحبر بالكسر ويفتح : العالم .

(٣) التخييل : التملك ، خوله الله نعمة : ملكه إياها ، وللعنى : إلى خدمتك وعبيدك الذين تملكهم وتلى أمرهم .

(٤) أط يطط أطيطا : صوت .

(٥) الخول : ما أعطاك الله من العبيد والخدم ، والواحد خائل ، وقد يكون الخول واحدا .

(٦) استجرم . أي استخدمهم ، والجري كغنى : الخادم .

(٧) غمصه كضرب وسمع وفرح : احتقره وعابه وتهاون به .

حَلَقَةٌ أَصَمَّتْهَا ، وَقَالَ : سَبَّحَانَ اللَّهِ وَمَحَمَّدَهُ ، فَإِنَّهَا عِبَادَةُ الْخَلْقِ ، وَبِهَا تَقَطَّعَ ^(١) أَرْزَاقَهُمْ ،
فَإِنَّهُمَا يُكْثِرَانِ لِمَنْ قَالَهُمَا الْوُلُوجَ عَلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا . وَأَنْهَكَ عَنِ الشُّرْكِ وَالْكَبْرِ ،
فَإِنَّ اللَّهَ مُحْتَجِبٌ عَنْهُمَا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَمِنْ الْكَبْرِ أَنْ يَكُونَ لِي الدَّابَّةُ النَّجِّيَّةُ ^(٢) ؟
قَالَ : لَا ، قَالَ : أَمِنْ الْكَبْرِ أَنْ يَكُونَ لِي الثَّوبُ الْحَسَنُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَمِنْ
الْكَبْرِ أَنْ يَكُونَ لِي الطَّعَامُ أَجْمَعُ عَلَيْهِ النَّاسُ ؟ قَالَ : لَا ، إِنَّمَا الْكَبْرُ أَنْ تَسْفَهَ ^(٣) الْحَقَّ ،
وَتَغْمَصَ الْخَلْقَ .

وَإِيَّاكَ وَالْكَبْرَ وَالزَّهْوَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عِزٌّ وَجَلٌّ لَا يُحِبُّهُمَا ، وَبَلَّغَنِي عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ
أَنَّهُ قَالَ : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ ^(٤) ، تَطَّوُّهُمُ النَّاسُ بِتَكْبَرِهِمْ
عَلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا » ، لَا تَأْمَنُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ مَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ عُمَرَ
بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « شَاوِرٌ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ » .

احذَرِ بَطَانَةَ السُّوءِ وَأَهْلَ الرَّدَى عَلَى نَفْسِكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا خَلِيفَةٍ إِلَّا وَلَهُ بَطَانَتَانِ : بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ
الْمُنْكَرِ ، وَبَطَانَةٌ لَا تَأْتُوهُ خَبَالًا ^(٥) ، وَهُوَ مَعَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وُقِيَ بَطَانَةَ
السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ « وَاسْتَبَطِنَ أَهْلُ التَّقْوَى مِنَ النَّاسِ . وَأَكْرَمَ ضَيْفِكَ فَإِنَّهُ يَحِقُّ عَلَيْكَ
إِكْرَامُهُ . وَارْتِعَ حَقَّ جَارِكَ : يَبْدُلِ الْمَعْرُوفِ ، وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ جَارَهُ ،
وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ ضَيْفَهُ » . وَتَكَلَّمَ بِخَيْرٍ أَوْ اسْكُتْ ، فَإِنَّهُ
بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ
خَيْرًا أَوْ لِيْمِكْ » .

وَإِنَّ فُضُولَ الْمَنْطِقِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : « أَنْذِرْكُمْ فُضُولَ الْمَنْطِقِ » .

(١) النجبية : الكريهة التي يسابق عليها .

(٤) الذر : صغار النمل .

(١) أي تفدر .

(٣) سفه كفرح : جهل .

(٥) الخبال : الفساد .

وَأَكْرَمَ مَنْ وَاوَدَّكَ وَكَافَيْتَهُ بِعُودَتِهِ، وَإِيَّاكَ وَالغَضَبَ فِي غَيْرِ اللَّهِ. لَا تَأْمُرْ بِخَيْرٍ إِلَّا بَدَأْتَ بِفِعْلِهِ، وَلَا تَنْهَ عَنْ سُوءٍ إِلَّا بَدَأْتَ بِتَرْكِهِ. دَعَّ مِنْ الْأَمْرِ مَا لَا يَعْنِيكَ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»

صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَاعْفُ عَنِ ظَلَمِكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهَا أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

اتَّقِ كَثْرَةَ الضَّحْكَ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى التَّغَفُّ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ضَحْكَه كَانَ تَبَشُّمًا. لَا تَمْزَحْ فَتُدْمَ نَفْسَكَ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»، لَا تُخَالِفْ إِلَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ، وَإِذَا نَطَقْتَ فَأَوْجِزْ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا هَذَا؟ يَعْنِي لِسَانَهُ»، لَا تُصَاعِرْ^(١) خَدَّكَ لِلنَّاسِ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلُّ هَيْئٍ لَيْنٍ سَهْلٍ طَلَّقَ».

اتْرِكْ مِنْ أَعْمَالِ السَّرِّ مَا لَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَعْمَلَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ. اتَّقِ كُلَّ شَيْءٍ تَخَافُ فِيهِ هِمَّةً فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفُ مَوَاقِفَ التَّهْمِ».

أَقْلِلْ طَلْبَ الْحَوَائِجِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ غَضَاظَةً^(٢)، وَبَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: «لَا تَسْأَلِ النَّاسَ». وَلِيَكُنْ مَجْلِسُكَ بَيْتَكَ أَوْ مَسْجِدَكَ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْمَسَاجِدُ بِيُوتِ الْمُتَّقِينَ». لَا تُكْثِرِ الشُّخُوصَ مِنْ بَيْتِكَ إِلَّا فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «سِتَّةُ مَجَالِسَ الْمُسْلِمِ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ مَا كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ فِي بَيْتِ اللَّهِ، أَوْ فِي عِيَادَةِ مَرِيضٍ، أَوْ شُهُودِ جَنَازَةٍ، أَوْ جُمُعَةٍ، أَوْ عِنْدَ إِمَامٍ مُقْسِطٍ^(٣) بَعْرُزُهُ وَبِوَقْرِهِ».

(١) صر خده وصاعره وأصعره: أماله عن النظر إلى الناس تهاونا من كبر.

(٢) الغضاظة: الذلة والمنقصة.

(٣) مقسط: عادل (وفي العدل لنتان: قسط وأقسط. وفي الجور لغة واحدة، قسط بخير الالف)

والتعزير: والتفخيم والتعظيم.

أَحْسَنَ خُلُقِكَ مَعَ أَهْلِكَ وَمَنْ اعْتَرَاكَ بِكَ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ رِضًا لِرَبِّكَ ، وَحُبَّةٌ فِي أَهْلِكَ ، وَمَثْرَاةٌ (١) فِي مَالِكَ ، وَمَنْسَأَةٌ (٢) فِي أَجْلِكَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ أَحْسِنَ الْبِشْرِ إِلَى عَامَّةِ النَّاسِ ، وَاتَّقِ شَتْمَهُمْ وَغَيْبَتَهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : « أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » وَبَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَشْتُمُ النَّاسَ » .

اتَّقِ أَهْلَ الْفُجْحِ ، وَمَجَالِسَةَ أَهْلِ الرَّدَى ، وَمَعَادِنَةَ الضَّعْفَةِ (٣) مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « اعْتَبِرِ النَّاسَ بِأَخْدَانِهِمْ (٤) ، فَإِنَّمَا يَخَادِنُ الرَّجُلَ الرَّجُلَ مِثْلَهُ » .

أَكْرِمِ الْيَتِيمَ وَارْحَمْهُ وَاعْطِفْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَفَلَ يَتِيمًا لَهُ أَوْ لغيره كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وَأَشَارَ بِأَصْبَعَيْهِ ، فَضَمَّهُمَا .

اعْرِفْ لَابْنَ السَّبِيلِ حَقَّهُ ، وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أُضَافَ (٥) الضَّيْفُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

أَعِنِ الظَّالِمَ ، وَانصُرْهُ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَخُذْ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وَادْفَعْهُ عَنْ ظَلَمِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يَثْبُتَ لَهُ حَقُّهُ ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ » .

اتَّقِ اتِّبَاعَ الْهَوَى فِي تَرْكِ الْحَقِّ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَيْنِ : اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولَ الْأَمَلِ ، فَإِنْ اتَّبَعَ الْهَوَى يَصُدَّ عَنِ الْحَقِّ ، وَطُولُ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ » .

(١) مَثْرَاةٌ : أَي مَكْتَرَةٌ . (٢) مَنْسَأَةٌ : أَي تَأْخِيرٌ . (٣) جَمْعُ ضَعِيفٍ .

(٤) الْأَخْدَانُ جَمْعُ خَدَنٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ : الصَّاحِبُ ، وَخَادِنُهُ : صَاحِبُهُ .

(٥) أُضَافَ الرَّجُلُ وَضَيْفُهُ : أَنْزَلَهُ بِهِ ضَيْفًا ، وَضَافَهُ يَضِيفُهُ ضَيْفًا وَضَيْفَانَةٌ وَضَيْفُهُ : نَزَلَ عَلَيْهِ ضَيْفَانَةٌ وَفِي الْأَمَلِ « ضَافٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا تَسْتَطِيلْ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَشْرَفُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ : ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَمَوَاسَاةُ الْأَخِي مِنَ الْمَالِ (١) ، وَإِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ » . أَنْغَضُضْ بِصِرْكٍ عَنْ حَرَامِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّمَا لَكَ النَّظْرَةُ الْأُولَى ، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخَرَى » .

اتَّقِ الْمَطْعَمَ الْوَبِيَّ (٢) ، وَالشَّرْبَ الْوَبِيَّ ، وَالْمَلْبَسَ الْوَبِيَّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ تَذَهَبُ أَنْفَتُهُ (٣) ، وَتَبْقَى عَاقِبَتُهُ ، وَإِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ أَدَّبَ رَسُولُهُ ، فَقَالَ : « كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا » وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَكَلَهُ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مَكَانَهَا أَكَلَهُ مِنْ نَارٍ ، وَمَنْ سَمِعَ (٤) بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَبَسَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ ثَوْبًا أَلْبَسَهُ اللَّهُ مَكَانَهُ ثَوْبًا مِنْ نَارٍ » .

اقْبَلْ عَذْرًا مِنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ ، وَرَجَّعْ عَمَّا كَرِهْتَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَلَمْ يَعْذِرْهُ ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ صَاحِبِ مَكْسٍ (٥) » .

لَتَمَكُنَ بِدِكَ الْعَلِيَا عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَطَتْ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْيَدُ الْعَالِيَا (٦) خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » .

(١) آسَاءُ عَمَالِهِ : أَنَالَهُ مِنْهُ وَجَعَلَهُ فِيهِ أَسْوَأَ أَيِّ قَدْوَةٍ .

(٢) الْوَبِيُّ : مَسْمُولٌ عَنِ الْوَبِيِّ ، يُقَالُ : أَرْضٌ وَبِيئَةٌ وَوَبِيئَةٌ : أَيُّ كَثِيرَةِ الْوَبَاءِ وَهُوَ الطَّاعُونَ ، وَالرَّادُّونَ هُنَا : الْمَكْسُوبُ مِنْ طَرِيقٍ غَيْرِ شَرِيفٍ ، الْمَأْخُوذُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ .

(٣) أَنْفُ الشَّيْءِ : وَأَنْفَتُهُ : أَوَّلُهُ وَابْتِدَآؤُهُ .

(٤) التَّسْمِيعُ : التَّشْيِيعُ وَالتَّشْهِيرُ .

(٥) جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : الْمَكْسُ : الضَّرْبَةُ الَّتِي يَأْخُذُهَا الْمَسَاكِينُ ، وَهُوَ الْعِشَارُ ، وَيُقَالُ لِلْعِشَارِ صَاحِبُ مَكْسٍ ، وَفِي الْحَدِيثِ « لَا يَدْخُلُ صَاحِبُ مَكْسٍ الْجَنَّةَ » وَفِي حَدِيثِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ لِأَنْسٍ : « تَسْمَعُنِي عَلَى الْمَكْسِ أَيُّ عَلَى عَشُورِ النَّاسِ فَأَمَّا كِبَهُمْ وَبِعَا كَوْنِي » قِيلَ مَعْنَاهُ : تَسْمَعُنِي عَلَى مَا يَنْقُصُ دِينِي ، أَمَا يَحْذَرُ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ فِي الْأَخْذِ وَالرَّكْضِ نَقْلًا عَنِ التَّهَابِيَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِابْنِ الْأَثِيرِ - انظُرْ ج ٤ : ص ١٠٣ .

(٦) الْيَدُ الْعَالِيَا : الْمَعْطِيَةُ ، وَالْيَدُ السُّفْلَى : الْمَعْطَاةُ ، وَهُوَ حَتُّ عَلَى الْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ .

أَتَحَبُّ الْأَخْيَارَ ، فَإِنَّهُمْ يُعِينُونَكَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا تَحَبَّبَ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ إِلَّا كَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّهَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ » .

صِلْ رَحِمَكَ وَإِنْ قَطَعْتَكَ ، وَلَا تَكْفَيْتَهُ بِمِثْلِ مَا أَنَى إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ : إِنْ لِي أَقْرَبَاءُ ، أَعْفُو وَيُظْلِمُونِي ^(١) ، وَأَصِلُ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ ^(٢) ، أَفَأَكْفَيْتُهُمْ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَنْ تُتْرَكُوا جَمِيعًا ، وَلَكِنْ إِذَا أَسَاءُوا فَأَحْسِنْ فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ ظَهْرٌ ^(٣) » .

ارْحَمِ الْمَسْكِينِ الْمُضْطَّرِّ ، وَالْغَرِيبَ الْمَحْتِاجَ ، وَأَعِزَّهُ عَلَى مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ » .

ارْحَمِ السَّائِلَ وَارْدُدْهُ مِنْ بَابِكَ بِفَضْلِ مَعْرُوفِكَ ، بِالْبَدْلِ مِنْكَ ، أَوْ قَوْلِ مَعْرُوفٍ تَقُولُهُ لَهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « رُدَّ عَنْكَ مَذْمُومَةُ السَّائِلِ ، [وَلَوْ] بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّيْرِ مِنَ الطَّعَامِ » .

لَا تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ عِنْدَ مَنْ تَعْرِفُهُ ، وَعِنْدَ مَنْ لَا تَعْرِفُهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ ، وَلَوْ أَنَّ تَصُبَّ مِنْ دَلُوكَ فِي إِيَّاهُ » .

(١) هكذا في الأصل ، وقد ذكروا أن نون الرفع تحذف جوازا بكثرة في الفعل المتصل بنون الوقاية نحو قوله تعالى « قُلْ أَفْقَدِيرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبِدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » بتخفيف النون في قراءة نافع ، فالصحيح هند سيبويه أن المحذوف نون الرفع والمذكور نون الوقاية . وقيل المحذوف نون الوقاية ، وتحذف نون الرفع جوازا بقله في غير ذلك نحو قوله :

أَبَيْتَ أُسْرَى وَتَبَيْتَ تَدْلَسِي وَجَهَكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمَسْكُ الذَّكِي

وفي الحديث : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَقَّ تَوْمَنُوا ، وَلَا تَوْمَنُوا حَتَّى تَحَابُّوا » .

(٢) وفي الأصل « وَيُسَيِّئُونَ » والذي في كتب اللغة أن « ساء » متعد بنفسه ، يقال : بساءه بسوءه : فعل به ما يكرهه ، نقيض سره ، وأساءه متعد بحرف الجر ، يقال : أساء إليه نقيض أحسن إليه ، ويقع متعديا بنفسه ولكن بمعنى أفسد ، يقال أساء الشيء : أي أفسده ولم يحسن عمله .

(٣) أي ممن .

المستقي . « أَرِدُ بِكُلِّ مَا يَكُونُ مِنْكَ مِنْ خَيْرٍ إِلَى أَحَدٍ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : « فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » قال : « المنافق » . الذي إن صلى رآه ، وإن فاتته لم يبلغ إليها ، « ويمنعون الماعون » قال . الماعون . الزكاة التي فرضها الله عز وجل .

إياك والرأياء ، فإنه بلغني أنه لا يصعد عمل المرأى إلى الله عز وجل ، ولا يزكاه عنده . إن استطعت أن تعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . « نصر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها حتى يبلغها غيره ، فرب غائب أحفظ من شاهد ، ورب حامل فقه غير فقيه » لا يفعل قلب امرئ مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم . إياك وسوء الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصي الله تعالى ، وقد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خياركم أحسنكم أخلاقاً » . اخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن ملكاً أتاه فقال : إن ربك يُقرئك السلام ويقول : إن شئت أجعلك ملكاً نبياً ، أو عبداً نبياً ، فأشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع ، فما أكل متكئاً حتى مات » . لا تظلم الناس فيديهم^(۱) الله عليك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : « ما ظلمت أحداً أشدَّ عليَّ ظلماً من أحد لا يستهين عليَّ إلا بالله تعالى .

احذر البغي ، فإنه عاجل العقوبة ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أعجل الخير ثواباً صلة الرحم ، وإن أعجل الشر عقوبةً اليمين الغموس^(۲) ،

(۱) أي فينصرهم ويغيبهم الغلبة .

(۲) اليمين الغموس : هي اليمين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها عالماً بأن الأمر بخلافه ، وسميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار .

ترك الديار بلاقع^(١) . لا تحلف بغير الله في شيء ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تحلفوا بأبائكم ، ليحلف حالف بالله أو ليسكت » ولا تحلف بالله في كل شيء ، فإنه بلغني أن ذلك قوله تعالى : « وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ » .

أرحم الناس يرحمك الله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . أحب طاعة الله يُحبك الله ويحببك إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيه : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله جعل قرّة عيني في السجود » وقال بعض العلماء : « ما سرّ عبد قط سريرة خير إلا ألبسه الله رداها ، ولا أمر سريرة شر قط إلا ألبسه الله رداها » .

وايكن عايك السكينة والوقار في منطقتك ومجلسك ومركبك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ، والناس يزحفون حوله : « عليكم بالسكينة » . أعط دابتك إذا ركبتها حظها من الأرض ، وحتّمها من المقصد عليها ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا ركبت هذه الدواب المعجم فأعطوها حظها من الأرض » .

عليك بالحلم والإغضاء عما كرهت ، ولا تمنع^(٢) ذلك من أحد بلغك عنه أذى ولا تكافئه ، فإن في ذلك الفضل في الدنيا والآخرة ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب الحلم الحبي العفيف المتعفف » . ادفع السيئة بالتي هي أحسن ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها السلمي : اتق العقوق وقطيعة الرحم ، فإن في ذلك شيناً في الدنيا ، وتباعداً في الآخرة » ، وبلغني عن النبي

(١) جمع بلقع كجفر : الأرض القفر .

(٢) في الأصل « ولا تمنع » وأراه محرفاً .

صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اشتكت الرَّحِيمُ إلى الله عز وجل ممن يقطعها ، فردَّ اللهُ عليها : أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أُصِلَ مَنْ وَصَلَكَ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ! » .

إذا غضبتَ من شيء من أمر الله ، فاذا كر ثواب الله على كظم الغيظ ، قال عز وجل : « وَالسَّكَاطِينَ الْغَائِظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » .
وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما امتلأ رجل غيظا ، فكظمه الله ، إلا ملأه الله رضوانا يوم القيامة » .

إذا وعدت موعدا في طاعة الله فلا تخلفه ، وإذا قلت قولاً فيه رضا الله فأوف به ودُم عليه ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تكفل لي بسِتْرٍ أتكفل له بالجنة : إذا حدث لم يكذب ، وإذا وعد لم يخلف ، وإذا أوتى لم يخن ، وغضَّ بعمره ، وحفظ فرجه ، وكفَّ يده » .

إذا حلفت على يمين ليست من طاعة الله فلا تهمن بها وكفرها ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا نذر في معصية الله » وكفارتها كفارة يمين ، والنذر يمين ، وإذا حلفت على يمين ثم رأيت غيرها خيرا منها ، فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك . إياك والتزبد في القول ، وأن تقول قولاً وأنت تعلم أنه لم يكن ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : الإمام الكذاب ، والعائل المزهو^(١) ، والشيخ الزاني » .

بر^(٢) والديك وخصمهما منك بالدعاء في كل صلاة ، وأكثر لهما الاستغفار ، وابدأ بنفسك قبلهما ، فإن إبراهيم عليه السلام قال : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » فبدأ بنفسه قبل والديه ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مرَّه أن

(١) العائل : الفقير ، عال يعيل عيلا وعيلة : افتقر ، والمزهو : التكبر ، من الزهو : وهو الكبر والنيه والفخر ، وقد زهى كعنى ، وكدعا قليلا .

(٢) فعله كعلم وضرب .

يُنْسَأُ^(١) له في عمره ، ويزاد في رزقه ، فليتمق الله ربه ، وليصِلْ رِجْحَهُ . اشكر للناس ما أتوا إليك من خیرم ، وكافتهم إن قَدَرْتَ عليه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » .

إذا ركبت دابة فوضعتَ رجلك في الرِّكَّابِ فقل : باسمِ الله ، وإذا استويت راكبا فقل : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ^(٢) » . فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة. إذا أكلت وشربتَ فاذا ذكر اسم الله ، فإن نسيته في أول حالك فاذا ذكره إذا ذكرتَ ، بلغني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « تذكر اسم الله حين تأكل^(٣) ، فإنه يحول بين الخبيث وبين أن يأكل معك^(٤) ، ويتقيأ ما أكل » ، فإذا فرغتَ فقل : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ، وإذا أكلتَ ومعك آخرُ فكل مما يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ، ولا من بين يدي أحد . فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل يفعله : « اذكر اسم الله ، وكُلْ مما يليك ، وكل بيمينك ولا تأكل بشمالك » ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنها إكالة الشيطان » . لا تسافر ما استقطعتَ إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس ، لا يسافرُ إلا فيه . إذا أصابك كرب فقل : يا حيُّ يا قيُّومُ ، برحمتك أستغيثُ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك عند الكرب .

(١) أي يؤخر .

(٢) أي مطبقين ، أنزل للأمر : أطافه وفوى عليه ، وعن الأمر ضعف ضد ، وأول الآية الكريمة

« وَجَمَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَوْنَ كَبُؤُنَ ، لِنَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ

تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي . . . » .

(٣) في الأصل « تذكر » وأراه محرفا . (٤) في الأصل « معه » .

احترس عن يقرب إليك بالنميمة ، ويبلغ الكلام عن الناس ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ملعون من لعن أباه ملعون من لعن أمه ، ملعون من غير نخوم^(١) الأرض ، ملعون كل صقار ، وهو النام . لا تجر ثيابك ، فإن الله لا يحب ذلك . وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من جر ثيابه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » . أطع الله في معصية الناس ، ولا تطع الناس في معصية الله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاطاعة مخلوق في معصية الخالق » . إذا أصابك حزن أو سقم أو ذلة أو لأواء^(٢) - يعني الجوع - فقل : الله ربي لا أشرك به شيئاً ، ثلاث مرات ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بذلك من أصابه شيء من ذلك . اصبر على ما أصابك من فجاج الدنيا وأحزانها ، لقول الله تعالى : « إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

لا تمارين أحداً وإن كنت محقة ، بلغني أن قول الله عز وجل : « فَلَا رَفَثَ^(٣) وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » أنه المراد^(٤) . إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ، فإن كان رُشدًا فأَمْضِهِ ، وإن كان غياً فأنقه عنه » . إياك والتجريد^(٥) خاليا ، فإنه ينبغي لك أن تستحي من الله إذا خلوت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا أحب أن يبلى لي شيئاً من لا يستحي

(١) النخوم : الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود .

(٢) في اللسان : اللأواء : الشدة وضيق المعيشة ، ومنه الحديث « من صبر على لأواء المدينة ... » والأواء : المشقة والشدة ، وقيل الفحط ، يقال أصابتهم لأواء وشصاص بالفتح وهي الشدة ، وتسكون الأواء في الملة .

(٣) الرفث : الجماع والفحش .

(٤) كذا في كتب التفسير قالوا : ولا جدال : أي ولا مراة مع الحدم والرفقة ، والمراد : المجادلة

(٥) التجريد : التبرية من الثياب .

من الله في الخلاء . وإياك أن تدخل الحمام وللأبازار ، ولا يدخل معك أحد الحمام إلا بإزار ، ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر فغض طرفك عن كل أحد كان مكشوفاً ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدخل الحمام إلا بإزار » . أفش السلام ، وإن استطعت ألا يسبقك أحد إليه فافعل ، تعط بذلك فضلا عن الناس ، وبلغني عن ابن مسعود أنه قال : « السلام اسم من أسماء الله وضعه فيكم فأفشوه فيكم ، فإن الرجل إذا سلم كتب له عشر حسنات » .

أدب ولدك ومن وليت أمره على خلقك وأدبك ، حتى يتأدبوا على ما أنت عليه ، فيكونوا لك هونا على طاعة الله ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : « كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن » . وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكت ، واجتهد رأيك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المستشار بالخيار ، إن شاء تسكلم ، وإن شاء سكت » . لا تنفس على أحد سرا أفشاه إليك ، فإنما هي أمانة استودعكها واثمنتك عليها ، إلا أن يكون إفشاؤه خيرا له في دنياه وآخرته ، فأفشها عليه وانصحه فيها ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حق المسلم على المسلم إذا استنصحه أن ينصحه » .

إذا تعلمت علما من طاعة الله فلدبر عاتك أثره ، ولير فيك سمته ، وتعلم للذي تعلمه ، وتعلم له السكينة والحلم والوقار ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العلماء ورثة الأنبياء » . رد جواب الكتاب إلى كل أحد كتب إليك ، فإنما هو كرد السلام ، قال الله عز وجل : « وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَجَيِّبُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « أرى رجع الكتاب على حقا ، كما أرى رجع السلام » . الزم الحياء فإنه خلق الإسلام ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل شيء خلق ، وخلق الإسلام الحياء » . إذا سافرت قل : اللهم إني أعوذ بك

من وَعَثَاء^(١) السفر ، وكآبة المنقلب ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال ،
والخَوْر بعد الكَوْر^(٢) ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك
إذا سافر .

إياك وظلم الضعيف ومَن لا يستعين عليك إلا بالله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال : « ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يُفِطِر ، ودعوة
المظلوم فإنها تصعد فوق الغمام ، فيقول الله لها : وعِزَّتِي وجلالي لأنصركَ ولو بعد
حين » . إذا ودَّعتَ مسافراً فقل : زوَدَكَ اللهُ التقوى ، وغفَرَ لك ذنبك ، ويسَّرَ لك
الخير حيثما كنتَ ، أستودِعُ اللهُ دينَكَ وأمانتَكَ وخواتيمَ عملِكَ ، بلغني عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بها أصحابه .

إذا حضرتَ أمراً ليس لله بطاعة ، ولا تقدِراً على أن تدفعه ، فقم عنه ولا تتعد ،
بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يمتنعنَّ أحدكم مخافةَ الناس أن يقول
الحق إذا شهدَه أو علمَه » . الزَمِ السَّوَاكَ فإنه سُنَّةٌ ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « السَّوَاكُ من سُنَنِ المرسلين » . أَفْشِ الصَّدَقَةَ فإنها تدفع مِيتَةَ السوء ، وليكن
ذلك من أطيب مالك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا الطَّيِّبَ ، بلغني عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : « إن أحدكم ليتصدَّق بالتمر إذا كانت من طيِّب - ولا يقبل الله
إلا الطَّيِّب - فيجعلها في كفه ، فيربِّيها له كما يربِّي أحدكم فِلْوَه^(٣) أو فصِيلَه ، حتى
تسكون في يده مثل الجبل » .

إذا نزلت بك كُرْبَةٌ من كرب الدنيا فليكن مَفْرَعَكَ فيها إلى الله عز وجل
حين تنزل بك . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن ينزل بعبد قطُّ أمرٍ

(١) الوعثاء : للشفة .

(٢) الخور : النقصان ، والكور : الزيادة ، وفي الحديث : « نعوذ بالله من الخور بعد الكور »
أي من النقصان بعد الزيادة ، وقيل معناه من فساد أمورنا بعد صلاحها .

(٣) الفلوه بالكسر وكعدو وسمو : الجحش أو المهر قطما أو بلغا السنة ، والفصيل ولد الناقة إذا
فصل عن أمه .

كان مَقْرَعُهُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ . لا تَضْطَجِعْ عَلَى بَطْنِكَ إِذَا نِمْتَ ،
وَلَا فِي غَيْرِ نَوْمِكَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنِّهَا لَضَجْمَةٌ
يُبْغِضُهَا اللَّهُ » . أَوْفِ بِالْعَهْدِ إِذَا أُعْطِيَتهَ مِنْ نَفْسِكَ لِكُلِّ أَحَدٍ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَحَقُّ مَا وَفَّى بِهِ عَهْدُ اللَّهِ » .

إِذَا حَضَرَتِ السُّلْطَانَ فَاشْفَعْ بِخَيْرٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْكَلامَ عِنْدَهُ إِلَّا بِمَا يُرْضَى اللَّهُ ،
بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ
مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ لَهُ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ
بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أُسْبِرْ مَا أُرِدْتَ بِهِ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « صَدَقَةُ السِّرِّ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ » . اتَّقِ كَثْرَةَ التَّرَكِيَةِ لِنَفْسِكَ ، أَوْ تَرْضَى
بِهَا مِنْ أَحَدٍ يَقُولُهَا لَكَ فِي وَجْهِكَ . بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا امْتَدَحَ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَهُ إِنْ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ أَبَدًا » . إِيَّاكَ وَمَدَحَ
النَّاسِ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« احْتُوا (١) التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ » . طَهَّرْ ثِيَابَكَ وَنَفْسًا مِنْ مَعْاصِي اللَّهِ تَعَالَى ،
فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَوْلَهُ « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » يَأْمُرُهُ أَلَّا يَلْبَسَهَا عَلَى عَذْرَةٍ (٢) . وَكَرِهَ
لِكُلِّ أَحَدٍ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ بَاعَ جَرِيرًا الْبَجَلِيَّ
عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنَّصِيحَةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ وَالشَّرَّ ، بَلَغَنِي أَنَّهُمَا خُلُقَانِ مُرْدِيَانِ لِصَاحِبِهِمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَسَلَّطَهُ عَلَى
إِنْفَاقِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَهْلِكُ بِهَا » . اقْتَدِ فِي أُمُورِكَ بِرَأْيِ

(١) حنا التراب في وجهه يمشوه ويحبه حنوا وحنيا : رماه .

(٢) العذرة : الغائط .

ذوى الإنصاف من أهل التقوى ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « خياركم شبانكم انتشبهون بشيوخكم ، وشيراركم شيوخكم انتشبهون بشبانكم » . لا تحسبوا (١) أحداً ، ولا تجالسوا أبونا (٢) ، فإن الوحدة خير من جليس السوء .

عليك بمعالي الأخلاق وكرامتها ، واتق رذائلها وما سفسف منها ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب معالي الأخلاق ، ويكره سفافها (٣) » . إذا رأيت من فضلت عليه في دينك ودنياك فأكثر حمد الله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنعم الله على عبد بنعمة فقال الحمد لله ، إلا كان ذلك أعظم من تلك النعمة وإن عظمت » .

لا تترك الميثة (٤) الحمراء ، ولا تلبس المعصفر ، فإنه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذلك . إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعداً فاضطجع ، بلغنى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . لا تطيرن من شيء تراه أو تسمعه ، وإذا كان من ذلك شيء فقل : اللهم لا يأتى بالخير إلا أنت ، ولا يدفع السوء إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئاً . لا تتوضأ بشيء مما تأكل من الطعام ، ولا تدلك به في الحمام ، فإن ذلك من الجفاء ، لا تتخلفن بالخلوق (٥) إلا أن يكون في إثر النورة (٦) ليذهب ريحها ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما رجل في بردين له متخلق

(١) المكر بالفتح : سوء العاشرة ، وفعله كضرب ، يقال : فلان يحكر فلانا إذا أدخل عليه مشقة ومضرة في معاشرته ومعايشته .

(٢) أى منهما بشر .

(٣) سفاف الأخلاق : رديتها .

(٤) الميثة : مركب من مراكب الأعاجم من ديباج أو حرير ، وثوب معصر : مصبوغ بالصفر

(٥) المخلوق : ضرب من الطيب ، وتخلق : تطيب .

(٦) النورة : حجر الكلس ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنينخ وغيره وتستخدم

لإزالة الشر .

يتبخر فيها إذ ساخت به الأرض فهو يتجلجل^(١) فيها إلى يوم القيامة .

لا تُغَبَّرَنَّ^(٢) أظفارك بالحناء ولا بديك إذا دخلت الحمام ، فإنه ليس من سيمى أهل الفضل ، ولا تحلف بالطلاق ولا بالعتاق ، فإنها من أيمان المُسَاق . بلغني عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : « أربعٌ جائزة إذا تُكَلِّمُ بهن : الطلاق والعتاق والفكاح والنذر ، وأربعة يُمَسون واللهُ عليهم ساخط ، ويُصَبِحون واللهُ عليهم غضبانٌ : للتشبهون من الرجال بالنساء ، والتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتى بهيمة ، أو عملَ عملَ قوم لوط » . لا نتطهينَ بشيء من الطيب بظهر لونه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « طيبُ الرجل ما بطن لونه وظهر رِيحُه ، وطيبُ النساء ما ما ظهر لونه وبطن رِيحُه » .

الزَمَ الرأى الحسن ، والهدى^(٣) الحسن ، والاقتصاد . بلغني عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « الزأى الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة » . إن استطعت ألا تدع العمامة والبرد في العيدين والجمعة فافعل . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة ، وقال : « إن الله تعالى أعزَّ الإسلام بالعمائم والألوية » . إذا طلاك أحد بالنورة فبلغ المراق^(٤) فلا يلب ذلك منك إلا نفسك ومن يُحسِّن ذلك من نساءك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء أنه كان يلبى ذلك من نفسه .

لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلّى ، بلغني عن ابن عباس أنه سئل عن الجنب يغتسل في الحمام ، فقال : إن الماء لا يجنب^(٥) ، وإذا تنخمت

(١) التجلجل : الشوخي في الأرض .

(٢) غيره به تغيراً : لاطخه به ، وفي الأصل « لاتغيرن » وهو تصحيف .

(٣) الهدى : الطريقة والسيرة .

(٤) مرق البطن : مرق منه ولان ، جم مرق ، أو لا واحد لها .

(٥) أى لا ينجس .

في المسجد فادفنه ، بلغني عن بعض العلماء أنه قال : « هي خطيئة ، وكفارتها دفنها » .
 إذا نمت فقل عند منامك : « اللهم أنت القائم الدائم لا تزول ، خلقت كل شيء
 لا شريك لك ، علمت كل شيء بغير تعليم ، اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .
 بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا قلت كما قال علي بن أبي طالب »
 رضى الله عنه ! وهو الذي قال ذلك . إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا
 تستدبرها ولا تستنج بيمينك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر
 أصحابه ألا يستقبلوا القبلة ، ولا يستنجوا بأيمانهم ، ولا يستنجوا بعظم ولا روث .

إذا انصرفت من الصلاة فقل : « اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه
 وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم . اللهم إني أسألك
 من الخير ما سألك عبادك الصالحون ، وأعوذ بك من الشر ما عاذ منه عبادك
 الصالحون . اللهم آتينا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » ، بلغني
 عن ابن مسعود أنه قال : ما دعا مرسل ولا عبد صالح بشيء حسن إلا هو فيه . يعنى
 في هذا الدعاء . لا تشتم عبداً لك ولا أمة بزنى . فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال : « من قذف أمة أو حرّة أو يهودية أو نصرانية ، فلم يضرب في الدنيا
 ضرب يوم القيامة ثمانين جلدة » .

إذا كنت مسافراً أو مقياً فامسح إن شئت على خفيك ، إن كنت مسافراً ثلاثة
 أيام ولياليهن ، وإن كنت مقياً فيوماً وليلة . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
 قال ذلك ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلي بن أبي طالب وابن عباس رضوان الله
 عليهم قالوا ذلك . إذا صالحك أحد فلا تنزع عن يده حتى يكون هو الذى
 ينزع يده عن يدك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يصافح أحداً فنزع يده
 حتى يكون هو الذى ينزع يده . إذا أقبل عليك رجل بوجهه يحدّك فلا تصرف
 وجهك عنه حتى يكون هو الذى يصرف وجهه عنك ، وإذا جلست إلى جنب رجل

أو جلس إلى جنبك رجل ، فلا تقوم من بين يديه ، ولا تتجاوزن ركبك ركبته .
 بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم تتجاوز ركبته ركلة جليس له . وإذا أحست
 من أمير ظلاماً أو تغطرساً ققل : الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أعز من خلقه جميعاً ،
 الله أكبر مما أخاف وأحذر ، وأعوذ بالله الممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه
 من شر فلان ، اللهم كن لي جاراً من فلان و جنوده أن يفرط^(١) على أحد منهم
 أو أن يطفئ ، جل جلالك ، وعز جارك ، ولا إله غيرك ، تقول ذلك ثلاث مرات ،
 بلغني عن ابن عباس أنه قال ذلك وأمرنا به ، وإذا كتبت إلى أحد من غير أهل
 الإسلام فلا تكتبين : « سلام الله عليك » ولكن اكتب : « السلام على من اتبع
 الهدى » . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب ذلك إلى مسيلة . إذا عطت
 في الخلاء فاذا ذكر اسم الله خفياً .

لا تدهن في مدهن ذهب ولا فضة ، ولا تستجير في مجامر^(٢) الذهب والفضة .
 بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الشرب في إناء الذهب والفضة ، لا تنم
 على الحرير والديباج فإنه لبسة النساء . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن
 لبس الحرير والديباج إلا للنساء . إذا رأيت امرأة في أهلك وخاصتك مما ينبغي تغييره ،
 فلا تحابين منهم أحدا ، وقم فيه بالذي يحق عليك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .

إذا هممت بأمر من طاعة الله عز وجل فلا تحبسه إن استطعت فواقاً^(٣) حتى
 تمضيه ، فإنك لا تأمن الأحداث ، وإذا هممت بأمر غير ذلك ، فإن استطعت ألا
 تمضيه فواقاً فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك تركه . لا تستحي إذا دُعيت لأمر
 ليس بحق أن تقول لا ، فإن الله تعالى يقول : « وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْخَلْقِ » .

(١) أي يجعل على بانهقوبة .

(٢) الجامر جمع بجرة بالكسر : وهي البجرة .

(٣) الفواق بالضم ويفتح : ما بين الحلبتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

إذا سمعت المؤذن يؤذن فقل كما يقول ، إلا أنك تقول إذا قال : حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، لا حول ولا قوة إلا بالله . بلغني ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تَخْلُونَ بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَكَ بِمَحْرَمٍ »^(١) . بلغني عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « ما خلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان » ، إذا قال الإمام آمين ، فقل آمين ، فإنه ينبغي إذا فرغ من أم^(٢) القرآن أن يقول آمين ، ويقول من خلفه سِرًّا ولا يَجهر به . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أمَّن الإمام فأمنوا ، فإن الملائكة تؤمن لتأمين الإمام ، فمن وافق منكم تأمين الملائكة عُفِر له ما تقدم من ذنبه » .

إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشيء حتى تغسل فرجك بالماء . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل مسجد قباء : إنا نزلت هذه الآية فيكم « فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ » . فَأَنْبِئُونِي مَا هَذَا التَّطَهُّرُ الَّذِي ذُكِرْتُمْ بِهِ فَأَنْبِئْتُمْ^(٣) عليه ؟ قالوا : « والذي بمثك بالحق نبيا ، ما مِنَّا امرأة ولا رجل يأتي الخلاء فيبدأ بشيء دون غسل فرجه بالماء » . إذا أكلت طعاما فعلق بين أصابعك فآلعتها ، وأسنانك فتخلل . فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس شيء أشدَّ على المَلَك من أن يرى في الرجل طعاما وهو يصلي » .

إذا نزلت منزلا فقل : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نزل منزلا فقال هذه الكلمات وُقِيَ شَرَّ مَنْزِلِهِ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ » . لا تأكل شيئا من ثمن طعام لا يحل لك أكله ، ولا شيئا من ثمن شراب لا يحل لك شربه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر : « إِنْ الَّذِي حَرَّمَ شَرِبَهَا حَرَّمَ ثَمَنُهَا » ولا تداو بشيء لا يحل لك أكله ولا شربه ،

(١) المحرم : ذات الرحم في القرابة التي لا يحل تزوجها .

(٢) أم القرآن : الفاتحة . (٣) في الأصل « فأنبئونا » .

ولا تبعه ولا تشتره ولا تطعمه ولا تطعمه أحدا ولا تسقه . ولا تُداو به أحدا صغيراً ولا كبيراً ولا بهيمة ولا غيرها ، بلغني عن بعض علماء الصحابة أنه نُعتَ لبعير له خمر فقال : « لا والله لا أُجره ^(١) خمرًا » .

لا تأكل لحم شيء من السباع ولا ذاً مَخْلَب من الطير . بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل كُلِّ ذى ناب من السباع . إذا فزِعتَ في منامك فقل : « أعوذ بكلمات الله التَّامات من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن شر الشياطين ، وأن يحضرون » . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا فزع أحدكم في منامه فليقل ذلك » . إذا قلت لأحد أقسمتُ عليك لتفعلنَّ ، فلم يفعل الذى أقسمتُ عليه أن يفعله وجب عليك الحنثُ ، وكفَّر عن يمينك ، وكذلك إن قلت له : أحنف عليك أو أشهد عليك لتفعلنَّ فلم يفعل ، وجب عليك الحنثُ ، وكذلك إذا كنت وقتاً له وقتاً معلوماً فتركه حتى جاوز الوقت .

لا تبدأنَّ أحداً من غير أهل الإسلام بالسلام ، لكن لو سلم هو فقل : وعليكم . بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك . لا بأس أن تأكل جنباً - وإن كنت لم تتوضأ - إذا غسلت يديك . لا تقل لأحد صلى الله عليك . بلغني عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « لا تنبغى الصلاة من أحد لأحد إلا للنبي عليه الصلاة والسلام » ولا تقل لأحد : جعلنى الله فداك . بلغني أن الزبير قال للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك وهو مريض ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ما تركت أعرابيتك بعد ! » وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : لا يفد أحداً أحداً .

لا بأس بمصافحة الجنب ومباشرته . بلغني عن ابن مسعود أنه قال : « أربعمائة

(١) أوجره الدواء : صب فيه .

ليس عليهم جنابة : الأَشْنَانُ^(١) والماء والثوب والأرض . لا بأس بمصافحة اليهودي والنصراني والصلاة في بيوتهم . لا تَبْلُغُ بشيء من أدبك إذا أدبت وعاقبت أحداً على جُرم اجترمه أربعين سوطاً ، قال صلى الله عليه وسلم : « من بَلَغَ حداً في غير حَدِّ فهو من المعتدين » . إذا أحببت أحداً لله فأعلمه « لِمَا قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إني أحبُّ فلانا لله ، قال : أَمَا أَخْبَرْتَهُ؟ قال : لا ، قال : فَأَخْبِرْهُ ، فلما أَخْبَرَهُ قال : أَحَبَّكَ اللهُ الذي أَحْبَبْتَنِي له » .

لَا تَشْفَعُ فِيمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللهِ إِذَا انْتَهَى إِلَى الْإِمَامِ وَلَا تَحُلْ دُونَهُ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ تَشْفَعَ قَبْلَ ذَلِكَ ، قَالَ ذَلِكَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ - وَتَشْفَعُ فِي سَارِقٍ - فَقِيلَ لَهُ : أَتَشْفَعُ فِيهِ وَأَنْتَ مِنَ الصَّحَابَةِ؟ فَقَالَ : لَا بَأْسَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْإِمَامَ ، فَإِذَا يَلْفَهُ فَلَا عَفَا اللهُ عَنْهُ إِلَّا عَفَا عَنْهُ . الزَّمِ الصَّمْتَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَسْتَكْمِلُ الرَّجُلُ الْإِيمَانَ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ » . وَإِذَا أُتِيَتْ قَرْيَةٌ أَوْ بَلَدًا فَقُلْ : « اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَيْرَهَا ، وَاصْرِفْ عَنَّا وَبَاءَهَا » ، كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ إِذَا دَنَا مِنْ قَرْيَةٍ .

إِذَا عَطَسْتَ فَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَقُلْ : غُفِرَ اللهُ لَنَا وَلَكَ . وَإِنْ عَطَسَ عِنْدَكَ مُسْلِمٌ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَقُلْ يَرْحَمُكَ اللهُ ، كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ لِمَنْ عَطَسَ وَيَقُولُ ذَلِكَ : يَهْدِيكَ اللهُ وَيُصْلِحُ بِالْكَافِ . وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ لِمَنْ عَطَسَ : يَرْحَمُنَا اللهُ وَإِيَّاكَ ، وَيَقُولُ ذَلِكَ : يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكَ ، وَلَا تَشَمَّتْهُ^(٢) حَتَّى يَحْمَدَ اللهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ إِذَا عَطَسَ أَنْ يُشَمَّتَ

(١) فِي الْأَصْلِ « الْأَسْنَانُ » وَأَرَى أَنْ صَوَابُهُ « الْأَشْنَانُ » وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي ص ١٢ ، وَالْكَلَامُ هَلِي حَذْفُ مِضَافِ أَيْ ذَوُو الْأَشْنَانِ . . . الخ . وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْأَرْبَعَةَ لَا تَعْدِي إِلَيْهَا جَنَابَةُ الْجَنِّبِ ، فَلَا بَأْسَ بِاسْتِعْمَالِهَا وَمُبَاشَرَتِهَا إِنْ اسْتَعْمَلَهَا هُوَ وَبَاشَرَهَا .

(٢) التَّشْمِيتُ : الدَّعَاءُ لِلْعَاطِسِ .

إِذَا حَمِدَ اللَّهُ . وَقَرَّ الْكَبِيرَ وَارْحَمَ الصَّغِيرَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِرَّ كَبِيرَنَا » .

لَا تَصَافِحِ امْرَأَةً لَيْسَتْ لَكَ بِزَوْجَةٍ وَلَا مَلِكًا يَمِينٌ ، وَلَا تَضَعِ يَدَهَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِكَ ، وَلَا تَضَعِ يَدَكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهَا ، وَلَا تَقْبَلِ يَدَكَ وَلَا شَيْئًا مِنْ جَسَدِكَ ، وَلَا تَعَانِقِ رَجُلًا وَلَا تَتَّبِعْهُ لَيْسَ بِذِي رَحْمٍ لَكَ ، وَاهْتَنِعْ ذَلِكَ بِذِي رَحْمِكَ « ضَمَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْحَبَشَةِ إِلَى نَفْسِهِ وَقَبِلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » لَا تَرْفَعِ صَوْتَكَ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ ، وَلَا تَشْهَرْ فِيهِ سِلَاحًا . فَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ . إِذَا دُعِيَ إِلَى تَحْمِيلِ شَهَادَةٍ فَإِنَّكَ مُخَيَّرٌ ، فَإِنْ شَهِدْتَ فَلَا يَسْعُكَ الْاِمْتِنَاعُ إِذَا دُعِيَ إِلَى الْأَدَاءِ .

لَا تَمُنْ عَلَى أَحَدٍ بِإِحْسَانِكَ فَإِنَّهُ يُبْطِلُ أَجْرَكَ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لَا تَبْتَطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْأَمْنِ وَالْأَذَى » وَمَنْ أَوْلَاكَ مَعْرُوفًا وَعَجَزْتَ عَنْ مَكَافَاتِهِ ، فَأَثْنِ عَلَيْهِ وَادْكُرْهُ بِهِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَوْلَى مَعْرُوفًا فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَكَافَاتِهِ إِلَّا بِالثَّنَاءِ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

وَإِذَا طَعِمْتَ وَعِنْدَكَ أَحَدٌ فَادْعُهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا » قِيلَ : لِمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : « لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ ، وَطَيَّبَ الْكَلَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » . إِذَا عَمِلْتَ عَمَلًا لِلَّهِ فَأَحْسِنِهُ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » . لَا تَعْجَلْ عَلَى أَحَدٍ بِعُقُوبَةٍ وَلَا بِتَهْمَةٍ حَتَّى تُحِقَّه^(۱) . لَا تَأْتِ أَهْلَكَ أَوْ جَارِيَتَكَ وَغَيْرُهَا بِرَاكٍ أَوْ يَسْمَعِ حِسِّكَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالُوا : وَكَيْفَ نَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ؟ قَالَ : احْفَظُوا الرُّؤْسَ وَمَا حَايَ ، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى ، وَادْكُرُوا الْمَوْتَ وَالْبَيْتَ ، وَذَرُّوا زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » .

(۱) حقه كده وأحتمه : غلبه على الحق .

إذا أصبحت فقل : اللهم لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، لك الملك ولك الحمد لا شريك لك عشر مرات ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قالها عشر مرات حين يُصبح وُكُل به مَلَكان يَحْرُسانه حتى يُمسي ، وإذا قالها ليلاً فكذلك حتى يُصبح » . وإذا كنت في العيدين والجمعة ويوم عرفة بعرفة فاغتسل ، وإن توضأت أجزاءك . سأل رجل علياً عن الغُسل فقال : للجمعة والعيدين وعرفة . إذا رأيت الهلال فلا تستقبله حتى تدعوَ وقل : الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله ، أسألك من خير هذا الشهر ، وأعوذ بك من شر القدر وشر يوم المعشر .

لا تؤمنَّ أحداً في بيته ولا سلطانه إلا أن يأذن لك . وذلك أنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يؤمنَّ الرجلُ الرجلَ في بيته ولا في سلطانه إلا بإذنه » . ولا تحب من الناس أن يمثُلوا لك قياماً . قال صلى الله عليه وسلم : « من مرَّه أن يمثُل له ابنُ آدم قياماً وجبت له النار » . أجِب الدعوة إذا دُعيت . قال صلى الله عليه وسلم : « الدعوةُ يومَ العُرسِ حق » وقال : « لو دُعيت إلى كُراع^(١) لأجبتُ » . إذا حلفت على شيءٍ وحلف والداك أو أحدهما على خلافه فأطعهما ما لم يكن معصية^(٢) . احتجِم في سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .

إذا عدت مريضاً فأخِف العيادة ، وأقِلَّ اللَّبث . إذا مررت بالمقابر فقل : للسلام عليكم أهل الدار المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم لنا فرَط^(٣) ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية . لا بأس أن تمشي أمام الجنائز . مشى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وابن عمر أمامها ، وإذا كنت راكباً فلا تسبقها ،

(١) الكراع من البقر والظم بمنزلة الوظيف من الفرس : وهو مستدق الساق .

(٢) فرط : أي متقدمون ، والفرط في الأصل : المتقدم إلى الماء يتقدم الواردة فيهم لهم الأرسان والدلاء وعلاء الحياض ويستقي لهم ، يقال رجل فرط ، وقوم فرط .

ولا تنزل حتى توضع عن عواتق الرجال ، بلغني ذلك عن بعض الصحابة . لا تنفخ في الطعام والشراب فإنه جفاء ، قاله بعض العلماء .

ارفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة والعيدين والقنوت والتكبير وعند استلام الحجر وعرفة وجمع^(١) والصفاء والمروة والجبار، روى ذلك عن ابن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتى تحاذي إبهامك أذنك ، وتسطهما عند صدرك في باقي ذلك . لا تلعب بالنزد ، لعن النبي صلى الله عليه وسلم اللاعب به وقال : « إياكم وإياه » . لا تمضغ العلك^(٢) ، ولا تحل إزارك ، ولا تجرد ولا تحذف^(٣) . قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنها من أخلاق قوم لوط » . اجمع الصوام عند فطرك على طعامك ، قال صلى الله عليه وسلم : « من فطر صائماً كان له مثل أجره ، ولا ينقص من أجر الصائم شيء » .

واعلم - رحمك الله - أن الله تعالى خصك من موعظتي بما نصحتك ، وأنهيت إليك منه ما أرجو أن يكون سعادة لك وسبباً إلى الجنة ، فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى واتباع ما هو أهله ما ترجوه به القربة عند الله تعالى ، ولا يكن ذلك مما تظلم^(٤) عنه نفسك ، وتعاهدتها بالأخذ والتأديب عليه إن شاء الله حتى توقفها على الذي لا ينبغي لك التقصير بها عنه إن شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب » .

« رسالة مطبوعة بالمطبعة الأميرية سنة ١٣١١ هـ ، ومنها نسخة محفوظة

في دار الكتب المصرية رقم ١٣٠١ تصوف وأخلاق^(٥) » .

(١) جمع : المزدلفة .

(٢) العلك : ضرب من صمغ الشجر كاللبان يمضغ .

(٣) حذف في . عينه حرك جنبه وعجزه أو تدانى خطوه .

(٤) ظلم نفسه منه كضرب : كلفها .

(٥) وقد طبعت حديثاً بمطبعة مصطفي الهادي الحلبي وأولاده بمصر .

فہرس

الجزء الرابع

من جہرۃ رسائل العرب

فہرس الرسائل

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر	١	٥
» » » » » » » »	٢	٦
الآفاق عند القبض على بابك الخرمي	٣	٩
» » » » » » » »	٤	١١
ملك الروم	٥	١١
إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم	٦	١٢
كتابه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلی	٧	١٣
رواية أخرى	٨	١٤
كتابه إلى صديق له	٩	١٤
كتاب له	١٠	١٥
» » » » » » » »	١١	١٥
في التشوق	١٢	١٥
» » » » » » » »	١٣	١٦
» » » » » » » »	١٤	١٦
كتابه إلى منصور بن المهدي	١٥	١٧
إلى العباس بن موسى	١٦	١٧

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
فصل له	١٧	١٧
فصل له	١٨	١٧
كتاب يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه	١٩	١٨
بين عبد الله بن الحسن الأصفهاني وابن الزيات	٢٠	١٩
كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات	٢١	٢٠
» » » » » »	٢٢	٢٠
رد ابن الزيات عليه	٢٣	٢١
كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب	٢٤	٢٢
رد الحسن بن وهب على ابن الزيات	٢٥	٢٢
كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب	٢٦	٢٣
كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الحسن بن سهل	٢٧	٢٣
» » » » إلى القاسم بن الحسن بن سهل	٢٨	٢٥
» » » » إلى محمد بن إسحق	٢٩	٢٥
» » » » إلى إسحق بن يحيى	٣٠	٢٦
» » » » إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	٣١	٢٦
جواب تعزية له	٣٢	٢٧
تعزية له	٣٣	٢٨
كتابه إلى إسحق بن إبراهيم	٣٤	٢٩
» إلى عبد الرحمن بن خاقان	٣٥	٣٠
كتاب تعزية له	٣٦	٣١
» له في الشكر	٣٧	٣١
» في الشكر	٣٨	٣٢
كتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس	٣٩	٣٣
» » » » إلى أبي تمام الطائي	٤٠	٣٣
كتاب له	٤١	٣٣
كتاب ميمون بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب	٤٢	٣٤
» الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له	٤٣	٣٥

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رد صديقه عليه	٤٤	٣٥
كتاب عبد الرحمن الحرائي إلى محمد بن سهل	٤٥	٣٥
» ابن الزيات بالعهد للوائق على مكة	٤٦	٣٦
» إبراهيم بن العباس إلى الواثق	٤٧	٣٦
» إلى ابن الزيات	٤٨	٣٧
» » » » » »	٤٩	٣٨
» عمر بن فرج	٥٠	٣٨
» ابن الزيات	٥١	٣٩
» » » » » »	٥٢	٣٩
» » » » » »	٥٣	٤٠
» ابن الزيات عن الخليفة إلى أحد عماله	٥٤	٤١
فصول لابن الزيات	٥٥	٤٢
كتاب لابن الزيات	٥٦	٤٢
كتاب رجل إلى ابن الزيات	٥٧	٤٣
» الجاحظ إلى ابن الزيات	٥٨	٤٣
» إلى أحمد بن أبي دواد	٥٩	٤٥
» في الاستعطاف	٦٠	٤٦
» إلى بعض إخوانه في ذم الزمان	٦١	٤٩
» في استنجاز وعد	٦٢	٥١
» آخر	٦٣	٥٢
» »	٦٤	٥٢
كتاب له في الاستمناح	٦٥	٥٢
كتاب إلى أبي حاتم السجستاني	٦٦	٥٣
كتابه إلى قلب المغربي	٦٧	٥٣
فصول للجاحظ	٦٨	٥٣
رسالة الجاحظ في بني أمية	٦٩	٥٦
» أبي العاص بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي	٧٠	٦٨

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
۱۵۶	۹۸	تحميد آخر له
۱۵۷	۹۹	تحميد له
۱۵۷	۱۰۰	في فتح
۱۵۷	۱۰۱	في آخر كتاب فتح
۱۵۸	۱۰۲	كتابه إلى بعض إخوانه في شفاعته
۱۵۸	۱۰۳	عن المتوكل إلى أهل حمص
۱۵۹	۱۰۴	عن المتصر إلى طاهر بن عبد الله
۱۵۹	۱۰۵	عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله
۱۶۰	۱۰۶	عن المؤيد وهو ولي عهد إلى طاهر بن عبد الله
۱۶۰	۱۰۷	إلى طاهر بن عبد الله
۱۶۱	۱۰۸	» » » » »
۱۶۲	۱۰۹	» » » » »
۱۶۳	۱۱۰	» » » » »
۱۶۳	۱۱۱	إلى عبد الرحمن بن خاقان
۱۶۴	۱۱۲	إلى الحسن بن رجاء
۱۶۵	۱۱۳	إلى محمد بن الحسن بن العياض
۱۶۵	۱۱۴	إلى عامل له
۱۶۶	۱۱۵	كتاب له في السلامة
۱۶۶	۱۱۶	» » » » »
۱۶۷	۱۱۷	آخر
۱۶۸	۱۱۸	ومن فصوله
۱۶۹	۱۱۹	ومن كلامه
۱۶۹	۱۲۰	كتاب الفضل بن حباب إلى إبراهيم بن العباس
۱۷۰	۱۲۱	رجل إلى المتوكل
۱۷۰	۱۲۲	إلى مالك بن طوق
۱۷۱	۱۲۳	الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق
۱۷۱	۱۲۴	أحد الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر

(۲۸ - جهرة رسائل العرب - وابع)

رقم الرسالة	رقم الصفحة	الرسالة
۱۲۵	۱۷۲	كتاب عمر بن أيوب إلى أحمد بن المدبر
۱۲۶	۱۷۲	أبي عباس المبرد إلى إبراهيم بن المدبر
۱۲۷	۱۷۳	إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون
۱۲۸	۱۷۵	كتابه إلى عريب
۱۲۹	۱۷۵	كتاب لابن المدبر
۱۳۰	۱۷۶	الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر
۱۳۱	۲۱۳	كتاب محمد بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر
۱۳۲	۲۱۴	إلى أحمد بن المدبر
۱۳۳	۲۱۴	إلى أحمد بن دينار
۱۳۴	۲۱۵	» » » »
۱۳۵	۲۱۶	نصراني أسلم
۱۳۶	۲۱۶	حاج
۱۳۷	۲۱۷	بعض الرؤساء
۱۳۸	۲۱۷	كتابه إلى سليمان بن وهب
۱۳۹	۲۱۹	كتابه إلى أبي العيناء
۱۴۰	۲۱۹	فصول لابن مكرم
۱۴۱	۲۲۱	كتاب سعيد بن موسى إلى أبي شراعة
۱۴۲	۲۲۱	رد أبي شراعة على سعيد بن موسى
۱۴۳	۲۲۴	كتاب البيعة للمنتصر بالله
۱۴۴	۲۲۹	كتاب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر
۱۴۵	۲۳۰	رقعة المعتز والمؤيد في خلع أنفسهما من البيعة
۱۴۶	۲۳۱	كتاب المنتصر بخلع المعتز والمؤيد
۱۴۷	۲۳۵	كتاب البيعة للمعتز بالله
۱۴۸	۲۳۷	كتاب عن محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد - كتبه سعيد بن حميد
۱۴۹	۲۴۶	كتاب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان
۱۵۰	۲۴۷	إلى صديق له
۱۵۱	۲۴۷	إلى أبي العباس بن ثوابة

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعر	١٥٢	٢٤٨
» » » » » » » »	١٥٣	٢٤٨
» » » » » » » »	١٥٤	٢٤٩
إلى أبي هفان	١٥٥	٢٤٩
إلى بعض إخوانه	١٥٦	٢٥٠
» » » » » » » »	١٥٧	٢٥١
» » » » » » » »	١٥٨	٢٥٢
» » » » » » » »	١٥٩	٢٥٢
كتاب له في السلامة	١٦٠	٢٥٢
كتاب له في الشوق	١٦١	٢٥٣
كتاب آخر	١٦٢	٢٥٣
كتاب آخر	١٦٣	٢٥٤
كتاب له في توصية	١٦٤	٢٥٤
كتاب له في الاعتذار	١٦٥	٢٥٤
كتاب تعزية له	١٦٦	٢٥٥
كتاب تعزية له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	١٦٧	٢٥٥
تعزية له في مثله	١٦٨	٢٥٦
كتاب له	١٦٩	٢٥٧
تحميد له في فتح	١٧٠	٢٥٧
فصول لسعيد بن حميد في المودة	١٧١	٢٥٩
كتاب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد	١٧٢	٢٦٠
رد سعيد بن حميد عليه	١٧٣	٢٦٠
كتاب لسعيد بن عبد الملك في السلامة	١٧٤	٢٦٠
كتاب لسعيد بن عبد الملك في سلامة الفطر	١٧٥	٢٦١
كتاب له في الاعتذار	١٧٦	٢٦٢
تعزية لسعيد بن عبد الملك	١٧٧	٢٦٢
تعزية لسعيد بن عبد الملك	١٧٨	٢٦٣

رقم الرسالة	رقم الصفحة	الرسالة
۱۷۹	۲۶۳	كتاب له في توصية
۱۸۰	۲۶۴	كتاب آخر
۱۸۱	۲۶۴	كتاب له في إطلاق محبوس
۱۸۲	۲۶۴	كتاب له
۱۸۳	۲۶۵	فصول له
۱۸۴	۲۶۵	كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المعتر
۱۸۵	۲۶۶	كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عمال النواحي
۱۸۶	۲۶۷	رد الأتراك على كتاب ابن طاهر
۱۸۷	۲۶۹	كتاب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمود الإسكافي
۱۸۸	۲۶۹	رد جعفر على محمد بن عباد
۱۸۹	۲۷۰	كتاب ابن طاهر إلى عماله
۱۹۰	۲۷۱	رقعة المعتر بخلع نفسه
۱۹۱	۲۷۲	كتاب الموالي بالكرخ والدور إلى المهتدي
۱۹۲	۲۷۲	رد المهتدي عليهم
۱۹۳	۲۷۳	كتاب الموالي إلى المهتدي
۱۹۴	۲۷۴	كتاب المهتدي إليهم
۱۹۵	۲۷۴	كتابهم إلى المهتدي
۱۹۶	۲۷۵	كتابهم إلى القواد
۱۹۷	۲۷۶	كتاب المهتدي إليهم
۱۹۸	۲۷۶	كتاب القواد إليهم
۱۹۹	۲۷۷	كتاب علي بن يحيى إلى سليمان بن وهب
۲۰۰	۲۷۷	رد ابن وهب عليه
۲۰۱	۲۷۸	كتاب ابن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر
۲۰۲	۲۷۸	كتاب رجل إلى سليمان بن وهب
۲۰۳	۲۷۹	رده عليه
۲۰۴	۲۷۹	كتاب اعتذار لسليمان بن وهب
۲۰۵	۲۷۹	كتاب أبي العيناء إلى أبي الصمتر إسماعيل بن بلبل

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب أبي العيناء إلى بعض الرؤساء	٢٠٦	٢٨١
كتاب أبي العباس بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل	٢٠٧	٢٨١
كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر إلى عبيد الله بن سليمان	٢٠٨	٢٨٢
كتاب سعيد بن عبد الملك إلى عبيد الله بن سليمان	٢٠٩	٢٨٢
كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان	٢١٠	٢٨٣
رد عبيد الله عليه	٢١١	٢٨٣
كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان	٢١٢	٢٨٤
جواب لأحمد بن سليمان بن وهب	٢١٣	٢٨٤
كتابه إلى ابن أبي الأصمغ	٢١٤	٢٨٥
كتابه إلى أخيه عبيد الله بن سليمان	٢١٥	٢٨٦
كتابه إلى صديق له	٢١٦	٢٨٧
كتاب أبي العباس بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان	٢١٧	٢٨٨
كتاب له	٢١٨	٢٨٨
ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان	٢١٩	٢٨٨
جواب عن تعزية لابن ثوابة	٢٢٠	٢٨٩
تعزية له إلى ابني عمر	٢٢١	٢٨٩
عهد من الموفق إلى أحد الولاة - كتبه ابن ثوابة	٢٢٢	٢٩٢
كتاب جعفر بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان	٢٢٣	٢٩٦
أحمد بن أبي طاهر إلى علي بن يحيى	٢٢٤	٢٩٧
د د د د د د د د د د	٢٢٥	٢٩٨
كتابه في ذم ابن ثوابة	٢٢٦	٢٩٩
كتاب أحمد بن أبي طاهر إلى أبي علي البصير	٢٢٧	٣٠١
عبيد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يهنئه بالعيد	٢٢٨	٣٠٥
د د د د د د د د د د	٢٢٩	٣٠٦
د د د د د د د د د د	٢٣٠	٣٠٦
فصل لابن المعتز من تعزية بولد	٢٣١	٣٠٧
تعزية له	٢٣٢	٣٠٧

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصحيفة
تعزية أخرى	٢٣٣	٣٠٧
وله تهنئة بمولود	٢٣٤	٣٠٨
فصل له في قبول عذر	٢٣٥	٣٠٨
» » في حاجة	٢٣٦	٣٠٨
» »	٢٣٧	٣٠٩
» »	٢٣٨	٣٠٩
» »	٢٣٩	٣٠٩
» »	٢٤٠	٣٠٩
» » في الشوق	٢٤١	٣١٠
وله شفاعة في شغل	٢٤٢	٣١٠
فصل له في فراق	٢٤٣	٣١٠
» »	٢٤٤	٣١١
» »	٢٤٥	٣١١
» »	٢٤٦	٣١١
وله في وصف البيان	٢٤٧	٣١٢
وله في وصف الكتاب والقلم	٢٤٨	٣١٣
كتاب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب	٢٤٩	٣١٣
كتاب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له	٢٥٠	٣١٤
» » يحيى الأسدي إلى الحسين بن سعد	٢٥١	٣١٤
» » علي المازراني إلى ابن بشر المرثدي	٢٥٢	٣١٥
فصل لعبد الله بن أحمد في الشكر	٢٥٣	٣١٦
كتاب ابن عبد كان عن أحمد بن طولون إلى ابنه العباس	٢٥٤	٣١٦
» بمذهب القرامطة	٢٥٥	٣٢٢
من كتاب عن المعتضد إلى خمارويه بن أحمد بن طولون	٢٥٦	٣٢٥
كتاب عن المعتضد بلعن معاوية بن أبي سفيان	٢٥٧	٣٢٦
» أم الشريف إلى ابن أخيها محمد بن عيسى	٢٥٨	٣٣٩
» » إلى المعتضد	٢٥٩	٣٤٠

رقم المجلة	رقم الرسالة	الرسالة
٣٤٠	٢٦٠	كتاب صاحب الشامة إلى بعض عماله
٣٤٢	٢٦١	بعض عماله إليه
٣٤٤	٢٦٢	محمد بن سليمان الكاتب إلى القاسم بن عبيد الله
٣٤٤	٢٦٣	ابن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله
٣٤٥	٢٦٤	» » » » » »
٣٤٥	٢٦٥	» » إلى بعض الرؤساء
٣٤٥	٢٦٦	» » إلى عليل
٣٤٦	٢٦٧	» » إلى بعض الوزراء
٣٤٦	٢٦٨	رده عليه
٣٤٦	٢٦٩	كتاب قينة إلى ابن المعتز
٣٤٧	٢٧٠	رده عليها
٣٤٨	٢٧١	كتاب ابن المعتز يصف سرّاً من رأى
٣٥١	٢٧٢	» » إلى أحمد بن سعيد الدمشقي
٣٥١	٢٧٣	» آخر إليه
٣٥١	٢٧٤	» إلى عبد الله بن شبيب من صديق له
٣٥٢	٢٧٥	» إلى محمد بن طيفور من بعض إخوانه
٣٥٢	٢٧٦	» » » » من بعض خاصته
٣٥٢	٢٧٧	رده عليه
٣٥٣	٢٧٨	كتاب صاحب البريد بالدينور
٣٥٣	٢٧٩	» علي بن الفرات عن المقتدر في الموارد
٣٥٤	٢٨٠	» الوزير ابن مقله إلى القواد والعمال
٣٥٥	٢٨١	» أحمد بن الضحالك إلى صديق له يصف شعب بوان
٣٥٧	٢٨٢	» عن الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم - كتبه النجيري
٣٦٥	٢٨٣	» أبي الطيب المتنبى إلى أحد إخوانه
٣٦٦	٢٨٤	» الراضي إلى المتنبى

التوقيعات في العصر العباسي الأول

رقم الصفحة	
٣٦٧	توقيعات السفاح
٣٦٨	المنصور
٣٧٢	المهدي
٣٧٤	الهادي
٣٧٤	الرشيدي
٣٧٨	المأمون
٣٨١	الواثق
٣٨٢	أبي مسلم الخراساني
٣٨٢	عمرو بن عبيد
٣٨٣	أبي عبيد الله
٣٨٣	الفيض بن أبي صالح
٣٨٣	يحيى بن خالد البرمكي
٣٨٤	جعفر بن يحيى البرمكي
٣٨٧	الفضل بن يحيى
٣٨٨	الفضل بن سهل
٣٨٩	الحسن بن سهل
٣٩٠	طاهر بن الحسين
٣٩٣	عبد الله بن طاهر
٣٩٤	يوسف بن القاسم
٣٩٥	أحمد بن يوسف
٣٩٧	عمرو بن مسعدة
٣٩٧	محمد بن يزيد

توقيعات عبد الله بن محمد بن يزداد	٣٩٨
• إبراهيم بن العباس	٣٩٨
• محمد بن عبد الله بن ظاهر	٣٩٩
• عبيد الله بن سليمان بن وهب	٣٩٩
• عبد الله بن المعتر	٤٠٠
• علي بن عيسى	٤٠٠
<hr/>	
رسالة الإمام مالك بن أنس	٤٠٢
<hr/>	

فهرس أعلام الكتاب

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩	١
أبو العيناء ١٣٥ ، ١٣٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٤	إبراهيم بن العباس ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
أبو مسلم الخراساني ٣٨٢	١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
أحمد بن أبي طاهر طيفور ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١	١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،
أحمد بن إسماعيل ٣١٣ ، ٣١٤	١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
أحمد بن سليمان بن وهب ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧	١٦٨ ، ١٦٩ ، ٣٩٨
أحمد بن الضحاك ٣٥٥	إبراهيم بن المدبر ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
أحمد بن علي المازراني ٣١٥	إبراهيم بن المهدي ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ،
أحمد بن يحيى الأسدي ٣١٤	١٦ ، ١٧
أحمد بن يوسف ٣٩٥	ابن النوع ٨٨
أم الشريف ٣٣٩ ، ٣٤٠	ابن عبد كان ٣١٦
ج	ابن مقلة ٣٥٤
الجاحظ ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦	أبو شراعة ١٤١
جعفر بن ثوابة ٢٩٦	أبو الطيب المتنبي ٣٥٣
جعفر بن محمود ٢٦٩	أبو العاص بن عبد الوهاب ٦٨
جعفر بن يحيى ٣٨٤	أبو العباس بن ثوابة ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦
	أبو العباس المبرد ١٧٢
	أبو عبيد الله ٣٨٣
	أبو علي البصير ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،

عبد الله بن الحسن الأصبهاني ١٩

عبد الله بن خاقان ١٣٧

عبد الله بن طاهر ٣٩٠

عبد الله بن محمد بن يزداد ٣٩٨

عبد الله بن المعتز ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،

٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،

٣١٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٥١

عبيد الله بن سليمان بن وهب ٢٨٢ ، ٣٩٩

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٢٨٢

عبيد الله بن يحيى بن خاقان ١٢٣

علي بن عيسى ٤٠٠

علي بن الفرات ٣٥٣

علي بن يحيى ٢٧٧

عمر بن أيوب ١٧٢

عمرو بن عبيد ٣٨٢

عمرو بن عثمان القيني ١٢٣

عمرو بن مسعدة ٣٩٧

غ

غسان بن عمرو الباهلي ١٥٠ ، ١٥٢

ف

الفضل بن حباب ١٦٩

الفضل بن سهل ٣٨٨

الفضل بن يحيى ٣٨٧

القبض بن أبي صالح ٣٨٣

م

المأمون ٣٧٨

ح

الحسن بن وهب ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،

٣٣ ، ٣٤

الحسن بن سهل ٣٨٩

الحسين بن الحسن بن سهل ٣٥

ر

الراضي ٤٨٤

الرشيد ٣٧٤

س

سعيد بن حميد ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،

٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠

سعيد بن عبد الملك ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥

سعيد بن موسى ١٤١

السفاح ٣٦٧

سليمان بن وهب ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩

ص

صاحب الشامة ٣٤٠

ط

طاهر بن الحسين ٣٩٠

ع

عبد الرحمن بن أحمد الحراني ٣٥

عبد الله بن أحمد ٣١٦

المهتدی ۲۷۴ ، ۲۷۶ ، ۳۱۷	مالك بن أنس ۴۰۲
المهتدی ۳۷۲	المتوکل ۱۲۴ ، ۱۲۸
میمون بن ابراهیم ۳۴	محمد بن سامان ۲۶۲
ن	محمد بن طیفور ۲۵۲
	محمد بن عباد ۱۸۷
النجیری ۳۵۷	محمد بن عبد الله بن طاهر ۱۵۲ ، ۲۶۵ ، ۳۹۹ ، ۲۷۰
ه	محمد بن عبد الملك الزيات ۱۹ ، ۲۰ ، ۲۱ ، ۲۲ ، ۲۳ ، ۳۶ ، ۳۷ ، ۳۸ ، ۴۱ ، ۴۲ ، ۴۳
الهادی ۳۷۴	محمد بن مکرم ۲۱۳ ، ۲۱۴ ، ۲۱۵ ، ۲۱۶ ، ۲۱۷ ، ۲۱۹
و	محمد بن یزاد ۳۹۷
	المدنی ۲۳۰ ، ۲۳۵ ، ۲۷۱
ی	المتعصم ۴ ، ۵ ، ۱۱
یحیی بن خالد البرمکی ۳۸۳	المنتصر ۲۲۷ ، ۲۳۱
یعقوب الکندی ۱۸	المنصور ۳۶۸
یوسف بن القاسم ۳۹۴	

فهرس

بعض ماورد في الهامش من الفوائد التي قد يحتاج القارى إلى مراجعتها

رقم الصفحة	رقم الصفحة
١١٧	٢
١٣٤	١١
١٥١	١٢
١٧٣	١٨
١٨٣	٢٠
١٨٥	٣٦
١٩٢	٤٧
١٩٢	٥١
١٩٦	٥٧
١٩٧	٦٠
٢٠٧	٦١
٢٠٧	٦٣
٢١٠	٧٩
٢١١	٨٢
٢٢٢	١٠١
٢٢٢	١٠٢
٢٤٧	١٠٥
٢٨٧	١٠٦
٢٧٥	١١٠
٣١٦	

رقم الصفحة	رقم الصفحة
٣٧١	٣٢٣ ، ٣٤٠ القرامطة
٣٧٤	٣٣٠ الشجرة الملعونة في القرآن
٣٧٥	٣٣١ الحكيم طريد رسول الله
٣٨٥	٣٣٣ عمار بن ياسر
الباءة فليتزوج	٣٦٨ أبو تلمة الخلال
٣٩٢	٣٦٩ حديث « كما تكونوا يولى عليكم »
٣٩٦	٣٧١ الرافضة
٤١٢	٣٧١ السيد الحميرى

فهرس

الأمثال التي ورد شرحها في الهامش

رقم الصفحة	رقم الصفحة
١١٤ رب أكلة تمنع أكالات	٣٩ بلغ السكين العظم
١١٤ رب عجلة تهب ريثا	٧٣ أجود من كعب بن مامة
١١٤ تطلب أترا بعد عين	٧٧ أسمع من لافظة
١١٥ أشام من خوتعة	٧٨ جوع كلبك يتبعك
١١٥ أشام من البسوس	٧٨ نعم كلب من بؤس أهله
١١٦ أشام من عطر مَنشيم	٧٨ سمن كلبك يأكلك
١١٦ عَشَسْ وَلَا تَغْتَرَّ	٧٩ أجوع من كلبة حومل
١١٧ إن أنخا الهبيحاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك	٨٧ عند الصباح بحمد القوم السرى
١١٧ لم يذهب من مالك ما وعظك لا تعدم صناع ثلثة	٨٧ غمرات ثم ينجلين
١١٨ ليس لها راغ ولكن حلبة	٩٢ لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا
١١٩ للرمي يراش السهم	١٠٤ القيد والرثة
١١٩ قبل الرماء عملاً الكنائن	١٠٩ كتاركة بيضها بالعراء
١١٩ عند النطاح تغليب القرناء	وملبسة بيض أخرى جناحا
١١٩ عند النطاح يُغلب الكبش الأجم	١٠٩ أحق من نعامة
١١٩ ليس عليك نسجه فاسحب وخرق	١١٠ إن المنبت لأرضاً قطع ولا ظهراً أبقى
١٢٢ سمنك في أديمك	١١١ شر السير الحفحة
١٢٢ غنك خير من سمين غيرك	١١١ الرشف أنقع للظمان
١٨٧ أنا عذيقها المرجب وجد يلبها المحكك	١١١ ليس الرى عن التشاف
٣٧٣ قد أنصف القارة من رامها	١١١ يا عاقد اذكر حلا
	١١٢ رب لاثم ملهم
	١١٢ رب ملوم لأذب له
	١١٣ الفرار بقراب أكيس

بحمد الله تعالى تم طبع كتاب :

جمهرة رسائل العرب

بقلم الأستاذ أحمد زكي صفوت

وكيل كلية دار العلوم - جامعة القاهرة سابقاً

